



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

SECRET

ن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
واعلم عذابنا

كتاب

al-ṣārim al-maslūl
* الصارم المسلول على شاتم الرسول *

للشيخ الامام تقي الدين ابى العباس احمد بن الشيخ
عبدالحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله
ابن ابى القاسم الحرا في المعروف
باب تيمية رحمة الله عليهم

الفه في وقعة عساق النصراني حين سب النبي صلى الله عليه وسلم
من كشف الظنون وفوات الوفيات ونذكرة الحفاظ ملخصا

* الطبعة الاولى *

بمطبعة مجاس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند
بمجدرا باد الدكن عمرها الله الى اقصى الزمان



❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. قال الشيخ الامام العالم العامل
العلامة شيخ الاسلام ومفتى الامام اوجده دهره وفريد عصره تقي الدين
ابوالعباس احمد بن الشيخ الامام العالم العلامة مجد الدين ابي البركات عبدالسلام (١)
ابن ابي القاسم بن عبدالله بن تيمية الحارثي قدس الله روحه ونور ضريحه •
الحمد لله الهادي النصير فنعم النصير ونعم الهاد • الذي يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم ويبين له سبل الرشاد • كما هدى الذين آمنوا لما اختلف
فيه من الحق وجمع لهم الهدى والسداد • والذي ينصر رسله والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ليوم يقوم الاشهاد • كما وعده في كتابه وهو الصادق الذي
لا يخلف الميعاد • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تقيم
وجه صاحبه للدين خنيفاً وتبرئه من الاحاد • واشهد ان محمداً عبده

(١) هكذا في الاصل وما كتب في اللوح فهو من الكتب المعتمدة المتداول عليها ١٢

ورسوله افضل المرسلين واكرم العباد • ارسله بالهدى ود بين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره • اهل الشرك والعناد • ورفع له ذكره ولا يذكر
الا ذكر معه كما في الاذان والتشهد والخطب والمجامع والاعباد • وكبت
حماده واهلك مشاقه وكفاه المستهزئين به ذوي الاحقاد • وبترشاته
ولعن مؤذيه في الدنيا والآخرة وجعل هوانه بالمرصاد واختصه من بين اخوانه
المرسلين بخصائص تفوق التعداد • فله الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود
ولواء الحمد الذي تحته كل حماد • صلى الله عليه وعلى آله افضل الصلوات
واغلاها واكملها وانما كما يجب سبحانه ان يصلى عليه وكما ينبغي ان يصلى على
سيد البشر والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته افضل تحية واحسنها واولاها
وابركها واطيبها وازكاها صلاة وسلاما دائمين الى يوم التناد • باقين بعد
ذلك ابد آرزقنا من الله ماله من نقاد • اما بعد • فان الله هدا نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم واخر جنابه من الظلمات الى النور واتا بركة رسالته وبين
سفارته خير الدنا والآخرة وكان من ربه بالمنزلة العليا التي تقاصرت
المقول والالسنه عن معرفتها ونعمها وصارت غايتها من ذلك بعد التناهي في العلم
والبيان الرجوع الى عيها وصمتها فاقضاني لحادث حدث ادنى ماله من الحق
علينا بل هو ما وجب الله من تعزيره ونصره بكل طريق وايثاره بالنفس
والمال في كل موطن وحفظه وحمايته من كل مؤذ وان كان الله قد اغنى رسوله
عن نصر الخلق ولكن ليبلو بضعكم ويعلم الله من ينصره ورسوله
بالغيب • ليحق الجزاء على الاعمال كما سبق في ام الكتاب ان اذ كر ما شرع من

المعقوبة لمن سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم وكافر وتوابع ذلك ذكرنا
يتضمن الحكم والدليل . وانقل ما حضرني في ذلك من الاقاويل . و ارداف القول
بحظه من التعليل . وريان ما يجب ان يكون عليه التعويل . واما ما يقدره الله عليه
من العقوبات فلا يكاد ياتى عليه التفصيل . وانما المقصود ههنا بيان الحكم الشرعى
الذى يفتى به المفتى ويقضى به القاضى ويجب على كل واحد من الائمة والامة
القيام بما امكن منه والله هو الهادى الى سواء السبيل . وقد رتبته على اربع مسائل .
❦ المسئلة الاولى ❦ في ان الساب يقتل سواء كان مسلماً او كافراً

❦ المسئلة الثانية ❦ في انه يتعين قتله وان كان ذمياً فلا يجوز لمن عليه ولا مفاداته
❦ المسئلة الثالثة ❦ في حكمه اذا اتاب

❦ المسئلة الرابعة ❦ في بيان السب وما ليس بسب والفرق بينه وبين الكفر
❦ المسئلة الاولى ❦ ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر فانه يجب قتله
هذا مذهب عليه عامة اهل العلم قال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم
على ان حد من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل ومن قاله مالك والليث
واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعى . قال وحكى عن النعمان لا يقتل يعنى
الذى ما هم عليه من الشرك اعظم . وقد حكى ابو بكر الفارسى من اصحاب
الشافعى اجماع المسلمين على ان حد من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل
كما ان حد من سب غيره الجلد . وهذا الاجماع الذى حكاه هذا المحمول
على اجماع الصدرا الاول من الصحابة والتابعين او انه اراد به اجماعهم على
ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يجب قتله اذا كان مسلماً وكذلك قبله القاضى

عياض فقال اجمت الامة على قتل متقصه من المسلمين وسابه وكذ لك حكي
 عن غيره واحد الاجماع على قتله وتكفيره ❦ وقال الامام اسحاق بن راهويه
 احد الائمة الاعلام اجمع المسلمون على ان من سب الله او سب رسوله صلى الله
 عليه وسلم او دفع شيئاً ما نزل الله عز وجل او قتل نبيا من انبياء الله عز وجل
 انه كافر بذلك وان كان مقراب كل ما نزل الله ❦ قال الخطابي لا اعلم احد من
 المسلمين اختلف في وجوب قتله ❦ وقال محمد بن معن و اجمع العلماء على ان شتم
 النبي صلى الله عليه وسلم والمنقص له كافر والوعيد جاء عليه بعد اب الله
 له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر ❦
 ❦ وتحرير القول فيه ❦ ان الساب ان كان مسلماً فانه يكفر ويقتل بغير خلاف
 وهو مذهب الائمة الاربع وغيرهم وقد تقدم من حكي الاجماع على ذلك
 اسحاق بن راهويه وغيره وان كان ذمياً فانه يقتل ايضاً في مذهب مالك واهل
 المدينة وسبأ في حكاية القاضم وهو مذهب احمد وفقهاء الحديث وقد نص احمد
 على ذلك في مواضع متعددة ❦ قال حنبل سمعت ابا عبد الله يقول كل من شتم النبي
 صلى الله عليه وسلم او تنقصه مسلماً كان او كافراً فعليه القتل وارى ان يقتل
 ولا يستتاب ❦ قال وسمعت ابا عبد الله يقول كل من نقض العهد و احدث
 في الاسلام حد ثامثل هذا رأيت عليه القتل لبس على هذا اعطوا العهد
 والذمة وكذ لك قال ابو الصغراء سألت ابا عبد الله عن رجل من اهل
 الذمة شتم النبي صلى الله عليه وسلم ماذا عليه قال اذا قامت البيعة عليه
 يقتل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً كان او كافراً واهما الخلال

وقال في رواية عبد الله وابي طالب وقد سئل عن شتم النبي صلى الله عليه وسلم قال يقتل قيل له فيه احاديث قال نعم احاديث منها حديث الاعمى الذي قتل المرأة قال سمعتها تشتم النبي صلى الله عليه وسلم موحدت حصين ان ابن عمر قال من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل • وكان عمر بن عبد العزيز يقول يقتل وذلك انه من شتم النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرتد عن الاسلام ولا يشتم مسلم النبي صلى الله عليه وسلم • زاد عبد الله سألت ابي عمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم يستتاب قال قد وجب عليه القتل ولا يستتاب لان خلاد بن الوليد قتل رجلا شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستتبه • رواها ابو بكر في الشافي • وفي رواية ابي طالب سئل احمد عمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم قال يقتل قد تنقض العهد • وقال حرب سألت احمد عن رجل من اهل الذمة شتم النبي صلى الله عليه وسلم قال يقتل اذا شتم النبي صلى الله عليه وسلم • رواها الحلال وقد نص على هذا في غير هذه الجوابات فانوا له كاهن في وجوب قتله وفي انه قد تنقض العهد وليس عنه في هذا اختلاف • وكذلك ذكر عامة اصحابه متفق معهم ومما خرمهم يختلفوا في ذلك الا ان القاضي في المجرى ذكر الاشياء التي يجب على اهل الذمة تركها فيها ضرر على المسلمين واحاد هم في نفس او مال وهي الاعانة على قتال المسلمين وقتل المسلمين او المسئلة وقطع الطريق عليهم وان يؤوى للشركيين جاسوساً وان يعين عليهم بدلالة مثل ان يكتب المشركون باخبار المسلمين وان يزني بمسلمة او يصيبها باسم نكاح وان يقتل مسلماً عن دينة قال خطبه الكف عن هذا شرط اول شرط فمن خالف انتقض عهده • وذكر نصوص

أحمد في بعضها مثل نصه في الزنا بالسلة وفي التجسس الشركين وقتل المسلم وإن
كان عبدا كما ذكره الحرقي ثم ذكر نصه في قذف المسلم على أنه لا ينتقض
عهده بل يحد حد القذف قال فتخرج المسئلة على روايتين ثم قال وفي معنى
هذه الأشياء ذكر الله وكتابه ودينه ورسوله بالآية ينبغي فهذه أربعة
أشياء الحكم فيها كالحكم في الثأب التي قبلها ليس ذكرها شرطاً في صحة المقدون
أو واحدة منها فنقضوا الأمان سواء كان مشروطاً في العهد أو لم يكن
وكذلك قال في الخلاف بعد ذكر أن المنصوص انتقاض العهد بهذه
الأفعال والأقوال قال وفيه رواية أخرى لا ينتقض عهد الأبالا امتناع
من بذل الجزية وجرى أحكامنا عليهم ثم ذكر نصه على أن الذي إذا قذف
المسلم بضرب قلل فلم يجبه نقض العهد بقذف المسلم مع ما فيه من الضرر
عليه بهتك عرضه ونزع القاضي جماعة من أصحابه ومن بعدهم مثل
الشریف ابی جعفر و ابن عتیب و ابی الخطاب و الحلواني فذكروا أنه
لا خلاف أنهم إذا امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام الملة انتقض
عهدهم وذكروا في جميع هذه الأفعال والأقوال التي فيها ضرر
على المسلمين وأحاديثهم في نفس أو مال أو فيها غضاضة على المسلمين في دينهم
مثل سب الرسول وما مثله روايتين أحدهما ينتقض العهد بذلك
والأخرى لا ينتقض عهد وتمام فيه حد وذلك مع أنهم كلهم متفقون
على أن المذهب انتقاض العهد بذلك ثم إن القاضي والأكثري لم يعدوا
قذف المسلم من الأمور المضرة النافضة مع أن الرواية المخرجة بما خرجت

من نصه في القذف واما ابو الخطاب ومن تبعه فنقلوا حكم تلك الحصال الى
القذف كما نقلوا حكم القذف اليها حتى حكوا في انتقض العهد بالقذف روايتين
ثم ان هؤلاء كلهم وسائر الاصحاب ذكروا مسألة سب النبي صلى الله عليه
وسلم في موضع آخر وذكروا ان سابه يقتل وان كان ذمياً وان عده
ينتقض وذكروا انصوص احمد من غير خلاف في المذهب الا ان الملواني
قال ويحتمل ان لا يقتل من سب الله ورسوله اذا كان ذمياً. وسلك
القاضي ابو الحسين في نواقض العهد طريقة ثالثة توافق قولهم هذا فقال اما
الثمانية التي فيها ضرر على المسلمين واحادهم في مال او نفس فانها تنتقض العهد
في اصح الروايتين واما ما فيه ادخال غضاضة ونقص على الاسلام وهي
ذكر الله وكتابه ودينه ورسوله بما لا ينبغي فانه ينتقض العهد نص عليه ولم يخرج
في هذا رواية اخرى كما ذكرها اولئك في احد الموضوعين وهذا اقرب من
تلك الطريقة وعلى الرواية التي نقول لا ينتقض العهد بذلك فتماذ الم يكن
مشروطاً عليهم في العقد فاما ان كان شرطاً فبغير وجهان احدهما ينتقض
قاله الحرقي وقال ابو الحسن الآمدي وهو الصحيح في كل ما شرط عليهم
تركه صحيح قول الحرقي بانتقض العهد اذا خالفوا شيئاً مما شرط عليهم والثاني
لا ينتقض قاله القاضي وغيره صرح ابو الحسن بذلك هنا كما ذكره الجماعة
فما اذا اظهروا دینهم وخالفوا هيئتهم من غير اضرار كظهار الاصوات بكنائهم
والنسب بالمسلمين مع ان هذه الاشياء كلها يجب عليهم تركها بخصوصها وهاتان
الطريقتان ضعيفتان والذي عليه عامة المتقدمين من اصحابنا ومن تبعهم

من المتأخرين اقرار نصوص احمد على حالها هو قد نص في مسائل سب الله
ورسوله على انتقاض العهد في غير موضع وعلى انه يقتل وكذا لك فين جسس
على المسلمين اوزنى بمسئلة على انتقاض عهده وقته في غير موضع وكذلك
تقله الحر في فين قتل مسلماً وقطع الطريق اولى. وقد نص احمد على ان قذف
المسلم وسحره لا يكون نقضاً للعهد في غير موضع هذا هو الواجب لان تخرج
حكم المسئلتين الى الاخرى وجعل المسئلتين على روايتين مع وجود الفرق
بينهما نصاً واستدلالاً ومع وجود معنى يجوز ان يكون مستند الفرق غير جائز
وهذا كذلك وكذلك قد وافقنا على انتقاض العهد بسب النبي صلى الله
عليه وسلم جماعة لم يوافقوا على الانتقاض ببعض هذه الامور.

واما الشافعي قال للنصوص عنه نفسه ان عهده ينتقض بسب النبي صلى الله عليه
وسلم وانه يقتل. هكذا احكام ابن المنذر والحطايي وغيرهما والنصوص
عنه في (الام) انه قال اذا اراد الامام ان يكتب كتاب صلح على الجزية كتب
وذكر الشروط الى ان قال وعلى ان احدا منكم ان ذكر محمد صلى الله عليه
وسلم او كتاب الله او دينه بالايدي ان يذكره فقد برئت منه ذمة الله ثم ذمة
امير المؤمنين وجميع المسلمين ونقض ما اعطى من الامان وحل لامير المؤمنين
ماله ودمه كما يحل اموال اهل الحرب ودماءهم وعلى ان احدا من رجالهم
ان اصاب مسلمة بزنا او اسم نكاح او قطع الطريق على مسلم او قتل مسلماً عن
دينه او اعان المحاربين على المسلمين بقتال او دلالة على عورات المسلمين او ايوا
اعبواهم فقد نقض عهده وحل دمه وماله وان نال مسلماً بآدون هذا في

ماله او عرضه لزمه فيه الحكم ❁ ثم قال فهذا الشرط اللازمة ان رضيا فيها
 وان لم يرضاها فلا عقد له ولا جزية ثم قال او فعل شيئاً مما وصفته نقضاً للعهد
 واسلم لم يقتل اذا كان ذلك قولاً وكذا اذا كان فعلاً لم يقتل الا ان
 يكون في دين المسلمين ان من فعله قتل حد او قصاصاً فيقتل بمحد او قصاص
 لانقض عهد وان فعل مما وصفنا وشرط انه تنقض للعهد الذمة فلم يسلم
 ولكنه قال اتوب واعطى الجزية كما كنت اعطيها او على صلح اجدده
 عوقب ولم يقتل الا ان يكون فعلاً يوجب القصاص او الحد فاما ما دون هذا
 من الفعل او القول فكل قول يعاقب عليه ولا يقتل ❁ قال فان فعل او قال
 ما وصفنا وشرط انه يحل دمه فظفر به فامتنع من ان يقول اسلم او اعطى
 جزية قتل واخذ ماله فيثأ ونص في الام ايضاً ان العهد لا ينتقض بقطع الطريق
 ولا يقتل المسلم ولا يلزنا بالسلمة ولا بالتجسس بل يحد فيا فيه الحد ويعاقب
 عقوبة مكينة فيا فيه العقوبة ولا يقتل الا ان يجب عليه القتل ❁ قال ولا يكون
 النقص للعهد الا ببيع الجزية او الحكم بعد الاقرار والامتناع بذلك ❁ قال
 ولو قال او دى الجزية ولا اقر بالحكم نبذ اليه ولم يقتل على ذلك مكانه
 وقيل قد تقدم لك امان فاما انك كان للجزية واقرار لك بها وقد اجلناك في
 ان تخرج من بلاد الاسلام ثم اذا خرج فباع ماله قتل ان قدر عليه فعلى
 كلامه المأثور عنه يفرق بين ما فيه غصاصة على الاسلام وبين الضرر بالفعل
 او يقال يقتل الذمي بسبه وان لم ينتقض عهده كما سيأتي ان شاء الله تعالى
 ❁ واما اصحابه فذكر وافيما اذا ذكر الله او كتابه او رسوله بسوء وجهين

- احدهما - ينتقض عهد . بذلك سواء شرط عليهم تركه او لم يشرط بمنزلة
 ما اذا قاتلوا المسلمين وامتنعوا من التزام الحكم كطريقة ابي الحسين من اصحابنا وهذه
 طريقة ابي اسحق المروزي . ومنهم . من خص سب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وحده . انه يوجب القتل . والثاني . ان السب كالافعال التي على المسلمين
 فيها ضرر من قتل المسلم والزنا بالمسلمة والجنس وما ذكر معه . وذكروا
 في تلك الامور وجهين . احدهما . انه ان لم يشرط عليهم تركها باعنائها
 ففي انتقاض العهد بفعلها وجهان . والثاني . لم ينتقض العهد بفعلها مطلقاً
 . ومنهم . من حكى هذه الوجوه اقوالاً وهي اقوال مشار اليها فيجوز ان
 تسمى اقوالاً وجوهاً هذه طريقة العراقيين وقد صرحوا بان المراد شرط
 تركها لا شرط انتقاض العهد بفعلها كما ذكره اصحابنا . واما الخراسانيون فقالوا
 المراد بالاشتراط هنا شرط انتقاض العهد بفعلها لا شرط تركها قالوا لان
 التترك موجب لنفس المقد ولذا ذكرنا في تلك الخصال المضرة
 ثلاثة اوجه . احدها . ينتقض بفعلها . والثاني . لا ينتقض . والثالث .
 ان شرط في المقد انتقاض العهد بفعلها انتقض والا فلا . ومنهم من قال ان شرط
 نقض وجهها واحد او ان لم يشرط فوجهان وحسبوا ان مراد العراقيين
 بالاشتراط هذا فقالوا احكامية عنهم ان لم يجر شرط لم ينتقض العهد وان جرى
 فوجهان ويلزم من هذا ان يكون العراقيون قائلين بانه ان لم يجر شرط الانتقاض
 بهذه الاشياء لم ينتقض بها وجهها واحد او ان صرح بشرط تركها انتقض وهذا
 غلط عليهم والذي نصره في كتب الخلاف ان سب النبي صلى الله عليه وسلم

❦ دلائل انتفاض عهد الذي بسبب الله او كتابه او دينه او رسوله ووجوب قتله وقتل المسلم اذا اتي ذلك ❦

ينقض العهد ويوجب القتل كما ذكرناه عن الشافعي نفسه *

❦ واما ابو حنيفة ❦ واصحابه فقالوا لا ينتقض العهد بالسب ولا يقتل الذي بذل لكن يعزر على اظهار ذلك كما يعزر على اظهار المنكرات التي ليس لهم فعلها من اظهار اصواتهم بكنايهم ونحو ذلك وحكاة الطحاوي عن الثوري * ومن اصولهم ان ما لا قتل فيه عندهم مثل القتل بالمثل والجماع في غير القبل اذا تكرر فللامام ان يقتل فاعله وكذلك له ان يزيد على الحد المقدرا اذا رأى المصلحة في ذلك ويحملون ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من القتل في مثل هذه الجرائم على انه رأى المصلحة في ذلك ويسمونه القتل سياسة وكان حاصله ان له ان يعزر بالقتل في الجرائم التي تغلظت بالتكرار وشرع القتل في جنسها * ولهذا افتى اكثرهم بقتل من اكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة وان اسلم بعد اخذه وقالوا يقتل سياسة وهذا منوجه على اصولهم *

❦ والدلائل على انتفاض عهد الذي بسبب الله او كتابه او دينه او رسوله ووجوب قتله وقتل المسلم اذا اتي ذلك الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين والاعتبار ❦

اما الكتاب فيستنبط ذلك منه من مواضع * احدها قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * فامرنا بقتلهم الى ان يعطوا الجزية وهم صاغرون ولا يجوز الامساك عن قتالهم الا اذا كانوا صاغرين

حال اعطائهم الجزية و معلوم ان اعطاء الجزية من حين بذلها و التزامها
الى حين تسليمها و اقباضها فانهم اذا بذلوا الجزية شرعوا في الاعطاء و وجب
الكف عنهم الى ان يقبضوها ف يتم الاعطاء فتى لم يلتزموها او التزموها
لو لا و امتنعوا من تسليمها ثانياً لم يكونوا معطين للجزية لان حقيقة الاعطاء
لم توجد و اذا كان الصغار حالاً لهم في جميع المدة فمن المعلوم ان من
اظهر سب تينافي و جوهنا و شتم ربنا على رؤس الملائمة و طعن في ديننا
في حجا معانفلس بصاغر لان الصاغر الدليل الحقير و هذا فعل متغرز مراغم
بل هذا غاية ما يكون من الاذلال لنا و الا هانة قال اهل
اللسنة الصغار الذل و الضيم يقال صغر الرجل بالانكسر يصغر بالفتح
صغرا و صغرا و الصاغر الراضى بالضم و لا يخفى على المتأمل ان اظهار السب
و الشتم لدين الامة التي اكتسبت شرف الدنيا و الآخرة ليس فعل
راض بالذل و الهوان و هذا ظاهر لا يخفاء به و اذا كان قتالهم واجباً علينا
الا ان يكونوا صاغرين و ليسوا بصاغرين كان القتال مأموراً به و كل من
امرنا بقتاله من الكفار فانه يقتل اذا قدرنا عليه و ايضا فانا اذا كنا
مأمورين ان نقاتلهم الى هذه الغاية لم يجوز ان نعقد لهم عهد الذمة بدونها
ولو عقد لهم كان عقد افساد ايقنون على الاباحة - و لا يقال غيهم فهم
يحسبون انهم معاهدون فتصير لهم شبهة امان و شبهة الامان كحقيقته فان
من تكلم بكلام يحسبه الكافر اماناً كان في حقه اماناً و ان لم يقصد المسلم
لانا نقول لا يخفى عليهم انهم نرض بان يكونوا تحت ايد بنا مع اظهار شتم

ديننا وسب نبينا وهم يدرون انا لانعاهد ذمياً على مثل هذه الحال فدعواهم
انهم اعتقدوا انا عاهدناهم على مثل هذا مع اشتراطنا عليهم ان يكونوا
صاغرين تجري عليهم احكام الملة دعوى كاذبة فلا يلتفت اليها وايضاً
فان الذين عاهدوهم اول مرة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
عمر وقد علمنا انه يتمتع ان يعاهدوهم عهد اخلاف ما امر الله به في كتابه
وايضاً فاننا سندكر شروط عمر وانها تضمنت ان من اظهر الطعن في ديننا
حل دمه وماله للوضع الثاني بقوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام الى قوله وان
نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ووطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان
لهم لعلهم ينتهون نفي سبحانه ان يكون لشرك عهد ممن كان النبي صلى الله
عليه وسلم قد عاهدوا الا قوماً ذكرهم فانه جعل لهم عهد اما دعوهم
مستقيمين لنا فعمل ان العهد لا يبق للمشرك الا حادام مستقيما ومعلوم ان
مجاهرتنا بالشبهة والوقعة في ربنا ونبينا وكتابتنا وديننا يقدح في
الاستقامة كما يقدح مجاهرتنا بالمخاربة في العهد بل ذلك اشد علينا ان كنا
مؤمنين فانه يجب علينا ان نبذل دماءنا واماوالنا حتى تكون كلمة الله هي
العليا ولا يجهري في دارنا بشئ من اذى الله ورسوله فاذا لم يكونوا مستقيمين
لنا بالقدح في اهلون الامر كيف يكونون مستقيمين مع القدح في اعظمها
يوضح ذلك قوله تعالى كيف وان يظهر واعليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا
ذمة اي كيف يكون لهم عهد ولو ظهر واعليكم لم يرقبوا الرحم التي

بينكم وبينهم ولا العهد الذي بينكم وبينهم . فاعلم ان من كانت حاله انه اذا اظهر
لم يرقب ما بيننا وبينه من العهد لم يكن له عهد . ومن جاهرنا بالطعن في ديننا كان
ذلك دليلا على انه لو ظهر لم يرقب العهد الذي بيننا وبينه فانه اذا كان
مع وجود العهد والذلة يفعل هذا فكيف يكون مع العزوة والقدره وهذا
بخلاف من لم يظهر لنا مثل هذا الكلام فانه يجوز ان يفي لنا بالعهد لو ظهر
وهذه الآية وان كانت في اهل الهدنة الذين يقيمون في دارهم فان
معناها ثابت في اهل الذمة المقيمين في دارنا بطريق الاولى . الموضع الثالث .
قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر . وهذه الآية تدل من وجوه . احدها . ان مجرد نكث الايمان
مقتضى للقتال وانما ذكر الطعن في الدين وافرده بالذكر تخصيصا له بالذكر وبياننا
لانه من اقوى الاسباب الموجبة للقتال ولهذا يغلظ على الطاعن في الدين من العقوبة
ما لا يغلظ على غيره من الناقضين كما سنبين . ان شاء الله تعالى او يكون
ذكره على سبيل التوضيح وبيان سبب القتال فان الطعن في الدين هو الذي
يجب ان يكون داعيا الى قتالهم لتكون كلمة الله هي العليا . واما مجرد نكث
اليمين فقد يقاتل لاجله شجاعة وحمة ورياء او يكون ذكر الطعن في الدين
لانه اوجب القتال في هذه الآية بقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر وبقوله تعالى
الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءا وكم اول مرة الى قوله
قاتلوا يعذبهم الله بايد يكمل الآية فيفيد ذلك ان من لم يصدر منه الامجد
نكث اليمين جازا ان يؤمن وبعاهدوا من طعن في الدين فانه يتعين قتاله

وهذه كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يهدرد ماء من
اذى الله ورسوله وطمع في الدين وان امسك عن غيره واذا كان نقض
المهدو حده موجبا للقتال وان تجرد عن الطعن علم ان الطعن في الدين اما سبب
آخرا وسبب مستلزم لنقض المهد فانه لا بد ان يكون له تأثير في وجوب المقاتلة
والا كان ذكره ضائعا فان قيل . هذا يفيد ان من نكث عهده وطمع
في الدين يجب قتاله اما من طمع في الدين فقط فلم يتعرض الآية له بل
مفهومها انه وحده لا يوجب هذا الحكم لان الحكم المعلق بصفتين لا يجب
وجوده عند وجود احدهما قلنا . لا ريب انه لا بد ان يكون لكل
صفة تأثير في الحكم والافالوصف العديم التأثير لا يجوز تعليق الحكم به
كما قال من زنى واكل جلد . ثم قد يكون كل صفة مستقلة بالتأثير لو انفردت
كما يقال يقتل هذا لانه مرتد زان وقد يكون مجموع الجزاء مرتباً على المجموع
ولكل وصف تأثير في البعض كما قال والذين لا يدعون مع الله الها آخر
الآية وقد تكون تلك الصفات متلازمة كل منها لو فرض تجرده لكان
مؤثراً على سبيل الاستقلال او الاشتراك فيذكر ايضا حاكوا بياناً للوجوب كما
يقال كفروا بالله وبرسوله وعصى الله ورسوله وقد يكون بعضها مستلزماً
للبعض من غير عكس كما قال ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق الآية وهذه الآية من ابي الاقسام فرضت كان فيها دلالة لان
اقصى ما يقال انه نقض المهد هو المبيع للقتال والطمع في الدين مؤكده
وموجب له فنقول اذا كان الطعن يغتبط قتال من ليس بيننا وبينه عهد ووجهه

فان بوجوب قتال من يتناو بينه ذمة وهو ملتزم للصغار اولى وسيأتى تقرير ذلك على ان المعاهد له ان يظهر في داره ماشاء من امر دينه الذي لا يؤذينا والذي ليس له ان يظهر في دار الاسلام شيئاً من دينه الباطل وان لم يؤذنا فخاله اشد واهل مكة الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا معاهدين لاهل ذمة فلو فرض ان مجرد طعنهم ليس تقضاً للعهد لم يكن الذي كذبك الوجه الثاني * ان الذي اذ اسب الرسول او سب الله او عاب الاسلام عناية فقد نكث بيمينه وطعن في ديننا لانه لا خلاف بين المسلمين انه يعاقب على ذلك ويؤدب عليه فعلم انه لم يعاهد عليه لاننا لو عاهدناه عليه ثم فعله لم تجز عقوبته عليه واذا كنا قد عاهدناه على ان لا يطعن في ديننا ثم يطعن في ديننا فقد نكث في دينه من بعد عهده وطعن في ديننا فيجب قتله بنص الآية . وهذه دلالة قوية حسنة لان المنازع يسلم لنا انه ممنوع من ذلك بالعهد الذي يتناو بينه لكن نقول ليس اظهار كل ما منع منه نقض عهد . كاظهار الخمر والخنزير ونحو ذلك فنقول قد وجد منه شيان مامنه منه العهد وطعن في الدين بخلاف اولئك فانه لم يوجد منهم الا فعل ما هم ممنوعون منه بالعهد فقط والقرآن بوجوب قتل من نكث بيمينه من بعد عهده وطعن في الدين ولا يمكن ان يقال لم ينكث لان النكث هو مخالفة العهد فتى خالفوا شيئاً مما صولحو عليه فهو نكث ماخوذ من نكث الحبل وهو نقض قواه ونكث الحبل يحصل بنقض قوة واحدة كما يحصل بنقض جميع القوى لكن قد بقي من قواه ما يستمسك الحبل به وقد بين بالكلية وهذه المخالفة من المعاهد

قد تبطل العهد بالكلية حتى تجمله حرياً وقد شئت العهد حتى تبيع عقوبتهم كما
 ان بعض الشرط في البيع والنكاح ونحوهما قد يبطل البيع بالكلية كما لو وصفه
 بانه فرس فظهر بعيراً أو قد يبيع الفسخ كالاخلاق بالرهن والضمين هذا عند
 من يفرق في المخالفة وامان قال ينتقض العهد بجميع المخالفات فالامر
 ظاهر على قوله ودلى التقديرين قد اقتضى العقد ان لا يظهر واشياء من
 عيب ديتاوانهم متى اظهروه فقد نكثوا او طعنوا في الدين فيدخلون
 في عموم الآية لفظاً ومعنى ومثل هذا العموم يتلوه درجة النص * الوجه
 الثالث * انه ساء ائمة الكفر لظنهم في الدين ووقع الظاهر موقع المضمحل
 لان قوله ائمة الكفر اما ان يعنى به الذين نكثوا او طعنوا او بعضهم والثاني
 لا يجوز لان الفعل الموجب للقتال صدر من جميعهم فلا يجوز تخصيص
 بعضهم بالجزاء اذ العلة يجب طردها لا لما منع ولا مانع ولانه علل ذلك
 ثانياً بانهم لا ايمان لهم وذلك يشمل جميع النكثين الطاعنين ولان النكث
 والطعن وصف مشتق منسب لوجوب القتال وقد رتب عليه مجزئ الفاء ترتيب
 الجزاء على شرطه وذلك نص في ان ذلك الفعل هو الموجب للثاني فثبت انه عني
 الجميع فيلزم ان الجميع ائمة كفروا امام الكفر هو الداعي اليه المتبع فيه وانما صار اماما
 في الكفر لا جل الطعن فان مجرد النكث لا يوجب ذلك وهو مناسب
 لان الطعن في الدين يعينه ويذكره ويدعو الى خلافه وهذا شأن الامام
 فثبت ان كل طاعن في الدين فهو امام في الكفر فاذا طعن الدين في الدين
 فهو امام في الكفر فيجب قتاله لقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر ولا يمين له لانه

عاهدنا على ان لا يظهر عيب الدين بخالف واليمين هنا المراد بها اليهود
لا القسم بالله فيما ذكره المفسرون وهو كذ لك فالتبني صلى الله عليه وسلم
لم يقاسمهم بالله عام الحد ينية وانما عاهد هم عقداً ونسخة الكتاب معروفة
ليس فيها قسم وهذا لان اليمين يقال لثما سميت بذلك لان المعاهد ين
يد كل منها يمينه الى الآخر ثم غلبت حتى صار مجرد الكلام بالعهد يسمى
يميناً ويقال سميت بذلك يميناً لان اليمين هي القوة والشدّة كما قال الله تعالى
لاخذ ثامنه باليمين فلما كان الحلف معقوداً اشدّد اسمي يميناً فاسم اليمين جامع
للعقد الذي بين العبد وبين ربه وان كانت نذر أو غيره وقوله تعالى
صلى الله عليه وسلم التذر خلفه وقوله كفارة النذر كفارة اليمين وقوله
جماعة من الصحابة للذي نذر نذر الجاج والغضب كفر عيّنك وللعهد
الذي بين المخلوقين (١) ومنه قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
والنهي عن نقض اليهود وان لم يكن فيها قسم وقال تعالى ومن اوفى بامعاهد
عليه الله وانما لفظ العهد بايعناك على ان لا تقربس فيه قسم وقد ساهم
معاهد بين الله وقال تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قالوا
معناه يتعاهدون ويتعاقدون لان كل واحد من المعاهد ين اتمام عاهد بامانة الله
وكفاله وشهادته فثبت ان كل من طعن في ديننا بعد ان عاهدناه عهداً
يقتضي ان لا يفعل ذلك فهو امام في الكفر لاليمين له فيجب قتله بنص الآية
وبهذا يظهر الفرق بينه وبين الناكث الذي ليس بامام وهو من خالف
بفعل شيء مما صولحو اعلبه من غير الطعن في الدين الوجه الرابع انه

قال الاتقانلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم
 اول مرة . فجعل همهم باخراج الرسول من المحضات على قتالهم وما
 ذاك الا لما فيه من الاذى وسبه اغلظ من الهم باخراجه بدليل انه صلى الله
 عليه وسلم عفا عام الفتح عن الذين هموا باخراجه ولم يعف عمن سبه فالذي
 اذا اظهر سبه فقد نكث عهده وفعل ما هو اعظم من الهم باخراج الرسول
 وبدأ بالاذى فيجب قتاله * الوجه الخامس * قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم
 الله بايدكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب
 غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم . امر سبحانه بقتال
 الناكثين الطاعين في الدين وضمن لنا ان فعلنا ذلك ان يعذبهم
 بايدنا ويخزهم وينصرنا عليهم ويشفي صدور المؤمنين الذين تأذوا من
 تقصيرهم وطعنهم وان يذهب غيظ قلوبهم لانه رتب ذلك على
 قتالنا ترتيب الجزاء على الشرط والتقدير ان تقاتلوهم يكن هذا
 كله فدل على ان الناكث الطاعن مستحق هذا كله والا فالكفار
 يدون علينا المرة وندال عليهم الاخرى وان كانت العاقبة للتقين وهذا
 تصديق ما جاء في الحديث مائة قض قوم العهد الا ديل عليهم العدو . والتعذيب
 بايدنا هو القتل فيكون الناكث الطاعن مستحقا للقتل والساب
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناكث طاعن كما تقدم فيستحق القتل
 وانما ذكر سبحانه النصر عليهم وانه يتوب من بعد ذلك على من يشاء لان
 الكلام في قتال الطائفة المنتمة * فاما الواحد المستحق للقتل فلا ينقسم حتى

يقال فيه يعذب به الله ويتوب الله من بعد ذلك على من يشاء على ان قوله من يشاء يجوز ان يكون عائد الى من لم يطعن بنفسه وانما اقر الطاعن عن فسيت الفتنة طاعة لذلك وعند التميز فبعضهم دون بعضهم مباشر ولا يازم من التوبة على الردء التوبة على المباشر الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدر عام الفتح دم الذين باشرُوا الهجاء ولم يهدر دم الذين سمعوه واهدردم بنى بكر ولم يهدردم الذين اعاروهم السلاح .

☆ الوجه السادس ☆ ان قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم دليل على ان شفاء الصدور من ألم النكت والطعن وذهاب الغيظ الحاصل في صدور المؤمنين من ذلك امر مقصود للشارع مطلوب الحصول وان ذلك يحصل اذا جاهدوا كما جاء في الحديث المرفوع عليكم بالجهاد فانه باب من ابواب الله يدفع الله به عن النفوس العم والغم ولا ريب ان من اظهر سب الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة وشتته فانه يغيب المؤمنين ويؤلمهم اكثر مما لو سفك دماء بعضهم واخذ اموالهم فان هذا يثير الغضب لله والحمة له ولرسوله وهذا القدر لا يهيج في قلب المؤمن غيظاً اعظم منه بل المؤمن المسد لا يغضب هذا الغضب الا الله والشارع يطلب شفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم وهذا اذا حصل بقتل الساب لوجه واحد ها ان تعزيره وتأديبه يذهب غيظ قلوبهم اذا شتم واحد من المسلمين او فعل نحو ذلك فلوا ذهب غيظ قلوبهم اذا شتم الرسول لكان غيظهم من شتمه مثل غيظهم من شتم واحد منهم وهذا

باطل . الثاني . ان شتمه اعظم عند هم من ان يؤخذ بعض دماهم ثم لو قتل
واحد امنهم لم يشف صدورهم الا قتله فان لا تشفى صدورهم الا بقتل الساب
اولى واخرى . الثالث . ان الله تعالى جعل قتالهم هو السبب في حصول
الشفاء والاصل عدم سبب آخر يحصله فيجب ان يكون القتل والقتال هو
الشافي لصدور المؤمنين من مثل هذا . الرابع . ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما فتحت مكنوا را د ان يشقى صدور خزاعه وهم القوم المؤمنون من بني بكر
الذين قاتلوهم مكنهم منهم نصف النهار او اكثر مع امانه للسائر الناس
قلو كان شفاء صدورهم وذهاب غبط قلوبهم يحصل بدون القتل للذين
نكثوا او طعنوا لما فعل ذلك مع امانه للناس . الموضع الرابع . قوله سبحانه
الم يعلموا انه من بحاد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي
العظيم . فانه بدل على ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم محادة لله ورسوله لانه
قال هذه الآية عقب قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن الآية
ثم قال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا
مؤمنين الم يعلموا انه من بحاد الله ورسوله . قلوا لم يكونوا بهذا الاذى محادين
لم يحسن ان هو عدوا بان للحاد نار جهنم لانه يمكن حينئذ ان يقال قد علموا
ان للحاد نار جهنم لكنهم لم يحادوا او انما اذوا فلا يكون في الآية وعيد لم فلم
ان هذا الفعل لا بد ان يتدرج في عموم المحادة ليكون وعيد المحاد وعيد اله
ويلتزم الكلام . ويدل على ذلك ايضا ما روى الحاكم في صحيحه باسناد صحيح
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في ظل حجرة من حججه وعنده

فمن المسلمين فقال انه سيأتكم انسان ينظر بعين شيطان فاذا اتاكم فلا تكلموه
 ف جاء رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت
 وفلان وفلان فانطلق الرجل فدعاهم فخلفوا بالله واعندوا اليه فانزل الله
 تعالى يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويمسبون انهم على
 شيء الا انهم هم الكاذبون . ثم قال بعد ذلك انت الذين يحادون الله
 ورسوله . فلم ان هذا اذا خل في المحادة وفي رواية اخرى صحيحة انه
 نزل قوله يحلفون لكم لترضوا عنهم . وقد قال يحلفون بالله لكم ليرضوكم .
 ثم قال عقبه الم يعلموا انه من يحاد الله ورسوله فثبت ان هؤلاء الشاثنين
 محادون وسيأتي ان شاء الله زيادة في ذلك واذا كان الاذى محادة لله
 ورسوله فقد قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
 كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز . والاذل اباع من الذليل
 ولا يكون اذل حتى يخاف على نفسه وماله ان اظهر المحادة لانه ان كان دمه
 وماله معصوما لا يستباح فليس باذل يدل عليه قوله تعالى ضربت عليهم
 الذلة ايما اتفقوا الا يجبل من الله وحبل من الناس . فبين سبحانه انهم ايما اتفقوا
 فعليهم الذلة الامع العهد فعلم ان من له عهد وحبل لا ذلة عليه وان كانت
 عليه المسكنة فان المسكنة قد تكون مع عدم الذلة . وقد جعل المخادعين
 في الاذلين فلا يكون لهم عهد اذا العهد ينافي الذلة كما دللت عليه الآية وهذا
 ظاهر فان الاذل هو الذي ليس له قوة يمتنع بها من ارادة بسوء فاذا كان له
 من المسلمين عهد يجب عليهم به نصره ومنعه فليس باذل فثبت ان المحاد لله

كما كتبت من قبله وان يكون في الاذلين وجعل جزاء المشاق القتل
 والتعذيب في الدنيا ولن يكون مكبوته كما كتبت من قبله في الاذلين
 الا اذا لم يمكنه اظهار محادثته فلي هذا تكون المحادة اعم ولهذا ذكر اهل
 التفسير في قوله تعالى لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من
 حاد الله ورسوله الآية انها نزلت فيمن قتل المسلمين اقراره في الجهاد وفيمن
 اراد ان يقتل لمن تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذى من كافر
 او منافق قريب له فعلم ان المحاد يعم المشاق وغيره . ويدل على ذلك انه
 قال سبحانه الم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم
 لايات الى قوله لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
 من حاد الله ورسوله وانما نزلت سبب المناقبة الذين تولوا اليهود
 المغضوب عليهم وكان اولئك اليهود اهل عهد من النبي صلى الله عليه وسلم
 ثم ان الله سبحانه بين ان المؤمنين لا يوادون من حاد الله
 ورسوله ولا بد ان يدخل في ذلك عدم المودة لليهود وان كانوا اهل
 ذمة لانه سبب النزول وذلك يقتضي ان اهل الكتاب محادون لله ورسوله
 وان كانوا معاهدين . ويدل على ذلك ان الله قطع الموالاة بين المسلم
 والكافر وان كان له عهد وذمة وعلى هذا التقدير يقال عهودا على
 ان لا يظهروا المحادة ولا يعلنوا بها بالاجماع كما تقدم وكما سيأتي فاذا اظهروا
 صاروا محادين لا عهد لهم مظهرين للمحادة وهو لاء مشاقون فيستحقون
 خزي الدنيا من القتل ونحوه وعذاب الآخرة . فان قيل . اذا كان

كل يهودى محاد الله ورسوله فن المعلوم ان العهد يثبت لهم مع اليهود
 وذلك ينقض ما قدمتم من ان المحاد لا عهد له • قيل • من سلك هذه
 الطريقة قال المحاد لا عهد له مع اظهار المحادة فلما اذالم يظهر لنا المحادة
 فقد اعطيناه العهد وقوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا يجبل من الله
 وحبل من الناس • يقتضي ان الذلة تلزمه فلا تزول الا يجبل من الله وحبل
 من الناس وحبل المسلمين معه على ان لا يظهر المحادة بالاتفاق فليس معه
 حبل مطلق بل حبل مقيد فهذا الحبل لا يمنعه ان يكون اذل اذا فعل
 ما لم يعاهد عليه او يقول صاحب هذا المسلك الذلة لازمة لهم بكل حال
 كما اطلقت في سورة البقرة وقوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا يجبل
 من الله يجوز ان يكون تفسير الذلة اى ضربت عليهم انهم اينما ثقفوا اخذوا
 وقتلوا الا يجبل من الناس فالجبل لا يرفع الذلة وانما يرفع بعض موجباتها
 وهو القتل فان من كان لا يعصم دمه الا بعهد فهو ذليل وان عصم دمه
 بالعهد لكن على هذا التقدير تضعف الدلالة الاولى من المحادة والطريقة
 الاولى اجود كما تقدم وفي زيادة تقرير هاتول * الموضوع الخامس *
 قوله سبحانه ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة •
 وهذه الآية توجب قتل من آذى الله ورسوله كما سيأتي ان شاء الله تعالى
 تقريره والعهد لا يعصم من ذلك لاننا لم نعاهد هم على ان يؤذوا الله ورسوله
 ويوضح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم من لكبب بن الاشرف فانه
 قد آذى الله ورسوله فندب المسلمين الى يهودى كان معاهدا لاجل انه

آذَى الله ورسوله • فدل ذلك على انه لا يوصف كل ذمى بانه يؤذى الله
ورسوله والا لم يكن فرق بينه وبين غيره • ولا يصح ان يقال اليهود
ملعونون في الدنيا والآخرة مع اقرارهم على ما يوجب ذلك لانهم نقرهم
على اظهار اذى الله ورسوله وانما اقرروا هم على ان يفعلوا بينهم
كما هو من دينهم *

﴿ فصل ﴾

واما الآيات الدالات على كفر الشاتم وقتله او على احد هما اذا لم يكن
معهما وان كان مظهر الاسلام فكثيرة مع ان هذا يجمع عليه كما تقدم
حكاية الاجماع عن غيره واحد • منها • قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم الى قوله والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم الى قوله الم يعلموا انه من يحادده الله ورسوله •
فلم ان ايداه رسول الله محادة لله ولرسوله لان ذكر الايداء هو الذي
اقتضى ذكر المحادة فيجب ان يكون داخل فيه ولولا ذلك لم يكن الكلام
مؤثلا فاذا امكن ان يقال انه ليس بمحادود دل ذلك على ان الايداء
والمحاداة كفر لانه اخبر ان له نار جهنم خالدا فيها ولم يقل هي جزاؤه
وبين الكلامين فرق بل المحادة هي المعادة والمشاقة وذلك كفر
ومحاربة فهو غلظ من مجرد الكفر فيكون المؤذى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كافرا عدا الله ورسوله محاربا لله ورسوله لأن المحادة
اشتقاقها من المبينة بان يصير كل واحد منها في حد كما قيل المشاقة

﴿ فصل في الآيات الدالات على كفر الشاتم وقتله او على احد هما ﴾

ان يصير كل منها في شق والمعاداة ان يصير كل منها في عداوة. وفي الحديث ان رجلا كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوى. وهذا ظاهر قد تقدم تقريره. وحينئذ فيكون كفر احلال الدم لقوله تعالى ان الذين يجادلون الله ورسوله اولئك في الاذلين. ولو كان موته منام معصوما لم يكن اذله لقوله تعالى قل لله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقوله تعالى كتبوا كما كتب الذين من قبلهم والموت من لا يكتب كما كتب مكذبوا الرسل قطولاً لأنه قد قال تعالى لا تجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الا بغاة فاذ كان من يواد المحاد ليس بمؤمن فكيف بالمحاد نفسه. وقد قيل ان من سب نذره لمعان ابداخافه شتم النبي صلى الله عليه وسلم فاراد الصديق قتله او اب ابن ابي تنقص النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن ابنه النبي صلى الله عليه وسلم في قتله لذلك ثبت ان المحاد كافر حلال الدم وايضا فقد قطع الله الموالاة بين المؤمنين وبين المحادين لله ورسوله والمعادين لله ورسوله فقال تعالى لا تجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او أبناءهم او قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا أعداء وعدوكم اولياء تلحقون الهم بالمودة. فلم انهم ليسوا من المؤمنين. وايضا فإنه قال سبحانه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب. فجعل سبب استحقاقهم العذاب في الدنيا ولعذاب النار في الآخرة مشاققة الله ورسوله والمؤذي للنبي صلى الله عليه وسلم مشاققة الله ورسوله كما تقدم والعذاب هنا هو الاهلاك

بعذاب من عنده أو يهديتوا لا فقد أصابهم ما دون ذلك من ذهاب
الاموال وفراق الاوطان • وقال سبحانه اذ يوحى ربك الى الملائكة اني
معكم الى قوله سالتني في قلوب الذين كفروا والرعب فاضربوا فرق لا غلق
واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله فجعل لقاء الرعب
في قلوبهم والامر بقتلهم لاجل شاقتهم لله ورسوله اكمل من شاق الله
ورسوله يستوجب ذلك • وقولهم هو اذن قال مجاهد هو اذن يقولون
سنقول ماشئتكم نخلف له فيصدقناه • قل الوالي عن ابن عباس يعني انه يسع
من كل احد • قال بعض اهل التفسير كان رجال من المنافقين يوذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا
فاننا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بل نقول ماشئتكم تأتبه
فيصدقناه فلما محمد اذن سامعة فانزل الله هذه الآية • وقال ابن اسحاق كان نبيل
ابن الحارث الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه من اراد ان ينظر الى الشيطان
فلينظر الى نبيل بن الحارث ينم حديث النبي الى المنافقين فيقول له لا تفعل
فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه تقول ماشئتكم تأتبه فخلف له
فيصدقناه عليه فانزل الله هذه الآية • وقولهم اذن قالوا اليسينوا ان كلامهم
مقبول عنده فلخبر الله انه لا يصدق الا المؤمنين وانما سمع الخبر فاذا
خلفوا له فمعا عنهم كان ذلك لانه اذن خير لا لا تصدقهم • قال سفيان بن
عيينة اذن خير يقبل منكم ما اظهرتم من الخير ومن القول ولا يواخذكم بما
في قلوبكم ويدع سراثركم الى الله تعالى وربما تضمنت هذه الكلمة

فروع استهزاء واستخفاف، فان قيل: فقد روى نعيم بن حماد حد ثنا محمد بن
 ثور عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
 لفاجر ولعاسق عندي بدا ولا نعمة فاني وجدت فيما وحيته لا تجد قوماً
 يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، قال سفيان يرون
 انها نزلات فيمن يخالط السلطان رواه ابو احمد العسكري وظاهر هذا ان كل
 فاسق لا يفي موثقه فهو محاد لله ورسوله مع ان هو لا يسوئنا فقيبن
 النفاق المبيح للدم قبل المؤمن الذي يحب الله ورسوله ليس على الاطلاق
 بمحاد لله ورسوله كما انه ليس على الاطلاق بكافر ولا منافق وان كانت له
 ذنوب كثيرة الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لنعيان وقد جلدني
 الحمر غير مرة انه يحب الله ورسوله لان مطلق المحادة يقتضي مطلق المقاطعة
 والمصارمة والمعاداة والمؤمن ليس كذالك لكن قد يقع اسم النفاق على من
 اتى بشعبة من شعبه ولهذا قالوا اكفروا ونكفروا وظلم دون ظلم وفسق
 دون فسق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفر بالله تبرء من نسب وان
 ق ومن حلف بغير الله فقد اشر وشواية المنافق ثلاث اذا حدث كذب
 واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان، وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين
 من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه فوجه هذا
 الحديث ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم عني بالفاجر المنافق فلا ينقض
 الاستدلال او يكون عني كل فاجر لان الفجور مظنة النفاق فامن فاجر الا يخاف
 ان يكون فجوره صادرا عن مرض في القلب او موجآله فان المعاصي يريد

الكفر فاذا احب الفاسق فقد يكون محباً لنا فحق . فحقيقة الايمان بالله واليوم
 الآخر ان لا يواد من اظهر من الافعال ما يخاف معه ان يكون محاداً لله ورسوله
 فلا ينتقض الاستدلال ايضاً وان يكون الكبائر من شعب المحادة لله ورسوله
 فيكون مر تكبها محاداً من وجه وان كان موالياً لله ورسوله من وجه آخر
 ويناله من الذلة والكبت بقدر قسطه من المحادة كما قال الحسن وان طقطقت
 بهم البغال وهلمجت بهم البراذين (١) ان ذل المعصية لني رقابهم ابي الله
 الان يذل من عصاه فالعاصي يناله من الذلة والكبت بحسب معصيته وان
 كان له من عزة الايمان بحسب ايمانه كما يناله من الذم والعقوبة وحقيقة
 الايمان ان لا يواد المؤمن من حاد الله بوجه من الوجوه المؤدة المطلقة وقد
 جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها فاذا اصطنع
 الفاجر اليه يد احبه المحبة التي جبلت القلوب عليها فيصير مواد اله مع ان
 حقيقة الايمان توجب عدم مؤدته من ذلك الوجه وان كان معه من اصل الايمان
 ما يستوجب به اصل المؤدة التي تستوجب ان ينحصر بهادون الكافر والمنافق
 وعلى هذا فلا ينتقض الاستدلال ايضاً لان من اذى النبي صلى الله عليه
 وسلم فانه اظهر حقيقة المحادة ورأسها الذي يوجب جميع انواع المحادة
 فاستوجب الجزاء المطلق وهو جزاء الكافرين كما ان من اظهر النفاق
 (١) طلق حكاية صوت الحجارة والاسم الطقطقة والملاج بالكسر من
 البراذين المصلح والمهملجة فارسي معرب وشاة هملاج لا تخ فيها لهنز الهالو امر
 مهملج مذل منقاد ١٢ قاموس

ورأى أنه استوجب ذلك وإن لم يستوجه من أظهر شعبة من شعبه والله سبحانه أعلم ﴿الدليل الثاني﴾ قوله سبحانه يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تمذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين • وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته ورسوله كفر فالسب المقصود بطريق الأولى وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم جاداً أو هازلاً فقد كفره وقد روى عن رجال من أهل العلم منهم ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك ما رأيت مثل قرائتنا هؤلاء أعرب بطونا ولا أكذب السنأ ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبئه فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نلعب ونحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر كافي انظر إليه متعلماً بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة لتنكب رجله وهو يقول إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ما يلتفت إليه ولا يزيد عليه .
 وقال مجاهد قال رجل من المنافقين يحد ثنا محمد بن ناقة فلان يواد كذا
 وكذا أو ما يدريه ما الغيب فانزل الله عز وجل هذه الآية . وقال معمر عن
 قتادة بينا النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وركب من المنافقين
 يسرون بين يديه فقالوا ابطن هذا ان يفتح قصور الروم وحصونها فاطلع الله
 نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم علي بهؤلاء
 النفر فدعاهم فقال اقلتم كذا وكذا فخلعوا ما كننا الانخوض ونلعب . وقال
 معمر قال الكلبي كان رجل منهم لم يماثلهم في الحديث يسير عابا لم تنزلت
 ان نفع عن طائفة منكم نغذب طائفة فسمي طائفة وهو واحد فهو لا لما
 تنقصوا النبي صلى الله عليه وسلم حيث عابوه والعلماء من اصحابه واستهانوا
 بخبره اخبر الله انهم كفروا بذلك وان قالوه استهزاء فكيف بما هو غلط
 من ذلك وانما لم يقع الحد عليهم لكون جهاد المنافقين لم يكن قد امر به
 اذ ذاك بل كان مأمورا بان يدع اذاهم ولانه كان له ان يعفو عن تنقصه
 واذاه ﴿ الدليل الثالث ﴾ قوله سبحانه ومنهم من يلزك في الصدقات .
 والزز العيب والظعن قال مجاهد يتهكم يزيك وقال عطاء يقتابك
 وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الآية وذلك يدل على ان
 كل من لزمه او آذاه كان منهم لان الذين يؤذون (من) اسما موصولا وهما من
 صيغ العموم والآية وان كانت نزلت بسبب لزوم او اذى آخرين فحكمها عام
 كسائر الآيات اللواتي نزلن على اسباب وليس بين الناس خلاف فعلم انها

العبارة العموم الآية الظاهر والسبب

تعم الشخص الذي نزلت بسبه ومن كان حاله كحاله ولكن اذا كان اللفظ
اعم من ذلك السبب فقد قيل انه يقتصر على سببه والذي عليه جماهير
الناس انه يجب الاخذ بعموم القول ما لم يعم دليل يوجب التخصيص على السبب
كما هو مقرر في موضعه • وايضاً فان كونه منهم حكم متعلق بلفظ مشتق
من اللزوم والاذى وهو مناسب لكونه منهم فيكون مامنه الاشتقاق هو علة
لذلك الحكم فيجب اطراؤه • وايضاً فان الله سبحانه وان كان قد علم منهم
التفاق قبل هذا القول لكن لم يعلم نبيه بكل من لم يظهر ثقافته بل قال ومن حوالكم
من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن
نعلمهم • ثم انه سبحانه ابتلى الناس بامور يتميز بين المؤمنين والمنافقين كما قال سبحانه
وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين • وقال تعالى ما كان الله ليدرك
المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب • وذلك لان الايمان
والتفاق اصله في القلب وانما الذي يظهر من القول والفعل فرع له ودليل
عليه فاذا ظهر من الرجل شيء من ذلك ترتب الحكم عليه فلما اخبر سبحانه ان الذين
يلمزون النبي صلى الله عليه وسلم والذين يؤذون المؤمنين ثبت ان ذلك
دليل على النفاق وفرع له ومعلوم انه اذا حصل فرع الشيء ودليله حصل
اصل المدلول عليه فثبت انه حيث ما وجد ذلك كان صاحبه منافقاً سواء
كان منافقاً قبل هذا القول او حدث له النفاق بهذا القول • فان قيل •
لم لا يجوز ان يكون هذا القول دليلاً للنبي صلى الله عليه وسلم على تفاق اولئك
الاشخاص الذين قالوا في حياته باعيانهم وان لم يكن دليلاً من غيرهم • قلنا •

اصل الايمان والتفاق في القلب وانما القول والفعل فرعان لما

اذا كان دليلاً للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يمكن ان يغنيه الله بوحيه عن
 الاستدلال فان يكون دليلاً لمن لا يمكنه معرفة البواطن او لى واخرى
 وايضاً لو لم تكن الدلالة مطردة في حق كل من صد رمنه ذلك القول لم يكن
 في الآية زجر لغيرهم ان يقول مثل هذا القول ولا كان في الآية تعظيم لذلك
 القول بعينه فان الدلالة على عين المنافق قد تكون مخصوصة بعينه وان كانت
 امراً مباحاً كما لو قبل من المنافقين صاحب الجمل الاحمر و صاحب الثوب
 الاسود ونحو ذلك فلما دل القرآن على ذم عين هذا القول والوعيد لصاحبه
 علم انه لم يقصد به الدلالة على المنافقين باعيانهم فقط بل هو دليل على نوع من
 المنافقين * وايضاً فان هذا القول مناسب للنفاق فان لزم النبي صلى الله عليه
 وسلم و اذاه لا يفعله من يعتقد انه رسول الله حقاً و انه اولى به من نفسه
 و انه لا يقول الا الحق ولا يحكم الا بالعدل و ان طاعته لله و انه يجب على جميع
 الخلق تعزيرو و توقيره و اذا كان دليلاً على النفاق نفسه فحيثما حصل
 حصل النفاق * وايضاً فان هذا القول لا ريب انه محرم فاما ان يكون خطيئة دون
 الكفر او يكون كفراً و الاول باطل لان الله سبحانه قد ذكر في القرآن انواع العصاة
 من الزاني و القاذف و السارق و المطفف و الخائن و لم يجعل ذلك دليلاً على نفاق
 معين و لا مطلق فلما جعل اصحاب هذه الاقوال من المنافقين علم ان ذلك
 لكونها كفراً لا مجرد كونها معصية لان تخصيص بعض المعاصي يجعلها دليلاً
 على النفاق دون بعض لا يكون حتى يختص دليل النفاق بما يوجب ذلك
 و الا كان ترجيحاً بلا مرجح ثبت انه لا بد ان يختص هذه الاقوال بوصف

الدلالة مطردة في صفات المنافقين

يوجب كونهما دليلاً على النفاق وكلما كان كذلك فهو كفر. وإيضاً فإن
الله كما ذكر بعض الأقوال التي جعلهم بها من المنافقين وهو قوله تعالى
أيذن لي ولا تفتني. قال في عقب ذلك لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر إلى قوله إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتأيت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون. فجعل ذلك علامة مطردة
على عدم الإيمان وعلى الريب مع أنه رغبه عن الجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد استنفارهم وإظهارهم من القاعد أنه معذور بالتعود وحاصله
عدم إرادة الجهاد فلهذا وإذا هو أولى أن يكون دليلاً مطرداً الآن والأول
خذلاناً له وهذا محاربة له وهذا ظاهر وإذا ثبت أن كل من لمز النبي
صلى الله عليه وسلم أو آذاه منهم فالضمير عائد إلى المنافقين والكافرين
لأنه سبحانه لما قال انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. قال لو كان عرضاً قريباً وسفراً
قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله. وهذا الضمير
عائد إلى معلوم غير مذكور وهم الذين حلفوا واستطعنوا لخروجنا معكم
وهو لاء هم المنافقون بلا ريب ولا خلاف ثم أعاد الضمير إليهم إلى قوله
قل انفقوا طوعاً وكرهاً إن يتقبل منكم أنكم كنتم قومًا فاسقين وما منعهم
أن يتقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله فثبت أن هو لاء
الذين أضمرُوا كفروا بالله ورسوله وقد جعل منهم من يلزومهم من
يؤذي وكذلك قوله (وما هم منكم) أخرجهم عن الإيمان وقد نطق القرآن

بكفر المنافقين في غير موضع وجعلهم اسوء حالا من الكافرين وانهم في
الدرك الاسفل من النار وانهم يوم القيامة يقولون للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم الآية الى قوله فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين
كفروا * وامر نبيه في آخر الامر بان لا يصلي على احد منهم واخبرانه
ان يغفر لهم وامره بمجاهداهم والاغلاظ عليهم واخبر انهم ان لم ينتهوا ليغفر
الله نبيه بهم حتى يقتلوا في كل موضع * الدليل الرابع * على ذلك ايضا
قوله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * اقسام سبحانه بنفسه انهم
لا يؤمنون حتى يحكموه في الخصومات التي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
من حكمه بل يسلموا الحكمه ظاهر او باطنا وقال قبل ذلك الم تر الى الذين
يزعمون انهم آمنوا بما نزل اليك وما نزل من قبلك يريدون ان يتحاكوا
الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا * واذ قيل لهم تعالى الى ما نزل الله والى الرسول رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا * فبين سبحانه ان من دعي الى التحاكم الى كتاب الله
والى رسوله فصد عن رسوله كان منافقا وقال سبحانه ويقولون آمنا بالله
وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين
واذا ادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذ افريق منهم معرضون * وان يكن
لهم الحق يأتوا اليه مذعنين في قلوبهم مرض ام ارتابوا ان يخافوا ان يحيف الله
عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون * اما كان قول المؤمنين اذ ادعوا الى الله

ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا فبين سبحانه ان من تولى عن طاعة
الرسول واعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن وان المؤمن هو
الذي يقول سمعنا واطعنا فاذا كان النفاق يثبت ويزول الايمان بمجرد
الاعراض عن حكم الرسول واردة التحاكم الى غيره مع ان هذا ترك
محض وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقض والسب ونحوه وهو يد
ذلك ما رواه ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن دحيم في
تفسيره محدثا شعيب بن شعيب حدثنا ابو المعيرة حدثنا عتيبة بن ضمرة حدثني
ابي عن رجلين اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للحق على المبطل
فقال المقضي عليه لا ارضى فقال صاحبه فما تريد قال ان تذهب الى ابي بكر
الصديق فذهب اليه فقال الذي قضى له قد اختصمنا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقضى لي عليه فقال ابو بكر فانتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم
فابي صاحبه ان يرضى وقال ناتي عمر بن الخطاب فاتياه فقال المقضي له
قد اختصمنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فابي ان يرضى ثم اتينا
ابا بكر الصديق فقال انتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم فابي ان يرضى
فسأله عمر فقال كذلك فدخل عمر منزله فخرج والسيوف في يده قد سلله فضرب
به رأس الذي ابي ان يرضى فقتله فانزل الله تبارك وتعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وهذا المرسل له شاهد من وجه
آخر يصلح للاعتبار قال ابن دحيم حدثنا الجوزجاني حدثنا ابو الاسود حدثنا
ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير قال اختصم الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم رجلا ن فقي لا حدها فقال الذى قضى عليه رد نالى عمر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انطلقوا الى عمر فانطلقوا فلما اتيا عمر قال
الذى قضى له يا ابن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لى وان هذا
قال رد نالى عمر فردنا اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر
اكذلك للذى قضى عليه قال نعم فقال عمر مكانك حتى اخرج فاقضى بينكما فخرج
مشتعلا على سيفه فضرب الذى قال رد نالى عمر فقتله وادبر الاخر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قتل عمر صاحبي ولولا ما اعجزته (١)
لقتلنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت اظن ان عمر يجترى على
قتل مؤمن فانزل الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم فبرأ الله عمر من قتله وقد رويت هذه القصة من غير هذين الوجهين
قال ابو عبد الله احمد بن حنبل ما اكتب حديث ابن لهيعة الا للاعتبار
والاستدلال وقد كتبت حديث هذا الرجل بهذا المعنى كفى استدلال
به مع غيره يشد ولا انه حجة اذا انفرد ❦ الدليل الخامس ❦ مما استدلال
به العلماء على ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله

(١) (ما اعجزته) لفظ ماموولة والمعنى انه لولا اعجازى عمر رضى الله عنه بسرعة
العدول لكاد ان يقتلنى كما قتل صاحبي وكان هذا سوء ظن منه والافهذ
كان ابعد من القتل فانه كان راضيا بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه
المقتول قد سخط في قضاء النبي صلى الله عليه وسلم فقتله عمر رضى الله عنه
جزاه الله خيرا من جميع الامم ١٢ المصحح

بيان اتحاد حرمة الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم

لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ودلائلها من وجوه . احدى هاهنا انه قرن اذاه باذاه كما قرن طاعته بطاعته فمن آذى فقد آذى الله تعالى وقد جاء ذلك منصوفا عنه ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم بين ذلك ان الله تعالى جعل محبة الله ورسوله وارضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئاً واحداً فقال تعالى قل ان كان آباؤكم واناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقربتموها وتجارة نخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله والآية وقال تعالى واطيعوا الله والرسول . في مواضع متعددة وقال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه . فوحده الضمير وقال ايضاً ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال ايضاً يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله واذى الله ورسوله ومعصية الله ورسوله شيئاً واحداً فقال ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله . ومن يشاقق الله ورسوله . وقال ان الذين يجادون الله ورسوله . وقال تعالى الم يعلموا انه من يجاد الله ورسوله . وقال ومن يعص الله ورسوله الآية . وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين وان جهة جرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة فمن آذى الرسول فقد آذى الله ومن اطاعه فقد اطاع الله لان الامة لا يصلون ما بينهم وبين ربههم الا بواسطة الرسول ليس لاحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه وقد اقامه الله مقام نفسه في امره ونهيه واخباره وبيانه فلا يجوز ان يفرق

بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور وثانيها أنه فرق بين اذى الله ورسوله وبين اذى المؤمنين والمؤمنات فجعل على هذا انه قد احتمل بهتاناً وثأميناً وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة واعد له العذاب المهيمن ومعلوم ان اذى المؤمنين قد يكون من كباثر الاثم وفيه الجلد وليس فوق ذلك الا الكفر والقتل . الثالث أنه ذكر انه لعنهم في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً واللعن الابعاد عن الرحمة ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون الا كافراً فان المؤمن يقرب اليها بعض الاوقات ولا يكون مباح الدم لان حقن الدم رحمة عظيمة من الله فلا يثبت في حقه ويؤيد ذلك قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً ملعونين ايما ثقنوا اخذوا وقتلوا تقيلاً فان اخذهم وتقبلهم والله اعلم ببيان صفة لعنهم وذكر حكمه فلا موضع له من الاعراب ولبس بحال ثانية لانهم اذا جاؤوه ملعونين ولم يظهروا اثر لعنهم في الدنيا لم يكن في ذلك وعيد لهم بل تلك اللعنة ثابتة قبل هذا الوعيد وبعده فلا بد ان يكون هذا الاخذ والتقبل من آثار اللعنة التي وعدوا فثبت في حق من لعنه الله في الدنيا والآخرة . ويؤيد قول النبي صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن من كتمه متفق عليه فاذا كان الله قد لعن هذا في الدنيا والآخرة فهو كتمه فعلم ان قتله مباح قيل واللعن انما يستوجبه من هو كافر لكن ليس هذا جيد اعلى الاطلاق . ويؤيد قوله تعالى لم تر الى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون

بالجيت

بالجبت والطاغوت يقولون للذين كفروا هو لا الهدي من الذين آمنوا سبيلا ولائك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجده نصيرا ولو كان معصوم الدم يجب على المسلمين نصره ولكن له نصير يوضح ذلك انه قد نزل في شان ابن الاشرف وكان من لعنته ان قتل لانه كان هو ذي الله ورسوله واعلم انه لا يرد على هذا انه قد لعن من لا يجوز قتله لوجوه احدها ان هذا قيل فيه لعنه الله في الدنيا والآخرة فيبين انه سبحانه اقصاه عن رحمته في الدارين وسائر الملعونين انما قيل فيهم لعنه الله او عليه لعنه الله وذلك يحصل باقصائه عن الرحمة في وقت من الاوقات وفرق بين من لعنه الله او عليه لعنة مؤيدة عامة ومن لعنه لعنا مطلقا الثاني ان سائر الذين لعنهم الله في كتابه مثل الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ومثل الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا ومثل من يقتل مؤمنا متعمدا اما كافرا او مباح الدم بخلاف بعض من لعن في السنة الثالث ان هذه الصيغة خبر عن لعنة الله له ولهذا عطف عليه واعد لم عذابا مهينا وعامة الملعونين الذين لا يقتلون ولا يكفرون انما لعنوا بصيغة الدعاء مثل قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله من غير منار الارض ولعن الله السارق ولعن الله آكل الربوا وموكله ونحو ذلك لكن الذي يرد على هذا قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولم عذاب عظيم فان في هذه الآية ذكر لعنتهم في الدنيا والآخرة مع ان مجرد القذف ليس بكفر ولا يبيح الدم والجواب عن هذه الآية من طريقين يحمل

ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة في قول كثير من اهل العلم فروى
 هشيم عن العوام بن حوشب ثنا شيخ من بني كاهل قال فسر ابن عباس سورة
 النور فلما اتى على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
 الى آخر الآية قال هذه في شان عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
 وهي مبهمه ليس فيها توبة ومن قذف امرأه مؤمنة فقد جعل الله له توبة
 ثم قرأوا الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء الى قوله الا الذين
 تابوا من بعد ذلك واصبحوا فجعل لهم توبة ولم يجعل لآلئك توبة قال
 فهم رجل ان يقوم فيقبل راسه من حسن مفسر وقال ابو سعيد الأشج
 ثابعد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الذين
 يرمون المحصنات الغافلات نزلت في عائشة رضى الله عنها خاصة واللعنة في
 المنافقين عامة فقد بين ابن عباس ان هذه الآية انما نزلت فيمن يقذف عائشة
 وامهات المؤمنين لما في قذفهن من الظعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعييه فان قذف المرأة اذى لزوجها كما هو اذى لابنها لانه نسبة له الى الديانة
 واظهار لفساد فراشه فان زناه امرأته يؤذيه اذى عظيما ولهذا اجوز له الشارع
 ان يقذفها اذا زنت ودرء الحد عنه بالعان ولم يسمح لغيره ان يقذف
 امرأة بجال ولعل ما يلحق بعض الناس من العار والحزى بقذف اهله
 اعظم مما يلحقه لو كان هو المقذوف ولهذا ذهب الامام احمد في احدي
 الروايتين المنصوصتين عنه الى ان من قذف امرأة غير محصنة كالامة
 والذمية ولها زوج او ولد محصن حد لقذفها لما لحقه من العار بولدها

وزوجها المحصنين والزوايا الاخرى عنه وهو قول الاكثرين انه لا حد
عليه لانه اذى لها لا فذف لها والحد التام انما يجب بالقذف وفي جانب النبي صلى الله
عليه وسلم اذا كف فقه من يقصد عيب النبي صلى الله عليه وسلم بعيب ازواجه
فهو منافق وهذا معنى قول ابن عباس اللعنة في المناقين عامة * وقد وافق
ابن عباس على هذا جماعة فروى الامام احمد والاشعج عن خصيف قال
سألت سعيد بن جبيرة قلت الزنا اشد او قذف المحصنة قال لا بل الزنا قال
قلت وان الله تعالى يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات
لعنوا في الدنيا والآخرة فقال انما كان هذا في عائشة خاصة . وروى احمد
باسناد عن ابى الجوزاء في هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
المومنات لعنوا في الدنيا والآخرة قال هذه الامهات المومنات خاصة .
وروى الاشعج باسناد عن الضحاك في هذه الآية قال من نساء النبي صلى الله
عليه وسلم . وقال معمر عن الكلبي انما عني بهذه الآية ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم فاما من رمى امرأة من المسلمين فهو فاسق كما قال تعالى (اويتوب)
ووجه هذا ما تقدم من ان لعنة الله في الدنيا والآخرة لا يستوجب بمجرد
القذف فتكون اللام في قوله المحصنات الغافلات المومنات لتعريف المعبود والمعهود
هنا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لان الكلام في قصة الافك ووقوع من
وقع في ام المؤمنين عائشة او قصيرا لفظ العام على سببه للدليل الذي يوجب
ذلك * ويؤيد هذا القول ان الله سبحانه رتب هذا الوعيد على قذف
محصنات غافلات مومنات وقال في اول السورة والذين يرمون المحصنات

ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوا ثم ثمانين جلدة الآية فترتب الجلد ورد
 الشهادة والنسق على مجرد قذف المحصنات فلا بد أن تكون المحصنات
 الغافلات الموءنات لمن مزية على مجرد المحصنات وذلك والله اعلم لأن
 أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مشهود لمن بالآيمان لأنهن أمهات الموءمنين
 ومن أزواج نبيه في الدنيا والآخرة وعوام المسلمين إنما يعلم منهن في الطالب
 ظاهر الآيمان ولأن الله سبحانه قال في قصة عائشة والذي تولى كبره منهم
 عذاب عظيم • فتخصيصه بتولى كبره دون غيره دليل على اختصاصه بالعذاب
 العظيم • وقال ولو لأفضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افترض
 فيه عذاب عظيم فعلم أن العذاب العظيم لا يمس كل من قذف وإنما ليس متولى
 كبره فقط وقال هنا ولهم عذاب عظيم • فعلم أنه الذي رمى أمهات الموءمنين ويعيب
 بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى كبره لا تفك وهذه صفة المنافق ابن أبي
 • واعلم • أنه على هذا القول تكون هذه الآية حجة أيضاً موافقة لتلك
 الآية لأنه لما كان رمى أمهات الموءمنين أذى للنبي صلى الله عليه وسلم فلمن
 صاحبه في الدنيا والآخرة ولهذا قال ابن عباس ليس فيها توبة لأن مؤذى
 النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبل توبته إذا تاب من القذف حتى يسلم
 إسلاماً جديداً وعلى هذا فزمين تغلق مبيع للدم إذا قصد به أذى النبي
 أو إذا من بعد العلم بأنهن أزواجه في الآخرة فإنه ما لعنت امرأة نبي
 قط • وما يدل على أن قذفه أذى للنبي صلى الله عليه وسلم ما أخرجه في
 الصحيحين في حديث الألفك عن عائشة قالت فقام رسول الله صلى الله عليه

وسلم فاستعذر من عبادة بن ابي بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من بعد رفي من رجل قد بلغني اذا ه في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهل الاخيراء ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه الا خيراً وما كان يدخل على اهل الامي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذر لك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فتار الحبان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت وفي رواية اخرى صحبة قالت لما ذكر من شاني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطيباً وما علمت به فشهد وحمد الله واثني عليه بما هو اهله ثم قال اما بعد اشيروا علي في اناس انبوا الهى وايم الله ما علمت على اهل سوء قط وانبؤهم بن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا دخل بيتي قط الا وانا حاضر ولا كنت في سفر الا غاب معي فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله مرني ان اضرب اعناقهم فقوله من بعد رفي اى من ينصفني ويقيم عذري اذا انتصفت منه لما بلغني من اذا ه في اهل بيتي والله لهم

ثبت انه صلى الله عليه وسلم قد تأذى بذلك تأذيا استعذر منه وقال
المؤمنون الذين لم تأخذهم حمية مرنا ضرب اعناقهم فاننا نغذرك اذا امرتنا
بضرب اعناقهم ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على سعد استئثاره
في ضرب اعناقهم . وقوله انك معذور اذا فعلت ذلك بقي ان يقال فقد
كان من اهل الافك مسطح وحسان وحمئة ولم يرموا بنفاق ولم يقتل النبي
صلى الله عليه وسلم احدا بذلك السب بل قد اختلف في جلد هم . وجوابه
ان هو لآء لم يقصد واذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يظهر منهم
دليل على اذاه بخلاف ابن ابي الذي انما كان قصده اذاه لم يكن اذذاك
قد ثبت عندهم ان ازواجه في الدنيا هن ازواجه في الآخرة وكان
وقوع ذلك من ازواجه ممكنا في العقل ولذا لك توقف النبي صلى الله
عليه وسلم في القصة حتى استشار عليا وزيدا وحتى سأل بريرة فلم يحكم
بنفاق من لم يقصد اذى النبي صلى الله عليه وسلم لا مكان ان يطلق المرأة
المقدوفة فاما بعد ان ثبت انهن ازواجه في الآخرة وانهن امهات المؤمنين
فقد فهن اذى له بكل حال ولا يجوز مع ذلك ان تقع منهن فاحشة لان
في ذلك جواز ان يقيم الرسول مع امرأة بغية وان تكون ام المؤمنين
موسومة بذلك وهذا باطل ولهذا قال سبحانه يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين . وسند كرا ان شاء الله تعالى في آخر الكتاب كلام
الفقهاء فيمن فذف نساؤه . وانه معدود من اذاه . الوجه الثاني . ان الآية
حامة قال الضحاك قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات

يعني به ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ويقول آخرون يعني
ازواج المؤمنين عامة . وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن قذف المحصنات
من الموجبات ثم قرأ أن الذين يرمون المحصنات الآية وعن عمرو بن
قيس قال قذف المحصنة يخط عمل تسعين سنة رواها الأشيخ وهذا قول
كثير من الناس ووجه ظاهر الخطاب فانه عام فيجب اجراؤه على عمومته
اذ لا موجب لخصوصه وليس هو مختصاً بنفس السبب بالاتفاق لان حكم
غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم داخل في العموم وليس هو
من السبب ولانه لفظ جمع والسبب في واحدة ولان قصر عمومات
القرآن على اسباب نزولها باطل فان عامة الآيات نزلت باسباب اقتضت
ذلك وعلم ان شيئاً منها لم يقصر على سببه والفرق بين الآيتين انه في اول
السورة ذكر العقوبات المشروعة على ابدى المكلفين من الجلد ورد
الشهادة والتفسيق وهذا ذكر العقوبة الواقعة من الله سبحانه وهي اللعنة
في الدارين والعذاب العظيم . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من
غير وجه وعن اصحابه ان قذف المحصنات من الكبائر . وفي لفظ في الصحيح
قذف المحصنات الغافلات المؤمنات . وكان بعضهم يؤول على ذلك
قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات . ثم اختلف هو لا .
فقال ابو حمزة الثمالى بلغنا انها نزلت في مشركي اهل مكة اذ كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فكانت المرأة اذا خرجت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا

☆ قصر عمومات القرآن على اسباب نزولها باطل ☆

انما خرجت فجبر فعلى هذا يكون فيمن قذف المؤمنين قد فاصد هن به عن
 الايمان ويقصد بذلك ذم المؤمنين لينفر الناس عن الاسلام كما فعل كعب
 ابن الاشرف وعلى هذا فمن فعل ذلك فهو كافر وهو بمنزلة من سب النبي
 صلى الله عليه وسلم وقوله انها نزلت زمن المهدي عني والله اعلم انه عني بهامثل
 اولئك المشركين المعاهد بن والاقهه الآية نزلت الى الافك و كان
 الافك في غزوة بني المصطلق قبل الخندق والمدة كانت بعد ذلك بستين
 ومنهم من اجراها على ظاهرها وعمومها لان سب نزل ولما قذف عائشة وكان فيمن
 قذفها مؤمن ومنافق وسبب النزول لا بد ان يتدرج في العموم ولانه لا موجب
 لتخصيصها والجواب على هذا التقدير انه سبحانه قال هن العنوا في الدنيا والآخرة
 على بناء الفعل للفعل ولم يسم اللاعن وقال هناك لعنهم الله في الدنيا والآخرة
 واذا لم يسم الفاعل جاز ان يلعنهم غير الله من الملائكة والناس و جاز ان
 يلعنهم الله في وقت ويلعنهم بعض خلقه في وقت و جاز ان يتولى الله لعنة
 بعضهم وهو من كان قذفه طعنا في الدين ويتولى خلقه لعنة الآخر بن
 واذا كان اللاعن مخلوقا فلعنته قد تكون بمعنى الدعاء عليهم وقد تكون بمعنى
 انهم يعدون عن رحمة الله ويؤيد هذا ان الرجل اذا قذف امرأته تلاعن
 وقال الزوج في الخامسة لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فهو يدعو على
 نفسه ان كان كاذبا في القذف ان يلعنه الله كما امر الله رسوله ان يباهل من
 حاجه في المسيح بعد ما جاءه من العلم بان يتهلوا فيجعلوا لعنة الله على الكاذبين
 فخذ اعمالهم به القاذف وما يلعن به ان يجلد وان نرد شهادته ويفسق فانه

عقوبة له واقصاء له عن مواطن الامن والقبول وهي من رحمة الله وهذا بخلاف من اخبر الله انه لعنه في الدنيا والآخرة فان لعنة الله له توجب زوال النصر عنه من كل وجه وبعد عن اسباب الرحمة في الدارين . ومما يويد الفرق انه قال هنا واعد لهم عذابا مهينا . ولم يحى اعد اذ العذاب المهيّن في القرآن الا في حق الكفار كقوله تعالى الذين يدخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتُمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . وقوله فبأوبغضب على غضب وللکافرين عذاب مهين . وقوله انما نملی لهم ليزدادوا اثما ولم عذاب مهين . وقوله والذين كفروا وكذبوا بآيات الله لم عذاب مهين . وقوله واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا . ولائك لم عذاب مهين . وقوله قد انزلنا آيات بينات وللکافرين عذاب مهين . وقوله اتخذوا اليمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلم عذاب مهين . واما قوله تعالى ومن بعض الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نار اخلاد فيها ولم عذاب مهين . فهي والله اعلم فمين جحد الفرائض واستخف بها على انه لم يذكرك ان العذاب اعد له واما العذاب العظيم فقد جاء وعيدا للمؤمنين في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم . وفي المحارب ذلك لم خزي في الدنيا ولم في الآخرة عذاب عظيم . وفي القائل وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما . وقوله ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم . وقد قال سبحانه ومن بين الله قتاله من مكرم . وذلك

لان الالهة اذلال وتحقرو خزي و ذلك قد رزائد على الم العذاب فقد
يعذب الرجل الكريم ولايمان فلما قال في هذه الآية واعد لهم عذابا مهينا
علم انه من جنس العذاب الذي توعد به الكفار والمنافقين ولما قال هناك ولم
عذاب عظيم . جاز ان يكون من جنس العذاب في قوله لمسكم فيما افضتم فيه
عذاب عظيم . ومما بين الفرق ايضا انه سبحانه تعالى قال هنا واعد لهم عذابا
مهينا . والعذاب انما اعد للكافرين فان جهنم لم خلقت لانهم لا بد
ان يدخلوها وما هم منها بمخرجين واهل الكبار من المؤمنين يجوز ان
لا يدخلوها اذا غفر الله لهم واذا دخلوها فانهم يخرجون منها ولو بعد حين
قال سبحانه واتقوا النار التي اعدت للكافرين . فامر سبحانه المؤمنين ان لا ياكلوا
الربا وان يتقوا الله وان يتقوا النار التي اعدت للكافرين فعلم انهم يخاف
عليهم من دخول النار اذا اكلوا الربا ففعلوا المعاصي مع انها معدة للكفار
لأنهم وكذا لك جاء في الحديث اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون
فيها ولا يحيون واما اقوام لهم ذنوب يصيبهم سفع من نار ثم يخرجهم الله
منها وهذا كمال الجنة اعدت للثقلين الذين ينفقون في السراء والضراء وان
كان يدخلها الابناء بعمل آباءهم ويدخلها قوم بالشفاعة وقوم بالرحمة وينشئ الله
لما فضل منها خلقا آخر في الدار الآخرة فيدخلهم اياها وذلك لان الشيء
انما بعد لمن يستوجبه ويستحقه ومن هو اولى الناس به ثم قد يدخل معه غيره
بطريق التبع وليسبب آخر * الدليل السادس * قوله سبحانه لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط

اعمالكم وانتم لا تشعرون . اى حذر ان تحبط اعمالكم او خشية ان تحبط اعمالكم
او كراهة ان تحبط او منع ان تحبط هذا تقدير البصريين وتقدير الكوفيين لثلاث تحبط
فوجه الدلالة ان الله سبحانه نهاهم عن رفع اصواتهم فوق صوتهم وعن الجهر له الجهر
بعضهم لبعض لان هذا الرفع والجهر قد يفضى الى حبوط العمل وصاحبه لا يشعر
فانه علل نهيهم عن الجهر وتركهم له بطلب سلامة العمل عن الحبوط . وبين ان
فيه من المفسدة جواز حبوط العمل وانتقاد سبب ذلك وما قد يفضى الى حبوط
العمل يجب تركه غاية الوجوب والعمل يحبط بالكفر قال سبحانه ومن يرتدد منكم
عن دينه فميت وهو كافر . فاولئك حبطت اعمالهم . وقال تعالى ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله . وقال ولو اشر كوا الحبط عنهم ما كانوا يعملون . وقال لئن
اشركت ليجطن عملك . وقال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبطت اعمالهم .
وقال ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبطت اعمالهم . كان
الكفر اذا قارنه عمل لم يقبل لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين . وقوله الذى
كفر ولو صدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم . وقوله ومانعهم ان يتقبل منهم
فقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وهذا ظاهر ولا يحبط الاعمال لغير
الكفر لان من مات على الايمان فانه لا بد ان يدخل الجنة ويخرج من النار ان دخلها
ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط . لان الاعمال انما يحبطها ما يتا فيها ولا ينافي
الاعمال مطلقاً الا الكفر وهذا معروف من اصول اهل السنة نعم قد يبطل
بعض الاعمال بوجوه دما يفسده كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالبنى والذى
ولهذا لم يحبط الله الاعمال فى كتابه الا بالكفر فاذا ثبت ان رفع الصوت فوق

صوت النبي والجهر له بالقول يخاف منه ان يكفر صاحبه وهو لا يشعر ويحبط عمله بذلك وانه مظنة لذلك وسبب فيه فمن المعلوم ان ذلك لما ينبغي له من التعزير والتوقير والتشريف والتعظيم والاكرام والاجلال ولما ارفع الصوت قد يشتمل على اذى له واستخفاف به وان لم يقصد الرفع ذلك فاذا كان الاذى والاستخفاف الذي يحصل في سوء الادب من غير قصد صاحبه يكون كفرا فالأذى والاستخفاف المقصود التعمد كفر بطريق الأولى ﴿الدليل السابع﴾ على ذلك قوله سبحانه لا تجعلوا دماء الرسول بينكم كدماهم بعضهم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذ فليخذوا الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم - امر من خالف امره ان يحذر الفتنة والفتنة الردة والكفر قال سبحانه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وقال والفتنة اكبر من القتل وقال ولود خلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاثوها وقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا قال الامام احمد وفي رواية الفضل بن زياد نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعاً ثم جعل يتلو فليخذوا الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة الآية وجعل يكررها ويقول وما الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزبغ فيزيغ قلبه فهلكه وجعل يتلو هذه الآية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وقال ابو طالب المشكافي وقبل له ان قوماً يدعون الحديث ويذهبون الى رأى سفيان فقال اعجب لقوم

مواضع الطاعة للمأمورة للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن

سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته يدعوه ويذهبون الى رأى
 سفيان وغيره . قال الله فليخذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
 او يصيبهم عذاب اليم . وتدرى ما الفتنة الكفر قال الله تعالى والفتنة
 اكبر من القتل . فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وتعلمها هو او هم الى الرأى فاذا كان المخالف عن امره قد حذر من
 الكفر والشرك او من العذاب الاليم دل على انه قد يكون مفضياً الى
 الكفر او العذاب الاليم ومعلوم ان افضاء الى العذاب هو مجرّد فعل
 المعصية فافضائه الى الكفر انما هو لما قد يقترب منه من استخفاف بحق الامر كما
 فعل ابليس فكيف لما هو اخلاص من ذلك كالسب والانتقاص ونحوه وهذا
 باب واسع مع انه بمحمد الله يجمع عليه لكن اذا تمددت الدلالات تعاضدت
 على غاظة كفر الساب وعظم عقوبته . وظهر ان ترك الاحترام للرسول
 وسوء الادب معه مما يخاف معه الكفر المحبط كان ذلك ابلغ فيما قصدنا
 له . ومما ينبغي ان يتفطن له ان لفظ الاذى فى اللغة هو لما خف امره وضعف
 اثره من الشر والمكروه ذكره الخطابي وغيره وهو كما قال واستقرأه
 موارد يدل على ذلك مثل قوله تعالى لن يضرركم الاذى . وقوله
 ويسئلونك عن الحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى الحيض . وفيما يورث
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القربوه من والحر اذى وقيل لبعض
 للنسوة العرييات المقر اشدهم الحر فقالن من يجعل البوه من كالاذى
 والبوه من خلاف النعم وهو ما يشقى البدن ويضره بخلاف الاذى فانه

لا يبلغ ذلك ولهذا قال ان الذين يؤذون الله ورسوله * وقال سبحانه
 فيما يروى عنه رسول الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر * وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله * وقال
 ما احد اصبر على اذى يسمعه من الله يجعلون له ولدا وشريكا وهويما فيهم
 ويزرقهم * وقد قال سبحانه فيما يروى عنه رسول الله يا عبادي انكم
 لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نقي فتفنعوني وقال سبحانه في كتابه
 ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا فين ان الخلق
 لا يضرونه سبحانه بكفرهم لكن يؤذونه تبارك وتعالى اذ اسبوا مقلب
 الامور وجعلوا له سبحانه ولدا وشريكا وآذوا رسوله وعباده المؤمنين ثم
 ان الاذى الذي لا يضرونه آذى اذ اتعلق بحق الرسول فقد رأيت عظم
 موقعه ويانه ان صاحبه من اعظم الناس كفرا واشد هم عقوبة فبين بذلك
 ان قليل ما يؤذيه يكفر به صاحبه ويحل دمه * ولا يرد على هذا قوله
 حالي لا تدخلوا بيوت النبي الى قوله ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي
 منكم * فان المؤذى له هنا اطالهم الجلوس في المنزل واستثناهم للحدث
 لانهم آذوا النبي صلى الله عليه وسلم والفعل اذا آذى النبي من
 غير ان يعلم صاحبه انه يؤذيه ولم يقصد صاحبه اذاه فانه ينهى عنه ويكون
 معصية كرفع الصوت فوق صوته فلما اذا قصد اذاه وكان مما يؤذيه
 وصاحبه يعلم انه يؤذيه واقدم عليه مع استحضار هذا العلم فهذا الذي
 يوجب الكفر وجوب العمل والله سبحانه اعلم * الدليل الثامن على

ذلك ان الله سبحانه قال وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما فحرم على الامة ان
تنكح ازواجه من بعده لان ذلك يؤذي به وجعله عظيما عند الله تعظيما
لحرمة . وقد ذكر ان هذه الآية انزلت لما قال بعض الناس لو قد توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة ثم ان من نكح ازواجه
او سراريه فان عقوبته القتل جزاء له بما انتهك من حرمة فالتايم له اولى
والدليل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه عن زهير عن عفان عن حماد
عن ثابت عن انس ان رجلا كان يتهم بام ولد النبي صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اذهب فاضرب عنقه فاناه علي
فاذا هو في ركي يتبرد فقال له علي اخرج فنا وله يد فخرجه فاذا هو
محبوب ليس له ذكر فكف علي ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله انه محبوب ماله ذكر فهذا الرجل امر النبي صلى الله عليه
وسلم بضرب عنقه لما قد استحل من حرمة ولم يامر باقامة حد الزنا لان
اقامة حد الزنا ليس هو ضرب الرقبة بل ان كان محصنا رجم وان كان
غير محصن جلد ولا يقام عليه الحد الا باربعة شهداء او بالاقرار المعبر فلما امر
النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه من غير تفصيل بين ان يكون محصنا
او غير محصن علم ان قتله لما انتهك من حرمة ولعله قد شهد عند
شاهد ان انها راياه يياشر هذه المرأة او شهدا ينفوذ ذلك فامر بقتله
فلما تبين انه كان مجربا علم ان المفسدة مأوثة منه او انه يبعث عليا ليري

القصة فان كان ما بلغه عنه حقا قتله ولهد اقال في هذه القصة لو غيرها
 اكون كالسكة المحماة ام الشاهد يرى مالا يرى الغائب ويدل على
 ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج قيلة بنت قيس بن معدى كرب
 اخت الاشعث ومات قبل ان يدخل بها وقبل ان تقدم عليه * وقيل انه
 خبرها بين ان يضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين وبين ان يطلقها فتكح
 من شاءت فاخضارت النكاح قالوا فلامات النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها
 عكرمة بن ابي جهل بحضرموت فبلغ ابا بكر فقال لقد هممت ان احرق
 عليها بينهما فقال عمر ما هي من امهات المؤمنين ولا دخل بها ولا ضرب
 عليها الحجاب وقبل انها ردت فاحتج عمر على ابي بكر انها ليست من ازواج
 النبي صلى الله عليه وسلم بار تدادها * فوجه الدلالة ان الصديق رضى الله عنه
 عزم على تحريقها وتحريق من تزوجها لما رأى لهما من ازواج النبي صلى الله
 عليه وسلم حتى ناظره عمر انها ليست من ازواجه فكف عنها لذك فعلهم انهم
 كانوا يرون قتل من استحل حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقال
 ان ذلك حد الزنا لانها كانت محرمة عليه ومن تزوج ذات محرم
 حد حد الزنا او قتل لوجهين * احدهما * ان حد الزنا الرجم * الثاني * ان
 ذلك الحد يفتقر الى ثبوت الوطى ببينة او اقرار فلما اراد تحريق البيت
 مع جوار ان لا يكون غشيا علم ان ذلك عقوبة ما انتهكه من حرمة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم *

حكم شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
 فصل في ايراد السنن والاحاديث الواردة في

واما السنة فاحاديث الحديث الاول مارواه الشعبي عن علي ان يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فاطل رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاكذارواه ابو داود في مسنده وابن بطلة في سننهم هو من جملة ما استدل به الامام احمد في رواية ابنه عبد الله وقال شاذير عن مغيرة عن الشعبي قال كان رجل من المسلمين اعنى اعمى باوى الى امرأة يهودية فكانت تطعمه وتحسن اليه فكانت لاتزال تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتؤذيه فلما كان ليلة من الليالي خنقها فماتت فلما اصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنشد الناس في امرها فقام الاعمى فذكر له امرها فاطل النبي صلى الله عليه وسلم مهاكذارواه الحديث جيد فان الشعبي راى عليا وروى عنه حديث شراحة الحمد انى وكان على عهد علي قد فاهز الشرين سنة وهو كوفي فقد ثبت لقائه فيكون الحديث متصلا ثم ان كان فيه ارسال لان الشعبي يبعد سماعه من علي فهو حجة وقا قالان الشعبي عندهم صحيح المرسل لا يعرفون له مراسلا الا صحيحا ثم هو من اعلم الناس بحديث علي واعلم بثقات اصحابه وله شاهد حديث ابن عباس الذي ياتي فان القصة اما ان تكون واحدة او يكون المعنى واحدا وقد عمل به عوام اهل العلم وجاء ما يوافقه عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا المرسل لم يتردد اتفقوا في الاحتجاج به وهذا الحديث نص في جواز قتلها لاجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم ودليل على قتل الرجل الذي قتل في جواز المسلم والمسلمة اذا سب بطريق الاولى لان هذه المرأة كانت موادعة مهادنة

لان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وادع جميع اليهود الذين كانوا
 بهاموادة مطلقة ولم يضرب عليهم جزية وهذا مشروع عند اهل العلم
 بمنزلة المتواترينهم حتى قال الشافعى لم اعلم مخالفاً من اهل العلم بالسيران
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة وادع يهود كفة على غير
 جزية وهو كما قال الشافعى هو ذلك ان المدينة كان فيها حولها ثلاثة اصناف
 من اليهود فهو بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وكان بنو قينقاع والنضير
 حلفاء الخزرج وكانت قريظة حلفاء الاوس فلما قدم النبي صلى الله عليه
 وسلم هادىهم وادعهم مع اقرارهم ولمن كان حول المدينة من المشركين
 من حلفاء الانصار على حلفهم وعهدهم الذى كانوا عليه حتى انه عاهد اليهود
 على ان يعينوه اذا حارب ثم نقض العهد بنو قينقاع ثم النضير ثم قريظة .
 قال محمد بن اسحاق يعنى في اول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
 وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع
 فيه يهود وعاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم واشترط عليهم وشرط
 لهم . قال ابن اسحاق حدثني عثمان بن محمد بن عثمان بن الاخنس بن
 شريق قال اخذت من آل عمر بن الخطاب هذا الكتاب كان مقروناً
 بكتاب الصدقة الذى كتب عمر للعمال كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا
 كتاب من محمد النبي بين المسلمين والمؤمنين من قريش ويثرب ومن
 تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انه امة واحدة دون الناس المهاجرون من
 قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى يفدون عانيهم بالمعروف

والمقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتماقلون معاقبهم الا ولى
 وكل طائفة يفتدي عانيها بالمعروف والمقسط بين المؤمنين ثم ذكر بلطون
 الانصار بنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى التجار وبنى عمرو بن
 عوف وبنى الاوس وبنى النبيت مثل هذا الشرط ثم قال وان المؤمنين
 لا يتركون مفرحاً منهم ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ولا يخالف مؤمن
 مولى مؤمن دونه الى ان قال وان ذمة الله واحدة يحجر عليهم ادناهم
 فان المؤمنين بعضهم مولى بعض دون الناس وانه من لبغمان يهود فان
 الله النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وان سلم المؤمنين واحدة
 الى ان قال وان اليهود يتفقون مع الملوك من بني اموي وبنين وان لليهود
 بني عوف ذمة من المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم
 الامن ظلم واثم فانه لا يوقع الانفسه واهل بيته وان لليهود بني التجار مثل
 ما لليهود بني عوف وان لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف وان
 لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف وان لليهود بني جشم مثل
 ما لليهود بني عوف وان لليهود بني الاوس مثل ما لليهود بني عوف وان
 لليهود ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف الامن ظلم واثم فانه لا يوقع الانفسه
 واهل بيته وان لحقه بطن من ثعلبة مثله وان لبني الشطبة مثل ما لليهود بني
 عوف وان موالي ثعلبة كالنفسهم وان بطانة يهود كالنفسهم ثم يقول فيها وان
 الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه ما كان بين اهل هذه الصيغة من
 حرب او اشجار يخشى فساد فان مرده الى الله والى محمد صلى الله عليه

وسلم وان يهود الاوس ومواليهم وانفسهم على مثل ما في هذه الصحيفة مع
البار المحسن من اهل هذه الصحيفة وفيها اشياء اخرى وهذه الصحيفة معروفة
عند اهل العلم روى مسلم في صحيحه عن جابر قال كتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على كل بطن عقوله ثم كتب انه لا يخل ان يتوالى رجل مسلم
بغير اذنه وقد بين فيها ان كل من تبع المسلمين من اليهود فان له النصر ومعنى
الاتباع مسالته وترك محاربتة لا الاتباع في الدين كما بينه في اثناء الصحيفة فكل
من اقام بالمدينة ومخالفها غير محارب من يهود دخل في هذا ثم بين ان ليهود
كل بطن من الانصار ذمة من المؤمنين ولم يكن بالمدينة احد من اليهود الا وله
حلف امام الاوس او مع بعض بطون الخزرج وكان بنو قينقاع وهم المجاورون
بالمدينة وهم رهط عبد الله بن سلام حلفاء بني عوف بن الخزرج رهط بن
ابي رهم البطن الذين بدى بهم في هذه الصحيفة قال ابن اسحاق حدثني
عاصم بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا اول يهود تقصوا ما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فباين بدروا احد فخاصهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام عبد الله بن ابي
ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امكنه الله منهم فقال يا محمد
احسن في موالي فاعرض عنه فادخل يده في جيب درع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني و غضب
حتى ان لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ظللا وقلل ويحك ارسلني
فقال والله لا ارسلك حتى تحسن في موالي اربع مائة حاسرو ثلاثمائة اربع

قد منعوني من الاحمر والاسود تحصد هم في غداة واحدة اني والله
 لامرؤ واخشي الدوائر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك واما
 النضير وقريظة فكانوا خارجا من المدينة وعهد هم مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اشهر من ان يخفى على عالم وهذه المقتولة والله اعلم كانت من
 قينقاع لان ظاهر القصة انها كانت بالمدينة وسواء كانت منهم او من غيرهم
 فانها كانت ذمية لانه لم يكن بالمدينة من اليهود الا ذمي فان اليهود
 كانوا ثلاثة اصناف وكلهم معاهد . وقال الواقدي حدثني عبد الله بن
 جعفر عن الحارث بن الفضيل عن محمد بن كعب القرظي قال لما قدم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وادعته يهود كلها فكتب بينه
 وبينها كتابا والحق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قوم بحلفائهم وجعل
 بينه وبينهم امانا وشروط عليهم شروطا فكان فيما شرط ان لا يظاهروا عليه
 عدوا فلما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بدرو قدِم المدينة
 بغت يهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 العهد فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فجمعهم ثم قال يا مشر
 يهود اسلموا فوالله انكم لتعلمون اني رسول الله قبل ان يوقع الله بكم مثل وقعة
 قريش فقالوا يا محمد لا نعرفك من لقيت انك لقيت اقواما اغمارا وانا والله اصحاب
 الحرب ولئن فالتلت لتعلمن انك لم تقايل مثلنا ثم ذكر حصارهم واجلاء هم
 الى اذرعاء وهم بنو قينقاع الذين كانوا بالمدينة فقد ذكر ابن كعب
 مثل ما في الصحيفة وبين انه عاهد جميع اليهود وهذا مما لا نعلم فيه ترددا

بين اهل العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومن تأمل الاحاديث الماثورة
والسيرة كيف كانت معهم علم ذلك ضرورة وانما ذكرنا هذا الان
بعض المصنفين في الخلاف قال يحتمل ان هذه المرأة ما كانت ذمية
وقائل هذا ممن ليس له بالسنة كثير علم وانما يعلم منها في الغالب ما يعلمه
العامة ثم انه ابطال هذا الاحتمال فقال لو لم تكن ذمية لم يكن للاهدار معنى
فاذا انقل السب والاهدار تعلق به كتعلق الرجم بالزنا والقطع بالسرقه
وهذا صحيح وذلك ان في نفس الحديث ما يبين انها كانت ذمية من
وجهين • احدهما • انه قال ان يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم
خفقها رجل فابطل دمه فرتب علي رضي الله عنه ابطال الدم على الشتم
بحرف الفاء فلم انه هو الموجب لا بطلان دمه لان تعاقب الحكم بالوصف
المناسب بحرف الفاء يدل على العلية وان كان ذلك في لفظ الصحابي كما
لو قال زنا ما عزر فرجم ونحو ذلك اذ لا فرق فيما يرويه الصحابي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من امر ونهى وحكم وتعليل في الاحتجاج به بين ان
يحكى لفظ النبي صلى الله عليه وسلم او يحكى بلفظ معنى النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا او نهانا عن كذا او حكم
بكذا او فلي كذا الاجل كذا كان حجة لانه لا يقدم على ذلك الا بعد ان
يطلب له في يجوز له ان ينقله وتطرق الخطاء الى مثل ذلك لا يلتفت
اليه كمن يطرق السياف والسهوف في الرواية وهذا يقرر في موضعه
وما يوضح ذلك • ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر له انها قتلت نشد الناس

في امرها فلما ذكر له ذنبها ابطال دماها وهو صلى الله عليه وسلم اذا حكم
 بامر عقب حكاية حكيت له دل ذلك على ان ذلك المحكي هو الموجب
 لذلك الحكم لانه حكم حادث فلا بد له من سبب حادث ولا سبب
 الا ما حكى له وهو مناسب فتجب الاضافة اليه • الوجه الثاني • ان نشد
 النبي صلى الله عليه وسلم الناس في امرها ثم ابطال دمه دليل على انها كانت
 معصومة وان دماها كان قد انقصد سبب ضمانه وكان مضمونا لو لم يطله
 النبي صلى الله عليه وسلم لانها لو كانت حرة لم ينشد الناس فيها ولم يخرج
 ان يبطل دماها ويهدره لان الابطال والاهدار لا يكون الا له • قد انقصد له
 سبب الضمان الا ترى انه لما رأى امرأة مقتولة في بعض مغازيه انكر قتلها
 ونهى من قتل النساء ولم يبطله ولم يهدره فانه اذا كان في نفسه باطلا
 هداوا السلون يعلمون ان دم الحرية غير مضمون بل هو هدم لم يكن
 لابطاله واهداره وجه وهذا هو الحمد ظاهر فاذا كان صلى الله عليه وسلم
 قد عاهد المعاهد بن اليهود عهدا بغير ضرب جزية عليهم ثم انه اهدر دم
 يهودية منهم لاجل سب النبي صلى الله عليه وسلم فان يهدر دم يهودية من
 اليهود الذين ضربت عليهم الجزية والزموا الاحكام الملة لاجل ذلك اولى
 واخرى ولو لم يكن قتلها جائزا للبين للرجل فيج مافعل فانه قد قال صلى الله عليه
 وسلم من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ولا وجب ضمانها والكفارة
 كفارة قتل المضموم فلما اهدر دما علم انه كان مباحا **الحديث الثاني**
 ماروى اسمعيل بن جعفر عن اسرا ئيل عن عثمان الشحام عن عكرمة عن

قصة اعمى الذي قتل ام ولد له كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم

ابن عباس رضى الله عنهما ان اعمى كانت له ام ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فيها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم تشتمه فاخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها فلما اصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال اشدر رجلا ففعل ما فعل لي عليه حتى الاقام قال فقام الاعمى يتخطى الناس وهو يتدلل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فانها فلا تنتهي وازجرها فلا تنزجر ولى منها ابنان مثل اللؤلؤنين وكانت بي رفيقة فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فاخذت المغول فوضعتها في بطنها واتكأت عليه حتى قتلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تشهدوا ان دما هدر رواه ابوداود والنسائي والمغول بالعين المعجمة قال الخطابي شبه المشمل نضله دقيق ماض وكذلك قال غيره هو سيف رقيق له قفا يكون غمده كالسيوط والمشمل السيف القصير سمي بذلك لانه يشتمل عليه الرجل اى يغطيه بثوبه واشتقاق المغول من غله الشئ واغتاله اذ اخذه من حيث لم يدره وهذا الحديث مما استدل به الامام احمد وفي رواية عبد الله قال ثنا روح ثنا عثمان الشحام ثنا عكرمة مولى ابن عباس ان رجلا اعمى كانت له ام ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم فقتلها فساءله عنها فقال يا رسول الله انها كانت تشتمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان دم فلا تة هدر فهذه القصة يمكن ان تكون هي الاولى ويدل عليه كلام الامام احمد لانه قيل له في رواية عبد الله في

قتل الله في اذ اسب احاديث قال نعم منها حديث الاعمى الذي قتل
 المرأة قال سمعنا تشتم النبي صلى الله عليه وسلم ثم روى عنه عبد الله كلا
 الحديثين ويكون قد خنقها وبج بطنها بالمغول او يكون كيفية القتل غير
 محفوظ في احدي الروايتين ويؤيد ذلك ان وقوع قصصين مثل هذه
 لاعميين كل منها كانت المرأة تحسن اليه وتكرار الشتم وكلاهما قتلها وحده
 وكلاهما نشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الناس بعيد في العادة وعلى
 هذا التقدير فالمقتولة يهودية كما جاء مفسراني تلك الرواية وهذا قول
 القاضي ابي يعلى وغيره استدلوا بهذا الحديث على قتل الله في وقضه
 العهد وجعلوا الحديثين حكاية واقعة واحدة ويمكن ان تكون هذه القصة
 غير تلك قال الخطابي فيه بيان ان ساب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل
 وذلك ان السب منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد ادعاه الله بن
 وهذا دليل على انه اعتقد انها مسلمة وليس في الحديث دليل على ذلك
 بل المظاهر انها كانت كافرة وكان العهد لها بملك المسلم اياها فان رقيق المسلمين
 ممن يجوز استرقاقه لم يحكم اهل الذمة وهم اشد في ذلك من المعاهد بن
 او يتزوج المسلم بها فان ازواج المسلمين من اهل الكتاب لم يحكم اهل
 الذمة في العصمة لان مثل هذا السب الدائم لا يفعله مسلم الا عن ردة
 واختيار دين غير الاسلام ولو كانت مرتدة منتقلة الى غير الاسلام
 لم يقرها سيدا على ذلك ايا ما طويلة ولم يكن يفجر دنيها عن السب
 بل يطلب منها تجديد الاسلام لاسيما ان كان يطوها فان وطى المرتدة

لا يجوز والاصل عدم تغير حالها وانها كانت باقية على دينها ومع ذلك ان
الرجل لم يقتل كفرت ولا ارتدت وانما ذكر مجرذ السب والشتم فعلم انه لم يصدر منها
قدر زائد على السب والشتم من انتقال من دين الى دين او نحو ذلك وهذه
المرأة اما ان تكون زوجة لهذا الرجل او مملوكة له وعلى التقديرين
فلم يملكها جازا البين النبي صلى الله عليه وسلم لان قتلها كان محرما وان
دعواها كان معصوماً ولا واجب عليه الكفارة بقتل المعصوم والدية ان
لم تكن مملوكة له فلما قال اشهدوا ان دمه اهدر والهدى لا يضمن بقود
ولاديه ولا كفارة علم انه كان مباحاً مع كونها ذمية فعلم ان السب اباح
دمها لاسيما النبي صلى الله عليه وسلم انما اهدر دمه عقب اخباره بانها قتلت
لاجل السب فعلم انه الموجب لذلك والقصة ظاهرة الدلالة في ذلك *
الحديث الثالث ما احتج به الشافعي على ابن ابي الدمي اذا سب قتل وبرئت
منه الذمة وهو قصة كعب بن الاشرف اليهودي قال الخطابي قال الشافعي
يقتل الذمي اذا سب النبي صلى الله عليه وسلم وتبرأ منه الذمة واحتج في ذلك
بمخبر ابن الاشرف وقال الشافعي في الامم لم يكن بمحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
ولا قريبه شرك من اهل الكتاب الا يهود اهل المدينة وكانوا احلفاء الانصار
ولم تكن الانصار اجمت اول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلاماً
فوادعت يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخرج الى شيء من عداوته
بقول يظهر ولا فعل حتى كانت وقعة بدر فتكلم بعضها بعد اوتاهم والتحريض
عليه فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومعلوم انه انما اراد بهذا

الكلام كعب بن الاشرف والقصة مشهورة مستفيضة وقد رواها عمرو
ابن دينار عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال انا
يارسول الله اتحب ان اقتله قال نعم قال فاذا نلتني لئن اتيتني لقتلته قال فانه
وذكره ما بينهم قال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وعنا فلما سمعه قال
وايضاً والله لئمتنه قال اتاقد تبعناه الا ونكره ان ندعه حتى ننظر الى ابي
شي بصير امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفاً قال فانه هوني نساء كم قال
انت اجمل العرب ان نساء نأقال ترهنوني اولاد كم قال يسب ابن احدنا
فيقال رهنه في وسقين من تمر ولكن نرهنك الملامة يعني السلاح قال نعم
وواعده ان ياتيه بالحرب واتي عبس بن حبر وعباد بن بشر فجاء وافدعوه
ليلا فنزل اليهم قال سفيان قال غير عمرو قالت له امراته اني لا سمع صوتاً كانه
صوت دم قال انما هذا محمد ورضيعه ابو نائلة ان الكريم لودعي الى طهنة ليلا
لاجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف امد يدي الى راسه فاذا استمكن
منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح قالوا نجد منك ربح الطب قال نعم
تحتي فلانة اعطرت نساء العرب قال افتاذن لي ان اشم منه قال نعم فشم
ثم قال اتاذن لي ان اعود قال فاستمكن منه ثم قال دو نكم فقتلوه متفق عليه
وروى ابن ابي اويس عن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن مسلمة عن ابيه عن جابر
ابن عبد الله ان كعب بن الاشرف عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لا يعين عليه ولا يقاتله ولحق بمكة ثم قدم المدينة معلناً لمعاداة النبي صلى الله

عليه وسلم فكان اول ما جزع خزع عنه قوله •

اذا هب انت لم تحلل برفقة • وتارك انت ام الفضل بالحرم

في ايات يهجو بهافند ذلك تدب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتله وهذا محفوظ عن ابن ابي اويس رواه الخطابي وغيره وقال قوله خزع معناه قطع عهده وفي رواية غير الخطابي فجزع منه هجاؤه له فامر بقتله والخرع القطع يقال خزع فلان عن اصحابه يخرع خزع عاى القمع وتختلف ومنه سميت خزاعة لانهم انزعوا عن اصحابهم واقاموا بمكة فلي اللفظ الاول يكون التقدير ان قوله هذا هو اول خزعة عن النبي صلى الله عليه وسلم اي اول غضاضة عنه بنقض العهد وعلى الثانى قبل معناه قطع هجاء للنبي صلى الله عليه وسلم منه بمعنى انه نقض عهده وذمه وقيل معناه خزع من النبي صلى الله عليه وسلم هجاء اي نال منه وشعث منه ووضع منه وذكر اهل المغازى والتفسير مثل محمد بن اسحاق ان كعب بن الاشرف كان مواد عال النبي صلى الله عليه وسلم في جملة من وادعه من يهود المدينة وكان عرياً من بني طى وكانت امه من بني النضير قالوا فلما قتل اهل يد رشق ذلك عليه وذهب الى مكة ورثاهم اقرش وفضل دين الجاهلية على دين الاسلام حتى انزل الله فيه • الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً ثم لما رجع الى المدينة اخذ ينشد الاشعار يهجو بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشبب بنساء المسلمين حتى اذا هم حتى قال النبي صلى الله

عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه اذى الله ورسوله وذكر قصة قتله
مبسوطة * وقال الواقدي حدثني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان
ومعمر عن الزهري عن ابن كعب بن مالك وابراهيم بن جعفر عن ابيه
عن جابر وذكر القصة الى قتله قال ففزع يهود ومن معهم المشركين
فجاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم حين اصبحوا فقال قد طرق صاحبنا الليلة
وهو سيد من ساداتنا قتل غيلة بلا جرم ولا حد علمناه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ولكنه
قال من الاذي وهما بالشعر ولم يفعل هذا احد منكم الا كان للسيف ودعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يكتب بينهم كتابا يتهدون الى ما فيه
فكتبوا بينهم وبينه كتابا تحت العذق في دار رملة بنت الحارث فخذرت
يهود وخافت وذلت من يوم قتل ابن الاشرف * والاستدلال بقتل كعب
ابن الاشرف من وجهين * احدهما * انه كان معاهدا امهات نوا هذا الاخلاف
فيه بين اهل العلم بالمغازي والسيرو هو عند هم من العلم العام الذي يستغنى
فيه عن نقل الخاصة ومما لا ريب فيه عند اهل العلم ما قد مناه من ان
النبي صلى الله عليه وسلم عاهد لما قدم المدينة جميع اصناف اليهود بني قينقاع
والنضير وقريظة ثم نقضت بنو قينقاع عهد * فخاربهم ثم نقض عهد * كعب
ابن الاشرف ثم نقض عهد * بنو النضير ثم بنو قريظة وكان ابن الاشرف
من بني النضير وامرهم بظهور في انهم كانوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وانما نقضوا العهد لما خرج اليهم يستعينهم في دية الرجلين الذين قتلها عمرو بن

امية الضمري وكان ذلك بعد مقتل كعب بن الاشرف وقد ذكرنا الرواية
الخاصة ان كعب بن الاشرف كان معاهدا للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ان
النبي صلى الله عليه وسلم جعله ناقضا للمهد بهجائه واذاه بلسانه خاصة والدليل
على انه انما نقض المهد بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لكعب بن
الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فعلى نذب الناس له باذاه والاذى
المطلق هو باللسان كما قال تعالى ولتسمعن من الله من اي انوار الكتاب من قبلكم
ومن الله من اشركوا اذى كثيرا وقال تعالى لن يضرركم الا اذى وقال
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن وقال ولا تكونوا كالدن
اذ واموسى فبرأه الله مما قالوا الآية وقال ولما استانس لحديث ان ذلكم
كان يؤذى النبي الى قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا الآية ثم ذكر الصلاة عليه والتسليم خبرا وامرا
وذلك من اعمال اللسان ثم قال ان الذين يؤذون الله ورسوله الى قوله والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه
تبارك وتعالى يؤذنى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر وهذا كثير وقد
تقدم ان الاذى اسم لقليل الشر وخفيف المكروه بخلاف الضر فذلك
اطلق على القول لانه لا يضر المؤذى في الحقيقة وايضا فانه جعل مطلق
اذى الله تعالى ورسوله موجبا لقتل رجل معاهد ومعلوم ان سب الله
وسب رسوله اذى لله ولرسوله واذا رتب الوصف على الحكم بحرف
الفاء دل على ان ذلك الوصف علة لذلك الحكم لاسبابا اذا كان مناسبا وذلك

عند اذ رتب الوصف على الحكم بالفاء دل على العلية

الحكم الحاد يضاف الى السبب الحادث ﴿ والواقدي اعلم الناس بتفاصيل المغازي ﴾

يدل على ان اذى الله ورسوله علة لندب المسلمين الى قتل من يفعل ذلك من المعاهدين وهذا دليل ظاهر على انتقاض ههد • باذى الله ورسوله والسبب من اذى الله ورسوله باتفاق المسلمين بل هو اخص انواع الاذى • وايضاً فقد قد منافي حديث جابر ان اول ما تنقض به العهد قصيدته التي انشأها بعد رجوعه الى المدينة يهجو بهار سول الله صلى الله عليه وسلم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما هجاه بهذه القصيدة ندب الى قتله وهذا وحده دليل على انه انما تنقض العهد بالهجاء لا بذهابه الى مكة • وما ذكره الواقدي عن اشياخه يوضح ذلك ويؤيده وان كان الواقدي لا يحتج به اذ انفرد لكن لا ريب في علمه بالمغازي واستعلام كثير من تفاصيلها من جهته ولم تذكر عنه الا ما اسندناه عن غيره • فقوله لو قمر كافر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتبل ولكنه قال منا الاذى وهجاءنا بالشعر ولم يفعل هذا احد منكم الا كان السيف نص في انه انما انتقض عهد ابن الاشرف بالهجاء ونحوه وان من فعل هذا من المعاهدين فقد استحق السيف وحديث جابر المستند من الطرفين يوافق هذا وعليه العدة في الاحتجاج • وايضاً فانه لما ذهب الى مكة ورجع الى المدينة لم يندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين الى قتله فلما بلغه عنه الهجاء ندبهم الى قتله والحكم الحادث يضاف الى السبب الحادث فعلم ان ذلك الهجاء والاذى الذي كان بعد فقوله من مكة موجب لنقض عهده وقتاله واذا كان هذا في المهاذين الذي لا يؤدى جزية فما الظن بالذي يعطى الجزية ويلتزم احكام الملة • فان قيل • ان

ابن الاشرف كان قد اتى بغير السب والهجم فروى الامام احمد قال ثنا محمد بن ابي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب ابن الاشرف مكة قالت قريش الاترى الى هذا الصنبر المتبر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل الحجيج واهل السداة واهل السقاية قال انتم خير قال فنزلت فيهم ان شئتكم هو الا بتره قال وانزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً الى قوله نصبروا وقال ثنا عبد الرزاق قال قال معمر اخبرني ايوب عن عكرمة ان كعب بن الاشرف انطلق الى المشركين من كفار قريش فاستجاشهم على النبي صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يغزوه وقال لهم انا معكم فقالوا انكم اهل كتاب وهو صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون مكرامكم فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهدن الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قالوا له نحن اهدى ام محمد نحن نصل الرحم وتقرى الضيف ونطوف بالبيت ونحرم الكوما ونسقى اللبن على الماء ومحمد قطع رحمه وخرج من بلده قال بل انتم خير واهدى قال فنزلت فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً وقال ثنا عبد الرزاق ثنا اسراييل عن السدي عن ابي مالك قال ان اهل مكة قالوا لكعب بن الاشرف لما قدم عليهم دبتنا خير ام دين محمد قال اعرضوا علي دينكم قالوا نعم ريت ربنا ونحرم الكوما ونسقى الحاج الماء

و نصل الرحم و تقرى الضيف قال د ينكم خير من د ين محمد فانزل الله تعالى
 هذه الآية ❁ قال موسى بن عقبة عن الزهري كان كعب بن الاشرف
 اليهودي و هو احد بنى النضير او هو فيهم قد آذى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بالمجاء و ركب الى قريش فقدم عليهم فاستعان بهم على رسول الله
 فقال ابوسفيان انا شدة اديننا احب الى الله ام دين محمد و اصحابه و اينا
 اهدى في رأيك و اقرب الى الحق فانا نطعم الجزور الكوماه و نسقي
 اللبن على الماء و نطعم ما هبت الشمال قال ابن الاشرف انتم اهدى منهم
 سبيلا ثم خرج مقبلا حتى اجمع رأيي المشركين على قتال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم معلنا بعد اوة رسول الله صلى الله عليه وسلم و بهجائه
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا من ابن الاشرف قد استعلن
 بعد او تناو هجائنا و قد خرج الى قريش فاجمعهم على قتالنا و قد اخبرني الله
 بذلك ثم قدم على اخبث ما كان ينتظر قريشا ان تقدم فيقاتلنا معهم ثم قرأ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ما انزل فيه ان كان لذلك و انه
 اعلم قال الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله
 سبيلا و آيات معاهيه و في قريش ❁ و ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت فقال له محمد بن مسلمة
 انا يا رسول الله اقله و ذكر القصة في قتله الى آخرها ثم قال فقتل الله ابن
 الاشرف بعد اوته الله و رسوله و هجائه اياه و قال به عليه قريشا و اعلانه
 بذلك ❁ و قال محمد بن اسحاق كان من حديث كعب بن الاشرف

انه لماصيب اصحاب بدروقد مزيد بن حارثة الى اهل السافلة وعبد الله
ابن رواحة الى اهل العالية بشير بن بعثما رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله تعالى عليه وقتل من قتل من المشركين
كما حدثني عبد الله بن المغيث بن ابي بردة الظفري وعبد الله بن
ابي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وصالح بن ابي امامة بن سهل كل واحد
قد حدثني بعض حديثه قالوا كان كعب بن الاشرف من طي ثم احديني
نيهان وكانت امه من بني النضير فقال حين بلغه احق هذا الذي يروون ان
محمد اقل هؤلاء الذي سمي هذا الرجلان يعني زيدا وعبد الله بن
رواحه فهو لاء اشرف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد اصاب
هؤلاء القوم لبطن الارض خب من ظهر هافلمايقن عد والله الخبر خرج
حتى قدم مكة ونزل على المطلب بن ابي وداعة السهمي وعنده عاتكة
بنت ابي العيص بن امية فانزلته واكرمه وجعل يخرض على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار ويبكي اصحاب القلب من قريش الذين
اصبوا بيدروذكر شعر او مارد عليه حسان وغيره ثم رجع كعب بن
الاشرف الى المدينة يشبب بنساء المسلمين حتى اذ اعم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما حدثني عبد الله بن ابي المغيث من لي بادن الاشرف فقال محمد
ابن مسلمة انالك به يا رسول الله انا قتله وذكر القصة وقال الواقدي
حدثني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان ومعم عن الزهري عن ابن
كعب بن مالك و ابراهيم بن جعفر عن ابيه عن جابر بن عبد الله فكل قد

حدثني منه بطائفة فكان الذي اجتمعوا عليه قالوا ابن الاشرف كان
 شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويمرض عليهم كفار
 قريش في شعره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها
 اخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة الاسلام فيهم اهل الحلقة والحصون
 ومنهم حلفاء للهيمن جميعا الاوس والخزرج فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم وموادعتهم وكان الرجل يكون مسلما وابوه
 مشركا فكان المشركون واليهود من اهل المدينة يؤذون رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واصحابه اذى شديدا فغاض الله نبيه والمسلمين بالصبر على ذلك
 والعفو عنهم وفيهم انزل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
 ومن الذين اشركو اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من
 عزم الامور وفيهم انزل الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب الآية فلما ابى ابن
 الاشرف ان يمسك عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم واىذاء المسلمين
 وقد بلغ منهم فلما قدم زبد بن حارثة بالشارة من بدر بقتل المشركين
 واسر من اسر منهم فراى الاسرى مقرنين كبت وذل ثم قال لقومه ويلكم
 والله لبطن الارض خير لكم من ظهرها اليوم هو لآء سراة الناس
 قد قتلوا واسروا فاعندكم قالوا اعداوتهم ما حيينا قال وما انتم وقد وطى
 قومه واصابهم ولكنى اخرج الى قريش فاحضها وابكى قتلها لعالمهم ينتدبون
 فاجخرج معهم فخرج حتى قدم مكة ووضع رحله عند ابي وداعة ابن ابي
 صبرة السهمي وتحت عاتكة بنت اسد بن ابي العيص فجعل يرثي قريشا وذكر

مارثا ثم به من الشعر وما اجابه به حسان فاخبره بنزول كعب على من
 نزل فقال حسان فذكر شعرا هجاء به اهل البيت الذين نزل فيهم قال فلما
 بلغها هجاءه نبذت رحله وقالت مالنا ولهذا اليهودي الا ترى ما يصنع بنا
 حسان فتحول فكلما تحول عند قوم عا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حسانا فقال ابن الاشرف نزل على فلان فلا يزال يهجوهم حتى نبذ رحله
 فلما لم يجد ماوى قدم المدينة فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قدوم ابن الاشرف
 قال اللهم اكفني ابن الاشرف بم شئت في اعلا نه الشرو قوله الاشعار
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لى من ابن الاشرف فقد آذاني
 فقال محمد بن مسلمة انابه بارسول الله وانا قتله قال فافعل وذكر الحديث فقد
 اجتمع لابن الاشرف ذنوب انه رثى قتلى قريش وحضهم على محاربة
 النبي صلى الله عليه وسلم وواطأهم على ذلك واعانهم على محاربته باخباره
 ان دينهم خير من دينه وهما النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين . قلنا .
 الجواب من وجوه . احدها . ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يندب الى قتله
 لكونه ذهب الى مكة وقال ما قال هناك وانما ندب الى قتله لما قدم وهجاه
 كما جاء ذلك مفسرا في حديث جابر المتقدم بقوله ثم قدم المدينة معلنا
 لعداوة النبي صلى الله عليه وسلم ثم بين ان اول ما قطع به العهد تلك الايات
 التي قالها بعد الرجوع وان النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ ندب الى قتله
 وكذلك في حديث موسى بن عقبة من ثمانين ابن الاشرف فانه قد استعلن
 بعد او تناو هجائنا ويؤيد ذلك شيان . احدهما . ان سفيان بن عيينة روى عن

عمرو بن دينار عن عكرمة قال جاء حبي بن اخطب وكعب بن الاشرف الى اهل مكة فقالوا انتم اهل الكتاب واهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد فقالوا اما انتم وما محمد فقالوا نحن نصل الارحام ونهر الكوما ونسقي الماء على اللبن وثق العناة ونسقي الحبيج ومحمد صنوبر قطع ارحا منا واتبعه سراق الحبيج بنو غفار ف نحن خبرا م هو فقالوا بل انتم خبروا هدى سبيلا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله اولائك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا . وكذلك قال قتادة ذكرنا ان هذه الآية نزلت في كعب بن الاشرف وحبي بن اخطب رجلين من اليهود من بنى النضير لقيامهم في الموسم فقال لهم المشركون نحن اهدى ام محمد واصحابه فانا اهل السدانة واهل السقاية واهل الحرم فقالا انتم اهدى من محمد واصحابه وما يعلمان انها كاذبان انما حملها على ذلك حسد محمد واصحابه فانزل الله تعالى فيهم اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا . فلما رجا الى قومها قال لها قومها ان محمد ايزعما انه قد نزل فيكما كذا وكذا قالوا صدق والله ما حملنا على ذلك الا حسده وبفضه وهذا من رسلنا من وجهين مختلفين فيها ان كلا الرجلين ذهابا الى مكة وقالوا ما قالوا ثم انها قد ما فندب النبي صلى الله عليه وسلم الى قتل ابن الاشرف وامسك عن ابن اخطب حتى تقض بنو النضير العهد فاجلهم النبي صلى الله عليه وسلم فلحق بغير ثم جمع عليه الاحزاب فلما انهزموا دخل مع بنى قريظة حصنهم حتى قتله الله معهم فعلم ان الامر الذي اتياه بمكة لم يكن هو الموجب

للتدب الى قتل ابن الاشرف وانما هو ما اختص به ابن الاشرف من المجاهد ونحوه وان كان ما فعله بمكة مؤيدا عاصدا لكن مجرد الاذى لله ورسوله موجب للتدب الى قتله كما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله وكأبينه جابر في حديثه الوجه الثاني ان ابي اويس قال حدثني ابراهيم بن جعفر الحارثي عن ابيه عن جابر قال لما كان من امر النبي صلى الله عليه وسلم وبني قريظة كذا فيه واحسبه بنى قينقاع اعتزل كعب بن الاشرف ولحق بمكة وكان منها وقال ولا اعين عليه ولا اقاتله فقبل له بمكة اذ يتناخروا دين محمد واصحابه قال دينكم خير واعد من دين محمد ودين محمد حديث فهذا دليل على انه لم يظهر محاربهه الجواب الثاني ان جميع ما اتاه ابن الاشرف انما هو اذى باللسان فان مرثيته لقتل المشركين وتحضيضه وسبه وهجاء وطنه في دين الاسلام وتفضيل دين الكفار عليه كله قول باللسان ولم يعمل عملا فيه محاربة ومن نازعنا في سب النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه فهو في تفضيل دين الكفار وحضهم باللسان على قتل المسلمين اشد منازعة لان الذمي اذا تجسس لاهل الحرب واخبرهم بعورات المسلمين ودعا الكفار الى قتالهم انتقض عهده ايضا عندنا كما ينتقض عهد الساب ومن قال ان الساب لا ينتقض عهده فانه يقول لا ينتقض العهد بالتجسس للكفار ومطالعتهم باخبار المسلمين بطريق الاولى عندهم وهو مذهب ابي حنيفة والثوري والشافعي على خلاف بين اصحابه وابن الاشرف لم يوجد منه الا الاذى باللسان فقط فهو حجة على من نازع في هذه لمائل ونحن نقول ان ذلك كله نقض للعهد الجواب الثالث ان تفضيل

دين الكفار على دين المسلمين هو دون سب النبي صلى الله عليه وسلم بلا ريب
فان كون الشيء مفصولاً احسن حالاً من كونه مسبواً مشتوماً فان كان ذلك
ناقضاً للعهد فالسب بطريق الاولى واما مرثيته للقتلى وحضهم على اخذ ثأرهم
فاكثر ما فيه تهيج قريش على المحاربة وقريش كانوا قد اجمعوا على محاربة النبي
صلى الله عليه وسلم عقب بدر وارصدوا العير التي كان فيها ابوسفيانا للنفقة على
حزبه فلم يحتاجوا في ذلك الى كلام ابن الاشرف نعم مرثيته وتفضيله بما زادهم
غيطاً ومحاربة لكن سبه للنبي صلى الله عليه وسلم وهجاؤه له ولد به ايضا
مما يهيجهم على المحاربة ويفريهم به فعلم ان الهجاء فيه من الفساد ما في غيره
من الكلام وابلغ فاذا كان غيره من الكلام نقضاً فهو ان يكون نقضاً اولي
ولهذا اقل النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من النسوة اللواتي كن يشتمن ويهجونه
مع عفوه عنن كانت تعين عليه وتحض على قتاله الجواب الرابع ان ما ذكره
حجة لنا من وجوه آخر وذلك انه قد اشتهر عند اهل العلم من وجوه كثيرة
ان قوله تعالى الم ترالى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب نزلت في كعب بن الاشرف
بما قاله لقريش وقد اخبر الله سبحانه انه لعنه وان من لعنه فلن تجد له نصيراً
وذلك دليل على انه لا عهد له لانه لو كان له عهد لكان يجب نصره على المسلمين
فعلم ان مثل هذا الكلام يوجب انتقاض عهده وعدم ناصره فكيف
بما هو اغلظ منه من شتم وسب وانما لم يجعله النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم
بمجرد ذلك ناقضاً للعهد لانه لم يعلن بهذا الكلام ولم يجر به وانما اعلم الله
به رسوله وحياً كما تقدم في الاحاديث ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم

ليأخذ احد امن المسلمين والمعاهد بن الابذنب ظاهر فلما رجع الى المدينة
واعلن الهجاء والعداوة استحق ان يقتل لظهور اذاه وثبوته عند الناس نعم
من خيف منه الحياة فانه ينبذ اليه العهد اما اجراء حكم المحاربة عليه فلا يكون
حتى يظهر المحاربة ويثبت عليه . فان قيل . كعب بن الاشرف سب النبي صلى الله
عليه وسلم بالهجاء والشعر كلام موزون يحفظ ويروى وينشد بالاصوات والالحان
ويشتهر بين الناس وذلك له من التأثير في الاذى والصدع عن سبيل الله ما ليس للكلام
المشهور ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يامر حسان ان يهجوهم ويقول له وانكى
فيهم من النبل فيؤثر هجاءه فيهم اثر أعظيما يمتنعون به من اشياء لا يمتنعون عنها
لوسبوا بكلام مشهور اضعاف الشعر وايضاً فان كعب بن الاشرف وام الولد
المتقدمة تكرر منها سب النبي صلى الله عليه وسلم واذاه وكثر الشئ اذا كثر
واستمر صار له حال اخرى ليست له اذا انفرد وقد حكيت ان الحنفية يميزون
قتل من كثر منه مثل هذه الجريمة وان لم يميزوا قتل من لم ينكره . فاذ
مادل عليه الحديث يمكن المخالف ان يقول به . قلنا اولاً . ان هذا يفيدنا
ان السب في الجملة من الذمى مهد رلده . ناقض لعهد . ويبقى الكلام
في الناقض للعهد هل هو نوع خاص من السب وهو ما كثر او غلظ او مطلق
السب هذا نظر آخر فما كان مثل هذا السب وجب ان يقال انه مهد رلده
الذمى حتى لا يسوغ لاحد ان يخالف نص السنة فلوزعم زاعم ان
شيئاً من كلام الذمى واذاه لا يسبج دمه كان مخالفاً للسنة الصحيحة الصريحة خلافاً
لاعذرفيه لاحد . وقلنا ثانياً . لا ريب ان الجنس الموجب للعقوبة قد يتغلظ

بعض انواعه صفة او قدرا او صفة وقدرة الله ليس قتل واحد من الناس مثل
 قتل والد او ولد عالم صالح ولا ظلم بعض الناس مثل ظلم يتيم فقير بين ابوين
 صالحين وليست الجناية في الاوقات والاماكن والاحوال المشرفة كالحرم
 والاحرام والشهر الحرام كالجناية في غير ذلك وكذا لك مضت سنة الخلفاء
 الراشدين بتغليظ الديات اذا اتلف القتل باحد هذه الاسباب وقال
 النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل له اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله
 ندا وهو خلقك قبله ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يعطى معك قبلي له
 ثم اي قال ثم ان تزاني حليلة جارك ولا شك ان من قطع الطريق مرات متعددة
 وسفك دماء خلق من المسلمين وكثر منه اخذ الاموال كان جرمه اعظم
 من جرم من لم يقطعه الامرة واحدة ولا ريب ان من اكثر من سب
 النبي صلى الله عليه وسلم او نظم القصائد في سبه فان جرمه اغلظ من جرم
 من سبه بالكلمة الواحدة المنشورة بحيث يجب ان تكون اقامة الحد عليه
 او كدوا لا تنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب وان المقل لو كان اهلا لان
 يعفى عنه لم يكن هذا اهلا لئلا لك لكن هذا الحديث كغيره من الاحاديث يدل على
 ان جنس الاذى لله ورسوله ومطلق السب الظاهر مهد ردم القبيح ناقض لمهد
 وان كان بعض الاشخاص اغلظ جرما من بعض لتغلظ سبه نوعا او قدرا
 وذلك من وجوه احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لكعب
 ابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فجعل الله الندب الي قتله آذى الله
 ورسوله واذا الله ورسوله اسم مطلق ليس مقيدا بتوعد ولا بقدر رغب

ان يكون اذى الله ورسوله علة للالتداب الى قتل من فعل ذلك من ثمة
 وغيره وقليل السب وكثيره ومنظومه ومشوره اذى بلا ريب فيتعلق
 به الحكم وهو امر الله ورسوله بقتله ولو لم يرد هذا المعنى لقال من لك بقتله
 قد بالغ في اذى الله تعالى ورسوله او قد اكثر من اذى الله ورسوله او قد
 دأب على اذى الله ورسوله وهو صلى الله عليه وسلم الذي اوتي جوامع
 الكلم وهو الذي لا ينطق عن الهوى ولم يخرج من بين شفيعه صلى الله عليه وسلم
 الا حق في غضبه ورضاه • وكذلك قوله في الحديث الآخرا انه نال منا
 الاذى وهما نال بالشعر ولا يفعل هذا احد منكم الا كلن السيف ولم يقبده
 بالكثرة • الثاني • انه آذاه بهما المنظوم واليهودية بكلام مشور وكلاهما
 اهد رده فعله ان النظم ليس له تأثير في اصل الحكم اذ لم يخص ذلك للنظم
 والوصف اذ اثبت الحكم بدونه كان عدم التأثير فلا يعمل جزأ من العلة
 ولا يجوز ان يكون هذا من باب تعطيل الحكم بعلمين لان ذلك انما يكون
 اذا لم تكن احداهما من رتبة في الاخرى كالقتل والزنا ماذا الله رجت احداها
 في الاخرى فالوصف الاعم هو العلة والاختصاص عدم التأثير • الوجه الثالث •
 ان الجنس البهيح للدم لا فرق بين قليله وكثيره • وغلظه وخفيفه في كونه
 مبيحاً للدم سواء كان قولا او فعلا كالردة والزنا والماربة ونحو ذلك
 وهذا هو قياس الاصول فمن زعم ان من الاقوال او الافعال ما يبيح الدم
 اذا اكثر ولا يبيح مع القلة فقد خرج عن قياس الاصول وليس له ذلك الا بنص
 يكون اصلا بنفسه ولا نص يدل على اباحة القتل في الكثير دون القليل

وما ذهب اليه المنازع من جواز قتل من كثر منه القتل بالمثل والفاحشة
في الدبر دون القبل انما هو حكاية مذهب والكلام في الجميع واحد
ثم انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رخص رأس يهودى بين حجرين
لانه فعل ذلك بخارية من الانصار فقد قتل من قتل بالمثل خود امع انه
لم يتكر رمنه وقال في الذي يعمل عمل قوم لوط اقتلوا الفاعل والمفعول به
ولم يعتبر التكرار وكذلك اصحابه من بعده قتلوا فاعل ذلك امارجاً او حرقاً
او غير ذلك مع عدم التكرار. واذ كانت الاصول المنصوصة او المجمع عليها
مستوية في اباحة الدم بين المرة الواحدة والمرات المتعددة كان الفرق
بينهما في اباحة الدم اثبات حكمه بلا اصل ولا نظيره بل على خلاف
الاصول الكلية وذلك غير جائز. يوضع ذلك ان ما ينقض الايمان من
الاقوال يسئوى فيه واحد وكثيره وان لم يصرح بالكفر كما لو كفر
بآية واحدة او بفريضة ظاهرة او بسب الرسول مرة واحدة فانه كما صرح
بتكذيب الرسول وكذلك ما ينقض الايمان من الاقوال لو صرح به وقال قد نقضت
العهد و برئت من ذمتك انتقض عهدي بذلك وان لم يكرره فكذلك ما يستلزم
ذلك من السب واللعن في الدين ونحو ذلك لا يحتاج الى تكرير. الوجه الرابع
انه اذا اكثر من هذه الاقوال والافعال فاما ان يقتل لان جنسها مبيح
للم او لان المبيح قد رخصه فان كان الاول فهو المطلوب وان كان الثاني
فما حد ذلك المقدار للمبيح للدم وليس لاحد ان يحذف ذلك حد الابنص او اجماع
او قياس عند من يرى القياس في المقدرات والثلاثة منتفية في مثل هذا فانه ليس في

الاصول قول او فعل يبيع الدم منه عدد مخصوص فلا يبيحه اقل منه ولا يتعاض هذا
بالاقرار في الزنا فانه لا يثبت الا باربع مرات عند من يقول به والقتل بالقسامة فانه
لا يثبت الا بعد خمسين يمينا عند من يرى القود بها او رجما الملاعة فانه لا يثبت الا
بعد ان يشهد الزوج اربع مرات عند من يرى انها ترجم بشهادة الزوج اذ انككت
لان المبيع للدم ليس هو الاقرار ولا الايمان وانما المبيع فعل الزنا او فعل القتل وانما
الاقرار والايان حجة ودليل على ثبوت ذلك ونحن لم ننازع في ان الحجج الشرعية
لها نصب محدود وانما قلنا ان نفس القول او العمل المبيع للدم لا انصاب له في
الشرع وانما الحكم معلق بمخسه الوجه الخامس ان القتل عند كثرة هذه الاشياء
اما ان يكون حدا يجب فعله او تعزير ايرجع الى رأى الامام فان كان الاول فلا بد
من تحديدموجه ولا حمله الاتعليقه بالجنس اذ القول بما سوى ذلك تحكم وان
كان في الثاني فليس في الاصول تعزير بالقتل فلا يجوز اثباته الابدليل يخصه
والعمومات الواردة في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم الا
احدى ثلاث نددل على ذلك ايضا الوجه الثاني من الاستدلال به ان النفر
الخمس الذين قتلوه من المسلمين محمد بن مسلمة وابانايلة وعباد بن بشر والحارث بن
اوس واباعبس بن جبر قد اذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتلوه ويحذروه
بكلام يظهرن به انهم قد آمنوه ووافقوه ثم يقتلوه ومن المعلوم ان من اظهر الكفرا مانا
لم يحز قتله بعد ذلك لاجل الكفر بل لو اعتقد الكافر الحربى ان المسلم آمنه وكلمه على
ذلك صار مستأنا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عمرو بن الحنظل من آمن
رجلا على دمه وماله ثم قتله فانما منه بري وان كان المقتول كافرا رواه الامام احمد وابن

ماجة وعن سليمان بن صرد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ماتك الرجل على
دمه فلا تقتله رواه ابن ماجه وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الامان قيد الفتك لا يفتك مو من رواه ابو داود وغيره وقد زعم الخطابي انهم انما
فتكوا به لانه كان قد خلع الامان وتقض العهد قبل هذا وزعم ان مثل هذا جائز في
الكافر الذي لا عهد له كما جاز البيات والاغارة عليهم في اوقات الفرقة كمن يقال
هذا الكلام الذي كملوه به صار مستامنا وادفع احواله ان تكون له شبهة امان ومثل
ذلك لا يجوز قتله بمجرد الكفر فان الامان يعصم دم الحربي ويصير مستامنا باقل
من هذا كما هو معروف في مواضعه وانما قتلوه لاجل هجائه واذا الله ورسوله ومن
حل قتله بهذا الوجه لم يعصم دمه باه ان ولا عهد كالأمن المسلم من وجب قتله لاجل
قطع الطريق ومحاربة الله ورسوله والسعي في الارض بالفساد الموجب للقتل او آمن
من وجب قتله لاجل زناه او آمن من وجب قتله لاجل الردة او لاجل ترك اركان
الاسلام ونحو ذلك ولا يجوز له ان يعقده عقد عهد سواء كان عقدا امان او عقد
هدنة او عقد دمة لان قتله حرم من الحدود وليس قتله لمجرد كونه كافر آخر يا
كما سيأتي واما الاغارة والبيات فليس هناك قول ولا فعل صاروا به آمنين
ولا اعتقدوا انهم قد اومئوا بخلاف قصة كعب بن الاشرف ثبت ان اذى الله
ورسوله بالمجاء ونحوه لا يتحقق معه الدم بالاحاق فان لا يتحقق معه بالذمة
المؤبدة والهدنة الموقته بطريق الاولى فان الامان يجوز عقده لكل كافر
ويعقده كل مسلم ولا يشترط على المستامن شيء من الشروط والذمة لا يعقدها
الا الامام وانائبه ولا يعقده الا بشروط كثيرة تشترط على اهل الذمة من التزام

الصغار ونحوه وقد كانت عرضت لبعض السفهاء شبهة في قتل ابن
الاشرف فظن ان دم مثل هذا يصمم بدمه متقدمة او بظاهر امان وذلك
نظير الشبهة التي عرضت لبعض الفقهاء حتى ظن ان العهد لا ينتقض بذلك
فروى ابن وهب اخبرني سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد اخي سفيان
ابن سعيد الثوري عن ابيه عن عباية قال ذكر قتل ابن الاشرف عنده معاوية
فقال ابن يامين كان قتله غدا فقال محمد بن مسلمة يامعاوية ايغد ر عندك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا تنكروا الله لا يظلني واياك سقف بيت
ابدا ولا يخلولي دم هذا الاقتله وقال الواقدي حدثني ابراهيم بن جعفر
عن ابيه قال قال مروان بن الحكم وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضري
كيف كان قتل ابن الاشرف قال ابن يامين كان غدا ومحمد بن مسلمة جالس
شيخ كبير فقال يامروان ايغد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندك والله
ماقتلناه الا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يؤه ويني واياك سقف
بيت الا المسجد واما انت يا ابن يامين فله علي ان افلت وقد رت عليك
وفي يدي سيف الا ضربت به رأسك فكان ابن يامين لا ينزل من بني قريظة
حتى يبعث له رسولا ينظر محمد بن مسلمة فان كان في بعض ضياعه نزل ففضي
حاجنه ثم صدر والام ينزل فيينا محمد في جنازة وابن يامين في البقيع فرأى محمدا
يفشي عليه جرائد يظنه لا يراه فما جله فقام اليه الناس فقال يا ابا عبد الرحمن
ما تصنع نحن نكفيك فقام اليه فلم يزل يضربه جريدة جريدة حتى كسر
ذلك الجريد على وجهه ورأسه حتى لم يترك به مصحاثم ارسله ولا طباخ به

ثم قال والله لو قدرت على السيف لضربتك به . فان قيل . فاذا كان هو
وبنو النضير قبيلته مواد عين فاما معنى ما ذكره ابن اسحق قال حدثني مولى
ازيد بن ثابت حدثني ابنة محبصة عن ايها محبصة انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محبصة بن مسعود
على ابن سنيته رجل من تجار يهود كان يلا بسهمو ييا يعهم فقتله وكان حويصة
ابن مسعود اذذاك لم يسلم وكان اسن من محبصة فلما قتله جعل حويصة يضربه
ويقول اى عدو الله قتلتاه اما والله لرب شحم في بطنك من ماله فوالله ان كان
لاول اسلام حويصة فقال محبصة فقلت له والله لقد امرني بقتله من لوا مرني
بقتلك لضربت عنقك فقال حويصة والله ان ديتا باغ منك هذا العجب . وقال
الواقدي بالا سانيد المقدمة قلوا فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الليلة التي قتل فيها ابن الاشرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت يهود فلم يطاع عظيم من عظامهم
ولم ينطلقوا وخافوا ان يبيتوا كما بيت ابن الاشرف وذكروا قتل ابن سنيته
الى ان قال وفزع يهود ومن معهما من المشركين وساق القصة كما تقدم عنه فان
هذا يدل على انهم لم يكونوا مواد عين والامام امر بقتل من صودف منهم ويدل
هذا على ان العهد الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين اليهود كان بعد قتل
ابن الاشرف وحينئذ فلا يكون ابن الاشرف معا هذا . قلنا . انما امر النبي
صلى الله عليه وسلم بقتل من ظفر به منهم لان كعب بن الاشرف كان من
ساداتهم وقد تقدم انه قال ما عندكم يعني في النبي صلى الله عليه وسلم قلوا

عداؤه ما حينئذ كانوا ائمة خارج المدينة فعظم عليهم قتله وكان مما يوجبهم
على الحاربة واظهار نقض العهد انتصارهم للقتول وذبحهم عنه وامان قرفه
مقيم على عهده المتقدم لانه لم يظهر العداوة ولهذا لم يحاصروهم النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يحاربهم حتى اظهر واعدائه بعد ذلك واما هذا الكتاب
فهو شئ ذكره الواقدي وحده وقد ذكر هو ايضا ان قتل ابن الاشرف
في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وان غزوة بني قينقاع كانت قبل ذلك في
شوال سنة اثنتين بعد بدري نحو شهر وذكر ان الكتاب الذي وادع فيه
النبي صلى الله عليه وسلم اليهود كلها كان لما قدم المدينة قبل بدري وعلى هذا
فيكون هذا كتابا ثانيا خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه العهد الذي بينه وبينهم
غير الكتاب الاول الذي كتبه يثيوب بن جميع اليهود لاجل ما كانوا اعداء وادوا
من اظهار العداوة وقد تقدم ان ابن الاشرف كان معا هذا وتقدم
ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الكتاب لما قدم المدينة في اوائل
الامر والقصة تدل على ذلك والاما جاء اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
وشكروا اليه قتل صاحبهم ولو كانوا محاربين لم يستنكروا قتله وكلمهم ذكر ان
قتل ابن الاشرف كان بعد بدري وان معا هذه النبي صلى الله عليه وسلم كانت
قبل بدري كما ذكره الواقدي قال ابن اسحق وكان فيما بين ذلك من غزوة
النبي صلى الله عليه وسلم امر بني قينقاع يعني فيما بين بدري وغزوة الفرع من العام
المقبل في جمادى الاولى وقد ذكر ان بني قينقاع هم اول من حارب ونقض العهد
الحديث الرابع ما روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه

حكاية رجل اعطى لاني بكر الله بقى رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب نبيا قتل ومن سب اصحابه
جلده • رواه ابو محمد الحلال و ابو القاسم الارجى و رواه ابو ذر الهروى
ولفظه من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاجلده • وهذا الحديث
قد رواه عبد العزيز بن الحسن بن زبالة قال ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر
عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن
الحسين بن علي عن ابيه وفي القلب منه حرازة فان هذا الاسناد الشريف قد ركب
عليه متون نكرة والمحدث به عن اهل البيت ضعيف فان كان محفوظا فهو دليل
على وجوب قتل من سب نبيا من الانبياء وظاهره يدل على انه يقتل من غير استئابة
وان القتل حمله •

الحديث الخامس ❦ ما روى عبد الله بن قدامة عن ابي برزة قال اغلظ
رجل لابي بكر الصديق فقلت اقتله فانتهرني وقال ليس هذا لاحد بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم • رواه النسائي من حديث شعبة
عن توبة الغنبري عنه • وفي رواية لابي بكر عبد العزيز بن جعفر الفقيه
عن ابي برزة ان رجلا شتم ابا بكر فقلت يا خليفة رسول الله الا ضرب عنقه
فقال ويحك او يملك ما كانت لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم • رواه
ابوداود في سننه باسناد صحيح عن عبد الله بن مطرف عن ابي برزة قال كنت
عند ابي بكر رضى الله عنه فتقيظ على رجل فاشتد عليه فقلت ائذن لي يا خليفة
رسول الله اضرب عنقه قال فاذهبت كلمتي غضبه فقام فدخل فارسل الي
فقال الذي قلت انما قلت ائذن لي اضرب عنقه قال ائذن لي فاعلاوا امرتك

قال نعم قال لا والله ما كانت لبشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابوداود في مسأله سمعت ابا عبد الله يسأل عن حديث ابي بكر ما كانت
لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن لا بي بكر ان يقتل
رجلا الا باحدى ثلاث وفي رواية باحدى الثلاث التي قالها رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير نفس
والنبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يقتل • وقد استدل به على جواز قتل
ساب النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من العلماء منهم ابوداود واسماعيل بن اسحاق
القاضي وابوبكر عبدالعزيز والقاضي ابو يعلى وغيرهم من العلماء وذلك لان
ابا برزة لما رأى الرجل قد شتم ابا بكر واغلظ له حتى نغيظ ابوبكر استاذنه
في ان يقتله بذلك واخبره انه لو امره لقتله فقال ابوبكر ليس هذا احد
بعد النبي صلى الله عليه وسلم فلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يقتل
من سبه ومن اغلظ له وان له ان يأمر بقتل من لا يعلم الناس منه شيئا يبيع
دمه وعلى الناس ان يطيعوه في ذلك لانه لا يأمر الا بما امر الله به ولا يأمر
بمعصية الله قط بل من اطاعه فقد اطاع الله فقد نضمن الحديث خصيصتين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم احداهما انه يطاع في كل من امر بقتله
• والثانية • ان له ان يقتل من شتمه واغلظ له وهذا المعنى الثاني الذي كان
له باق في حقه بعد موته فكل من شتمه واغلظ في حقه كان قتله جائزا بل
ذلك بعد موته او كد واو كد لان حرمة بعد موته اكل والتساهل في
عرضه بعد موته غير ممكن وهذا الحديث يفيد ان سبه في الجملة يبيع القتل ويستدل

✽ حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته او كد واكل ✽

بهمومه على قتل الكافر والمسلم .

في الحديث السادس في قصة العصماء بنت مروان مروي عن ابن عباس قال هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يشطع فيها عزان ميو قد ذكر بعض اصحاب المغازي وغيرهم قصتها مبسوطه . قال الواقدي حدثني عبد الله بن الحارث بن القليل عن ابيه ان عصماء بنت مروان من بنى امية بن زيد كانت تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي وكانت تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتعيب الاسلام وتحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وقالت .

فباست بنى مالك والنيت . وعوف وباست بنى الحزرج
اطعتم انا وى من غيركم . غلامين مراد ولا مذحج
ترجون به بعد قتل الرؤس . كما ترتجى مرق المنضج
وقال عمير بن عدي الخطمي حين بلغه قولها وتحريضها اللهم ان لك غلي تذرا
لان رددت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة لا تقتلنها ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يدر فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاء عمير بن عدي في
جوف الليل حتى دخل عليه في بيتها وجعلها تنفر من ولدها ثيام منهم من ترصعه في
صدورها تحسبها يده فوجد الصبي ترصعه ففجأ عنها ثم وضع بيته على صدرها حتى
لنفذه من ظهرها ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف النبي
صلى الله عليه وسلم نظر الى عمير فقال اقتلت بنت مروان قال نعم يا بني انت يا رسول الله

قصة قتل امرأة من بنى خطمة هجت النبي صلى الله عليه وسلم

وخشى عمران يكون افتات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلها فقال هل علي
في ذلك شيء يا رسول الله قال لا ينتطح فيها عزان فان لول ما سمعت هذه الكلمة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمير فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى من
حوله فقال اذا حبستم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير
ابن عدى فقال عمر بن الخطاب انظروا الى هذا الاعمى الذى تسري في طاعة الله
فقال لا تقل الاعمى ولكنه البصير فلما رجع عمير من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجد بنيها في جماعة يدفنونها فاقبلوا اليه حين رأوه مقبلا من المدينة فقالوا يا عمير
انت قتلها فقال نعم فكيد وفي جميعا ثم لا تنظرون والذى تقسى يده لو قلتم باجمعكم
ما قالت لضربكم بسيفي هذا حتى اموتوا فقلتم في يومئذ ظهر الاسلام في بني خثمة
وكان منهم رجال يستخفون بالاسلام خوفا من قومهم فقال حسان بن ثابت يمدح
عمير بن عدى قال الواقدي انشدنا عبد الله بن الحارث

بنى وائل وبني واقف • وخطمة دون بني الحزرج
متى ما دعت اختكم وبجها • بعولتها والنساء يا تجي
فهزت فتى لمجد اعرقه • كزيم المداخل والمخرج
فضر جها من تجميع الدما • قيل الصلاح ولم تخرج
فاورده الله بالجنات • جذلان في نعمه المولج

قال عبد الله بن الحارث عن ابيه وكان قتلها بخمس ليال يقين من رمضان مرجع
النبي صلى الله عليه وسلم من يدر • وروى هذه القصة اخضر من هذا
ابو احمد السكري ثم قال كانت هذه المرأة تهجو النبي صلى الله عليه وسلم

وتؤذيه وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم العزلان العزثام المنزهم
 تفارقها وليس كسطاح الكباش وغيرها وذكر هذه القصة مختصرة محمد بن
 سعد في الطبقات وقال ابو عبيد في الاموال وكذا كانت قصة عصماء
 اليهودية انما قتل شتمها النبي صلى الله عليه وسلم وهذه المرأة ليست هي
 التي قتلها سيداها الاعمى ولا اليهودية التي قتل لان هذه المرأة من بني
 امية بن زيد احد بطون الانصار ولها زوج من بني خثمة ولهذا والله اعلم
 نسبت في حديث ابن عباس الى بني خثمة والقاتل لها غير زوجها وكان لها بنون
 كبار وصغار نعم كان القاتل من قبيلة زوجها كما في الحديث وقال محمد بن اسحاق
 اقام مصعب بن عمير عند سعد بن زرارة يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار
 من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني امية بن زيد
 وخثمة ووائل وواقف وتلك اوس الله وهم من الاوس بن حارثة وذلك انه كان
 فيهم ابوقيس بن الاسلت كان شاعرا يسمعون منه ويعظمونه فهذا الذي ذكره
 ابن اسحاق يصدق ما رواه الواقدي من تاخر ظهور الاسلام ببني خثمة والشعر
 الماثور عن حسان يوافق ذلك وانما سقنا القصة من رواية اهل المغازي مع ما في
 الواقدي من الضعف لشهرة هذه القصة عندهم مع انه لا يختلف اثنان ان
 الواقدي من اعلم الناس بتفاصيل امور المغازي واخبر باحوالها وقد كان الشافعي
 واحمد وغيرهما يستفيدون علم ذلك من كتبه نعم هذا الباب يدخله خلط الروايات
 بعضها ببعض حتى يظهر انه سمع مجموع القصة من شيوخه وانما سمع من كل واحد
 بعضها ولم يميزه ويدخله اخذ ذلك من الحديث المرسل والمقطوع

وربما حدس الراوى بعض الامور لقرائن استفادها من عدة جهات
ويكثر من ذلك اكثار ينسب لاجله الى المجازفة فى الرواية وعدم الضبط
فلم يمكن الاحتجاج بما ينفرد به فاما الاستشهاد بمحدثه والاعتضاد به فما لا يمكن
التمارعة فيه لاسيما فى قصة قامة يخبر فيها باسم القاتل والمقتول وصورة
الحال فان الرجل وامثاله افضل ممن ارتفعوا فى مثل هذا فى كذب ووضع
على اننا لم نثبت قتل الساب بمجرد هذا الحديث وانما ذكرناه للتقوية
والتوكيد وهذا مما يحصل ممن هو دون الواقدي * ووجه الدلالة ان هذه
المرأة لم تقتل الا لمجرد اذى النبي صلى الله عليه وسلم وهجوه وهذا بين
فى قول ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من لى بها فعلم انما ندب اليها لاجل هجوها وكذلك فى الحديث الآخر فقال
عمر حين بلغه قولها وتحرىضا اللهم ان لك علي نذرا لان رددت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة لا قتلنا وفي الحديث لما قال له قومه انت
قتلتها فقال نعم فكيد وفي جميعا ثم لا تنظرون فوالذى نفسى بيده لو قتلتم
جميعا ما قالت لضربتكم بسيفي حتى اموت او اقتلكم فهذه مقدمة ومقدمة
اخرى ان شعر هاليس فيه تحريض على قتال النبي صلى الله عليه وسلم حتى
يقال التحريض على القتال قتال وانما فيه تحريض على ترك دينه وذم له
ولمن اتبعه واقصى غاية ذلك ان لا بدخل في الاسلام من لم يكن دخل
او ان يخرج عنه من دخل فيه وهذا شأن كل ساب * يبين ذلك انها هجته
بالمدينة وقد اسلم اكثر قبائلها وصار المسلم بها اعز من الكافر ومعلوم ان

السبب في مثل هذه الحال لا يقصد ان يقاتل الرسول واصحابه وانما يقصد اغاظتهم وان لا يتابعوا وايضا فانهم لم تكن تطعم في التحريض على القتال فانه لا خلاف بين اهل العلم بالسيرة ان جميع قبائل الاوس والخزرج لم يكن فيهم من يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم يدا ولا لسان ولا كان احد بالمدينة يتمكن من اظهار ذلك وانما غاية الكفار والمنافق منهم ان يشبط الناس عن اتباعه او ان يعين على رجوعه من المدينة الى مكة ونحو ذلك مما فيه تحذيل عنه وحض على الكفر به لا على قتاله على ان الهجاء ان كان من نوع التمثال فيجب انتفاض المهد به ويقتل به الذي فانه اذا قاتل انتقض عهده لان العهد اقتضى الكف عن القتال فاذا قاتل يدا او لسان فقد فعل ما يناقض المهد وليس بعد القتال غاية في نكث العهد اذ اتين ذلك فمن المعلوم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم المظاهر علمه عند كل من له علم بالسيرة انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يحارب احد من اهل المدينة بل وادعهم حتى اليهود خصوصاً بطون الاوس والخزرج فانه كان يسالمهم ويتألفهم بكل وجه وكان الناس اذ قدمها على طبقات منهم المؤمنون وهم الاكثرون ومنهم الباقي على دينه وهو متروك لا يحارب ولا يحارب وهو المؤمنون من قبيلته وحلفائهم اهل سلم لا اهل حرب حتى حلفاء الانصار اقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على حلفهم قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فيها دار من دور الانصار الا فيها رهط من المسلمين الابني خطمة وبني واقف

وبنى واثل كانوا آخر الانصار اسلاماً و حول المدينة حلفاء الانصار كانوا
 يستظهرون بهم في حربهم فلم يرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا حلف
 حلفائهم للحرب التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين من عادى
 الاسلام. وكذا لك قال الواقدي في أخباره عن يزيد بن رومان وابن كعب
 ابن مالك عن جابر بن عبد الله في قصة كعب بن الاشرف قال فكان الذي
 اجتمعوا عليه قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها
 اخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة الاسلام فيهم اهل الحلقة والحصون
 ومنهم حلفاء للذين جئنا الاوس والخزرج فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم وموادعتهم وكان الرجل يكون مسلماً
 وابوه مشركاً والمعلوم ان قبائل الاوس كانوا احلفاء بعضهم لبعض فاذا كان
 النبي صلى الله عليه وسلم قد اقرهم كانت هذه المرأة من المعاهد بن وكان فيهم
 المظهر للاسلام المبطن للخلافة يقول بلسانه ما ليس في قلبه وكان الاسلام والايمان
 يفسو في بطون الانصار بطناً بعد بطن حتى لم يبق فيهم مظهر للكفر بل صاروا
 اماماً منالو منافقاً وكان من لم يسلم منهم بمنزلة اليهود موادع مهادن وهو احسن
 حالاً من اليهود لما يرى فيه من العصية لقومهم وان يهودى هو اعم ولا يرى ان
 يخرج عن جماعتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملهم من الكف عنهم واحتمال
 اذ اعم باكثر مما يعامل به اليهود لما كان ير جوه منهم ويخاف من تغير قلوبهم من اظهر
 الاسلام من قبائلهم لو وقع بهم وهو في ذلك متبع قوله تعالى لتبطلوا في اموالكم
 وانفسكم ولتسمع من الذين اتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركو اذى

كثير وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ثم انه مع هذا اندب للناس
 الى قتل المرأة التي هبته وقال فيمن قتلها اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نضر الله
 ورسوله بالغيب فانظروا الى هذا فثبت بذلك ان هجاءه وذمه موجب
 للقتل غير الكفر وثبت ان الساب يجب قتله وان كان من الحلفاء والمعاهدين
 ويقتل في الحال التي يحق فيها دم من ساواه في غير السب لاسيما ولو لم تكن
 معاهدة فقتل المرأة لا يجوز الا ان تقا تل لانه صلى الله عليه وسلم رأى
 امرأة في بعض مغازيه مقتولة فقال ما كانت هذه لتقاتل ونهى عن قتل
 النساء والصبيان ثم انه امر بقتل هذه المرأة ولم تقاتل بيد هافلو لم يكن السب
 موجبا للقتل لم يميز قتلها لان قتل المرأة لمجرد الكفر لا يجوز ولا نعلم قتل المرأة
 الكافرة المسكنة عن القتال ابيح في وقت من الاوقات بل القرآن وترتيب
 نزوله دلل على انه لم يبيح قط لان اول آية نزلت في القتال اذن للذين يقاتلون
 بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم والآية
 فاباح للمؤمنين القتال دفعا عن نفوسهم وعقوبة لمن اخرجهم من ديارهم
 ومنعهم من توحيد الله وعبادته وليس للنساء في ذلك حظ . ثم انه كتب
 عليهم القتال مطلقا وفسره بقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم الآية
 فمن ليس من اهل القتال لم يؤذن في قتاله والنساء لسن من اهل القتال
 فاذا كان قد امر بقتل هذه المرأة فاما ان يقال هجاؤها قتال فهذا ينبغي ان
 هجاء الذي قتال فينتقض العهد ويبيح الدم او يقال ليس بقتال وهو الاظهر
 لما قد مناه من انه لم يكن فيه تحريض على القتال ولا كان له رأى في الحرب

فيكون

فيكون السب جنابة مضرّة بالمسلمين غير القتال موجبة للقتل بمنزلة قطع الطريق عليهم ونحو ذلك يفيد ان السب موجب للقتل بوجوه واحدها انه لو لم يكن موجبا للقتل لما جاز قتل المرأة وان كانت حرة لان الحرية اذ لم تقا بل يد ولا لسان لم يميز قتلها الا بجنابة موجبة للقتل وهذا ما احسب فيه مخالفا لاسيما عند من يرى قتالها بمنزلة قتال الصائل . الثاني . ان هذه المسألة كانت من المعاهد بين من هو احسن حالا من المعاهدين في ذلك الوقت فلوم يكن السب موجبا لدما قتلها ولما جاز قتلها ولهذا خاف الذي قتلها ان تتولد فتنة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينشط فيها عزان مع ان انطاحا انما هو كالشامفين صلى الله عليه وسلم انه لا يتحرك لذلك قليل من الفتن ولا كثير رحمة من الله بالؤمنين ونصر الرسول ودينه فلوم يكن هناك ما يجذر معه قتل هذه لولا الهجاء لما خيف هذا . الثالث . ان الحديث مصرح بانها انما قتلت لاجل ما ذكرته من الهجاء وان سائر قومها تركوا اذ لم يهجووا وانهم لو هجوا الفعل بهم كما فعل بها فظهر بذلك ان الهجاء موجب بنفسه للقتل سواء كان الهاجي حرييا او مسلما او معاهدا حتى يجوز ان يقتل لاجله من لا يقتله بدونه وان كان الحربي المقاتل يجوز قتله من وجه آخر وذلك في المسلم ظاهره وامافي المعاهد فلان الهجاء اذا اباح دم المرأة فهو كالتعال او اسوأ حالا من القتال . الرابع . ان المسلمين كانوا ممنوعين قبل الهجرة وفي اوائل الهجرة من الابتداء بالقتال وكان قتل الكفار حينئذ محرما وهو من قتل النفس بغير حق كما قال تعالى الم تر الى

لذين قيل لهم كفوا ايديكم الى قوله فلما كتب عليهم القتال • ولذا الول
ما نزل من القرآن فيه نزل بالاباحة لقوله اذن للذين يقاتلون • وهذا من
العلم العام بين اهل المعرفة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى على
احد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان قبل الهجرة • بعيدا ممنوعا عن
الابتداء بالقتل والقتال ولذا اقال للانصار الذين بايعوه ليلة العقبة لما استاذنوه
في ان يميلوا على اهل منى انه لم يؤذن له في القتال وذلك حينئذ بمنزلة الانبياء
الذين لم يؤمروا بالقتال كنوح وهود وصالح و ابراهيم وعيسى بل كناكثر
الانبياء غير انبياء بني اسرائيل ثم انه لم يقاتل احدا من اهل المدينة ولم يامر بقتل احد
من رؤسهم الذين كانوا يجمعونهم على الكفر ولا من غيرهم والآيات التي
نزلت اذ ذاك اتما تأمر بقتال الذين اخرجوهم وقتلواهم ونحو ذلك وظاهر
هذا انه لم يؤذن لهم اذ ذاك في ابتداء قتل الكافرين من اهل المدينة فان
دوام امساكهم عنهم يدل على استحبابه او وجوبه وهو في الوجوب اظهر لما ذكرنا
لان الامساك كان واجبا والمعتبر لحاله لم يشمل اهل المدينة فيبقى على الوجوب
المتقدم مع قعله صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عقبة عن الزهري كانت سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدوه قبل ان تنزل براءة يقاتل من قاتله ومن كف
يده وعاهده كف عنه قال الله تعالى فان اعتزلوكم ولم يقاتلواكم والقوا اليكم السلم
فما جعل الله لكم عليهم سيلا • وكان القرآن ينسخ بعضه بعضا فاذا نزلت آية نسخت
التي قبلها وعمل باتي انزلت وبلغت الاولى منتهى العمل بها وكان ما قدم عمل بها
قبل ذلك طاعة لله حتى نزلت براءة واذا امر بقتل هذه المرأة التي هجت ولم يؤذن

له في قتل قبيلته الكافر بن علم ان السب موجب للقتل وان كان هناك ما يمنع القتال لولا السب كالعهد والانوثة ومنع قتل الكافر المسك او عدم اباحتها وهذا وجه حسن دقيق فان الاصل ان دم الآدمي معصوم لا يقتل الا بالحق وليس القتل للكفر من الامر الذي انفقت عليه الشرائع ولا اوقلت الشريعة الواحدة كالقتل قودافانه مما لا تختلف فيه الشرائع ولا العقول وكان دم الكافر في اول الاسلام معصوماً بالعصمة الاصلية وجمع الله المؤمنين من قتله ودماءه هو لاه القوم كدم القبطي الذي قتله موسى وكدم الكافر الذي لم تبلغه الدعوة في زماننا واحسن حالا من ذلك وقد عدم موسى ذلك ذنباً في الدنيا والآخرة مع ان قتله كان خطأ شبه عمد او خطأ محضاً ولم يكن عمداً محضاً فظاهر سيرة نبينا وظاهر ملاذنه فيه ان حال اهل المدينة اذ ذاك ممن لم يسلم كانت كهذه الحال فاذا قتل المرأة التي هجت من هو لاه وليسوا عنده مخاريين بحيث يجوز قتلهم مطلقاً كان قتل المرأة التي تهجوه من اهل الذمة بهذه المثابة واولى لان هذه قد عاهدناها على ان لا تسب وعلی ان تكون صاغرة وثلث لم تعاهدنا على شيء.

الحديث السابع قصة ابي علفك اليهودي ذكره اهل المغازي والسير قال الواقدي ثاشعبة بن محمد عن عمارة بن غزيرة وحدثنا ابو مصعب اسمعيل بن مصعب بن اسمعيل بن زيد بن ثابت عن اشياخه قالوا ان شيخاً من بني عمرو بن عوف يقال له ابو علفك وكان شيخاً كبيراً قد بلغ عشر بن ومائة سنة حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان يجرس على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في الاسلام فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدو ظفروا الشبا ظفروا فحسده

قصة قتل ابي علفك اليهودي لجهاد النبي صلى الله عليه وسلم

وبني فقال وذكر قصيدة تتضمن هجو النبي صلى الله عليه وسلم وذم من اتبعه اعظم ما فيها قوله •

فيسلمهم امرهم راكب • حراما حلالا لشتي معا

قال سالم بن عمير علي نذر ان اقتل ابوعفك واموت دونه فامهل فطلب له غرة حتى كانت ليلة صائفة فنام ابوعفك بالفناء في الصيف في بني عمرو بن عوف فاقبل سالم بن عمير فوضع السيف على كبده حتى خش في القراش وصاح عدوا فقتل اليه اناس ممن هم على قوله فادخلوه منزله وقبروه وقالوا من قتله والله لو تعلم من قتلنا لقتلناه • وبه ذكر محمد بن سعد انه كان يهوديا وقد ذكرنا ان يهود المدينة كلهم كانوا قدامه واثم انه لما هجا وظهر الذم قتل • قال الواقدي عن ابن رقيش قتل ابوعفك في شوال على رأس عشرين شهرا وهذا قد يم قبل قتل ابن الاشرف وهذا فيه دلالة واضحة على ان المعاهد اذ اظهر السب ينقض عهده ويقتل غيلة لكن هو من رواية اهل المغازي وهو يصلح ان يكون موهيد اموه كد ابلاترد •

❦ الحديث الثامن ❦ حديث انس بن زينم الدثلي وهو مشهور عند اهل السيرة كره ابن اسحق والواقدي وغيرهما • قال الواقدي حدثني عبد الله بن عمرو بن زهير عن معجب بن وهب قال كان آخر ما كان بين خزاعة وبين كنانة ان انس بن زينم الدثلي هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجبه فخرج الى قومه فارأهم شجبه فثاروا فشرعوا ما كان بينهم وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائهم قال الواقدي حدثني حرام بن هشام بن خالد

❦ قصة هجاء النبي صلى الله عليه وسلم ❦

الكعبي عن ابيه قال وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في اربعين راكباً من خزاعة يستنصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بالذي اصابهم وذكر قصة فيها انشاد القصيدة التي اولها • لا هم اني ناشد محمداً • قال فلما فرغ الركب قالوا يا رسول الله ان انس بن زعيم الدثلي قد هجأك فهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فبايع ذلك انس بن زعيم الدثلي فقدم معتذراً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما بلغه عنه فقال وذكر قصيدة فيها مدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولها •

انت الذي تهدي معد بامر • • بل الله يهديها وقال لك اشهد
فما حلت من ناقة فوق رحلها • • ابروا وفي ذمة من محمد
تعلم رسول الله انك مدركي • • وان وعيد امك كالاخذ باليد
تعلم رسول الله انك قادر • • على كل سكن من تهام ومنجد
ونبي رسول الله اني هجوته • • فلا رفعت سوطي الي اذ ايدى
سوى انني قد قلت يا ويح فتية • • اصبوا النخس يوم طلق واسعد
• ويقول فيها •

فاني لاعرضاً خرفت ولادماً • • هرقت ففكر عالم الحق واقصد
قال الواقدي انشدها حرام وبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته هذه واعتذاره وكلمه نوفل بن معاوية الدثلي فقال يا رسول الله انت اولى الناس بالعفو ومن من الميعادك ولم يؤذك ونحن في جاهلية لاندري ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك واتخذنا بك من الهلك وقد كذب عليه

الركب واكثر واعندك فقال دع الركب عنك فانالم نجد بتهامة احد امن
ذى رحم قريب ولا بعدد كان ابر من خزاعة فاسكت نوفل بن معاوية
فلما سكت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنه قال نوفل فد اك
ابى وامى . وقال ابن اسحاق وقال انس بن زعيم يعتذ الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستنصره ويدكر انهم قد نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشدتلك
القصيدة وفيها *

وتعلم ان الركب ركب عويمر * هم الكاذبون المخلفوا كل موعد
فوجه الله لالة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد صالح قريشاً وها د منهم
عام الحديبية عشرين وود خلت خزاعة فى عقد . وكان اكثرهم مسلمين
وكانوا عبة نصيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم وود خلت
بنوبكر فى عهد قريش فصار هو لاء كلهم معاھدين وهذا ما تواتر به النقل
ولم يختلف فيه اهل العلم ثم ان هذا الرجل المتعاھد هجا النبي صلى الله عليه وسلم
على ما قبل عنه فشجبه بعض خزاعة ثم اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم انه هجا
يقصدون بذلك اغراءه ببنى بكر فند رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه
اى اهدره ولم يند ردم غيره فلو لاناھم علموا ان هجا النبي صلى الله عليه
وسلم من المتعاھد مما يوجب الانتقام منه لم يفعلوا ذلك * ثم ان النبي صلى الله
عليه وسلم ند ردمه لذلك مع ان هجاھ كان حال العهد وهذا نص فى ان
المتعاھد الهاجى يباح دمه . ثم انه لما قدم اسلم فى شعره ولهذا عدوه من

اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعلم رسول الله تعلم رسول الله ونبي رسول الله دليل على انه اسلم قبل ذلك او هذا وحده اسلام منه فان الوثني اذا قال محمد رسول الله حكم باسلامه ومع هذا فقد انكر ان يكون هجا النبي صلى الله عليه وسلم ورد شهادة اولئك بانهم اعداء له لما بين القبيلتين من الدماء والحرب فلولم يكن ما فعله مبيحا لدمه لما احتاج الى شيء من ذلك ثم انه بعد اسلامه واعتذاره وتكذيب المخبرين ومدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما طلب العفو من النبي صلى الله عليه وسلم عن اهدار دمه والعفو انما يكون مع جواز العقوبة على الذنب فعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يعاقبه بعد مجيئه مسلما معتذرا وانما عفا عنه حلما وكرما ثم ان في الحديث ان نوفل بن معاوية هو الذي شفع له الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر عامة اهل السير ان نوفلا هذا هو رأس المتكبرين الذين عدوا على خزاعة وقتلوه واعانتهم قريش على ذلك وبسبب ذلك انتقض عهد قريش وبني بكر ثم انه اسلم قبل الفتح حتى صار يشفع في الذي هجا النبي صلى الله عليه وسلم فعلم ان الهجاء اغلظ من نقض العهد بالقتال بحيث اذا انتقض قوم العهد بالقتال وآخر هجا ثم اسلم اعصم دم الذي قاتل وجاز الانتقام من الهاجي ولهذا قرن هذا الرجل خرق العرض بسفك الدم فعلم ان كلاهما موجب للقتل وان خرق عرضه كان اعظم عندهم من سفك دماء المسلمين والمعاهدين * ومما يوضح هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يهدد احد من بني بكر الناقضين للعهد بعينه وانما مكن

منهم بنى خزاعة يوم الفتح اكثر النهار واهد رد م هذا بعينه حتى اسلم
واعتذر هذا مع ان العهد كان عهد هدنة ومواد عقول لم يكن عهد جزية
وذمة والمهادن المقيم ببلده يظهر ببلده ماشاء من منكرات الاقوال
والافعال المتعلقة بدينه ودينه ولا يتنقض بذلك عهد حتى يجارب
فعلم ان الهجاء من جنس الحرب واغلظ منه وان الهاجى لا ذمة له
الحديث التاسع قصة ابن ابي سرح وهي مما اتفق عليه اهل العلم
واستفاضت عندهم استفاضة تسفى عن رواية الاحاد كذلك وذلك
اثبت واقرى مما رواه الواحد العدل فنذكرها مشروحة ليتبين وجه
الدلالة منها عن مصعب بن سعد عن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم
فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن ابي سرح عند عثمان بن عفان فجاء به
حتى اوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع
رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه
فقال اما كانت فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رآني كففت
يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا اومات
الينا بعينك قال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين رواه ابو داود
باسناد صحيح ورواه النسائي كذلك ابسط من هذا عن سعد قال لما كان
يوم فتح مكة آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وقال
اقتلوه وان وجدتموهم متعلقين باسنان الكعبة عكرمة بن ابي جهل وعبد الله
ابن خطل ومقيس بن صبابه وعبد الله بن سعد بن ابي سرح فاما

قصة ابن ابي سرح

عبد الله بن خطل • فادرك وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق اليه سعيد
ابن حارث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا وكان اشب الرجلين فقتله
• واما مقبس بن صبابه • فادركه الناس في السوق فقتلوه • واما عكرمة •
فركب البحر فاصابتهم عاصف فقال اصحاب السفينة اخلصوا فان اهلكم لا تنق
عنكم شيئا هنا فقال عكرمة والله لئن لم ينجنى في البحر الا خلاص لا ينجنى
في البر غيره اللهم لك علي عهد ان انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا حتى
اضع يدي في يده ولا جده غفوا كريما فجاء واسلم • واما عبد الله بن سعد بن
ابي سرح • فانه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما د عار سول الله صلى الله عليه
وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر
الباقى كما رواه ابو داود • وعن عبد الله بن عباس قال كان عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزاله الشيطان فلحق
بالكفار فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتل يوم الفتح فاستجار له
عثمان فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود • وروى محمد بن
سعد في الطبقات عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر بقتل ابن ابي سرح يوم الفتح وفرتنى (١) وابن الزبير
وابن خطل فانه ابوردة وهو متعلق باستار الكعبة بفقر بطنه وكان رجل
من الانصار قد نذر ان رأى ابن ابي سرح ان يقتله فجاء عثمان وكان اخاه
من الرضاة فشفع له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الانصارى
بقائم السيف ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم متى يؤمى اليه ان يقتله فشفع له

عثمان حتي تركه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصارى هلا
وفيت بذكرك فقال يا رسول الله وضعت يدي على قائم السيف انتظر
متي تؤمي فاقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنبي ان يؤمي وقال محمد
ابن اسحاق في رواية ابن بكير عنه قال ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن
ياسر وعبد الله بن ابي بكر بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
دخل مكة وفرق جبهوشه امرهم ان لا يقتلوا احدا الا من قاتلهم الا فرأ
قد ساءم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقتلوه وان وجدتموه تحت
استار الكعبة عبد الله بن خطل وعبد الله بن ابي سرح وانما امر بان
ابي سرح لانه كان قد اسلم فكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي
فرجع مشركا ولو لحق بمكة فكان يقول اني لا صرفه كيف شئت انه ليا مرني
ان اكتب له الشيء فاقول له او كذا او كذا فيقول نعم وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عليم حليم فيقول له او اكتب
عزيز حكيم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاهما سواء وقال
ابن اسحاق حدثني شرحبيل بن سعد ان فيه نزلت ومن اظلم ممن
اقتري على الله كذبا او قال اوحى الي ولم يوح اليه شيء ومن
قال سائر مثل ما نزل الله فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
فرا الى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاة فغيبه عنه حتى اطمان
اهل مكة فاتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن له فقصت
رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا وهو واقف عليه ثم قال نعم فانصرف به فلما ولي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صمت الا رجاء ان يقوم اليه بعضكم فيقتله
فقال رجل من الانصار يا رسول الله الا اومأت الي فاقته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان النبي لا يقتل بالاشارة وقال ابن اسحاق في رواية ابراهيم بن سعد
عنه حدثني بعض علمائنا ابن ابي سرح رجع الى قريش فقال والله لو شاء لقلت
كما يقول محمد وجئت بمثل ما ياتي به انه ليقول الشيء واصرفه الى شيء فيقول اصبت
ففيه انزل الله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقال اوحى الي ولم يوح اليه
شيء فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله قال ابن اسحاق عن ابن ابي
نجيع قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم
ان يذبحوا مكة الا يقاتلوا الا احدا قاتلهم الا انه قد عهد في نفر ساهم امر يقتلهم وان
وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن ابي سرح وانما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان اسلم وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الوحي فاراد مشركا وجعا الى قريش فقال والله اني لا صرفه حيث اراد انه ليملي
علي فاقول او كذا او كذا فيقول نعم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يملئ عليه فيقول عزير حكيم او حكيم حلیم فكان يكتبها على احد الخرفين
فيقول كل صواب وروينا في معازي معمر عن الزهري في قصة الفتح قال قد خل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر اصحابه بالكف وقال كفوا السلاح الا خراعة
من بكر ساعة ثم امرهم فكفوا فآمن الناس كلهم الا اربعة بن ابي سرح وابن خطل
ومقيس الكناني وامراة اخرى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لم احرم مكة
ولكن الله حرما وانهم لم يحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الى يوم القيامة وانما

احلها الله لي ساعة من نهار قال ثم جاء عثمان بن عفان بابن ابي سرح فقال يا بابه
 يا رسول الله فاعرض عنه ثم جاءه من ناحية اخرى فقال يا بابه يا رسول الله فاعرض
 عنه ثم جاءه ايضا فقال يا بابه يا رسول الله فمد يده فبايعه فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لقد اعرضت عنه واني لا ظن بمعضكم سيقتله فقال رجل من الانصار
 فهلا ومضت الي يا رسول الله فقال ان النبي لا يؤمض فكاكه رآه غدرا وفي
 مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال و امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان يكفوا ابديهم فلا يقاتلوا احدا الا من قاتلهم وامرهم يقتل اربعة منهم عبد الله
 ابن سعد بن ابي سرح والحوثرث بن ثقيد و ابن خطل ومقيس بن حبابه احد
 بني ليث وامر بقتل قينتين لابن خطل تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ثم قال ويقال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل النفروان
 يقتل عبد الله بن ابي سرح وكان ارتد بعد الهجرة كافرا فاختبأ حتى اطمأن
 الناس ثم اقبل يريدان يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه ليقوم
 رجل من اصحابه فيقتله فلم يقم اليه احد ولم يشعروا بالذي في نفس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال احدهم لواشرت الي يا رسول الله ضربت عنقه فقال
 ان النبي لا يفعل ذلك ويقال اجاره عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاعة
 وقتلت احدي القينتين وكنت الاخرى حتى استؤمن لما وذكرك محمد بن عائذ
 في مغازيه هذه القصة مثل ذلك * وذكر الواقدي عن اشياخه قالوا وكان
 عبد الله بن سعد بن ابي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فربما
 امل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليم فيكتب عليم حكيم فقرأه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول كذا قال الله ويقرأه فافتتن وقال ما يدري محمد ما يقوله اني لا كتب له ما شئت هذا الذي كتبت يوحى الي كما يوحى الي محمد وخرج هاربا من المدينة الى مكة مرتدافاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح فلما كان يومئذ جاء ابن ابي سرح الى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاة فقال يا اخي اني والله استجير بك فاحبسني ها هنا واذ هب الي محمد فكله في فان محمدا ان رآني ضرب الذي فيه عيناى ان جرمت اعظم الحرم وقد جئت تابيا فقال عثمان بل اذهب معى قال عبد الله والله لئن رآني ليضربن عني ولا ينظرني قد اهد ردى واصحابه يطلبوننى في كل موضع فقال عثمان انطلق معى فلا يمتلك ان شاء الله فلم يرع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عثمان آخذا بيد عبد الله بن سعد بن ابي سرح واقفين بين يديه فاقبل عثمان على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله امه كانت تحملى وتمشيه وترضعنى وتقطمه وكانت تلطفنى وتتركه فيه لى فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل عثمان كل ما عرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه استقبله فيعيد عليه هذا الكلام وانما اعرض النبي صلى الله عليه وسلم ارادة ان يقوم رجل فيضرب عنقه لانه لم يؤمنه فلما رأى ان لا يقوم احد و عثمان قد اكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه وهو يقول يا رسول الله يا بعه فدالك ابي وامى فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ثم التفت الى اصحابه فقال ما منكم ان يقوم رجل منكم الى هذا الكلب فيقتله او قال الفاسق فقال عباد بن بشر الا او مات الي يا رسول الله فوالذى بعثك بالحق اني لاتبع طرفك من

كل ناحية رجا ان تشير الي فاضرب عنقه ويقال قال هذا ابو اليسر ويقال
عمر بن الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اقتل بالاشارة
وقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يومئذ ان النبي لا تكون له
خائنة الاعين فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يفر من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلما رآه فقال عثمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي وامي
لو ترى ابن ام عبد الله يفر منك كلما رآك فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال الم ابايعه واومنه قال بلى اى رسول الله يتذكر عظيم جرمه في الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله فرجع عثمان الى ابن ابي
سرح فاخبره فكان ياتي فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس فوجه
الدلالة ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح افترى على النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يتم له الوحي ويكتب له ما يريد فيوافقه عليه وانه يصرفه حيث
شاء ويغير ما امر به من الوحي فيقره على ذلك وزعم انه سينزل مثل
ما انزل الله اذ كان قد اوحى اليه في زعمه كما اوحى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا الطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
كتابه والافتراء عليه بما يوجب الريب في نبوته قد رزأ الله على مجرد
الكفر به والردة في الدين وهو من انواع السب . وكذ لك ما افترى
عليه كاتب آخر مثل هذه الفرية قصمه الله وعاقبه عقوبة خارجة
عن العادة لكل احد افترى اذ كان مثل هذا يوجب في القلوب المريضة ريباً
بان يقول القائل كاتبه اعلم الناس بباطنه وبحقيقة امره وقد اخبر عنه بما اخبر فن

نصر الله لرسوله ان اظهر فيه آية تبين بها انه مقتد فروي البخاري في صحيحه عن
عبد العزيز بن صهيب عن انس قال كان رجل نصراني فاسلم وقرأ البقرة وآل
عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً فكان يقول لا يدري
محمد الا ما كتبت له فاماته الله فدفعه فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذافعل
محمد واصحابه بنشوا عن صاحبنا فالقوه فحفر وافي الارض ما استطاعوا فاصبح
قد لفظته فعلموا انه ليس من الناس فالقوه وورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة
عن ثابت عن انس قال كان منارجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فانطلق هارباً حتى لحق باهل الكتاب قال
فرفعوه قالوا هذا قد كان يكتب لمحمد فاعجبوا به فابث ان قصم الله عنقه فحفروا
له فواروه فاصبحت الارض قد نبذته على وجهها ثم عادوا وحفروا له فواروه
فاصبحت الارض قد نبذته على وجهها فتر كوه منبوذاً فهذا الملعون الذي افتري على
النبي صلى الله عليه وسلم انه ما كان يدري الا ما كتب له قصمه الله وفضعه بان
اخرجه من القبر بعد ان دفن مراراً وهذا امر خارج عن العادة يدل على كل احد
ان هذا كان عقوبة لما قاله وانه كان كاذباً ذاك كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا وان
هذا الجرم اعظم من مجرد الارتداد اذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل
هذا وان الله منتقم لرسوله من طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكذب
اذ لم يمكن الناس ان يقيموا عليه الحد ونظير هذا ما حدثنا اعدا من المسلمين
العدول اهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن
التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الاصفري زماناً قالوا اكننا نحن

قد جرب الجربون من اهل الفقه والخبرة تجل في الحضور والدين اذا تعرض اهلها السب رسول الله صلى الله عليه وسلم

❖ الساب الطاعن للنبي صلى الله عليه وسلم اعظم جرماً من الرند ❖

نحصر الحصن او المدينة الشهراواكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نياس
اذ تعرض اهل له لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقعة في عرضه فجلنا
فتحه وتيسرو لم يكديتأ خرا الا يومآ او يومين او نحو ذلك ثم يفتح المكان عنوة ويكون
فيهم ملحمة عظيمة قالوا حتى ان كنا للتبشير بتجيب الفتح اذا سمعناهم يقعون فيه
مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيه ❖ وهكذا حدثني بعض اصحابنا
الثقات ان المسلمين من اهل القرب حالم مع النصارى كذلك ومن سنة الله
ان يعذب اعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين فكذلك
لما تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من ابن ابي سرح اهد ردمه لما طعن في النبوة
واقترى عليه الكذب مع انه قد آمن بجميع اهل مكة الذين قاتلوه وحاربوه اشد
المحاربة ومع ان السنة في المرتد انه لا يقتل حتى يستتاب اما وجوباً واستحباباً
وسنذكر ان شاء الله تعالى ان جماعة ارتدوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ثم دعوا الى التوبة وعرضت عليهم حتى تابوا فقبلت توبتهم ❖ وفي ذلك دليل
على ان جرم الطاعن على الرسول صلى الله عليه وسلم الساب له اعظم من
جرم المرتد ❖ ثم ان اباحة النبي صلى الله عليه وسلم ردمه بعد مجيئه ثانياً مسلماً
وقوله هلاقتهم ❖ ثم عفو عنه بعد ذلك دليل على ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان له ان يقتله وان يعفو عنه ويعصم ردمه وهو دليل على ان له صلى الله
عليه وسلم ان يقتل من سبه وان تاب وعاد الى الاسلام ❖ يوضح ذلك
اشياء منها انه قد روي عن عكرمة ابن ابي سرح رجوع الى الاسلام قبل
فتح مكة وكذلك ذكر آخرون ان ابن ابي سرح رجوع الى الاسلام قبل

فتح مكة اذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم بها وقد تقدم عنه انه قال لعثمان
 قبل ان يقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم ان جرمي اعظم الجرم وقد
 جئت ثائبا وتوبة المرتد اسلامه * ثم انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
 بعد الفتح وهذه الناس وبعد ما تاب فاراد النبي صلى الله عليه وسلم من
 المسلمين ان يقتلوه حينئذ وتربص زمانا ينتظر فيه قتله ويظن ان بعضهم
 سيقتله وهذا دليل واضح على جواز قتله بعد اسلامه * وكذلك لما قال له
 عثمان انه يفر منك كما راك قال لم ابايعه واومنه قال بلى ولكنه يتذكر
 عظيم جرمه في الاسلام فقال الاسلام يجب ما قبله فيمن النبي صلى الله عليه
 وسلم ان خوف القتل سقط بالبيعة والايمان وان الاثم زال بالاسلام فعلم
 ان الساب اذا عاد الى الاسلام يجب الاسلام اثم السب وبقي قتله جائزا
 حتى يوجد اسقاط القتل من يملكه ان كان ممكنا وميائتي ان شاء الله تعالى ذكر هذا
 في موضعه فان غرضنا هنا ان نبين ان مجرد الطعن على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم والوقعة فيه يوجب القتل في الحال التي لا يقتل فيها مجرد الردة
 واذا كان ذلك موجبا للقتل استوى فيه المسلم والذمي ولان كل ما يوجب
 القتل سوى الردة يستوى فيه المسلم والذمي * وفي كتاب الصحابة لابن ابي
 سرح ولا حدى القيتين دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجب
 قتله وانما اباحه مع جواز عفوه عنهم وفي ذلك دليل على انه كان مخيرا
 بين القتل والعفو وهذا يؤيد ان القتل كان لحق النبي صلى الله عليه وسلم *
 واعلم ان اقتراء ابن ابي سرح والكتاب الاخر انصراني على رسول الله

صلى الله عليه وسلم بان كان يعلم منها افتراء ظاهر و كذ لك قوله انى
لاصرفه كيف شئت انه ليأمرنى ان اكتب له الشئ فاقول له او كذا او كذا
فيقول نعم فريه ظاهرة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يكتبه الا ما
انزله الله ولا يأمره ان يكتب قرآن الا ما وحا الله اليه ولا ينصرف له كيف
شاء بل يتصرف كما يشاء الله و كذ لك قوله انى لا كتب ماشئت هذا الذى
كتبت يوحى الي كما يوحى الى محمد وان محمدا اذا كان يعلم منى فاني
سأزل مثل ما انزل الله فريه ظاهرة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
يكتبه ماشاء ولا كان يوحى اليه شئ و كذ لك قول النصراني ما يدري
محمد الا ما كتبت له من هذا القبيل وعلى هذا الافتراء حاق به العذاب
واستوجب العقاب • ثم اختلف اهل العلم هل كان النبي صلى الله عليه وسلم
اقره على ان يكتب شيئا غير ما ابتداه النبي صلى الله عليه وسلم
اكتابه وهل قال له شيئا على قولين • احدهما ان النصراني وابن ابى سرح
اقتريا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وانه لم يصد رمنه
قول فيه اقرار على كتابه غير ما قاله اصلا وانما لما زين لها الشيطان الردة
اقتريا عليه لينفرا عنه الناس ويكون قبول ذلك منها منوجها لانهما
فارقا • بعد خبرة و ذلك انه لم يخبر احدا انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول له هذا الذى قلته او كتبت صواب وانما هو حال الردة اخبر
انه قال له ذلك وهو اذ ذاك كافر عدو يفترى على الله ما هو اعظم من ذلك
يبين ذلك ان الذى فى الصحيح ان النصراني يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له

نعم ربما كان هو يكتب غير ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ويفيره ويزيده
و ينقصه فظن ان عمدة النبي صلى الله عليه وسلم على كتابه مع ما فيه من التبديل
ولم يدرك ان كتاب الله آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وانه لا يغسله
الماء وان الله حافظ له وان الله يقرى نبيه فلا ينسى الا ما شاء الله مما يريد رفعه
ونسخ تلاوته وان جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن
كل عام وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه آية اقرأها لعدد من المسلمين
بتواتر نقل الآية بهم واكثر من نقل هذه القصة من المفسرين ذكر انه كان
يملى عليه سميعا عليا فيكتب هو عليا حكيما واذا قال عليا حكيما كتب غفورا
رحيما واشباه ذلك ولم يدرك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له شياء قالوا
واذا كان الرجل قد علم انه من اهل القرية والكذب حتى اظهر الله على
كذبه آية بينة والروايات الصحيحة المشهورة لم تتضمن الا انه قال عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما قال او انه كتب ما شاء فقد علم ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يقل له شياء قالوا وماروي في بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال فهو منقطع او معلل ولعل قائله قاله بناء على ان الكاتب هو الذي
قال ذلك ومثل هذا يلبس الامر فيه حتى اشتبه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم
وما قيل انه قال رد على هذا القول فلا سوال القول الثاني ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال له شيئا فرى الامام احمد وغيره من حديث حماد بن سلمة ان انا ثابت
عن انس ان رجلا كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا املى عليه
سميعا عليا يقول كتبت سميعا بصيرا قال دعه واذا املى عليه عليا حكيما كتب

عليها حليما قال حماد نحوذا قال وكان قد قرأ البقرة وآل عمران وكان من قرأها
فقد قرأ قرآنا كثيرا فذهب فتنصر وقال لقد كنت اكتب لمحمد ما شئت
فيقول دعه فمات فدفن فنبذته الارض مرتين او ثلاثا . قال ابو طلحة فلقد
رايته منبوزا فوق الارض رواه الامام احمد . وحدثنا يزيد بن هارون
حد ثنا حميد عن انس ان رجلا كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد قرأ البقرة وآل عمران وكان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدفينا
يعني عظم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمل عليه فغفوا ورحمنا فيكتب عليها
حكيا فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا او كذا اكتب كيف
شئت ويمل عليه عليها حكيا فيكتب سمي عاصيرا فيقول اكتب كيف شئت
فارتد ذلك الرجل عن الاسلام فلحق بالمشركين وقال انا اعلمكم بمحمد ان
كنت لا تكتب كيف شئت فمات ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الارض لا تقبله قال انس فحدثني ابو طلحة انه اتى الارض التي مات
فيها ذلك الرجل فوجده منبوزا قال ابو طلحة ما شان هذا الرجل قالوا قد
دفناه مرارا فلم تقبله الارض فهذا اسناد صحيح . وقد قال من ذهب الى
القول الاول اعل البزار حديث ثابت عن انس قال رواه عنه ولم يتابع عليه
ورواه حميد عن انس واظن حميدا انما سمعه من ثابت قالوا ثم ان انس لم يذكر انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم او شهد به يقول ذلك ولعله حكى ما سمع وفي
هذا الكلام تكلف ظاهر والذي ذكرناه في حديث ابن اسحاق والواقدي
وغيرهما موافق لظاهر هذه الرواية وكذا لك ذكر طائفة من اهل التفسير

وقد جاءت آثار فيها بيان صفة الحال على هذا القول في حديث ابن اسحاق
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عليم حكيم فيقول
او اكتب عزيز حكيم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم كلاهما
سواء . وفي الرواية الاخرى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يملى عليه فيقول عزيز حكيم او حكيم عليم فكان يكتبها على احد الحرفين
فيقول كل صواب . ففي هذا بيان لان كلا الحرفين كان قد نزل وان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقرأها ويقول له اكتب كيف شئت من هذين
الحرفين فكل صواب وقد جاء مصرحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
انزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف ان قلت عزيز حكيم او غفور رحيم
فهو كذلك ما لم يختم آية رحمة بعد اب او آية عذاب برحمة . وفي حرف
جماعة من الصحابة ان تعذبهم فانهم عباد لك وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم
والاحاديث في ذلك منتشرة تدل على ان من الحروف السبعة التي نزل
عليها القرآن ان يختم الآية الواحدة بعدة اسماء من اسماء الله على سبيل البدل
يخير القاري في القراءة بما يشاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخيره ان يكتب
ما شاء من تلك الحروف وربما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم بحرف من
الحروف فيقول له او اكتب كذا او كذا لكثرة ما سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يخير بين الحرفين فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم كلاهما سواء لان
الاية نزلت بالحرفين وربما كتبها واحد الحرفين ثم قرأه على النبي صلى الله
عليه وسلم فافره عليه لانه قد نزل كذلك ايضا وختم الاية بمثل سميع عليم

و عليه حليم و غفور رحيم او بمثل سميع بصير او عليم حليم او حكيم حليم كثير
في القرآن وكان نزول الآية على حدة من هذه الحروف امرامعتادا ثم ان الله
نسخ بعض تلك الحروف لما كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن
في كل رمضان وكانت العرضة الأخيرة هي حرف زيد بن ثابت الذي يقرأ
الناس به اليوم وهو الذي جمع عثمان و الصحابة رضى الله عنهم اجمعين عليه
الناس ولهذا ذكر ابن عباس هذه القصة في النسخ و المنسوخ و كذلك
ذكرها الامام احمد في كتابه في النسخ و المنسوخ لتضمنها نسخ بعض الحروف
و روى فيها وجه آخر رواه الامام احمد في النسخ و المنسوخ حد ثنا مسكين
ابن بكير ثامعان قال و سمعت خلفا يقول كان ابن ابي سرح كتب للنبي صلى الله
عليه وسلم القرآن فكان ر بما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن خواتم الآي يعملون
و يفعلون و نحو ذا فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب اي ذلك شئت
قال فيوفقه الله للصواب من ذلك فاتي اهل مكة مرتدا فقالوا يا ابن ابي سرح
كيف كنت تكتب لابن ابي كبشة القرآن قال اكتبه كيف شئت قال
فانزل الله في ذلك و من اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال
اوحى الي و لم يوح اليه شيء الاية كلها قال النبي صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة من اخذ ابن ابي سرح فليضرب عنقه حيث ما وجد
و ان كان متعلقا باستار الكعبة ففي هذا الاثر انه كان يسأل النبي صلى الله
عن حرفين جائزين فيقول له اكتب اي ذلك شئت فيوفقه الله للصواب فيكتب
احب الحرفين الى الله و كان كلاهما منزلا او يكتب ما نزل الله فقط ان لم يكن الآخر

منزلا وكان هذا التخيير من النبي صلى الله عليه وسلم امانتو سعة ان كان انه قد انزلها
او ثقة بحفظ الله وعلمانه بانه لا يكتب الا ما نزل وليس هذا ينكر في كتاب
نولي الله حفظه وضمن انه لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه * وذكر بعضهم
وجها ثالثا وهو انه ربما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الآية حتى لم يبق
منها الا كلمة او كلمتان فيستدل بما قرأ منها على باقيها كما يفعله الفطن الذكي فيكتبه
ثم يقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول كذلك انزلت كما اتفق مثل ذلك لعمر في
قوله فتبارك الله احسن الخالقين * وقد روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
مثل هذا في هذه القصة وان كان هذا الاسناد ليس بثقة قال عن ابن ابي سرح
انه كان تكلم بالاسلام وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الاحايين فاذا املى عليه عز به حكيم كتب غفور رحيم فيقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا اوداك سواء فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين
املاها عليه فلما انتهى الى قوله خلقا آخر عجب عبد الله بن سعد فقال تبارك الله
احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا انزلت علي فاكتبها
فشك حينئذ وقال لئن كان محمدا صادقا لقد اوحى الي كما اوحى اليه ولئن كان
كاذبا لقد قلت كما قال فنزلت هذه الآية * وعما ضعف به هذه الرواية ان المشهور
ان الذي تكلم بهذا عمر بن الخطاب ومن الناس من قال قولا آخر قال الذي ثبت في
رواية انس انه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ما كتبه بعدما كتبه فيملي
عليه سميعا عليا فيقول قد كتبت سميعا بصيرا فيقول دعه او اكتب كيف شئت
وكذلك في حديث الواقدي انه كان يقول كذلك انزل الله ويقره قالوا وكان

النبي صلى الله عليه وسلم به حاجة الى من يكتب لقلة الكتاب في الصحابة وعدم حضور الكتاب منهم في وقت الحاجة اليهم فان العرب كان الغالب عليهم الامية حتى ان كان الجوال العظيم يطلب فيه كاتب فلا يوجد وكان احدهم اذا اراد كتابة او شقة وجد مشقة حتى يحصل له كاتب فاذا انفق للنبي صلى الله عليه وسلم من يكتب له انتهز الفرصة في كتابته فاذا زاد الكاتب او نقص تركه لحرصه على كتابة ما يميله ولا يامر به بتغير ذلك خوفاً من ضجره وان يقطع الكتابة قبل اتمامها ثقة منه صلى الله عليه وسلم بان تلك الكلمة او الكلمتين تستدرك فيما بعد باللقاء الى من ينلقها منه او يكتبها تعويلا على المحفوظ عنده وفي قلبه كما قال تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى * والاشبه والله اعلم هو الوجه الاول وان هذا كان فيما انزل القرآن فيه على حروف عدة فان القول المرضي عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الاحاديث وقراءات الصحابة ان المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو احد الحروف السبعة وهو العرصة الآخرة وان الحروف السبعة خارجة عن هذا المصحف وان الحروف السبعة كانت تختلف الكلمة مع ان المعنى غير مختلف ولا متضاد *

﴿ الحديث العاشر ﴾ حديث القينتين اللتين كانتا نفيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ومولاة بنى هاشم وذلك مشهور مستفيض عند اهل السير وقد تقدم في حديث سعيد بن المسيب انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل فرتن * وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكفوا ايديهم فلا يقاتلوا احداً الا من

حديث القينتين اللتين كانتا نفيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم

قاتلهم وامر بقتل اربعة نفر قال وامر بقتل قيسين لابن خطل نغنيان بهجاء
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال وقتلت احدي القيتين وكنت الاخرى
 حتى استؤمن لهما وكذا لك ذكر محمد بن عائذ القرشي في مغازيه وقال ابن
 اسحاق في رواية ابن بكير عنه قال ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر وعبد الله
 ابن ابي بكر بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة
 وخرق جيوشه امرهم ان لا يقتلوا احداً الا من قاتلهم الا نفر اقدسهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقتلوه وان وجدتموهم تحت اстар
 الكعبة عبد الله بن خطل ثم قال وانما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلماً
 فبحشه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً بعث معه رجلاً من الانصار
 وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلاً وامر المولى يذبح له
 تيساً ويصنع له طعاماً فنام واستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله
 ثم ارتد مشركاً وكانت له قينة صاحبها قينة كانتا تغنيان بهجاء النبي
 صلى الله عليه وسلم فلما بقتلها معه قال ومقيس بن صبابه بقتله الانصاري
 الذي قتل اخاه وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه
 بمكة وقال الاموي حدثني ابي قال وقال ابن اسحاق وكانت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عهد الى المسلمين في قتل نفرونسوق قال ان وجدتموهم تحت
 اстар الكعبة فاقتلوه وسام باسمائهم ستة ابن ابي مروح وابن خطل والحويرث
 ابن معبد ومقيس بن صبابه ورجل من بني تميم بن غالب قال ابن اسحاق
 وحدثني ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر انهم كانوا ستة فكنتم اسم رجلين

و اخبرني باربعة قال والنسوة قيتا ابن خطل وسارة مولاة لبني عبدالمطلب
ثم قال والقبتان كانتا تغنيان بهجاءه وسارة مولاة ابي لهب كانت تؤذيه بلسانها
وقال الواقدي عن اشياخه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
القتال وامر بقتل ستة نفر واربع نسوة ثم عددهم قال ابن خطل وسارة
مولاة عمرو بن هاشم وقيتين لابن خطل فرثي وقرينة ويقال فرثي وارنب
ثم قال وكان جرم ابن خطل انه اسلم وهاجر الى المدينة وبعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ساعياً وبعث معه رجلاً من خزاعة وكان يصنع طعامه
ويجده فنزل في مجمع فامر به ان يصنع له طعاماً ونام نصف النهار فاستيقظ
والخزاعي قائم ولم يصنع له فاعتاظ عليه فضر به فلم يقلع عنه حتى قتله فلما قتله
قال والله ليقتلني محمد به ان جشته فارئد عن الاسلام وساق ما اخذ من الصدقة
وهرب الى مكة فقال له اهل مكة ما ردك اليها قال لم اجد ديناً خيراً من
دينكم فاقام على شركه فكانت له قينتان وكانا فاسقتين وكان يقول الشعر
يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامرهما تغنيان به فيدخل عليه وعلى
قبيته المشركون فيشربون الخمر وتغني القبتان بذلك الهجاء وكانت
سارة مولاة عمرو بن هاشم نواحة بمكة فيلقى عليها هجاء النبي صلى الله عليه
وسلم فتغني به وكانت قد قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطلب
ان يصلها وشكت الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان لك
في غنائك وياحتك ما يكفيك فقالت يا محمد ان قر يشامند قتل من قتل منهم
بيد تركوا استماع الغناء فوصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم واوفر لها

بغير اطعاما فرجعت الى قريش وهي على دينها فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان تقتل فقتلت يومئذ واما القينان فلمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها فقتلت احدهما ارنبا وقرية واما فرني فاستوثمن لها حتى آمنت وعاشت حتى كسر ضلع من اخلاعها زمن عثمان رضي الله عنه فماتت فقضى فيه عثمان رضي الله عنه ثمانية آلاف درهم دينها والقين تغليظا للعزم وحديث القيتين مما انفق عليه علماء السيرة واستفاض نقله استفاضة يستغنى بها عن رواية الواحد وحديث مولاة بني هاشم ذكره عامة اهل المغازي ومن له مزيد خبرة واطلاع وبعضهم لم يذكره . فوجه الدلالة ان نعمد قتل المرأة لمجرد الكفر الا صلى لا يجوز بالاجماع وقد استفاضت بذلك السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين عن ابن عمر قال وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان . وفي حديث آخر انه مر على امرأة مقتولة في بعض مغازيه فانكر قتلها وقال ما كانت هذه لتقاتل ثم قال لاحد هم الحق خالد اقل له لا تقتل ذرية ولا عسيفا رواه ابوداود وغيره . وقد روى الامام احمد في المسند عن كعب بن مالك عن عمه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الى ابن ابي الحقيق بنخبر نهى عن قتل النساء والصبيان . وهذا مشهور عند اهل السيرة وفي الحديث من رواية الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك ثم صعدوا اليه في عليه فقرعوا عليه الباب فخرجت اليهم امرأته فقالت من انتم فقالوا حي من

العرب تريد الميرة ففتحت لم فقالت ذاك الرجل عندكم في البيت فقلنا علينا وعليها
باب الحجرة ونوهت بنا فصاحت وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
بعثنا عن قتل النساء والولد ان يجعل الرجل منا يحمل عليها السيف ثم يذكر
نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء فيمسك يده فلولا ذلك فرغنا
منها بليل وذاكر الحديث وكذلك روى يونس بن بكير عن عبد الله بن كعب بن
مالك قال حدثني عبد الله بن انيس قال في الحديث فقالت ففتحت فقلت
لسد الله بن عقيل دونك فشهرا عليها السيف فذهبت امرأته فشهرا عليها السيف
واذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهانا عن قتل النساء والصبيان
فاكف وكذا رواه غير واحد عن ابن انيس قال فصاحت امرأته فهم بعضنا
ان نخرج اليها ثم ذكرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتل النساء
وهذه القصة كانت قبل فتح مكة بل قبل فتح خيبر ايضا لا خلاف بين اهل
العلم وذاكر الواقدي انها كانت في ذي الحجة من السنة الرابعة من الهجرة
قبل الخندق وذاكر ابن اسحاق انها كانت عقب الخندق وهما جميعا بزعم ان
الخندق في شوال في سنة خمس واما موسى بن عقبة فقال في شوال سنة اربع
وحدث ابن عمر يدل عليه وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وانما ذكرنا هذا
رفعا لهم من قديظن ان قتل النساء كان مباحا عام النسخ ثم حرم بعد ذلك والا
فلا ريب عند اهل العلم ان قتل النساء لم يكن مباحا قط بان آيات القتال وترتيب
نزولها كلها دليل على ان قتل النساء لم يكن جائزا هذا مع ان اولئك النساء اللاتي
كن في حصن ابن ابي الحقيق اذ ذاك لم يطمع هو لاء الفر في استرقاقهن بل هن

ممنوعات عند اهل خير قبل فتحها بمدة مع ان المرأة قد صاحت وخافوا الشر
بصوتها ثم امسكوا عن قتلها الرجاء ان ينكف شرها بالتهويل عليها نعم المحرم انما
هو قصد قتلها فاما اذا قصدنا قصد الرجال بالاغارة او نرعى بمنجنيق او فتح شق
او القاء نار قتلنا بذلك نساء او صبيان لم تأثم بذلك الحديث الصعب بن جثامة
انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن اهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب
الذرية فقال هم منهم * متفق عليه ولان النبي صلى الله عليه وسلم رمى اهل الطائف
بالمنجنيق مع انه قد يصيب المرأة والصبي وبكل حال فالمرأة الحرة غير مضمونة
بقود ولادية ولا كفارة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر من قتل المرأة في
مغازيه بشيء من ذلك فهذا ما انفارق به المرأة الذمية واذا قاتلت المرأة الحرة جاز
قتلها بالاتفاق لان النبي صلى الله عليه وسلم علل المنع من قتل المرأة بانها لم تكن
تقاتل فاذا قاتلت وجد الممتضى لقتلها وارفع المانع لكن عند الشافعي تقاتل كما
يقاتل المسلم الصائل فلا يقصد قتلها بل دفعها فاذا قدر عليها لم يجز قتلها وعند
غيره اذا قاتلت صارت بمنزلة الرجل المحارب اذا اقرر هذا فنقول هو لا
النسوة كن معصومات بانوثة ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتلهن
لجود كونهن كن يهجنه وهن في دار حرب فعلم ان من هجاه وسبه
جاز قتلها بكل حال * وما يؤكده ذلك وجوه * احدها ان الهجاء والسب
امان يكون من باب القتال باللسان فيكون كالقتال باليد وتكون المرأة
الهاجئة كالمرأة التي يستعان برأيا على حرب المسلمين كالملكة ونحوها
مثل ما كانت هند بنت عتبة او تكون بنفسها موجهة للقتل لما فيه من

اذى الله ورسوله والمؤمنين وان كان من جنس المحاربة اولا يكون شيئاً من ذلك فان كان من القسم الاول والثاني جاز قتل المرأة الذمية اذ اسبت لانها حينئذ تكون قد حاربت اوار تكبت ما يوجب القتل فالذمية اذا فعلت ذلك انتقض عهد ها وقتلت ولا يجوز ان تخرج عن هذين القسمين لانه يلزم منه قتل المرأة من اهل الحرب من غير ان تقا تل بيد ولا لسان ولا ان ترتكب ما هو بنفسه موجب للقتل وقتل مثل هذه المرأة حرام بالسنة والاجماع ❦ الوجه الثاني ❦ ان هو لا النسوة كن من اهل الحرب وقد آذ ين النبي صلى الله عليه وسلم في دار الحرب ثم قتل يجر د السب كما نطق ت به الاحاديث فقتل المرأة الذمية بذ لك اولى واخرى كالمسلمة لان الذمية يبتنا ويبتنا من العهد ما يكفها عن ظهار السب ويوجب عليها التزام الذل والصغار ولهذا اتواخذ بما تصيبه للمسلم من دم او مال او عرض والحرية لا تؤخذ بشيء من ذلك فاذا جاز قتل المرأة لانها اسبت الرسول وهي حرية تستبيح ذ لك من غير مانع فقتل الذمية المنوعة عن ذ لك بالعهد اولى ولا يقال عصمة الذمي او كد لانه مضمون والحربي غير مضمون ❦ لانا نقول الذمي ايضاً ضامن لدم المسلم والحربي غير ضامن فهو ضامن مضمون لان العهد الذي يبتنا اقتضى ذ لك واما الحرية فلا عهد يبتنا بينها يقتضي ذ لك فليس كون الذمي مضمونا يجب علينا حفظه بالذ ي يهون عليه ما ينتهكه من عرض الرسول بل ذ لك اغاظ لجرمه واولى بان يؤخذ بما يؤذ ينا به ولا نعلم شيئاً تقتل به المرأة الحرية قصدا الا وقتل الذمية به اولى ❦ الوجه الثالث ❦ ان هو لا النسوة لم يقتلن عام الفتح بل كن

متذلللات مستسلمات والهجاء ان كان من جنس القتال فقد كان موجودا قبل ذلك والمرأة الحربية لا يجوز قتلها في غزوة هي فيها مستسلمة لكونها قد قاتلت قبل ذلك فعلم ان السب بنفسه هو المبيح له. اثمن لا كونهن قاتلات

✽ الوجه الرابع ✽ ان النبي صلى الله عليه وسلم آمن جميع اهل مكة الا ان يقاتلوا مع كونهم قد حاربوه وقتلوا اصحابه ونقضوا العهد الذي بينهم وبينه ثم انه اهدر دما هو. لا النسوة فبين استثناء وان لم يقاتلن لكونهن كن يوذنه فثبت ان جرم المودى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالسب ونحوه اغلظ من جرم القتال وغيره وانه يقتل في الحال التي نهى فيها عن قتال من قتل وقاتل

✽ الوجه الخامس ✽ ان القينين كانتا امتين مامورتين بالهجاء وقتل الامة ابعد من قتل الحرة فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل العفيف وكونها مامورة بالهجاء اخف لجرمها حيث لم تقصده ابتداء ثم مع هذا امر بقتلها فعلم ان السب اغلظ الموجبات للقتل ✽ الوجه السادس ✽ ان هؤلاء النسوة اما ان يكن قتلن بالهجاء لانهن فعلنه مع العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اهل مكة فيكون من جنس هجاء الذمي او قتلن لمجرد الهجاء مع عدم العهد فان كان الاول فهو المطلوب وان كان الثاني فاذا جاز ان تقتل السابة التي لا عهد بينها وبينها يمنعها فقتل المنوعة بالعهد اولى لان مجرد كفر المرأة وكونها من اهل الحرب لا يبيح دما بالانفاق على ما تقدم لاسيما والسب لم يكن بمنزلة القتال على ما تقدم. فان قيل. ما وجه التردد واهل مكة قد نقضوا العهد وصاروا كلهم محاربين. قيل. لان

النبي صلى الله عليه وسلم لم يستبح اخذ الاموال وسبي الذرية والنساء بذلك
 النقض العام امالا نه عفا عن ذلك كما عفا عن قتل من لم يقتل اولان النقض
 الذى وجد من بعض الرجال بمعاونة بنى بكر من بعضهم باقرارهم على ذلك
 لم يسر حكمه الى الذرية • وما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم آمن
 الناس الابنى بكر من خزاعة والا نفر المسمين اما عشرة او اقل من عشرة
 او اكثر لان بنى بكر هم الذين باشروا نقض العهد وقتلوا خزاعة فعلم انه فرق
 بين من نقض العهد وفعل ما يبيح الدم وبين من لم يفعل شيئا غير الموافقة على
 نقض العهد فبكل حال لم يقتل هؤلاء النسوة للعرب العام والنقض العام بل
 لخصوص جرمهن من السب الناقض لعهد فاعله سواء ضم اليه كونه من ذى
 عهد او لم يضم • واعلم • ان ما تقدم من قتل النسوة اللاتى سبين رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مثل اليهود وام الولد وعصماء لو لم يثبت انهن كن معاهدات
 لكن الاستدلال به جائزا فان كلما جازان تقتل به المرأة التى ليست مسلمة
 ولا معاهدة من فعلها وقولها فان تقتل به المرأة المعاهدة اولى واخرى فان
 موجبات القتل في حق الذمية اوسع من موجباته في حق التى ليست ذمية
 وما يدل على مثل هذه الدلالة ما روي ان امرأة كانت تسب النبي صلى الله
 عليه وسلم فقال من يكفينى عدوى فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها •

حكاية ابن خطل كان تعلق باسار الكعبة ملتجأ به من القتل

الحديث الحادي عشر • ما استدل به بعضهم من قصة ابن خطل وفي الصحيحين
 من حديث الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى
 رأسه المغفر فلما نزع جاء رجل فقال ابن خطل متعلق باسار الكعبة فقال

لقتلوه وهذا استفاض نقله بين اهل العلم واتفقوا عليه ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اهدردم ابن خطل يوم الفتح فبين اهدره وانه قتل
 وقد تقدم عن ابن المسبب ان ابارزة اتاموه وهو متعلق باستار الكعبة فبقربطه
 وكذا لك روى الواقدي عن ابي برزة قال في نزلت هذه الآية لا اقسام
 بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اخرجت عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار
 الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام وذكر الواقدي ان ابن خطل
 اقبل من اعلى مكة مدججا في الحديد (١) ثم خرج حتى انتهى الى الخندمة فرأى
 خيل المسلمين ورأى القتال ودخله رعب حتى ما يستمسك من الرعدة حتى
 انتهى الى الكعبة فنزل عن فرسه وطرح سلاحه فأتى البيت فدخل بين
 استاره وقد تقدم عن اهل المغازي ان جرهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
 اسعمله على الصدقة واصحبه رجلا يخدمه ففضب على رفيقه لكونه
 لم يصنع له طعاما امره بصنعه فقتله ثم خاف ان يقتل فارتد واستاق ابل
 الصدقة وانه كان يقول الشعر يهجو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر
 جاريته ان تغيبه فهذا له ثلاث جرائم مبيحة للدم قتل النفس والردة والهجاء
 فمن احسب بقصته يقول لم يقتل لقتل النفس لان اكثر ما يجب على من قتل ثم ارتد
 ان يقتل قودا او المقتول من خزاعة له اولياء فكان حكمه لو قتل قودا ان يسلم
 الى اولياء المقتول فاما ان يقتلوا او يعفوا او ياخذ والدية ولم يقتل لمجرد الردة
 لان المرتد يستتاب واذا استنظر انظرو هذا ابن خطل قد فر الى البيت عائذ به
 طالب الامان تارك القتال ملقيا للسلاح حتى نظر في امره وقد امر النبي صلى الله

عليه وسلم بعد علمه بذلك انه ان يقتل وليس هذا سنة من يقتل من مجرد
الردة فثبت ان هذا التغليظ في قتله انما كان لاجل السب والمجاء وان الساب
وان ارند فليس بمنزلة المرتد المحض يقتل قبل الاستتابة ولا يؤخر قتله وذلك
دليل على جواز قتله بعد التوبة ❖ وقد استدل بقصة ابن خطل طائفة من
الفقهاء على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين يقتل وان اسلم
حدا واعترض عليهم بان ابن خطل كان حربيا فقتل لذلك وصوابه انه
كان مرتدا بلا خلاف بين اهل العلم بالسيرة وحتم قتله بدون استتابة
مع كونه مستسلما منقادا لقتل السلم كالا سير فعمل ان من ارند وسب
يقتل بلا استتابة بخلاف من ارند فقط ❖ يؤيده ان النبي صلى الله عليه وسلم
امن عام الفتح جميع المحاربين الاذوى جرائم مخصوصة وكان ممن اهدر
دمه دون غيره فعلم انه لم يقتل لمجرد الكفر والحراب ❖ السنة الثانية عشر ❖
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل جماعة لاجل سبه وقتل جماعة لاجل
ذلك مع كفه وامساكه عن هو بمنزلة من في كونه كافرا حربيا فمن ذلك
ما قدمناه عن سعيد بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم امر يوم انفتح
بقتل ابن الزبير ❖ هو سعيد بن المسيب هو الغاية في جودة المراسيل ولا يضره
ان لا يذكره بعض اهل المغازي فانهم مختلفون في عدد من استثنى من
الامان وكل اخبر بما علم ومن اثبت الشيء وذكره حجة على من لم يثبت ❖ وقد
ذكر ابن اسحاق قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصرفا
عن الطائف كتب بجير بن زهير بن ابي سلى الى اخيه كعب بن زهير يخبره

❖ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من كان يهود
ويؤذيه من شعراء قريش ❖

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بمكة من كان يهجووه ويؤذيه
وان من نقي من شعراء قريش عبد الله بن الزبيري وهيرة بن ابي وهب
قد هربوا في كل وجه فني هذا بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل من
كان يهجووه ويؤذيه بمكة من الشعراء مثل ابن الزبيري وغيره وبملاخفاء
فيه ان ابن الزبيري انما ذنبه انه كان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بلسانه فانه كان من اشعر الناس وكان يهاجى شعراء الاسلام مثل حسان
وكعب بن مالك وما سوى ذلك من الذنوب قد شره فيه واربي عليه
عدد كثير من قريش ثم ان ابن الزبيري فر الى نجران ثم قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم مسلما وله اشعار حسنة في التوبة والاعتذار فاهدر دمه
للسب مع امانه لجميع اهل مكة الامن كان له جرم مثل جرمه ونحو ذلك
ومن ذلك ابوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب قصته في هجائه
للنبي صلى الله عليه وسلم وفي اعراض النبي صلى الله عليه وسلم عنه لما جاء مسلما
مشهورة مستفيضة وقد ذكر الواقدي قال حدثني سعيد بن مسلم بن قناذ
عن عبد الرحمن بن سابط وغيره قال كان ابوسفيان بن الحارث اخا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ارضعته حليلة اياما
وكان يا ألف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له ثربا فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه عداوة لم يعادها احد اقط ولم يكن
دخل الشعب وهجار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجا اصحابه وذكر الحديث
الى ان قال ثم ان الله التقي في قلبه الاسلام قال ابوسفيان فقلت من اصحب ومع

من اكون قد ضرب الاسلام بجرانه فجت زوجتي وولدي فقلت تهبوا
 للخروج فقد اقبل قدوم محمد قالوا قد ان لك ان تنصر محمدا ان العرب والعجم
 قد تبعت محمدا وانت توضع في عداوته و كنت اولى الناس بنصرته فقلت
 لغلامي مذكور عجل بابعرتي و فرسى قال ثم سرنا حتى نزلنا بالابواء وقد نزلت
 مقدمته الابواء فتكرت وخفت ان اقتل وكان قد اهدر دمى فخرجت واحدا بنى
 جعفر على قدمي نحو امن ميل في الغداة التي صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الابواء فاقبل الناس رسلا رسلا اى قطعيا قطعيا فتحييت فرقا من اصحابه
 فلما طلع في موكبه تصديت له تلقاء وجهه فلما ملا عينيه منى اعرض عنى بوجهه
 الى الناحية الاخرى فتحولت الى ناحية وجهه الاخرى فاعرض عنى مرارا
 فاخذنى ما قرب وما بعد و قلت انا مقتول قبل ان اصل اليه و اتذكر بره
 و رحمه و قرابتي فيمسك ذلك منى وقد كنت لاشك ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واصحابه سيفرحون باسلامي فرحاشد بدا لقرابتي برسول الله صلى الله
 عليه وسلم فلما رأى المسلمون اعراض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى اعرضوا
 عنى جميعا فلقيتني ابن ابى خافة معر ضاعنى و نظرت الى عمر يغرى بي رجلا من
 الانصار فالزبى رجل يقول يا عدا الله انت الذى كنت تؤذى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم و تؤذى اصحابه قد باغت مشارق الارض ومغار بهاني عداوته فرددت
 بعض الرد عن نفسى فاستطال على و رفع صوته حتى جعلنى في مثل الحرجة من
 الناس يسرون بما يفعل بي قال قد دخلت على عمى العباس فقلت يا عباس قد كنت
 ارجو ان سيفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي لقرابتي و شرفي وقد كان

منه ما رأيت فكلمه ليرضى قال لا والله لا أكله كلمة فيك ابدا بعد الذي رأيت منه
 ما رأيت الا ان اري وجهه اني اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم واهابه فقلت
 يا عم الى من تكلمني قال هوذا الكفلقيت علما فكلمته فقال لي مثل ذلك وذكر الحديث
 الى ان قال فخرجت فجلست على منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى راح
 الى الجحفة وهو لا يكلمني ولا احد من المسلمين وجعلت لا ينزل منزلا الا انا على
 بابي ومعي ابني جعفر قائم فلا يراني الا اعرض عني على هذه الحال حتى شهدت معه
 فتح مكة وانا في خيله التي تلازمه حتى هبط من اذخر (١) حتى نزل الا بطح فنظر الي
 نظرا هو الين من ذلك النظر قد رجوت ان يتبسم ودخل عليه نساء بني عبد المطلب
 ودخلت معهن زوجتي فرققته علي وخرج الى المسجد وانا بين يديه لا افارقه على حال
 حتى خرج الى هوازن فخرجت معه وذكر قصته بهوازن وهي مشهورة قال
 الواقدي وقد سمعت في اسلام ابي سفيان بن الحارث بوجه آخر قال لقيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنية العقاب وذكر الحديث نحو ما ذكره ابن
 اسحاق قال ابن اسحاق وكان ابوسفيان بن الحارث وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة
 قد لقيار رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنية العقاب فهما بين مكة والمدينة فالتصا
 الدخول عليه فكلمته ام سلمة فيها فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك
 وصهرك فقال لا حاجة لي بها اما ابن عمي فهنك عرضي واما ابن عمتي وصهرى فهو
 الذي قال لي بمكة ما قال فلما خرج الخبر اليها بذلك ومع ابني سفيان بن الحارث
 ابن له فقال والله لياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اخذن بيد ابني

(١) قال في القاموس اذخر بالفتح بلد قرب مكة ١٢

هناثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها فدخل عليه فانشد ابو سفيان قوله في اسلامه واعتذاره مما كان مضى منه فقال •

لعمرك اني يوم احمل راية • لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكا لدج الحبران اظلم ليله • فهذا اواني حين اهدى واهدى

هداني هاد غير نفسي ودلني • على الله من طردت كل مطرد

وذكر باقي الايات • وفي رواية الواقدي قال فطلبوا الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان يدخلها عليه فكلته ام سلمة زوجته فقالت يا رسول الله صهرك وابن عمك وابن عمك واخوك من الرضاعة وقد جاء الله بهما مسلمين لا يكونا شقي الناس بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي بهما اما اخوك فالتقاتل لي بمكة ما قال لن يؤمن لي حتى ارقى في السماء فقالت يا رسول الله انما هو من قومك وكل قريش قد تكلم ونزل القرآن فيه بعينه وقد عفوت عن من هو اعظم جرما منه ابن عمك قرابتك به قريبة وانت احق الناس عفا عنه جرمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي هتك عري فلا حاجة لي بهما فلما خرج اليهما الخبر قال ابو سفيان بن الحارث ومعه ابنه ليقبلن مني او لاخذن بيد ابني فلاذهبن في الارض حتى اهلك عطشا وجوعا وانت احلم الناس واكرم الناس مع رحمتك فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته فرق له وقال عبد الله بن ابي امية انما جئت لاصدقك ولي من القرابة مثل مالي من الصهر بك وجعلت ام سلمة تكلمه فيها فرقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لها فاذن لها

ودخلا فاسلما وكانا جميعا حسنى الاسلام . قتل عبد الله بن ابي امية بالطائف
وملت ابو سفيان بن الحارث بالمدينة في خلافة عمر رضى الله عنه لم يغمص عليه
في شئ . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدر دمه قبل ان يلقاه
هو فوجهه لالة . انه اهدر دم ابي سفيان بن الحارث دون غيره من صناديد
المشركين الذين كانوا اشد تأثيرا في الجهاد باليد والمال وهو قادم الى مكة
لا يريد ان يسفك دماء اهلها بل يستعطفهم على الاسلام ولم يكن لذلك
سبب يختص بابي سفيان الا الهجاء ثم جاء مسلما وهو يعرض عنه هذا الاعراض
وكان من شأنه ان يتألف الاباعد على الاسلام فكيف بشيرته الاقربين كل
ذلك بسبب هتكه عرضه كما هو مفسر في الحديث . ومن ذلك . انه امر
يوم الفتح بقتل الحويرث بن ثقيد وهو معروف عند اهل السير قال موسى
ابن عقبة في مغازيه عن الزهري وهي من اصح المغازي كان مالك يقول من
احب ان يكتب المغازي فعليه بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة قال
وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكفوا ايديهم فلا يقايلوا احدا
الا من قاتلهم وامرهم بقتل اربعة نفر منهم الحويرث بن ثقيد وقال سعد
ابن يحيى الاموي في مغازيه حدثني ابي قال وقال ابن اسحاق وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد الى المسلمين في قتل قرو ونسوة وقال ان وجدتموهم
تحت استار الكعبة فاقتلوهم وساموهم باسمائهم ستة وهم عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح وعبد الله بن خطل والحويرث بن ثقيد ومقيس بن صبابه
ورجل من بني تميم بن غالب . قال ابن اسحاق وحدثني ابو عبيدة بن محمد

ابن عمار بن ياسر انهم كانوا ستة فكنتم اسم رجلين واخبرني باربعة وزعم
ان عكرمة بن ابي جهل احدهم قال واما الحويرث بن تقيد فقتله علي بن ابي
طالب وكذلك ذكر ابن اسحاق في رواية بكبر وغيره عنه من النفر الذين
استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اقتلوهم وان وجدتموهم تحت اстар
الكعبة الحويرث بن تقيد وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الواقدي عن اشياخه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال
وامر بقتل ستة نفر واربع نسوة عكرمة بن ابي جهل وهبار بن الاسود
وابن ابي سرح ومقيس بن صبابه والحويرث بن تقيد وابن خطل قال
واما الحويرث بن تقيد فانه كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فاهد ردمه
فبينما هو في منزله يوم الفتح قد اغلق عليه واقبل علي رضي الله عنه يسأل عنه
فقبل هو في البادية فاخبر الحويرث انه يطلب وتحمي علي عن بابه فخرج الحويرث
يريد ان يهرب من بيت الى بيت آخر فلتقاه علي فضرب عنقه ومثل هذا مما يشتهر
عنده هؤلاء مثل الزهري وابن عقبة وابن اسحاق والواقدي والاموي وغيرهم اكثر
ما فيه انه مرسل والمرسل اذا روى من جهات مختلفة لاسيما من له عناية بهذا الامر
ويتبع له كان كالمسند بل بعض ما يشتهر عنده اهل المغازي ويستفيض اقوى مما يروى
بالاسناد الواحد ولا يوهنه انه لم يذكر في الحديث المأثور عن سعد وعمر وبن
شعب عن ابيه عن جده لان المثلث مقدم على الثاني ومن اخبر انه امر بقتله فمعه
زيادة علم ولعل النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بقتله ثم امر بقتله وذلك انه
يمكن ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى اصحابه ان يقتلوا الا من قاتلهم الا النفر الاربعة

ثم امرهم ان يقتلوا هذا وغيره ومجذنيه عن القتال لا يوجب عصمة المكفوف
 عنهم لكنه بعد ذلك آمنهم الا ما نال المصم للدم وهذا الرجل قد امر
 النبي صلى الله عليه وسلم بقتله لمجرد اذاه له مع انه قد آمن من اهل البلد الذي
 قاتلوه واصحابه وفعلوا بهم الا فاعيل ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما
 قتل من بدر راجعاً الى المدينة قتل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
 ولم يقتل من الاسارى بدر غيرهما وقصتها معروفة قل ابن اسحاق وكان في
 الاسارى عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث فلما كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله علي بن ابي طالب كما اخبرت
 ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بمرق الظبية قتل عقبة بن ابي
 معيط قتله عاصم بن ثابت وقال موسى بن عقبة عن الزهري ولم يقتل من
 الاسارى صبرا غير عقبة بن ابي معيط قتله عاصم بن ثابت ابن ابي الاقح ولما
 ابصره عقبة مقبلاً اليه استغاث بقريش فقال يا معشر قريش علام اقتل من
 بين من هاهنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي عداوتك الله ورسوله وكذلك
 ذكر محمد بن عائذ في مقاربه وهذا والله اعلم لان النضر قتل بالصفراء عند
 بدر فلم يعد من الاسرى عند هذا القاتل لقتله قريباً من مصارع قريش
 والا فلا خلاف علمنا ان النضر وعقبة قتلا بعد الاسره وقد روى البزار
 عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش مالي اقتل من
 بينكم صبراً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك واقتراكت علي رسول الله
 هو قال الواقدي كان النضر بن الحارث اسره المقداد بن الاسود فلما خرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكان بالاثيل عرض عليه الاسرى
 فنظر الى النضر بن الحارث فابعد النظر فقال لرجل الى جنبه محمد والله قاتلي
 لقد نظر الي بعينين فيها آثار الموت فقال الذي الى جنبه والله ما هذامنك
 الارعب فقال النضر لمصعب بن عمير يا مصعب انت اقرب من هاهنا بي رحماً
 كلم صاحبك ان يجعلني كرجل من اصحابي هو والله قاتلي ان لم تفعل قال
 مصعب انك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا او كنت تقول في نبيه كذا
 وكذا اقال يا مصعب ويجعلني كاحد اصحابي ان قتلوا قتلت وان من عليهم
 من علي قال مصعب انك كنت تعذب اصحابه وذكر الحديث الى ان
 قال فقتله علي بن ابي طالب صبراً بالسيف قال الواقدي واقبل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بالاسرى حتى اذا كانوا بقرى الظبية امر عاصم بن ثابت
 ابن ابي الاقلح ان يضرب عنق عقبة بن ابي معيط فجعل عقبة يقول يا ويلي علام
 اقتل يا قریش من بين من هاهنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعداوتك
 لله ورسوله قال يا محمد منك افضل فاجعلني كرجل من قومي ان قتلتم قتلتي
 وان مننت عليهم مننت علي وان اخذت منهم الفداء كنت كاحدهم يا محمد
 من للصبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النار قد مه يا عاصم فاضرب
 عنقه فقد مه عاصم فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بش
 الرجل كنت والله ما علمت كافراً بالله وبكتابه ورسوله موزياً لنبيه فاحمد الله
 الذي هو قتلک وافر عيني منك ففي هذا بيان ان السب الذي اوجب قتل
 هذين الرجلين من بين سائر الاسرى اذ اهم الله ورسوله بالقول والفعل

فان الآيات التي نزلت في الضر معرفة واذى ابن ابي معيط له مشهور
 بلسانه ويد . حين خنقه بابي هو وامى بر دائه خنقا شديدا يريد قتله وحين
 التي السلا (١) على ظهره وهو ساجد وغير ذلك . ومن ذلك . انه امر بقتل
 من كان يهجو . بعد فتح مكة من قريش وسائر العرب مثل كعب بن زهير وغيره
 قال الاموي حدثني ابي قال قال ابن اسحاق وذكره يونس بن بكير والبيهقي
 وغيرهما عن ابن اسحاق قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
 منصرفا من الطائف كتب يهير بن زهير بن ابي سلى الى اخيه كعب بن
 زهير يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في قتل رجال بمكة ممن
 كان يهجو . ويؤذيه . ولفظ يونس والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد قتل رجلا بمكة ممن كان يهجو . ويؤذيه وان من بقي من شعراء
 قريش ابن الزبيري وهيرة بن ابي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت
 لك في نفسك حاجة فطري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه
 تائبا وان انت لم تفعل فانج الى نجاك من الارض وكان كعب قد قال
 اياتا نال فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رويت وعرفت وكان الذي قال

الا ابلاغنى يهيرا رسالة . • فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
 تخبرنى ان كنت لست بفاعل . • على اى شيء غير ذلك دلوك
 على خلق لم تاق يوما آله . • عليه ولم تعرف عليه ابالك
 فان انت لم تفعل فلست بفاعل . • ولا قائل اما عثرت لعالك

(١) السلا الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن امه ملفوفا فيه ١٢ مجمع

سقاكها المامون كاساروية * فانهلك المامون منها وعلكا
 واما قال كعب المامون لقول قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم الامين
 الذي كانت تقول له فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الارض واشفق على
 نفسه وارجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد
 من شيء بدا اقل قصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فيها
 خوفه وارجاف الوشاة به ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت
 بينه وبينه معرفة من جهنة كما ذكر لي فغدا به على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حين صلى الصبح فلما صلى مع الناس اشار له الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال هذا هو رسول الله فقم اليه فذكر لئانه قام الى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال
 يا رسول الله ان كعب بن زهير استأ من منك نائبا مسلما فهل انت قابل منه
 ان انا جئت بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال انما يا رسول الله كعب
 ابن زهير قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر انه وثب عليه رجل من الانصار
 فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دع عنه عنك قد جاء نائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحى من
 الانصار لما صنع به صاحبه و ذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين
 الا بخير فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم انشد ابن اسحاق قصيدته المشهورة بانث سعاد وفيها *

انبث ان رسول الله اوعدني * والعفو عند رسول الله مامول

مهلا هدا الذي اعطاك نافلة ❁ الفرقان فيه مواعظ وتفصيل
 لا تاخذني باقوال الوشاة ولم ❁ اذنب ولو كثرت في الاقاويل
 وفي حديث آخر وذلك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندر دمه
 بقول بلغه عنه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما ودخل مسجد
 وانشد القصيدة فقد اخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في قتل رجال
 بمكة لاجل هجائهم واذ اتم حتى فر من فر منهم الى نجران ثم رجع ابن الزبيري
 ثائبا مسلما واقام هيرة بنجران حتى مات مشركا ثم انه اهد رد م كعب
 لما قاله مع انه ليس من بليغ الهجاء لكونه طعن في دين الاسلام وعابه وعاب
 ما يدعوا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تاب قبل القدرة عليه وجاء
 مسلما وكان حوريا ومع هذا فهو يلمس العفو ويقول ❁ لا تاخذني باقوال
 الوشاة ولم اذنب ❁ ومن ذلك ❁ ما نقل انه كان يتوجه صلى الله عليه وسلم
 الى قتل من يعجوه ويقول من يكفيني عدوي ❁ قال الاموي سعد
 ابن يحيى بن سعيد في مغازبه ثنائي قال اخبرني عبد الملك بن جريح عن عكرمة
 عن عبد الله بن عباس ان رجلا من المشركين شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكفيني عدوي فقال الزبير بن العوام
 فقال انافبارزه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه ولا احسبه الا في خيبر
 حين قتل ياسر ورواه عبد الرزاق ايضا وروي ان رجلا كان يسب النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انافبعثه النبي صلى الله
 عليه وسلم اليه فقتله ❁ ومن ذلك ❁ ان اصحابه كانوا اذا سمعوا من يسبه ويؤذيه

صلى الله عليه وسلم قتلوه وان كان قريبا فيقرهم على ذلك ويرضاه ورجاسى
 من يفعل ذلك ناصرا لله ورسوله فروى ابو اسحاق الفزاري في كتابه المشهور
 في السير عن سفيان الثوري عن اسمعيل بن مسميع عن مالك بن عمير قال جاء رجل
 الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني لقيت ابي في المشركين فسمعت منه مقالة
 قبيحة لك فما صبرت ان طعنته بالرمح فقتلته فما شق ذلك عليه قال وجاءه آخر
 فقال اني لقيت ابي في المشركين فصنعت عنه فما شق ذلك عليه * وقد رواه
 الاموي وغيره من هذه الطريق. وروى ابو اسحاق الفزاري ايضا في كتابه عن
 الاوزاعي عن حسان بن عطية قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا
 فيهم عبدالله بن رواحة وجابر فلما صافوا المشركين اقبل رجل منهم يسب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقام رجل من المسلمين فقال انا فلان ابن فلان وامي فلانة فسبني
 وسب امي وكف عن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزد. ذلك
 الاغراء فاعاد مثل ذلك وعاد الرجل مثل ذلك فقال في الثالثة لان عدت
 لارحلتك بسيني فعاد فحمل عليه الرجل فولى مدبر افاثبه الرجل حتى خرق
 صف المشركين فضر به بسيفه واحاط به المشركون فقتلوه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اعجبتم من رجل نصر الله ورسوله ثم ان الرجل بري من
 جراحته فاسلم فكان يسمى الرحيل رواه الاموي في مغازيه من هذا الوجه
 وقد تقدم حديث عمير بن عدي لما قال حين بلغه اذى بنت مروان للنبي
 صلى الله عليه وسلم اللهم ان علي نذرا لئن رددت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى المدينة لا قتلها فقتلها بدون اذن النبي صلى الله عليه وسلم فقال

النبي صلى الله عليه وسلم اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير بن عدي • وكذلك حديث اليهودية وام الولد فان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى رد مها (١) لما قتلت لاجل سبه • وقد تقدم ايضا حديث الرجل الذي نذر ان يقتل ابن ابي مرح لما اقترأ على النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم امسك عن مبايعته ليقوم اليه ذلك الرجل فيقتله ويبنى بذره • وغدذكروا ان الجن الذين آمنوا به كانت تقصد من سبه من الجن الكفار فقتلته قبل الهجرة وقبل الاذن في القتال لها وللانس فقرها على ذلك ويشكر ذلك لها • قال سعد بن يحيى الاموى في مغازيه حدثني محمد بن سعيد يعني عمه قال قال محمد بن النكدر انه ذكر له عن ابن عباس انه قال هتف هاتف من الجن على جبل ابي قبيس فقال •

فبج الله رأيكم آل فهر • ما ادق القول والاحلام
حين تغضي لمن يعيب عليها • دين آباءها الحماة الكرام
حالف الجن جن بصري عليكم • ورجال النخيل والآطام
يوشك الخيل ان تروها نهارا • تقتل القوم في حرام تها
هل كريم منكم له نفس حر • ماجد الجدتين والاعمام
ضارباً ضربة تكون نكالا • ورواحاً من كربة واغتنام

قال ابن عباس فاصبح هذا الشعر حديثاً لاهل مكة يتناشدونه بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شيطان يكلم الناس في الاوثان يقال له

مسروا لله مغزبه فمكثوا ثلاثة ايام فاذا هانت يهتف على الجبل يقول •
 نحن قتلنا في ثلاث مسعرا • اذ سفه الحق وسن المنكرا
 فنتقه سيفاً حساماً مبتراً • بستمه نينا المطهر ا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عفريت من الجن اسمه سمجج
 آمن بي سميته عبد الله اخبرني انه في طلبه منذ ثلاثة ايام فقال علي جزاء الله
 خير يا رسول الله • ومن ذكر • انه قتل لاجل اذى النبي صلى الله عليه
 وسلم ابورافع بن ابي الحقيق اليهودي وقصته معروفة مستفيضة
 عند العلماء • فنذكر منها موضع الله لالة عن البراء بن عازب قال بعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي رافع اليهودي رجلاً من الانصار وامر
 عليهم عبد الله بن عتيك وكان ابورافع يوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ويعين عليه وكان في حصن له بارض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت
 الشمس وراح الناس لسرهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني
 منطلق ومنطلق للبواب لعل ان ادخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع
 بثوبه كانه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان
 كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق الباب قال فدخلت
 فكنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق على وند قال
 فقمتم الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابورافع يسير عنده
 وكان في عليه له فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت
 باباً اغلقت علي من داخل قلت ان القوم ان نذروا بي لم يخلصوا الي حتى

وقصته قتل ابي رافع اليهودي لاجل اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم

اقتله فانهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادرى اين هو من
البيت قلت ابارافع قال من هذا فاهاويت نحو الصوت فاخر به ضربة
بالسيف واتاد هس فما اغيت شيئا وصاح فخرجت من البيت فامكث غير
بعيد ثم رجعت اليه فقلت ما هذا الصوت ابارافع فقال لامك الويل ان
رجلا في البيت ضرب بني قبل بالسيف قال فاخر به ضربة بالسيف اثخته
ولم اقتله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني
قتلته فجعلت افتح الابواب بابا با با حتى انتهيت الى درجته فوضعت رجلى
وانا ادرى ان قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي
فعصبتها بعامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا اخرج الليلة حتى اعلم
اقتله فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال اني ابارافع فلجراهل الحجاز
فانطلقت الى اصحابي فقلت النجاة قتل الله ابارافع فانهيت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلى فمسحها فكتالم اشتكها فطرواه
البخارى في صحيحه • وقال ابن اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن كعب بن
مالك قال لما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الحيين من الانصار الاوس
والخزرج كلنا يتصاولان معه تصلول الفحلين لا يصنع احدهما شيئا الا صنع
الاخر مثله يقولون لا يمدون ذلك فضلا علينا في الاسلام وعند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قتل الاوس كعب بن الاشرف نذرت الخزرج
رجلا هو في العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثله فتذاكروا ابن ابى
الحقيق بنجر فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله فاذا نلهم وذكر

الحديث الى ان قال ثم صعد واليه في عليه له فقر عوالية الباب فخرجت اليهم امرأته فقالت من انتم فقالوا حي من العرب نريد الميرة ففتحت لهم فالتفت ذاكم الرجل عندكم في البيت وذكركم تمام الحديث في قتله فقد تبين في حديث البراءة وابن كعب انما تسرى المسلمون لقتله باذن النبي صلى الله عليه وسلم لا ذاه النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداته له وانه كان نظير ابن الاشرف لكن ابن الاشرف كان معاهدا فاذى الله ورسوله فندب المسلمين الى قتله وهذا لم يكن معاهدا فذاه الاحاديث كلها تدل على ان من كان بسب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذي به من الكفار فانه كان يقصد قتله ويحضر عليه لاجل ذلك وكذلك اصحابه بامرهم يفعلون ذلك مع كفه عن غيره من هو على مثل حاله في انه كافر غير معاهد بل مع امانه لا ولائك او احسانه اليهم من غير عهد بينه وبينهم ثم هو لا من قتل ومنهم من جاء مسلماً تائباً فعصم دمه لثلاثة اسباب * احدها * انه جاء تائباً قبل القدره عليه والمسلم الذي وجب عليه حد لوجاء تائباً قبل القدره عليه لسقط عنه فالحرابي اولى * الثاني * ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من خلقه ان يعفو عنهم * الثالث * ان الحرابي اذا اسلم لم يؤخذ بشيء مما عمل في الجاهلية الا من حقوق الله ولا من حقوق العباد من غير خلاف نعلم لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * وبقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله رواء مسلم * وبقوله صلى الله عليه وسلم من احسن في الاسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية متفق عليه * ولهذا اسلم خلق كثير وقد قتلوا

رجال يعرفون فلم يطلب احد منهم بقود ولا دية ولا كفارة. اسلم وحشى قاتل حمزة وابن العاص قاتل ابن قوقل وعقبة بن الحارث قاتل خبيب بن عدى ومن لا يحصى ممن ثبت في الصحيح انه اسلم وقد علم انه قتل رجلا بعينه من المسلمين فلم يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على احد منهم قصاصاً بل قال صلى الله عليه وسلم يضحك الله تعالى الى رجلين يقتل احدهما صاحبه كلاهما يدخل الجنة يقتل هذا في سبيل الله فيدخل الجنة ثم يتوب الله على القاتل فيسلم ويقتل في سبيل الله فيدخل الجنة متفق عليه. وكذلك ايضاً لم يضمن النبي صلى الله عليه وسلم احد منهم مالا اتلفه للمسلمين ولا اقام على احد حد زنا او سرقة او شرب او قذف سواء كان قد اسلم بعد الاسر او قبل الاسر وهذا مالا نعلم بين المسلمين فيه خلافاً لافي رواية ولا في الفتوى به بل لو اسلم الحربي ويده مال مسلم قد اخذه من المسلمين بطريق الاغتنام ونحوه مما يملك به مسلم من مسلم لكونه محرماً في دين الاسلام كان له ملكا لم يردده الى المسلم الذي كان يملكه عند جاهل العلماء من التابعين ومن بعدهم وهو معنى ما جاء عن الخلفاء الراشد بن وهو مذهب ابي حنيفة ومالك ومنصوص احمد و قول جاهل اصحابه بناء على ان الاسلام او الهدى وما يديه من المال الذي كان يعتقد ملكا له لانه خرج عن ملكه المسلم في سبيل الله ووجب اجره على الله واخذه هذا صار مستحلاً له وقد غفر الله له باسلامه ما فعله في دماء المسلمين واموالهم فلم يضمنه بالرد الى ملكه كما لم يضمن ما اتلفه من النفوس والاموال ولا يقضى ما تركه من العبادات لان

كل ذلك كان تابعا للاعتقاد فلما رجع عن الاعتقاد غفر له ما تبعه من الذنوب فصار
 ما يبدى من المال لا ثبته عليه فيه فلم يوحذ منه بجميع ما يبدى من العقود
 الفاسدة التي كان يستعملها من ربا وغيره. ومن العلماء من قال يرد على مالكه
 المسلم وهو قول الشافعي وابي الخطاب من الخبئية بناء على ان اغتنامهم
 فعل محرم فلا يملكون به مال المسلم كالنصب ولانه لو اخذه المسلم منهم
 اخذا لا يملك به مسلم من مسلم بان يضمنه او يسرقه فانه يرد الى مالكه المسلم
 لحديث ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مما اتفق الناس فيما نعلمه عليه ولو كانوا قد
 ملكوه لملكه الغنائم منهم ولم يرد. والاول اصح لان المشركون كانوا يضمنون
 من اموال المسلمين الشيء الكثير من الكراع والسلاح وغير ذلك وقد
 اسلم عامة اولئك المشركون فلم يسترجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد منهم
 ما لامع ان بعض تلك الاموال لا بد ان يكون باقيا ويكني في ذلك ان الله
 سبحانه قال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يستغنون
 فضلا من الله ورضوانا. وقال تعالى اذن للذين يقاتلون الى قوله الذين اخرجوا
 من ديارهم بغير حق الآية وقال تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام
 واخرج اهله منه. وقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
 من دياركم وظاهروا على اخرجكم. فبين سبحانه ان المسلمين اخرجوا من
 ديارهم واموالهم بغير حق حتى صاروا فقراء بعد ان كانوا اغنياء ثم ان المشركون
 استولوا على تلك الديار والاموال وكانت باقية الى حين الفتح وقد اسلم
 من استولى عليها في الجاهلية ثم لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم على احد منهم

اخرج من داره بعد الفتح والاسلام دارا ولا مالا بل قبل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الا تنزل في دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار * وسأله المهاجرون ان يرد عليهم اموالهم التي استولى عليها اهل مكة فابى ذلك صلى الله عليه وسلم واقراها يسد من استولى عليها بعد اسلامه وذلك ان عقيل بن ابي طالب بعد الهجرة استولى على دار النبي صلى الله عليه وسلم و دور اخوته من الرجال والنساء مع ما ورثه من ابيه ابي طالب قال ابو رافع قبل للنبي صلى الله عليه وسلم الا تنزل منزلك من الشعب قال فهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزل اخوته من الرجال والنساء بمكة * وقد ذكر اهل العلم بالسيرة منهم ابو الوليد الازرقى ان رباح عبد المطلب بمكة صارت لبني عبد المطلب فمنها شعب ابن يوسف وبعض دار ابن يوسف لابي طالب والجو الذي بينه وبعض دار ابن يوسف دار المولد مولد النبي صلى الله عليه وسلم و ما حوله لابي النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب ولارباب ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له هذه الدار ورثها من ابيه وبها ولد وكان له دار ورثها هو وولده من خديجة رضى الله عنها قال الازرقى فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنه كليهما مسكنه الذي ولد فيه ومسكنه الذي ابنتي فيه بخديجة بنت خويلد وولد فيه وولده جميعا قال وكان عقيل بن ابي طالب اخذ مسكنه الذي ولد فيه واما بيت خديجة فاخذه معتب بن ابي لمب وكان اقرب الناس اليه جوارا فباعه

شرح حديث
هل ترك لنا عقيل من دار

بعد من معاوية وقد شرح اهل السير ما ذكرنا في دور المهاجرين قال
الازرق في دار جحش بن رثاب الاسدي التي بالمعل لم يزل في يد ولد جحش
فلما اذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه في الهجرة الى المدينة خرج
آل جحش جميعاً الرجال والنساء الى المدينة مهاجرين وتركوا دارهم
خالية وهم حلفاء حرب بن امية فعمد ابوسفيان الى دارهم هذه فباعها
باربعائة دينار من عمرو بن علقمة العامري فلما باع آل جحش ان اباسفیان
باع دارهم انشأ ابواحمد يهجو اباسفیان وبيعه ببيعها وذكر ابياتا فلما كان
يوم فتح مكة اتى ابواحمد بن جحش وقد ذهب بصره الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكله فيها فقال يا رسول الله ان اباسفیان عمداً الى دارى
فباعها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار به بشى فاسمع ابواحمد
بعد ذلك ذكرها فقل لا بى احد بعد ذلك ما قال لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال لى ان صبرت كان خيرا و كان لك بها دارا في الجنة
قال قلت فانا اصرقتر كما ابواحمد قال وكان لعتبة بن غزوان دار نسي
ذات الوجين فلما هاجر اخذها بلى بن امية وكان استوصاه بها حين
هاجر فلما كان عام الفتح وكلم بنو جحش رسول الله صلى الله عليه وسلم في دارهم
فكره ان يجمعوا في شى من اموالهم اخذت منهم في الله تعالى وهجره الله
امسك عتبة بن غزوان عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره هذه
ذات الوجين وسكت المهاجرون فلم يتكلم احد منهم في دار هجره الله
ورسوله وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنه الذي ولد فيه

ومسكنه

و مسكنه الذي ابنتى فيه بخديجة وهذه القصة معروفة عند اهل العلم *
 قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر بن حزم و الزهير بن عكاشة
 ابن ابي احمد قال ابطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح عليهم في دورهم
 فقالوا لابي احمد يا ابا احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره لكم ان ترجعوا
 في شيء من اموالكم مما اصيب في الله * وقال ابن اسحاق ايضا في رواية زياد بن
 عبد الله البكائي عنه و تلاحق المهاجرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فلم يبق احد منهم بمكة الا مفتون او محبوس و لم يوجب اهل هجرة من مكة
 باهلهم و اموالهم الى الله و الى رسوله الا اهل دورهم مسنون بنوه مظلومون من بني
 جمح و بنو جحش بن رئاب حلفاء بني امية و بنو بكير من بني سعد بن ليث
 حلفاء عدي بن كعب فان دورهم غلقت بمكة فهاجروا و لما خرج
 بنو جحش بن رئاب من دارهم عدا عليهم ابو سفیان بن حرب فباعها من عمرو
 ابن علقمة اخي بني عامر بن لؤي فلما بلغ بني جحش ما صنع ابو سفیان بدارهم
 ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الا ترضى يا عبد الله ان يعطيك الله بها دارا خيرا منها
 في الجنة فقال بلى فقال ذلك لك فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مكة كله ابو احمد في دارهم فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 الناس لابي احمد يا ابا احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ان ترجعوا
 في شيء من اموالكم مما اصيب منكم في الله فامسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال الواقدي عن اشياخه قالوا و اقام ابو احمد بن جحش على باب المسجد على

جمله حين فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته يعني الخطبة التي خطبها
وهو واقف بباب الكعبة حين دخل الكعبة فصلى فيها ثم خرج يوم الفتح فقال
بواحد وهو يصيح انشد يا بني عبد مناف حلني انشد يا بني عبد مناف
داري قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فسار عثمان
بشيء فذهب عثمان الى ابي احمد فساره فنزل ابو احمد عن بعيره وجلس مع
القوم فاسمع ابو احمد ذاكرها حتى لقي الله فهذا نص في ان المهاجرين طلبوا
استرجاع ديارهم فنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واقربها يديهم من استولى
عليها ومن اشتراها منه وجعل صلى الله عليه وسلم ما اخذ منهم الكفار بمنزلة
ما اصيب من ديارهم وما انفقوه من اموالهم وتلك دماء واما اشتراها الله
وسلمت اليه ووجب اجرها على الله فلا رجعة فيها وذلك لان المشركين
يستحلون دماءنا وانا وانا وانا اصابوا ذلك كله استخلا لا وهم آثمون في هذا
الاستحلال فاذا اسلموا اوجب الاسلام ذلك الاثم وصاروا كأنهم ما اصابوا
دما ولا مالا فبايديهم لا يجوز انتزاعه منهم فان قيل في الصحيحين
عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن اسامة بن زيد
رضي الله عنه انه قال يا رسول الله لا تنزل في دارك بمكة قال وهل تركنا
عقيل من ربايع او دور وروكان عقيل ورث ابا طالب هو وطالب ولم يرث
جعفر ولا علي شيئا لانها كانتا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين وفي رواية
للبخاري انه قال يا رسول الله اين تنزل غد لو ذلك زمن الفتح فقال وهل ترك
لنا عقيل من منزل ثم قال لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر قبل للزهري

❀ ان المهاجرين طلبوا استرجاع ديارهم بعد فنيكة فنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واقربها يديهم من استولى عليها ومن اشتراها منه وجعل صلى الله عليه وسلم ما اخذ منهم الكفار بمنزلة ما اصيب من ديارهم وما انفقوه من اموالهم وتلك دماء واما اشتراها الله وسلمت اليه ووجب اجرها على الله فلا رجعة فيها وذلك لان المشركين يستحلون دماءنا وانا وانا وانا اصابوا ذلك كله استخلا لا وهم آثمون في هذا الاستحلال فاذا اسلموا اوجب الاسلام ذلك الاثم وصاروا كأنهم ما اصابوا دما ولا مالا فبايديهم لا يجوز انتزاعه منهم فان قيل في الصحيحين عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن اسامة بن زيد رضي الله عنه انه قال يا رسول الله لا تنزل في دارك بمكة قال وهل تركنا عقيل من ربايع او دور وروكان عقيل ورث ابا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيئا لانها كانتا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين وفي رواية للبخاري انه قال يا رسول الله اين تنزل غد لو ذلك زمن الفتح فقال وهل ترك لنا عقيل من منزل ثم قال لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر قبل للزهري ❀

ومن ورث اباطالب قال ورثه عقيل وطالب وفي رواية معمر عن الزهري
ابن من ذلك غدافي حجتك رواه البخاري وظاهر هذا ان الدور انتقلت الى
عقيل بطريق الارث لا بطريق الاستيلاء ثم باعها قلنا اما دار النبي صلى الله
عليه وسلم التي ورثها من ابيه وداره التي هي له ولولده من زوجته المؤمنة خديجة
فلاحق لعقيل فيها فلم انه استولى عليها واما دوراني طالب فان اباطالب
توفي قبل الهجرة بسنين والموارث لم تفرض ولم يكن نزل بعد منع المسلم من
ميراث الكافر بل كل من مات بمكة من المشركين اعطى اولاده المسلمون
نصيبهم من الارث كغيرهم بل كان المشركون ينسكون المسلمات الذي هو
اعظم من الارث وانما قطع الله الموالاة بين المسلمين والكافرين بمنع النكاح
والارث وغير ذلك بالمدينة وشرع الجهاد المقاطع للمعصية قال ابن اسحاق
حدثني ابن ابي نجيح قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة نظر الى
تلك الرباع فما ادرك منها قد اقتسم على امر الجاهلية تركه لم يجره وما وجدته
لم تقسم قسمه على قسمة الاسلام وهذا الذي رواه ابن ابي نجيح يوافق
الاحاديث المسندة في ذلك مثل حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل قسم قسم في الجاهلية فهو على ما قسم وكل قسم ادركه الاسلام فانه على
ما قسم الاسلام رواه ابو داود وابن ماجه وهذا ايضا يوافق ما دل عليه كتاب
الله ولا نعلم فيه خلافا فان الحربي لو عقد عقدا فاسدا من ربا او بيع خمر
او خنزير او نحو ذلك ثم اسلم بعد قبض العوض لم يجرم ما بيده ولم يجب عليه
رد ما لو لم يكن قبضه لم يجزله ان يقبض منه الا ما يجوز للمسلم كمدل عليه قوله

تعالى اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فالمرم بترك ما بقى في
 ذمم الناس ولم يأمرهم بردها قبضوه . وكذلك وضع النبي صلى الله عليه وسلم
 لما خطب الناس كل دم احسب في الجاهلية وكل ربا في الجاهلية حتى ربا
 العباس ولم يأمرهم بما كان قبض فكذلك الميراث اذ مات الميت في الجاهلية
 واقتسموا تركته امضيت القسمة فان استلوا قبل الاقسام او تحاكموا اليها قبل
 القسمة قسم على قسم الاسلام فلما مات ابوطالب كان الحكم بينهم ان يرثه جميع
 ولده فلم يتقسموا رباعه حتى هاجر جعفر وثلث الى المدينة فاستولى عقيل عليها
 وباعها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك لنا عقيل منزلا الا استولى عليه
 وباعه . وكان معنى هذا الكلام انه استولى على دور كنا نستحقها ذاك لولا
 ذلك لم تضاف الدور اليه والى بنى عمه اذ لم يكن لهم فيها حق ثم قال بعد
 ذلك لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن . يريد والله اعلم لو ان
 الرباع باقية يده الى الآن لم يقسم لكننا نعطي رباع ابي طالب كلها له
 دون اخوته لانه ميراث لم يقسم فيقسم الآن على قسم الاسلام ومن
 قسم الاسلام ان لا يرث المسلم الكافر فكان نزول هذا الحكم بعد موت
 ابي طالب وقبل قسمة تركته بمنزله نزوله قبل موته فيين النبي صلى الله
 عليه وسلم ان عليا وجعفر ليس لهما المطالبة بشيء من ميراث ابي طالب لو كان
 باقيا فكيف اذا اخذ منهم في سبيل الله فاذا كان المشرك الحربي لا يطالب بعد
 اسلامه بما كان احصاه من دماء المسلمين واموالهم وحقوق الله ولا يتزع
 ما يده من اموالهم التي غنمها منهم لم يواخذ ايضا بما اسلفه من سب وغيره

فهذا وجهه الغفوعن هو لا وهذا الذي ذكرناه من سنة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في تحتم قتل من كان يسبه من المشركين مع الغفوعن
 هو مثله في الكفر كان مستقرا في نفوس اصحابه على عهده وبعد عهده
 يقصدون قتل الساب ويحرضون عليه وان امسكوا عن غيره ويجعلون
 ذلك هو الموجب لقتله ويذلون في ذلك نفوسهم كما تقدم من حديث الذي قال
 سبني وسب امي وكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حمل عليه
 حتى قتل وحديث الذي قتل اباه لما سمعه يسب النبي صلى الله عليه وسلم
 وحديث الانصاري الذي نذر ان يقتل العصاة فقتلوا وحديث الذي
 نذر ان يقتل ابن ابي سرح وكف النبي صلى الله عليه وسلم عن مبايعته
 ليوفي بنذره وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال
 اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي
 فاذا انا بغلامين من الانصار حديثه اسنانها فتمنيت ان اكون بين اضلع منها
 فغمرني احدهما فقال اي عم هل تعرف اباجهل قلت نعم فمأحا جنتك اليه يا ابن
 اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
 لئن رأيت لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا قال فتعجبت
 لذلك قال وغمرني الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل
 يجول في الناس فقلت لهما الاتريان هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه قال
 فابتدراه سيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصر فالى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منها انا قتلته فقال هل مستحما

فقتله قتل ابي جهل

سيفبكا فقال لا فانظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلا كما
 قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لما ذبن عمرو بن الجموح
 والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء • والقصة مشهورة
 في فرح النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسجوده شكر أو قوله هذا فرعون هذه
 الامة هذا مع نبيه عن قتل ابي البجترى بن هشام مع كونه كافرا غير ذي
 عهد لكفه عنه واحسانه بالسعى في نقض صحيفة الجور ومع قوله لو كان
 المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء التني يعني الاسرى لاطلقتهم له
 يكافي المطعم باجارته له بمكة والمطعم غير معاهد فعلم ان موذى الرسول
 صلى الله عليه وسلم يتعين اهلاكه والانتقام منه بخلاف الكاف عنه وان
 اشتركا في الكفر كما كان يكافي المحسن اليه باحسانه وان كان كافرا يؤيد ذلك
 ان ابالهب كان له من القرابة ماله فلما آذاه وتخلف عن بني هاشم في نصره نزل
 القرآن فيه بما نزل من اللعنة والوعيد باسمه خزيم ينفعل بغيره من الكافرين
 كما روي عن ابن عباس انه قال ما كان ابولهب الا من كفار قومه حتى خرج
 من احين تحالفت قريش علينا فظاهروا فسيب الله وبنو المطلب مع مساواتهم
 لعبد شمس ونوفل في النسب لما اعانوه ونصروه وهم كفار شكر الله ذلك
 لهم فجعلهم بعد الاسلام مع بني هاشم في سهم ذوى القربى وابوطالب لما
 اعانوه ونصروه وذب عنه خفف عنه العذاب فهو من اخف اهل النار عذابا •
 وقد روى ان ابالهب يسقى في نقرة الابهام لعنقه ثوبية اذ بشرته بولادته •
 ومن سنة الله ان من لم يكن المؤمنون ان يعذبه من الذين يؤذون الله

ورسوله فان الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه اياه كما قد منابض ذلك
 في قصة الكاتب المفتري وكما قال سبحانه فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
 انا كفيناك المستهزين * والقصة في اهلاك الله واحدا او احدا من هؤلاء
 المستهزين معروفة ذكرها اهل السير والتفسير وهم على ما قيل نفر من
 رؤوس قريش منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسودان ابن
 المطلب وابن عبد يغوث والحارث بن قيس وقد كتب النبي صلى الله عليه
 وسلم الى كسرى وقيصرو كلاهما لم يسلم لكن قيصر اكرم كتاب النبي صلى الله
 عليه وسلم واكرم رسوله فثبت ملكه فيقال ان الملك باق في ذريته
 الى اليوم وكسرى مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستهزأ
 برسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق
 ولم يبق الا كاسرة ملك وهذا والله اعلم بتحقيق لقوله تعالى ان شانئك هو الابتره
 فكل من شانه وابغضه وعاداه فان الله يقطع دابره ويمحق عينه واثره
 وقد قيل انها زلت في العاص بن وائل او في عقبة بن ابى معيط او في كعب بن
 الاشرف وقد رايت صنيع الله بهم * ومن الكلام السائر لحوم العلماء مسمومة
 فكيف بلحوم الانبياء عليهم السلام * وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة فكيف بمن عادى
 الانبياء * ومن حارب الله تعالى حربا واداه استقصيت قصص الانبياء المذكورة
 في القرآن تجدهم انما اهلكوا حين آذوا الانبياء وقابلوهم بقتل القبول والعمل
 وهكذا بنو اسرائيل انما ضربت عليهم الذلة وباءه وابغضب من الله ولم يكن

قصة هلاك المستهزين

لهم نصير لقتلهم الانبياء، بغیر حق مضموماً الى كفرهم كما ذكر الله ذلك في كتابه
 وملك لا تجد احداً اذى نبياً من الانبياء ثم لم يلب الاو لا بدان تصيبه قارعة
 وقد ذكرنا ما جربه المسلمون من تعجيل الانتقام من الكفار اذا تعرضوا
 لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغنا مثل ذلك في وقائع متعددة وهذا
 باب واسع لا يحاط به ولم تصد قصده هنا وانما قصدنا بيان الحكم الشرعى وكان
 سبحانه يحسبه ويصرف عنه اذى الناس وشتهم بكل طريق حتى في اللفظ في
 الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترون كيف
 يصرف الله عنى شتم قریش ولعنهم يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وانا محمد
 فنزه الله اسمه ونعته عن الاذى وصرف ذلك الى من هو مذموم وان كان
 المؤذى انما قصد عينه فاذا اقرر بما ذكرناه من سنة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وسيرة اصحابه وغير ذلك ان الساب للرسول يتعين قتله فنقول انما يكون
 تعين قتله لكونه كافراً حرياً او للسب المضموم الى ذلك والاول باطل لان
 الاحاديث نص في انه لم يقتل لمجرد كونه كافراً حرياً بل عامتها قد نص فيه
 على ان موجب قتله انما هو السب فنقول اذا تعين قتل الحري لاجل انه سب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذلك المسلم والذي اولى لان موجب
 للقتل هو السب لا مجرد الكفر والمحاربة كما تبين فحيث ما وجد هذا موجب
 وجب القتل وذلك لان الكفر ملجئ للدم لا موجب لقتل الكافر بكل حال فانه
 يجوز امانه ومهادنته والمن عليه ومفاداته لكن اذا اصر للكفر عهد عصم العهد
 دمه الذى اباحه الكفر فهذا هو الفرق بين الحري والذى فاما سوى ذلك

من موجب القتل فلم يدخل في حكم العهد * وقد ثبت بالسنة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقتل الساب لاجل السب فقط لا مجرد الكفر الذي لا عهد معه فاذا وجد هذا السب وهو موجب للقتل والعهد لم يعصم من موجه تعين القتل ولان اكثر ما في ذلك انه كان كافرا حر ياسبوا المسلم اذا سب يصير مرتد اسبابا وقاتل المرتد واجب من قتل الكافر الاصل والذمي اذا سب فانه يصير كافرا محاربا سباً بعد عهد متقدم وقتل مثل هذا اغاظة * وايضاً، فلن الذمي لم يعاهد على اظهار السب بالاجماع ولهذا اذا اظهره فانه يعاقب عليه باجماع المسلمين اما بالقتل او بالعزير وهو لا يعاقب على فعل شيء مما عاهد عليه وان كان كفرا غليظاً ولا يجوز ان يعاقب على فعل شيء قد عاهد على فعله واذا لم يكن العهد مسوغاً لفعله وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالقتل لاجله فيكون قد فعل ما يقتل لاجله وهو غير مقر عليه بالعهد ومثل هذا يجب قتله بلا تردد وهذا التوجيه يقتضي قتله سواء قدر انه نقض العهد ولم يتقضه لان موجبات القتل التي لم نقره على فعلها بقتل بها وان قيل لا يتقض عهد كالتزامية وكقطع الطريق على ذمي وكقتل ذمي وكما فعل هذه الاشياء مع المسلمين قلنا ان عهد لا يتقض فانه يقتل * وايضاً فان المسلم قد امتنع من السب بما اظهره من الايمان والذمي قد امتنع منه بما اظهره من الذمة والتزام الصغار ولو لم يكن ممتنعاً منه بالصغار لما جاز عقوبته بتعزيرو ولا غيره اذ فعله فاذا قتل لاجل السب الكافر الذي يستحله ظاهر او باطناً ولم يعاهدنا عهداً يقتضي تركه فلان يقتل لاجله

من التزم ان لا يظهره وعاهد ناعلى ذلك اولى واخرى * وايضاً * فقد تبين
بما ذكرناه من هذه الاحاديث ان الساب يجب قتله فان النبي صلى الله عليه
وسلم امر بقتل الساب في مواضع والامر يقتضى الوجوب ولم يبلغه عن
احد السب الا نذر دمه وكذا لك اصحابه هذا مع ما قد كان يمكنه من
العفو عنه بحيث لا يمكنه العفو عنه يجب ان يكون قتل الساب او كد
والحرص عليه اشد وهذا الفعل منه هو نوع من الجهاد والاغلاظ على
الكافرين والمنافقين و اظهار دين الله واعلاء كلمته ومعلوم ان هذا واجب
فلم ان قتل الساب واجب في الجملة وحيث جاز العفو له صلى الله عليه
وسلم فانما هو فمين كان مقدوراً عليه من مظهر الاسلام مطيع له او ممن
جاءه مستسلماً اما المتعنون فلم يعف عن احد منهم ولا يرد على هذا ان
بعض الصحابة آمن احدى القيتين وبعضهم آمن ابن ابي سرح لان هذين
كانا مستسلمين يريدان الاسلام والتوبة ومن كان كذلك فقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم له ان يعفوه فلم يتعين قتله فاذا ثبت ان الساب كان قتله
واجباً والكافر الحربي الذي لم يسب لا يجب قتله بل يجوز قتله فمعلوم ان
الذمة لا تعصم دم من يجب قتله وانما تعصم دم من يجوز قتله * الا ترى ان المرتد
لا ذمة له وان القاطع والزاني لا واجب قتلهم لم تنع الذمة قتلهم * وايضاً *
فلا مزية للذمي على الحربي الا بالعهد والعهد لم يبح له اظهار السب بالاجماع
فيكون الذمي قد شرك الحربي في اظهار السب الموجب للقتل وما اختص
به من العهد لم يبح له اظهار السب فيكون قد اتى بما يوجب القتل وهو لم يفر

الدين
الشد من
الحاربة

عليه فيجب قتله بالضرورة . وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل
من كان يسبه مع امانه لمن كان يحاربه بنفسه وماله فعلم ان السب اشد من
الحاربة او مثلها والذي اذا حارب قتل فاذا سب قتل بطريق الاولى
. وايضاً فان الذي وان كان معصوماً بالعهد فهو ممنوع بهذا العهد من
اظهار السب والحربي ليس له عهد بعصمه ولا يمنعه فيكون الذي من جهة
كونه ممنوعاً اسوأ حالاً من الحربي واشد عداوة واعظم جرماً واولي
بالنكال والعقوبة التي يعاقب بها الحربي على السب والعهد الذي عصمه
لم يف بموجبه فلا ينفعه لانا انما نستقيم له ما استقام لنا وهو لم يستقم بالاتفاق
وكذلك يعاقب والعهد بعصمته وبشره الا بحق فلما جازت عقوبته بالاتفاق
علم انه قد اتى ما يوجب العقوبة وقد ثبت بالسنة ان عقوبة هذا الذنب القتل
وسر الاستدلال بهذه الاحاديث انه لا يقتل الذي لمجرد كونه عهد
قد انتقض فان مجرد نقض العهد يجعله ككافر لا عهد له وقد ثبت بهذه
السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بقتل الساب لمجرد كونه كافر غير
معاهد وانما قتله لاجل السب مع كون السب مستلزماً للكفر والعداوة والحاربة
وهذا القدر موجب للقتل حيث كان وسياً في الكلام ان شاء الله تعالى على تعيين قتله
السنة الثالثة عشر ✽ ما روينا من حديث ابي القاسم عبد الله بن محمد
البغوي قال ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ثنا علي بن مسهر عن صالح بن حبان
عن ابن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم (١) امرني ان احكم
فيكم برأبي وفي اموالكم كذا وكذا وكان خطب امرأة منهم

(١) هكذا في المنقول عنه والقصة بتمامها على الصفحة الآتية ١٢

في الجاهلية فابوا ان يزوجه ثم ذهب حتى نزل على المرأة فبعث القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذب عدو الله ثم ارسل رجلا فقال ان وجدته حيا فاقته وان انت وجدته ميتا فخرقه بالنار فانطلق فوجد قد لدغ فمات فخرقه بالنار فغند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ورواه ابو احمد بن عدى في كتابه (الكامل) قال ثنا الحسين بن محمد بن عنبثرنا حجاج بن يوسف الشاعر ثنا زكرياء بن عدى ثنا علي بن مسهر عن صالح بن حبان عن ابن بريدة عن ابيه قال كان حي من بني ليث من المدينة على ميلين وكان رجلا قد خطب منهم في الجاهلية فلم يزوجه فأتاهم وعليه حلة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني هذه الحلة وامرني ان احكم في اموالكم ودمائكم ثم انطلق فنزل على تلك المرأة التي كان يحبها فارسل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذب عدو الله ثم ارسل رجلا فقال ان وجدته حيا وما راك تجد حيا فاضرب عنقه وان وجدته ميتا فخرقه بالنار قال فذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار هذا اسناد صحيح على شرط الصحيح لانعم له علة وله شاهد من وجه آخر ورواه المعاني بن زكريا الجري في (كتاب الجليس) قال ثنا ابو حامد الحصري ثنا السري بن حرثد الخراساني ثنا ابو جعفر محمد بن علي الفزاري ثنا داود بن الزبير قال قال اخبرني عطاء بن السائب عن عبد الله بن الزبير قال يوم اصابه اندرون ماتا ويل هذا الحديث من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده

الحكمة رجل اظهر لقوم ما دته عليهم بالمرئى عليه الصلاة والسلام كذا

✽ جزاء الكاذب على النبي صلى الله عليه وسلم ✽

من النار قال كان رجل عشق امرأة فأتى أهلها مساء فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني اليكم ان اتضيف في اي بيوتكم شئت قال وكان ينتظر يتوته المساء قال فأتى رجل منهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا يزعم انك امرته ان يبيت في اي بيوتنا شاء فقال كذب يا فلان انطلق معه فان امكنك الله منه فاضرب عنقه واحرقه بالنار ولا اراك الا قد كفيته فلما خرج الرسول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوه قال اني كنت امرتك ان تضرب عنقه وان تحرقه بالنار فان امكنك الله منه فاضرب عنقه ولا تحرقه بالنار فانه لا يمذب بالنار الاوب النار ولا اراك الا قد كفيته فأتت السماء بصيب فخرج الرجل يتوضأ فلسمعه افعى فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال هو في النار ✽ وقد روى ابو بكر بن مردويه من حديث الوازع عن ابي سلمة عن اسامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول علي ما لم اقل فليتبوأ مقعده من النار وذلك انه بعث رجلاً فكذب عليه فوجد ميتاً قد انشق بطنه ولم تقبله الارض ✽ وروى ان رجلاً كذب عليه فبعث عليه الزبير اليه ليقتلاه ✽ وللناس في هذا الحديث قولان ✽ احدهما ✽ الاخذ بظاهره ✽ في قتل من تعد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء من قال يكفر بذلك قاله جماعة منهم ابو محمد الجويني حتى قال ابن عقيل عن شيخه ابي الفضل الحمد اني مبتدعة الاسلام والكذب ابون والواضعون للحديث اشد من المحدثين قصدوا افساد الدين من خارج وهو لا قصدوا افساده من داخل فهم كاهل بلد سعوافي فساد احواله والمحدثون كالمحاصرين من

خارج فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الاسلام من غير الملابس له •
 ووجه هذا القول ان الكذب عليه كذب على الله ولهذا قال ان كذبا
 على ليس ككذب على احدكم فان ما امر به الرسول فقد امر الله به يجب اتباعه
 كوجوب اتباع امر الله وما اخبر به وجب تصديقه كما يجب تصديق ما اخبر الله
 به ومن كذب به في خبره او امتنع من التزام امره ومعلوم ان من كذب
 على الله بان زعم انه رسول الله او نبيه او اخبر عن الله خبرا كذب فيه
 كسيلة والعنسي ونحوهما من المتنبئين فانه كافر حلال الدم فكذلك من
 تعد الكذب على رسوله • يبين ذلك ان الكذب بمنزلة التكذيب له ولهذا
 جمع الله بينهما بقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق
 لما جاءه • بل ربما كان الكاذب عليه اعظم اثما من المكذب له ولهذا ابدأ الله
 به كما ان الصادق عليه اعظم درجة من المصدق بخبره فاذا كان الكاذب
 مثل المكذب او اعظم والكاذب على الله كالمكذب له فالكاذب على
 الرسول كالمكذب له • يوضح ذلك • ان تكذبه نوع من الكذب فان
 مضمون تكذبه الاخبار عن خبره انه ليس يصدق وذلك ابطال لدين الله
 ولا فرق بين تكذبه في خبر واحد او في جميع الاخبار وانما صار كافرا
 لما يتضمنه من ابطال رسالة الله ودينه والكاذب عليه يدخل في دينه
 ما ليس منه عمد او يزعم انه يجب على الامة التصديق بهذا الخبر وامثال هذا
 الامر لانه دين الله مع العلم بانه ليس لله بدين والزيادة في الدين
 كالنقص منه ولا فرق بين من يكذب بآية من القرآن او يصنف

من كذب بآية من القرآن
 كاذب بآية من القرآن
 كاذب بآية من القرآن
 كاذب بآية من القرآن
 كاذب بآية من القرآن

كلاماً و يزعم انه سورة من القرآن عامساً لذلك • وايضاً فان
تعمد الكذب عليه استهزاء به واستخفاف لانه يزعم انه امر باشياء
ليست مما امر به بل وقد لا يجوز الامر بها وهذه نسبة له الى السفه او انه
يخبر باشياء باطلة وهذه نسبة له الى الكذب وهو كفر صريح • وايضاً فانه
لو زعم زاعم ان الله فرض صوم شهر آخر غير رمضان او صلاة سادسة
زائدة ونحو ذلك او انه حرم الخبز واللحم عالم بالكذب نفسه كفر بالاتفاق •
فمن زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم اوجب شيئاً لم يوجبه او حرم شيئاً
لم يحرمه فقد كذب على الله كما كذب عليه الاول وزاد عليه بان صرح
بان الرسول قال ذلك وانه اعنى القائل لم يقله اجتهاداً واستنباطاً بالجملة
فمن تعمّد الكذب الصريح على الله فهو المتعمد للكذب الله واسوا حالاً وليس
ينبغي ان من كذب على من يجب تعظيمه فانه مستخف به • • • • • وايضاً
فان الكاذب عليه لابد ان يشينه بالكذب عليه وينقصه بذلك ومعلوم
انه لو كذب عليه كما كذب عليه ابن ابي سرح في قوله كان يتعلم مني او رماه
ببعض الفواحش الموبقة او الاقوال الخبيثة كفر بذلك فكذلك الكاذب
عليه لانه اما ان ياثّر عنه امراً او يخبراً او فعلاً فان اثر عنه امر المأمور به فقد زاد
في شريعته وذلك الفعل لا يجوز ان يكون مأموراً به لانه لو كان كذلك لأمربه
صلى الله عليه وسلم لقوله ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا امرتكم به
ولا من شيء يبعدكم عن النار الا نهيتكم عنه فاذا لم يأمر به فالأمر به غير جائز منه • فمن
روى عنه انه أمر به فقد نسبته الى الأمر بما لا يجوز له الأمر به وذلك نسبة له

الى السفه . وكذ لك ان تقل عنه خبرا فلو كان ذلك الخبر مما ينبغي له الاخبار به
لاخبر به لان الله تعالى قد اكل الدين فاذا لم يخبر به فليس هو مما ينبغي له ان
يخبر به وكذ لك الفعل الذي ينقله عنه كاذباً فيه لو كان مما ينبغي فعله ويرجع
لفعله فاذا لم يفعله فتركه اولى فاصله ان الرسول صلى الله عليه وسلم اكل
البشر في جميع احواله فتركه من القول والفعل فتركه اكل من فعله وما فعله
ففعله اكل من تركه فاذا كذب الرجل عليه متعمدا او اخبر عنه بما لم يكن
فذل الذي اخبر عنه نقص بالنسبة اليه اذ لو كان كمالا لوجد منه ومن
انقص الرسول فقد كفر . واعلم . ان هذا القول في غاية القوة كما تراه
لكن يتوجه ان يفرق بين الذي يكذب عليه مشافهة وبين الذي
يكذب عليه بواسطة مثل ان يقول حدثني فلان ابن فلان عنه بكذا
فهذا انما كذب علي ذلك الرجل ونسب اليه ذلك الحديث فاما ان
قال هذا الحديث صحيح او ثبت عنه انه قال ذلك علماً بانه كذب فهذا
قد كذب عليه اما اذا اقتراه ورواه رواية ساذجة ففيه نظر لاسيما والصحابة
عدول بتعد بل الله لهم فالكذب لو وقع من احد ممن يدخل فيهم لعظم ضرره
في الدين فاراد صلى الله عليه وسلم قتل من كذب عليه وعجل عقوبته ليكون
ذلك عاصماً من ان يدخل في العدول من ليس منهم من المنافقين ونحوهم .
واما من روى حديثاً يعلم انه كذب فهذا احرام كما صح عنه انه قال من روى
عني حديثاً يعلم انه كذب فهو احد الكاذبين لكن لا يكفر الا ان يتضم الى
روايته ما يوجب الكفر لانه صادق في ان شيخه حدثه به لكن لعله بان شيخه كذب

فيه لم تكن تحل له الرواية فصار بمنزلة ان يشهد على اقرار او شهادة او عقد
وهو يعلم ان ذلك باطل فان هذه الشهادة حرام لكنه ليس بشاهد زور
وعلى هذا القول فمن سبه فهو اولى بالقول من كذب عليه فان الكاذب
عليه قد زاد في الدين ما ليس منه وهذا قد طعن في الدين بالكعبة وحينئذ
فالنبي صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل الذي كذب عليه من غير استتابه
فكذلك الساب له اولى • فان قيل • الكذب عليه فيه مفسدة وهو ان
يصدق في خبره فيزاد في الدين ما ليس منه او ينتقص منه ما هو منه والطاعن عليه
قد علم بطلان كلامه بما اظهر الله من آيات النبوة • قيل • والمحدث عنه
لا يقبل خبره ان لم يكن عدلا بطأ فليس كل من حدث عنه قبل
خبره لكن قد يظن عدلا وليس كذلك والطاعن عليه قد يؤثر طعنه
في نفوس كثيرة من الناس ويسقط حرمة من كثير من القلوب فهو اوكد
على ان الحديث عنه له دلائل يميز بها بين الكذب والصدق • القول الثاني •
ان الكاذب عليه تغلظ عقوبته لكن لا يكفر ولا يجوز قتله لان موجبات
الكفر والقتل معلومة وليس هذا منها فلا يجوز ان يثبت ما لا اصل له ومن
قال هذا فلا بد ان يقيد قوله بانه لم يكن الكذب عليه متضمنا لعيب ظاهر
فاما ان اخباره سمعه يقول كلاما يدل على نقصه وعيبه دلالة ظاهرة مثل
حديث عرق الخيل ونحوه من الترهات فهذا مستهزاء به استهزاء ظاهرا
ولا ريب انه كافر حلال الدم • وقد اجاب من ذهب الى هذا القول عن
الحديث بان النبي صلى الله عليه وسلم علم انه كان منافقا فقتله لذلك لا للكذب

وهذا الجواب ليس بشيء لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من سنته ان يقتل احدا من المنافقين الذين اخبر الثقة عنهم بالنفاق او الذين نزل القرآن بتناقضهم فكيف يقتل رجلا بمجرد علمه بنفاقه ثم انه سمي خلقا من المنافقين لخذ يفة وغيره ولم يقتل منهم احدا وايضا فالسبب المذكور في الحديث انه هو كذب علي النبي صلى الله عليه وسلم كذبا له فيه غرض وعليه رتب القتل فلا تجوز اخلافة القتل الى سبب آخر وايضا فان الرجل انما يقصد بالكذب نبيل شهوته ومثل هذا قد يصدر من الفساق كما يصدر من الكفار وايضا فانما لان يكون نفاقه لهذه الكذبة او لسبب ماض فان كان لهذه فقد ثبت ان الكذب عليه نفاق والمنافق كافر وان كان النفاق متقدما هو مقتضى القتل لا غير فعلام يؤخر الامر بقتله الى هذا الحين وعلام لم يؤخذ الله تعالى بذلك النفاق حتى فعل ما فعل وايضا فان القوم اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فقال كذب عدواؤه ثم امر بقتله ان وجد حيا ثم قال ما اريدك بتجده حيا لعله صلى الله عليه وسلم بان ذنبه يوجب تعجيل العقوبة والنبي صلى الله عليه وسلم اذ امر بالقتل او غيره من العقوبات والكفارات عقب فعل وصف له صالح لترتب ذلك الجزاء عليه لكن ذلك الفعل هو مقتضى ذلك الجزاء لا غيره كما ان الاعرابي لما وصف له الجماع في رمضان امره بالكفارة ولما اقر عنده عامر والغامدية وغيرهما بالزنا امر بالرجم وهذا اجمالا خلافا بين الناس نعله نعم قد يختلفون في نفس الموجب هل هو مجموع تلك الاوصاف او بعضها هو نوع من تنقيح المناط

فاما ان يجعل ذلك الفعل عديم التأثير والموجب لذلك العقوبة غيره الذي لم يذكرو هذا فاسد بالضرورة لكن يمكن ان يقال فيه ما هو اقرب من هذا وهو ان هذا الرجل كذب على النبي صلى الله عليه وسلم كذبا يتضمن انتقاصه وعيبه لانه زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم حكمه في دماءهم واموالهم واذن لهم ان يبيت حيث شاء من بيوتهم ومقصوده بذلك ان يبيت عند تلك المرأة ليفجر بها ولا يمكنهم الانكار عليه اذا كان محكما في الدماء والاموال ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلل الحرام من زعم انه احل المحرمات من الدماء والاموال والقوا حش فقد انتقصه وعابه ونسب النبي صلى الله عليه وسلم اليه انه ياذن له ان يبيت عند امرأة اجنبية خاليا بها وانه يحكم بما شاء في قوم مسلمين وهذا طعن على النبي صلى الله عليه وسلم وعيب له وعلى هذا التقدير فقد امر بقتل من عابه وطعن عليه من غير استتابة وهو المقصود في هذا المكان فثبت ان الحد يث نص في قتل الطاعن عليه من غير استتابة حتى كلاً القولين ومما يؤيد القول الاول ان القوم لو ظهر لهم ان هذا الكلام سب وطعن لبادروا الى الانكار عليه ويمكن ان يقال رايهم امره فيوقوفوا حتى استثبتوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم لما تعارض وجوب طاعة الرسول وعظم ما اتاهم به هذا اللعين ومن نصر القول الاول قال كل كذب عليه فانه متضمن للطعن عليه كما تقدم ثم ان هذا الرجل لم يذكر في الحد يث انه قصد الطعن والازراء وإنما قصد تحصيل شهوته بالكذب عليه وهذا شأن كل من عمد الكذب عليه فانه إنما يقصد تحصيل غرض له ان لم يقصد الاستمراء به

والاغراض في الغالب امامال او شرف كما ان المسمى انما يقصد اذا لم يقصد مجرد
الاضلال اما الرياسة بنفاذ الامر وحصول التعظيم او تحصيل الشهوات الظاهرة
وبالجملة فمن قال لو فعل ما هو كفر كفر بذلك وان لم يقصد ان يكون كافرا
اذ لا يقصد الكفر احد الا ما شاء الله

﴿ السنة الرابعة عشر ﴾ حدث الاعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه
وسلم لما اعطاه ما احسنت ولا اجملت فاراد المسلمون قتله ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم لو تركتم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار
وسباني ذكره في ضمن الاحاديث المتضمنة لعقوه عن آذاه فان هذا
الحديث يدل على ان من آذاه اذا قتل دخل النار وذلك دليل على كفره
وجواز قتله والا كان يكون شهيد او كان قاتله من اهل النار وانما عفا النبي
صلى الله عليه وسلم عنه ثم استرضاه بعد ذلك حتى رضى لانه كان له ان يعفو
عن آذاه كما سيأتي ان شاء الله تعالى ومن هذا الباب ان الرجل الذي
قال له لما قسم غنائم حنين ان هذه تقسمه ما يريد بهوجه الله فقال عمر د عني
بارسول الله فاقول هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي
ثم اخبر انه يخرج من ضئضه اقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم وذكر
حديث الخوارج رواه مسلم فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع عمر من قتله
الاثلاث يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولم يمنع لكونه في نفسه معصوما
كما قال في حديث حاطب بن ابي بلتمه فانه لما قال ما فعلت ذلك كفر اولا
ورغبة عن د بني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه

حدث الامراني الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند تقسيمه الغنائم ما احسنت ولا اجملت

قد صدقكم فقال عمر د عني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا
وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
فبين صلى الله عليه وسلم انه باق على ايمانه وانه صدر منه ما يفر له به الذنوب
فعلم ان دمه معصوم وهنا علل بمفسدة زالت فعلم ان قتل مثل هذا القاتل
اذا امنت هذه المفسدة جائز وكذا لك لما امنت هذه المفسدة انزل الله
تعالى قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم بعد ان كان قد قل له
ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذهم قال زيد بن اسلم قوله جاهد
الكفار والمنافقين نسخت ما كان قبلها • ومما يشبه هذا ان عبد الله بن ابي
لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الا عزمنا الا ذل • وقال لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا • استامر عمر في قتله فقال اذن ترعد له
انوف كثيرة بالمدينة وقال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه والقصة
مشهورة وهي في الصحيحين وسأتي ان شاء الله تعالى فعلم ان من آذى
النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الكلام جاز قتله كذلك مع القدرة وانما
ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتله لما خيف في قتله من نفور الناس عن الاسلام
لما كان ضعيفا • ومن هذا الباب • ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال من يعذرني
في رجل بلغني اذاه في اهل قال له سعد بن معاذ انا اعذررك ان كان من
الاوس ضربت عنقه • والقصة مشهورة فلما لم ينكر ذلك عليه دل على ان من
آذى النبي صلى الله عليه وسلم ونقصه يجوز ضرب عنقه والفرق بين ابن
ابي وغيره ممن تكلم في شان عائشة انه كان يقصد بالكلام فيها عيب رسول الله

صلى الله عليه وسلم والطعن عليه والحق المار به وينكمم بكلام ينتقصه به
فلذلك قالوا نقتله بخلاف حسان ومسطح وحننة فانهم لم يقصدوا ذلك
ولم يتكلموا بما يدل على ذلك ولهذا انما استعذر النبي صلى الله عليه وسلم
من ابن ابي دون غيره ولا جله خطب الناس حتى كاد الحيات يقتلون
الحديث الخامس عشر قال سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في مغازيه
حدثني ابي عن المجالد بن سعيد عن الشعبي قال لما افتتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة دعا بمال العزى فنثره بين يديه ثم دعا رجلا قد سماه
فاعطاه منها ثم دعا اباسفيان بن حرب فاعطاه منها ثم دعا سعد بن حريث
فاعطاه منها ثم دعا رجلا من قريش فاعطاه فجعل يعطى الرجل القطعة من
الذهب فيها خمسون مثقالا وسبعون مثقالا ونحو ذلك فقام رجل فقال انك
ابصير حيث تضع التبر ثم قام الثانية فقال مثل ذلك فاعرض عنه النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قام الثالثة فقال انك لتحكم وما ترى عدلا قال ويحك اذا
لا يعدل احد بعدى ثم دعا نبي الله صلى الله عليه وسلم بالبرك فقال اذهب
واقته فذهب فلم يجد فقال لو قتله لرجوت ان يكونا ولهم و آخرهم
فهذا الحديث نص في قتل مثل هذا الطاغية على رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غير استتابه وليست هي قصة قسم غنائم حنين ولا قسم البر الذي
بعث به علي من اليمن بل هذه القصة قبل ذلك في قسم مال العزى وكان
هدم العزى قبل الفتح في اواخر شهر رمضان سنة ثمان وغنائم حنين قسمت
بعد ذلك بالجمرة في ذي القعدة وحدث علي في سنة عشر وهذا

الحديث مرسل ومخرجه عن مجاهد وفيه لين لكن له ما يؤيد معناه فانه قد تقدم ان عمر قتل الرجل الذي لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن باقراره على ذلك وجرمه اسهل من جرم هذا * وايضاً فان في الصحيحين عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الذي لمزه في قسمة الذهنية التي ارسل بهاعلي من اليمن وقال يا رسول الله اتق الله انه قال انه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله وطباً لا يجاوز حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان لئن ادركتهم لاقتلهم قتل عاد * وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم في آخر الزمان احدث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فايها لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة * وروى النسائي عن ابي برزة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقسمة فاعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئاً فقام رجل من ورائه فقال يا احمد ما عدلت في القسمة رجل اسود مطموم الشعر عليه ثوبان ايضان فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً وقال والله لا تجدون بعدى رجلاً هو اعدل مني ثم قال يخرج في آخر الزمان قوم كان هذا منهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية سبيلهم التحليق لا يزولون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فاذا

لقيمهم فاقتلهم هم شر الخلق والخلقة • فهذه الاحاديث كلها دليل على
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل طائفة هذا الرجل العائب عليه واخبر
ان في قتلهم اجر المن قتلهم وقال لئن ادرتهم لافلتنهم قتل عاد و ذكر
انهم شر الخلق والخلقة • وفيما رواه الترمذي وغيره عن ابي امامة انه قال
هم شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه و ذكر انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ذلك مرات متعددة و قلا فيهم قوله تعالى يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد
ايمانكم • وقال هو لاء الذين كفروا بعد ايمانهم ولا فيهم قوله تعالى فاما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه • وقال زاغوا فزيغ بهم ولا يجوز ان يكون
امر بقتلهم بمجرد قتالهم الناس كما يقاتل الصائل من قاطع الطريق ونحوه
كما يقاتل البغاة لان اولئك انما يشرع قتالهم حتى تنكسر شوكتهم ويكفوا
عن الفساد ويدخلوا في الطاعة ولا يقتلون اينما قوا ولا يقتلون قتل
عاد وليسوا شر قتلى تحت اديم السماء ولا يؤمر بقتلهم وانما يؤمر في آخر
الامر بقتالهم فعلم ان هؤلاء اوجب قتلهم مروهم من الدين لما غلوا فيه
حتى مروهم كما دل عليه قوله في حديث علي بن يقطين عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان محمد لنكلوا عن
العمل وآية ذلك ان فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع على رأس عضده

مثل حلة الندى عليه شعرات ييض وقال انهم يخرجون على خير فرقة
من الناس يقتلهم اذ في الطائفتين الى الحق وهذا كله في الصحيح ثبت ان
قنلهم لخصوص صفتهم لا لعموم كونهم بغاة او محاربين وهذا القدر موجود
في الواحد منهم كوجوده في العدد منهم وانما لم يقتلهم علي رضي الله عنه اول
ما ظهر والانه لم يبين له انهم الطائفة المنعوتة حتى سفكوا دم ابن خباب واغاروا
على سرح الناس فظهر فيهم قوله يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان
فعلم انهم المارقون ولانه لو قتلهم قبل المحاربة لرأى غضبت لهم قبائلهم
وخرقوا على رضي الله عنه وقد كان حاجته الى مداراة عسكره واستيلائهم
كحال النبي صلى الله عليه وسلم في حاجته في اول الامر الى استيلاف المنافقين *
• وايضا فان القوم لم يعرضوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم بل كانوا
يعظمونه ويعظمون ابا بكر وعمر ولكن غلوا في الدين غلوا جازوا به حد *
لنقص عقولهم فصاروا كما تاوله علي فيهم من قوله عز وجل هل انبئكم
بالاخرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا * ووجب ذلك لهم عقائد فاسدة ترتب عليها افعال منكرة كفرها
كثير من الامة وتوقف فيها آخرون فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم
الرجل الطاعن عليه في القسمة المناسب له الى عدم العدل بجعله وغلوه
وظنه ان العدل هو ما يعتقد من التسوية بين جميع الناس دون النظر الى
ما في تخصيص بعض الناس وتفضيله من مصلحة التاليف وغيرها من المصالح علم ان
هذا اول اولئك فانه اذا اطعن عليه في وجهه على سنته فهو يكون بعده وسته

وعلى خلفائه اشد طعنًا وقد حكى ارباب المقالات عن الجوارح انهم
يجوزون على الانبياء الكبار ولهد الا يلتفتون الى السنة المخالفة في رأيهم
لظاهر القرآن وان كانت متواترة فلا يرجحون الزاني ويقطعون يد السارق
فيما قل وكثر زعماء منهم على ما قيل ان لاجحة الا القرآن وان السنة الصادرة
عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليست حجة بناء على ذلك الاصل الفاسد
قال من حكى ذلك عنهم انهم لا يطمنون في النقل لتواتر ذلك وانما يشبهونه
على هذا الاصل ولهد اقال النبي صلى الله عليه وسلم في صفتهم انهم يقرءون
القرآن لا يجاوز جناجرهم يتأولونه برأيهم من غير استدلال على معانيه
بالسنة وهم لا يفهمونه بقلوبهم انما يتلوونه بالسنتهم والتحقى انهم اصناف
مختلفة فهذا رأى طائفة منهم وطائفة قد يكذبون النقلة وطائفة لم يسمعوا
ذلك ولم يطلبوا علمه وطائفة يزعمون ان ما ليس له ذكر في القرآن بصريجة
ليس حجة على الخلق اما لكونه منسوخا او مخصوصا بالرسول او غير ذلك وكذلك
ما ذكر من تجويزهم الكبار فاظنه والله اعلم قول طائفة منهم وعلى كل حال
فمن كان يعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم جائز في قسمه وهو يقول انها يفعلها بالمرأه
فهو مكذب له ومن زعم انه يجوز في حكم او قسمة فقد زعم انه جائز وان
اتباعه لا يجب وهو مناقض لما تضمنته الرسالة من امانته ووجوب طاعته
وزوال الحرج عن الجنس من قضائه بقوله وفعله فانه قد بلغ عن الله انه
اوجب طاعته والا نقياد لحكمه وانه لا يجب على احد من طعن في هذا فقد
طعن في تبليغه وذلك طعن في الرسالة وبهذا تبين صحة رواية من روي

الحديث ومن يعدل اذا لم يعدل لقد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل لان
هذا الطاعن يقول انه رسول الله وانه يجب عليه تصديقه وطاعته فاذا قال
انه لم يعدل فلقد ازم انه صدق غير عدل ولا امين ومن اتبع مثل ذلك فهو خائب
خاسر كما وصفهم الله بانهم من الاخيرين اعمالا وان جسيروا انهم يحسنون صنعا
ولانه من لم يؤمن على المال لم يؤمن على ما هو اعظم منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
الا تامنوني وانا امين من في السماء يائيني خبر السماء صباحا ومساء • وقال
صلى الله عليه وسلم لما قال له اتق الله او لست احق اهل الارض ان يتق الله
وذلك لان الله تعالى قال فيما بلغه اليهم الرسول ما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا • بعد قوله ما آفاه الله على رسوله من اهل القرى فله
والرسول الآية فبين سبحانه اتمانها من مال النقي فعليها ان تنتهي عنه
فيجب ان يكون احق اهل الارض ان يتق الله اذ لو لذلك لكانت الطاعة له
ولغيره ان تساويا ولغيره دونه ان كان دونه وهذا كفر بما جاء به وهذا
ظاهر وقوله صلى الله عليه وسلم شر الخلق والخليقة وقوله شر قتلى نبت
ادب السماء نص في انهم من المنافقين لان المنافقين اسوأ حالا من الكفار
كما ذكر ان قوله تعالى ومنهم من الازك في الصدقات نزلت فيهم وكذلك
في حديث ابي امامة ان قوله تعالى اكفرتكم بعد ايمانكم نزلت فيهم هذا
بما لا خلاف فيه اذا صرحوا بالظن في الرسول والعيب له كفعول
اولئك اللامزين له فاذا ثبت بهذه الاجاديب الصحيحة انه صلى الله عليه
وسلم امر بقتل من كان من جنس ذلك الرجل الذي لزمه ابنه لقوا واخبر انهم

شر الحليقة وثبت انهم من المنافقين كان ذلك دليلا على صحة معنى حديث الشعبي في استحقاق اصلهم للقتل * يبقى ان يقال * ففى الاحاديث الصحيحة انه نهى عن قتل ذلك اللامز * فنقول * حديث الشعبي * واول ظهوره * لا كما تقدم فالاشبه والله اعلم ان يكون امر بقتله او لا طمعا في انقطاع امرهم وان كان قد كان يعفو عن اكثر المنافقين لانه خاف من هذا انتشار الفساد من بعده على الامة ولهذا قال لو قتله لرجوت ان يكون اولهم وآخرهم وكان ما يحصل لقتله من المصلحة العظيمة اعظم مما يخاف من نفور بعض الناس لقتله فلما لم يوجد وتعذر قتله ومع النبي صلى الله عليه وسلم بما لو حاداه اليه من العلم ما فضله الله به فكانه علم انه لا بد من خروجه وان لا مطمع في استيصالهم كما انه لما علم ان الدجال خارج لا محالة نهى عمر عن قتل ابن صياد وقال ان يكنه فلن تسلط عليه وان لا يكنه فلا خير لك في قتله فكان هذا ما او جب نهيه بعد ذلك عن قتل ذى الحوة بصرة للالمز في غنائم حنين وكذلك لما قال عمر ائذن لى فاضرب عنقه قال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية الى قوله يخرجون على حين فرقة من الناس فامر بتركه لاجل ان له اصحابا يار جين بعد ذلك فظهر ان علمه بانهم لا بد ان يخرجوا من ان يقتل منهم احد افيتمدث الناس بان محمد ا يقتل اصحابه الذين يصلون معه و تنفربذ لك عن الاسلام قلوب كثيرة من غير مصلحة تعمر هذه المفسدة هذا مع انه كان له ان يعفو عن آذاه مطلقا باني هو وامي صلى الله عليه وسلم وبهذا تبين سبب كونه في بعض الحديث يعلل باذنه

صلى و في بعضه بان لا يتحدث الناس ان محمد ا يقتل اصحابه
 وفي بعضه بان له اصحاباً سينرجون و سياتى ان شاء الله تعالى ذكر بعض هذه
 الاحاديث و ان كان هذا الموضع خليفاً بها ايضاً ثبت ان كل من لمز النبي
 صلى الله عليه وسلم في حكمه او قسمه فانه يجب قتله كما امر به صلى الله عليه
 وسلم في حياته و بعد موته و انه انما عفا عن ذلك اللامز في حياته كما قد كان
 يعفو عن يؤذيه من المنافقين لما علم انهم خارجون في الامة لا محالة و ان
 ليس في قتل ذلك الرجل كثير فائدة بل فيه من المفسدة ما في قتل سائر
 المنافقين و اشد و مما يشهد لمعنى هذا الحديث قول ابى بكر في الحديث
 المشهور لما اراد ابو برزة ان يقتل الرجل الذى اغلظ لابي بكر و تقيظ عليه
 ابو بكر و قال له ابو برزة اقتله فقال ابو بكر ما كان لاحد بعد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان يقتل احداً فان هذا كما تقدم دليل على ان الصديق
 علم ان النبي صلى الله عليه وسلم يطاع امره في قتل من امر بقتله ممن اغضب
 النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان في حديث الشعبي انه امر ابابكر بقتل ذلك
 الذى لمزه حتى اغضبه كانت هذه القصة بمنزلة العدة لقول الصديق
 و كان قول الصديق رضى الله عنه دليلاً على صحة معناها و مما يدل على انهم
 كانوا يرون قتل من علموا انه من اولئك الخوارج و ان كان منفرداً حديث
 ضبيع بن عسل و هو مشهور قال ابو عثمان النهدي سأل رجل من بنى يربوع
 او من بنى تميم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن الذاريات والمرسلات و النازعات
 او عن بعضهن فقال عمر رضى الله عنه عن رأسك فاذا له و فرة فقال عمر اما والله لورايتك

مخلوقاً لضربت الذي فيه عيناك قال ثم كتب الى اهل البصرة او قال اليه
 ان لا تجالسوه قال فلو جاء ونحن مائة نفر قتارواه الاموى وغيره باسناد
 صحيح فهذا عمر يخاف بين المهاجرين والانصار انه لو رأى العلامة التي وصف
 بها النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج لضرب عنقه مع انه هو الذي نهاه النبي
 صلى الله عليه وسلم عن قتل ذى الخويصرة فعلم انه فهم من قول النبي صلى الله
 عليه وسلم ايما لقبتموهم فاقتلوهم القتل مطلقاً وان العفو عن ذلك كان في حال
 الضعف والاستيلا ف • فان قيل • فما الفرق بين قول هؤلاء اللامزين في
 كونه نقاباً موجبات للكفر وحل الدم حتى صار جنس هذا القاتل شر الخلق وبين
 ما ذكر من موجدة قريش والانصار في حديث ابن سعيده الصحيح ان النبي
 صلى الله عليه وسلم لما قسم الذهبية بين اربعة غضبت قريش والانصار وقالوا تعطيه
 صناديد اهل نجد وند عناق قال انما اتاكم فاعلموا فقبل رجل غائر العينين وذ كر حديث
 اللامز وفي رواية لمسلم فقال رجل من اصحابه كئنا نحن احق بهذا من هؤلاء فباع
 ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الا تامنوني وانا امين من في السماء يا بني
 خبر السماء صباحاً ومساءً فقام رجل غائر العينين وذ كر موجدة الانصار في غنائم
 حنين فمن انس بن مالك ان ناساً من الانصار قالوا يوم حنين حين افاء الله على رسوله
 من اموال هوازن ما افاء فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجلاً
 من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى
 قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم وفي رواية لما فتحت مكة قسم
 الغنائم في قريش فقالت الانصار ان هذا هو العجب ان سيوفنا تظلم من دمائهم

وان غنائمنا ترد عليهم. وفي رواية فقال الانصار اذا كانت الشدة فحن ندمي
 ويعطى الغنائم غيرنا قال انس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
 من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم
 فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني عنكم
 فقال له فقهاء الانصار اماذو وراينا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا
 شيئا واما الناس منا حديثا اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فاني اعطى رجلا احدي بني عهدي بكفرا انا لفهم افلاتر ضون ان تذهب
 الناس بالاموال وترجعون الى رحاكم برسول الله ما تقبلون به خير مما
 يتقبلون به قالوا ابي يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدى اثره
 فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الخوض قالوا سنصبر قبل ان احد امن
 المؤمنين من قريش والانصار وغيرهم لم يكن في شئ من كلامه تجوير لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولا تجوز ذلك عليه ولا اتهام له انه حابي في القسمة لهوى
 النفس وطلب الملك ولا نسبة له الى انه لم يرد بالقسمة وجه الله تعالى ونحو
 ذلك مما جاء مثله في كلام المناققين وذو الرأي من القبيلتين وهم الجمهور لم يتكلموا
 بشئ اصلا بل قد رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا احسبنا الله سيوفنا الله من
 فضله ورسوله كما قالت فقهاء الانصار اماذو وراينا فلم يقولوا شيئا واما الذين
 تكلموا من احداث الاسنان ونحوهم فراءوا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما
 يقسم المال لمصالح الاسلام ولا يضعه في محل الا لان وضعه فيه اولى من وضعه

في غيره هذا مما لا يشكون فيه وكان العلم بجهة المصلحة قد تنال بالوحي وقد تنال بالاجتهاد ولم يكونوا علموا ان ذلك مما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه بوحي من الله فان من كره ذلك او اعترض عليه بعد ان يقول ذلك فهو كافر مكذب وجوزوا ان يكون قسمه اجتهاداً وكانوا يراجعونه في الاجتهاد في الامور الدينية المتعلقة بمصالح الدين وهو باب يجوز له العمل فيه باجتهاده باتفاق الامة وربما سألوه عن الامر لا المراجعة فيه لكن ائبشتوا وجهه ويتفقوا في سنته ويعلموا علته وكانت المراجعة المشهورة منهم لاتعد وهذين الوجهين اما التكميل نظره صلى الله عليه وسلم في ذلك ان كان من الامور السياسية التي للاجتهاد فيها مساغ ونسبوا لهم وجه ذلك اذ ذكر ويزدادوا علما وایماناً وینفتح لهم طریق التفقه فيه فالاول مراجعة الحباب بن المذر له لما نزل بيد رمنز لا قال يا رسول الله ارايت هذا المنزل الذي نزلته اهو منزل انزل لك الله فليس لنا ان نتعداه ام هو الراي والحرب والمكيدة فقال بل هو الراي والحرب والمكيدة فقال الله هذا ليس بمنزل قتال فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رايه وتحول الى غيره وكذلك ايضا لما عزم على ان يصالح غطفان عام الحندق على نصف تمر المدينة ثم جاء سعد بن معاذ في طائفة من الانصار فقال يا رسول الله باي انت وامى هذا الذي تعطيهم اشئ من الله امرك فسمع وطاعة لله ولرسوله ام شئ من قبل رأيك قال لا بل من قبل رأيي اني رايت القوم اعطوا الاموال فجمعوا لكم ما رايتهم من القبائل وانما انتم قبيل واحد فاردت ان ادفع بعضهم وتعطيهم شياً ونصب لبعضي بذلك ما قد نزل

معشر الانصار فقال سعدوا لله يا رسول الله لقد كتافى الشراكه ما يطمعون
منافى اخذ النصف او كما قال وفي رواية مايا كلون من نعمة الابشرى او قرى
فكيف اليوم والله معنوا انت بين اظهرنا لا نعطيهم ولا كرامة لهم ثم ثلول الصحفة
فتغل فيها ثم رمى بها وما كان من قبيل الراى والظن في الدنيا فقد قال صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن التلقح ما ظن بمعنى ذلك شيئا انما ظننت فلا توادخوني بالظن ولكن اذا
حد ثنكم عن الله بشي فخذوا به فاني لن اكذب على الله رواه مسلم . وفي حديث
آخر انتم اعلم بامر دنياكم فما كان من امر دينكم فالي . ومن هذا الباب
حديث سعد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رهطا وانا جالس فترك رجلا منهم هو اعجبهم الي فقلت له يا رسول الله
اعطيت فلانا و فلانا و تركت فلانا و هو مؤمن فقال او مسلم ذكر ذلك
سعد له ثلاثا و اجابه بمثل ذلك ثم قال اني لا اعطى الرجل و غيره احب
الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه متقى عليه . فاما سأل سعد رضى الله
عنه ليدكر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الرجل لعله يرى انه ممن ينبغي
اعطاؤه . اوليتين لسعد وجه تركه مع اعطاء من هو دونه فاجابه النبي
صلى الله عليه وسلم عن المقدنتين فقال ان العطاء ليس لمجرد الايمان بل
اعطى و امنع والذي اترك احب الي من الذي اعطيه لان الذي اعطيه
لو لم اعطه لكفر فاعطيه لا حفظ عليه ايمانه و لا ادخله في زمرة من
يعبد الله على حرف و الذي امنعه معه من اليقين و الايمان ما يقنيه عن
الدنيا و هو احب الي و عندي افضل و هو يقتصم بحبل الله تعالى و رسوله

ويعتاض بنصيبه من الدين عن نصيبه من الدنيا كما اعتاض به أبو بكر وغيره وكما اعتاضت الانصار حين ذهب الطلقاء واهل نجد بالشاة والبعير وانطلقوا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لو كان العطاء لمجرد الايمان فمن اين لك ان هذا مؤمن بل يجوز ان يكون مسلماً وان لم يدخل الايمان في قلبه فان النبي صلى الله عليه وسلم اعلم من سعد بتمييز المؤمن من غيره حيث امكن التمييز * ومن ذلك ايضاً ما ذكره ابن اسحاق عن محمد بن ابراهيم بن الحارث ان قائلاً قال يا رسول الله اعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة من الابل مائة وتركت جميل بن سراقه الضمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والذي نفسي بيده لجميل بن سراقه خير من طلاع الارض كلها مثل عيينة والاقرع ولكني تألفتها على اسلامها وكتلت جميل بن سراقه الى اسلامه * وقد ذكر بعض اهل المغازي في حديث الانصار وددنا ان نعلم من اين هذا ان كان من قبل الله صبرنا وان كان من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم استعثناه فبهذا تبين ان من وجد منهم جوزان يكون القسم وقع باجتهاد في المصلحة فاحب ان يعلم الوجه الذي اعطى به غيره ومنع هو مع فضله على غيره في الايمان والجهاد وغير ذلك وهذا في بادى الرأي هو الموجب للعطاء وان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيه كما اعطى غيره وهذا معنى قولهم استعثناه اى طلبنا منه ان يعتبنا اى يزيل عتبنا اما ببيان الوجه الذي اعطى غيرنا او باعطائنا وقد قال صلى الله عليه وسلم ما احب اليه المذرم من الله

من اجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين فاحب النبي صلى الله عليه وسلم ان يعذره فيما فعل فيبين لهم ذلك فلما تبين لهم الامر بكوا حتى اخضلو الحام ورضوا حق الرضاء والكلام المحكى عنهم يدل على انهم رأوا القسمة وقعت اجتهادوا وانهم احق بالمال من غيرهم فتعجبوا من اعطاء غيرهم وارادوا ان يعلموا هل هو وحى او اجتهاد بتعين اتباعه لانه المصلحة او اجتهاد يمكن النبي صلى الله عليه وسلم ان ياخذ لغيره اذ ارأى انه اصلح وان كان هذا القسم انما يمكن فيما لم يستقر امره ويقره عليه به ولهذا قالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيو فنانقطر من دمائهم وقالوا ان هذا هو العجب ان سيو فنانقطر من دمائهم وان غنائمنا لترد عليهم وفي رواية اذا كانت الشدة فحينئذ عى ويعطى الغنائم غيرنا

✽ واختلف الناس ✽ في العطايا هل كانت من نفس الغنيمة او من الخمس فروي عن سعد بن ابراهيم ويعقوب بن عتبة قالوا كانت العطايا فارغة من الغنائم وعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم انما اخذ نصيبهم ومن المغنم لطيب انفسهم وقد قيل انه اراد ان يقطعهم بدل ذلك قطائع من البحر بن فقالوا لا حتى يقطع اخواننا من المهاجرين مثله ولهذا لما جاء مال البحر بن وافوه صلاة الفجر وقال الجابر لو قد جاء مال البحر بن اعطيتك كذا وكذا لكن لم يستاذنهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل القسم لعله بانهم يرضون بما يفعل واذا علم الرجل من حال صديقه انه يطيب نفسه بما ياخذ من ماله فله ان ياخذ وان لم يستأذنه فطفاؤ كان هذا معروفاً بين كثير من الصحابة والتابعين كالر حل الذي سأل

النبي صلى الله عليه وسلم كبة من شعر فقال اماما كان لي ولبنى هاشم فهو لك
 وعلى هذا فلا حرج عليهم اذا سألوا نصيبهم وقال موسى بن ابراهيم عن
 ابيه كانت من الخمس قال الواقدي هو اثبت القولين وعلى هذا فالخمس
 اما ان يقسمه الامام باجتهاد كما يقوله مالك او يقسمه خمسة اقسام كما يقوله
 الشافعي واحمد واذا قسمه خمسة اقسام فاذا لم يوجد يتامى او مساكين او ابن
 سبيل او استغنى اوردت انصباؤهم في مصارف سهم الرسول وقد كان
 اليتامى والمساكين وابن السبيل اذ ذاك مع قتلهم مستغنين بنصيبهم من
 الزكاة لانه لما فتحت خيبر واستغنى اكثر المسلمين رد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على الانصار منافع الفحل التي كانوا قد منحوها للمهاجرين فاجتمع للانصار
 ما هم الم التي كانت والاموال التي غنموا بخيبر وغيره انصار و امياسير ولهذا
 قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الم اجدكم عالة فاغناكم الله بي فصرف
 النبي صلى الله عليه وسلم عامة الخمس في مصارف سهم الرسول فان اولي
 المصالح تاليف اولئك القوم ومن زعم ان مجرد خمس الخمس قلم يجمع
 ما اعطى المؤلفة فانه لم يدرك كيف القصة ومن له خبرة بالقصة يعلم ان المال
 لم يكن يمتثل هذا وقد قيل ان الابل كانت اربعة وعشرين الف بعير والقتم
 اربعمائة الف او اكثر والورق اربعة آلاف اوقية والقتم كانت تعدل
 عشرة منها بعير فهذا يكون ثلثين الف بعير وخمس الخمس منه
 الف ومائتا بعير وقد قسم في المؤلفة اضعاف ذلك على ما لا خلاف فيه
 بين اهل العلم واما قول بعض قريش والانصار في الدية التي

بعث بها لي من اثنين اعطى صناديد اهل نجد ويد عنا فمن هذا الباب
ايضاً انما سألوه على هذا الوجه * وها هنا جوابان آخران * الجواب الاول *
ان بعض اولئك القائلين قد كان منافقاً يجوز قتله مثل الذي سمعه ابن مسعود
يقول في غنائم حنين ان هذه لقسمه ما اريد بها وجه الله وكان في ضمن قريش
والانصار منافقون كثيرون فاذكر من كلمة لا تخرج لها فائدة صدرت من منافق
والرجل الذي ذكر عنه ابو سعيد انه قال كنا احق بهذا من هؤلاء
لم يسمه منافقاً والله اعلم * الجواب الثاني * ان الاعتراض قد يكون ذنباً ومعصية
يخاف على صاحبه النفاق وان لم يكن نقاً فامثل قوله تعالى يجادلونك في الحق
بعد ما تبين * ومثل من اجتمع لهم في فسخ الحج الى العمرة وابطائهم عن الحل
وكذلك كراهتهم للحل عام الحديبية وكراهتهم للصالح ومر اجمة من راجع
منهم فان من فعل ذلك فقد اذنب ذنباً كان عليه ان يستغفر الله منه كما ان
الذين رفعوا اصواتهم فوق صوته اذنبوا ذنباً تابوا منه وقد قال واعلموا ان
فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم * قال سهل بن حنيف
اتهموا الراى على الدين فلقد رايتني يوم ابي جندل ولوا استطيع ان ارد امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لفعلت * فهذا امر صدرت عن شهوة وعجلة لا عن شك
في الدين كما صدر عن حاطب التجسس لقريش مع انه اذ نوب ومعاص يجب
على صاحبها ان يتوب وهي بمنزلة عصيان امر النبي صلى الله عليه وسلم * ومما
يدخل في هذا حديث ابي هريرة في فتح مكة قال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن اتى السلاح فهو آمن

ومن اغلق بابه فهو آمن فقالت الانصار اما الرجل فقد ادر كنهه رغبة في قرابته ورافة بعشيرته قال ابوهريرة قال جاء الوحي وكان اذا جاء لا يخفى علينا فاذا جاء فليس احد منا يرفع طرفه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضي الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار قالوا اليك يا رسول الله قال قلت لئن اجد رجلاً فادركته رغبة في قرابته ورأفة بعشيرته قالوا قد كان ذلك قال كلا اني عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم المحبا محباكم والممت ممتكم فاقبلوا اليه ليكون ويقولون والله ما قلنا الا لئن بالله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصد فانكم وبعذر انكم رواء مسلم و ذلك ان الانصار لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد آمن اهل مكة واقروهم على اموالهم ودمائهم مع دخوله عليهم عنوة وقهراً وتمكنه من قتلهم واخذ اموالهم لو شاء خافوا ان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يستوطن مكة ويستبطن قريشاً لان البلد بلدة والعشيرة عشيرته وان يكون نزاع النفس الى الوطن والاهل يوجب انصرافه عنهم فقال من قال منهم ذلك ولم يقله الفقهاء واولو الالباب الذين يعلمون انه لم يكن له سبيل الى استيطان مكة فقالوا ذلك لاطعناً ولا عيباً ولكن ضناً بالله ورسوله والله ورسوله قد صدقاهم انما حملهم على ذلك الضن بالله ورسوله وعذرهم فيما قالوا لما رأوه وسمعوا ولا ان مفارقة الرسول شديد على مثل اولئك المؤمنين الذين هم شعار وغيرهم دثاروا الكلمة التي تخرج عن محبة وتعظيم وتشريف وتكريم تغفر لصاحبها بل يحمدها وان كان مثاها لو صد ربدون ذلك استحق صاحبها النكال

وكذلك الفعل الاترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لابي بكر حين اراد ان
يتأخر عن موقفه في الصلاة لما احس بالنبي صلى الله عليه وسلم مكانك فتأخر
ابو بكر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مامنك ان تثبت مكانك وقدامك
فقال ما كان لابن ابي خافة ان يتقدم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك
ابو ايوب الانصارى لما استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في ان ينتقل الى السفلى
وان يصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العلو وشق عليه ان يسكن فوق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكث في مكانه وذكر له ان سكناه اسفل
ارفق به من اجل دخول الناس عليه فامتنع ابو ايوب من ذلك ادباً مع النبي
صلى الله عليه وسلم وتوقيراً له فكلما الانصار رضى الله عنهم من هذا الباب
وبالجملة فالكلمات في هذا الباب ثلاثة اقسام احدها ما هو كفر مثل
قوله ان هذه لقسم ما يريد بها وجه الله الثاني ما هو ذنب ومعصية يخاف
على صاحبه ان يحبط عمله مثل رفع الصوت فوق صوتيه ومثل
مراجعة من راجعه عام الحد بيعة بعد ثباته على الصلح ومجادلة من جادله يوم
بد ر بعد ما تبين له الحق وهذا كله يدخل في المخالفة عن امره الثالث
ما ليس من ذلك بل يحمد عليه صاحبه او لا يحمد كقول عمر ما بالنانقصر الصلاة
وقد امنوا كقول عائشة الم يقل الله فامان اوتي كتابه يمينه وكقول
حفصة الم يقل الله وان منكم الاوارد هاو كراجعة الحجاب في منزل بدرومراجعة
سعد في صلح غطفان على نصف تمر المدينة ومثل ما اجتمع لهم لما هم بكسر
الآنية التي فيها الحوم الحمر فقالوا ولا نغسلها فقال اغسلوها وكذلك رد عمر

لابي هريرة لما خرج مبشرا ومراجعتة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكذلك
مراجعتة له لما اذن لهم في نحر الظهر في بعض المغازي وطلبه منه ان يجمع
الازواد ويدعو الله ففعل ما اشار به عمر ونحو ذلك مما فيه سوال عن اشكال
ليتين لم او عرض لمصلحة قد يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا
ما اتفق ذكره من السنن الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل من
سبه من معاهد وغير معاهد وبعضها نص في المسئلة وبعضها ظاهر وبعضها
مستنبط مستخرج استنباطا قد يقوى في رأي من فهم وقد يتوقف عنه من
لم يفهمه او من لم يتوجه عنده او رأي ان الدلالة منه ضعيفة ولن يخفى
الحق على من توخاه وقصده ورزقه الله تعالى بصيرة وعلما والله سبحانه اعلم *

فصل

واما اجماع الصحابة فلان ذلك نقل عنهم في قضايا متعددة ينتشر مثلها ويستفيض
ولم ينكرها احد منهم فصارت اجماعا * واعلم انه لا يمكن ادعاء اجماع الصحابة
على مسئلة فرعية باباغ من هذا الطريق فمن ذلك ما ذكره سيف بن عمر
التميمي في كتاب (الردة والفتوح) عن شيوخه قال ورفع الى المهاجر يعني
المهاجرين ابي امية وكان اميرا على اليمامة ونواحيها امر اثنان مغنيتان
غنت احداهما بشتم النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثيبتها
وغنت الاخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ونزع ثيبتها فكتب اليه ابو بكر
بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرمت بشتم النبي صلى الله
عليه وسلم فلو لا ما قد سبقتنني لا مرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه

فصل في ثبوت اجماع الصحابة على قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم

الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد او معاهد فهو محارب غادره
وكتب اليه ابو بكر في التي تغت بهجاء المسلمين اما بعد فانه بلغني انك قطعت
يد امرأة في ان تغت بهجاء المسلمين ونزعت ثيبتها فان كانت ممن ندعي
الاسلام فادب وتقدمه دون المثلة وان كانت ذمية فلعمري لما صفحت
عنه من الشرك اعظم ولو كنت تقدمت اليك في مثل هذا بلغت
مكروهك فاقبل الدعة واياك في المثلة في الناس فانها مأثم ومنفرة الا في
قصاص وقد ذكر هذه القصة غير سيف وهذا يوافق ما تقدم عنه ان من
شتم النبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يقتله وليس ذلك لاحد بعده
وهو صريح في وجوب قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم
ومعاهد وان كان امرأة وانه يقتل بدون استتابة بخلاف من سب الناس
وان قتله حد للانبياء كما ان جلد من سب غيرهم حد له وانما لم يامر ابو بكر
بقتل تلك المرأة لان المهاجر سبق منه فيها حد باجتهاده فكره ابو بكر ان
يجمع عليها حدين مع انه لعلمها اسلمت او تابقتل المهاجرون بنتها قبل كتاب
ابي بكر وهو محل اجتهاد سبق منه فيه حكم فلم يغيره لان الاجتهاد لا ينقض
بالاجتهاد وكلامه يدل على انه انما منعه من قتلها ما سبق من المهاجر وروى
حرب في مسائله عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد قال اتني عمر بن عبد
النبي صلى الله عليه وسلم فقتله ثم قال عمر من سب الله او سب احدا من
الانبياء فاقتلوه قال ليث وحدثنني مجاهد عن ابن عباس قال ايما مسلم سب الله
او سب احدا من الانبياء فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة

يستتاب فان رجع والاقبل واما معاهد عاند فيسب الله او احدا من الانبياء
او جهر به فقد نقض العهد فاقتلوه * وعن ابي مسجعة بن ربي قال لما قدم
عمر بن الخطاب الشام قام قسطنطين بطريق الشام وذكرك معاودة
عمر له وشروطه عليهم قال اكتب بذلك كتابا قال عمر نعم فيينا هو يكتب
الكتاب اذ ذكر عمر فقال اني استثنى عليك مرة الجيش مرتين
قال لك ثثان وقبح الله من اقالك فلما فرغ عمر من الكتاب قال له
يا امير المؤمنين قم في الناس فاخبرهم الذي جعلت لي وفرضت علي ليتنا هوا
عن ظلمي قال عمر نعم فقام في الناس فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله
احمده واستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له فقال النبطي
ان الله لا يضل احدا قال عمر ما تقول قل لا شيء وعاد النبطي لمقاتله فقال
اخبروني ما يقول قالوا يزعم ان الله لا يضل احدا قال عمر انما نمطك الذي
اعطيناك لتدخل علينا في ديننا والذي نفسى بيده لئن عدت لا ضرر بن
الذي فيه عينك وعاد عمر ولم يعد النبطي فلما فرغ عمر اخذ النبطي الكتاب
رواه حرب فهذا عمر رضى الله عنه بمحضر من المهاجرين والانصار يقول
لمن عاهد انما نمطك العهد على ان تدخل علينا في ديننا وحلف لئن عاد
ليضر بن عنقه فعلم بذلك اجماع الصحابة على ان اهل العهد ليس لهم ان يظهروا
الاعتراض علينا في ديننا وان ذلك منهم مبيح لدمائهم وان من اعظم
الاعتراضات سب نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا ظاهر لا خفاء به لان اظهار
التكذيب بالقدر من اظهار شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يقتله عمر

لانه لم يكن قد تقرر عنده ان هذا الكلام طعن في ديننا لوان يكون اعتقد
ان عمر قال ذلك من عنده فلما تقدم اليه عمرو بين له ان هذا اد يننا قال له
لان عدت لاقتلتك و من ذلك ما استدل به الامام احمد ورواه عن هشيم
ثنا حصين عن حماد بن عمار قال مر به را هب فقبل له هذا يسب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر لو سمعته لقتلته انما لم نعظمهم الذمة على
ان يسبوا نبينا صلى الله عليه وسلم * ورواه ايضا من حديث الثوري عن
حصين عن شيخه ان ابن عمر اصلت على را هب سب النبي صلى الله عليه
وسلم بالسيف وقال انما نصلحهم على سب النبي صلى الله عليه وسلم والجمع
بين الروايتين ان يكون ابن عمر اصلت عليه السيف اعلمه يكون مقرا بذلك
فلما نكر كف عنه وقل لو سمعته لقتلته وقد ذكر حديث ابن عمر غير واحد
وهذه الآثار كلها نص في الذم والذمية وبعضها عام في الكافر والمسلم او نص
فيها وقد تقدم حديث الرجل الذي قتله عمر من غير استتابة حين ابي لن
برضى بحكم النبي صلى الله عليه وسلم وحديث كشفه عن رأس ضبيع بن
عسل وقوله لو رأيتك محلولاً لضربت الذي فيه عيناك من غير استتابة وانما
ذنب طائفته الاعتراض على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تقدم
عن ابن عباس انه قال في قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات الآية هذه في شأن عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة ليس فيها توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة وقال
نزلت في عائشة خاصة واللعنة للمنافقين عامة ومعلوم ان ذلك انما هو لان

قد فهاذى للنبي صلى الله عليه وسلم وتفاق والمنافق يجب قتله اذ اجماء لم يقل
 نوبته * وروى الامام احمد باسناد عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد
 عن رجل من بلقين ان امرأة سبت النبي صلى الله عليه وسلم فقتلها اختلان
 الوليد وهذه المرأة مبهمة وقد تقدم حديث محمد بن مسلمة في ابن يامين
 الذى زعم ان قتل كعب بن الاشرف كان غدرا وحلف محمد بن مسلمة
 لئن وجدته خالياً ليقلته لانه نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى الغدر ولم ينكر
 المسلمون عليه ذلك * ولا يرد على ذلك امساك الاميرام معاوية او مروان
 عن قتل هذا الرجل لان سكوته لا يدل على مذهب وهو لم يخالف محمد بن
 مسلمة ولمل سكوته لانه لم ينظر في حكم هذا الرجل او نظر فلم يتبين له حكمة
 او لم تتبع داعية لاقامة الحد عليه او ظن ان الرجل قال ذلك معتقداً انه
 قتل دون امر النبي صلى الله عليه وسلم او لاسباب اخرى وبالجملة فجرد كفه
 لا يدل على انه مخالف لمحمد بن مسلمة فيما قاله وظاهر القصة ان محمد بن
 مسلمة رآه مخطئاً بترك اقامة الحد على ذلك الرجل ولذلك هجره لكن
 هذا الرجل انما كان مسلماً فان المدينة لم يكن بها يومئذ احد من غير المسلمين *
 وذكر ابن المبارك اخبرني حرمله بن عثمان حدثني كعب بن علقمة ان
 غرفة بن الحارث الكندي وكانت له صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم
 سمع نصراً نياً شتم النبي صلى الله عليه وسلم فضر به فذق انفه فرفع ذلك
 الى عمرو بن العاص فقال له انا قد اعطيناهم الجهد فقال له غرفة معاذ الله ان
 اعطيهم العهد على ان يظهروا شتم النبي صلى الله عليه وسلم وانما اعطيناهم العهد

على ان نخلى بينهم وبين كنائسهم يعملون فيها ما بدا لهم وان لانحملهم على ما لا يطيقون وان ارادهم عدو قاتلنا دونهم وعلى ان نخلى بينهم وبين احكامهم الا ان ياتوا ناراضين باحكامنا فتحكم فيهم بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم وان غابوا عن عالم تعرض لهم فقال عمرو صدقت فقد اتفق عمرو وغرفة ابن الحارث على ان العهد الذي بيننا وبينهم لا يقتضى اقرارهم على اظهار شتم الرسول صلى الله عليه وسلم كما اقتضى اقرارهم على ما هم عليه من الكفر والتكذيب فنتى اظهروا شتمه فقد فعلوا ما يبيع الدم من غير عهد عليه فيجوز قتله وهذا كقول ابن عمر في الراهب الذي شتم النبي صلى الله عليه وسلم لو سمعته لقتلته فان لم نعظم العهد على ان يشتموا نبينا وانما يقتل هذا الرجل والله اعلم لان البينة لم تتم عليه بذلك وانما سمعه غرفة ولعل غرفة قصد قتله بتلك الضربة ولم يكن من اتمام قتله لعدم البينة بذلك ولان فيه اختيافا على الامام والامام لم يثبت عنده ذلك وعن خلد ان رجلا سب عمر بن عبد العزيز فكتب عمر انه لا يقتل الا من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اجلده على رأسه اسواط ولولا اني اعلم ان ذلك خير انه لم افعل رواه حرب وذكره الامام احمد وهذا مشهور عن عمر بن عبد العزيز وهو خليفة راشد عالم بالسنة متبع لها فهاذا قول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان لا يعرف عن صاحب ولا تابع خلاف لذلك بل اقرارهم عليه واستحسان له

واما الاعتبار فمن وجوه احدها ان عيب ديننا وشتم نبينا مجاهدة لنا ومحاربة

اثبات قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم بالقياس

فكان نقضاً للمهد كالجاهدة والمحاربة بالاولى • بين ذلك ان الله سبحانه قال في كتابه
وجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم • والجهاد بالنفس يكون باللسان كما يكون
باليد بل قد يكون اقوى منه • قال النبي صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين بايديكم
والستكم واموالكم رواه النسائي وغيره • وكان يقول لحسان بن ثابت
اغزهم وغازهم وكان ينصب له منبر في المسجد يتناخ عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشعره • وهجائه للشركين • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
ايد • بروح القدس • وقال ان جبرئيل معك مادمت تتناخ عن رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) وقال هي انكى فيهم من النبل وكان عدد من المشركين
يكفون عن اشياء من يؤذى المسلمين خشية هجاء حسان حتى ان كعب بن
الاشرف ذهب الى مكة كان كلما نزل عند اهل بيت هجاءهم حسان بقصيدة
فينجزونه من عندهم حتى لم يبق له بمكة من يؤويه • وفي الحديث افضل
الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر • وافضل الشهادة حمزة بن عبد المطلب
ورجل تكلم بحق عند سلطان جائر فامر به فقتل • واذا كان شأن الجهاد
باللسان هذ الشأن في شتم المشركين وهجاءهم و اظهار دين الله والدعاء اليه
علم ان من شتم دين الله ورسوله و اظهار ذلك وذكر كتاب الله بالسوء
علانية فقد جاهد المسلمين وحاربهم وذلك نقض للمهد • الوجه الثاني •
اننا وان اقر رناهم على ما يعتقدونه من الكفر والشرك فهو كافر ارناهم على ما يضمرونه
لنا من العداوة و ارادة السوء بنا وتمنى الغوائل لنا فاننا نحن نعلم انهم يعتقدون
خلاف دينا ويريدون سفك دماثنا و غلود ينيهم ويسعون في ذلك

لو قدر و اعليه فهذا القدر اقر و ناهم عليه فاذا عملوا بموجب هذه الارادة بان
حاربونا و قاتلونا نقضوا العهد كذا لك اذا عملوا بموجب تلك العقيدة من
اظهار النسب لله و لكتابه و لدينه و لرسوله نقضوا العهد اذا لفرق بين العمل
بموجب الارادة و بموجب الاعتقاد الوجه الثالث ان مطلق العهد الذي
بيننا و بينهم يقتضي ان يكفوا و يمسكوا عن اظهار الطعن في ديننا و شتم رسولنا كما
يقتضي الامساك عن سفك دمائنا و محاربتنا لان معنى العهد ان كل واحد من
المتعاهدين يؤمن الآخر بما يحذر منه قبل العهد و من المعلوم اننا نحذر منهم اظهار كلمة
الكفر و سب الرسول و شتمه كما نحذر اظهار المحاربة بل اولى لا ناسفك الدماء
و نبذل الاموال في تعزير الرسول و توقيده و دفع ذكره و اظهار شرفه و تلو قدره
و هم جميعا يعلمون هذا من ديننا فالظهر منهم لسبه فاقض للعهد فاعل لما كنا
نحذره و نقاتله عليه قبل العهد و هذا واضح الوجه الرابع ان العهد
المطلق لو لم يقتض ذلك فالعهد الذي عاهدتم عليه عمر بن الخطاب
و اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قد تبين فيه ذلك و سائر
اهل الذمة انما جروا على مثل ذلك العهد فروي حرب باسناد صحيح
عن عبد الرحمن بن غنم قال كتب لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى اهل
الشام هذا كتاب لعبد الله امير المؤمنين من مدينة كذا و كذا انكم لما قدمتم
علينا سألناكم الايمان لانفسنا و ذارينا و اموالنا على ان لا نحدث و ذكر
الشروط الى ان قال و لا نظهر شركا و لاندعوا اليه احدا و قال في آخره
شرطنا ذلك على انفسنا و اهليتنا و قبلنا عليه الايمان فان نحن خالفنا عن شيء

بذل الاموال و سفك الدماء في تعزير رسول الله صلى الله عليه وسلم و توقيده

شرطنا لكم وضمننا على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما حل من
 اهل المعاندة والشقاق وقد تقدم قول عمر له في مجلس العقد ان انا لم اعطيك
 الذي اعطيتك لتدخل علينا في ديننا والذي نفسي بيده لئن عدت لاضر بن
 عنقك وعمر صاحب الشروط عليهم فعلم بذلك ان شروط المسلمين
 عليهم ان لا يظهروا كلمة الكفر وانهم متى اظهروا صاروا اعداء بين وهذا
 الوجه يوجب ان يكون السب نقضاً للعهد عند من يقول لا ينتقض العهد
 به الا اذا شرط عليهم تركه كما خرج به بعض اصحابنا وبعض الشافعية في
 المذهبين وكذلك يوجب ان يكون نقضاً للعهد عند من يقول اذا شرط
 عليهم انتقاض العهد بفعله انتقض كما ذكر بعض اصحاب الشافعي فان اهل الذمة
 انما هم جارون على شروط عمر لانه لم يكن بعده امام عقد عقد يخالف
 عقده بل كل الائمة جارون على حكم عقده والذي سعى ان يضاف الى
 من خالف في هذه المسئلة انه لا يخالف اذا شرط عليهم انتقاض العهد باظهار
 السب فان الخلاف حينئذ لا وجه له البته مع اجماع الصحابة على صحة هذا
 الشرط وجربانه على وفق الاصول فاذا كان الائمة قد شرطوا عليهم ذلك
 وهو شرط صحيح لزم العمل به على كل قول الوجه الخامس ان العقد مع
 اهل الذمة على ان يكون الدار لتاجري فيها احكام الاسلام وعلى انهم اهل
 صفار وذلة على هذا عوده واولو لحوافا ظاهرا رستم الرسول والظعن
 في الدين يتاني كونهم اهل صفار وذلة فان من اظهر سب الدين والظعن فيه
 لم يكن من الصفار في شيء فلا يكون عهده باقيا الوجه السادس ان الله

فرض الله علينا تعزيره صلى الله عليه وسلم وتوقيره

نصر احاد المسلمين وايضا

فرض علينا تقرير رسوله وتوقيره وتعزيره نصره ومنعه وتوقيره اجلاله وتعظيمه وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق بل ذلك اول درجات التعزير والتوقير فلا يجوز ان نصلح اهل الذمة ان يسمعوننا شتم نبينا ويظهروا ذلك فان تمكينهم من ذلك ترك للتعزير والتوقير وهم يعلمون اننا لانصلحهم على ذلك بل الواجب علينا ان نكفهم عن ذلك ونزجرهم عنه بكل طريق وعلى ذلك عاهدناهم فاذا فعلوه فقد نقضوا الشرط الذي بيننا وبينهم • الوجه السابع • ان نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض علينا لانه من التعزير للفروض ولانه من اعظم الجهاد في سبيل الله ولذلك قال سبحانه ما لكم اذا قيل لكم اقرءوا في سبيل الله انا قلتم الى الارض الى قوله الانصروه فقد نصره الله • وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله الآية • بل نصر احاد المسلمين واجب بقوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما • وبقوله المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه • فكيف لا ينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اعظم النصر حماية عرضه ممن يؤذيه الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم من حمي مؤمنا من منافق يؤذيه حمي الله جلده من نار جهنم يوم القيامة • ولذلك سمى من قابل الشاتم بمثل شتمه متصرا • وسب رجل ابا بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت فلما اخذ لينتصر قام فقال يا رسول الله كان يسبني وانت قاعد فلما اخذت لا تنصرفت فقال كان الملك يرد عليه فلما انتصرت ذهب الملك فلم اكن لا قعد وقد ذهب

قيام الدين عليه وسلم قيام الدين عليه

الملك او كما قال صلى الله عليه وسلم وهذا كثير معروف في كلامهم يقولون
لمن كافي الساب والشاتم متصرا كما يقولون لمن كافي الضارب والقاتل
متصرا وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم قال للذي قتل بنت مروان
لما شتمته اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا
الى هذا وقال للرجل الذي خرق صف المشركين حتى ضرب بالسيف
ساب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعجبتم من رجل
نصر الله ورسوله وحماية عرضه صلى الله عليه وسلم في كونه نصر المانع
من ذلك في حق غيره لان الوقعة في عرض غيره قد لا تضر مقصوده
بل تكسب له بها حسنات اما انتهاك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه متاف لدين الله بالكلية فان العرض متى انتهك سقط الاحترام
والتعظيم فسقط ما جاء به من الرسالة فبطل الدين فقيام المدة
والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله وسقوط ذلك سقوط
الدين كله واذا كان كذلك وجب علينا ان نتصبر له بمن انتهك
عرضه والانتصار له بالقتل لان انتهاك عرضه انتهاك لدين الله ومن المعلوم
ان من سعى في دين الله بالافساد استحق القتل بخلاف انتهاك عرض غيره معينا فانه
لا يظلم الدين والمعاهد لم تعاهده على ترك الانتصار لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا من غيره كما لم تعاهده على ترك استيفاء حقوق المسلمين ولا يجوز ان
تعاهده على ذلك وهو يعلم انكم تعاهده على ذلك فاذا لم يمتدح وجب علينا ان نتصبر له
بالقتل ولا عهد معه على ترك ذلك فيجب قتله وهذا بين واضع لمن تأمله

• الوجه الثامن • ان الكفار قد عودوا على ان لا يظهر واشيئ لمن المنكرات التي
تختص بدينهم في بلاد الاسلام فمتى اظهروها استحقوا العقوبة على اظهارها وان كان
اظهارها ديناً لهم فمتى اظهروا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم استحقوا عقوبة
ذلك وعقوبة ذلك القتل كما تقدم • الوجه التاسع • انه لا خلاف بين المسلمين
علماءهم ممنوعون من اظهار السب وانهم يعاقبون عليه اذا فعلوه بعد النهي
فعلم انهم لم يقرروا عليه كما قرروا على ما هم من الكفر واذا فعلوه لم يقرروا عليه من
الجنائيات استحقوا العقوبة بالاتفاق وعقوبة السب اما ان يكون جلداً وجساً
او قطعاً او قتلاً والاول باطل فان مجرد سب الواحد من المسلمين وسلطان المسلمين
يوجب الجلد والحبس فلو كان سب الرسول كذلك استوى من سب الرسول
وسب غيره من الامة وهو باطل بالضرر ورمه والقطع لا معنى له فتعين القتل
• الوجه العاشر • ان القياس الجلي يقتضي انهم متى خالفوا شيئاً مما عودوا عليه
انتقض عهدهم كما ذهب اليه طائفة من الفقهاء فان الدم ملج بدون العهد
والعهد عقد من العقود واذا لم يف احد المتعاقدين بما عاقده عليه فاما ان يفسخ
العقد بذلك او يتمكن التعاقد الآخر من فسخه هذا اصل مقرري عقد البيع
والتكاح والهبة وغيرها من العقود والحكمة فيه ظاهرة فانه انما يلتزم ما التزمه
بشرط ان يلتزم الآخر بما التزمه فاذا لم يلتزمه الآخر صار هذا غير ملتزم
فان الحكم المعلق بشرط لا يثبت بعينه عند عدمه باتفاق العقلاء
وانما اختلفوا في ثبوت مثله اذ اتين هذا فان كان للعقد عليه حقاً
للعقود بحيث له ان يبطله بدون الشرط لم يفسخ العقد بفوات الشرط

بل له ان يفسخه كما اذا شرط رهنًا او كفلاً او صفة في المبيع وان كان حقاؤه
اولغيره ممن يتصرف له بالولاية ونحوها لم يجوز له امضاء العقد بل يفسخ
العقد بفوات الشرط ويجب عليه فسخه كما اذا شرط ان تكون الزوجة
حرة فظهرت امة وهو ممن لا يحل له نكاح الاماء او شرط ان يكون الزوج
مسلمًا فبان كافرا او شرط ان تكون الزوجة مسلمة فبان وثية وعقد
الذمة ليس حقا للامام بل هو حق لله ولعامة المسلمين فاذا خالفوا شيئا مما شرط
عليه فقد قيل يجب على الامام ان يفسخ العقد وفسخه ان يلحقه بما منه ويخرجهم من
دار الاسلام ظنا ان العقد لا يفسخ بمجرد المخالفة بل يجب فسخه وهذا ضعيف
لان الشروط اذا كان حقا لله لا للعاقد انفسخ العقد بفواته من غير فسخ
وهنا الشروط على اهل الذمة حق لله لا يجوز للسلطان ولاغيره ان ياخذ
منهم الجزية ويعاهدهم على المقام بدرا الاسلام الا اذا التزموها والاوجب
عليه قتالهم بنص القرآن ولو فرضنا جواز اقرارهم بدون هذا الشرط فلما ذاك
فيما لا ضرر على المسلمين فيه فاما ما يضر المسلمين فلا يجوز اقرارهم عليه بحال
ولو فرض اقرارهم على ما يضر المسلمين في انفسهم واموالهم فلا يجوز اقرارهم
على افساد دين الله والطمع على كتابه ورسوله. ولهذا المراتب قال كثير
من الفقهاء ان عهدهم ينتقض بما يضر المسلمين من المخالفة دون ما لا يضرهم
وخص بعضهم ما يضرهم في دينهم دون ما يضرهم في دنياهم والطمع على
الرسول اعظم المضرات في دينهم. اذ اتين هذا فنقول قد شرط عليهم
ان لا يظهر واسب الرسول وهذا الشرط من وجهين. احدهما انه موجب

عقد الذمة ومقتضاه كما ان سلامة المبيع من العيوب وحلول الثمن وسلامة المرأة والزوج من موانع الوطى واسلام الزوج وحرية اذ كانت الزوجة حرة مسلمة هو موجب العقد المطلق ومقتضاه فان موجب العقد هو ما يظهر عرفاً ان العاقد شرطه وان لم يتلفظ به كسلامة المبيع ومعلوم ان الامساك عن الطعن في الدين وسب الرسول مما يعلم ان المسلمين يقصدونه بعقد الذمة ويطلبونه كما يطلبون الكف عن مقاتلتهم واولى فانه من اكبر الموءذيات والكف عن الاذى العام موجب عقد الذمة واذا كان ظاهر حال المشتري انه دخل على ان السلعة سليمة من العيوب حتى ثبت له الفسخ بظهور العيب وان لم يشرطه فظاهر حال المسلمين الذين عاقدوا اهل الذمة انهم دخلوا على ان المشترين يكفون عن افساد دينهم والطعن فيه بيد اولسان وانهم لو علموا انهم يظهر ون الطعن في دينهم لم يعاهدوهم على ذلك واهل الذمة يعلمون ذلك كالمبائع ان المشتري انما دخل معه على ان المبيع سالم بل هذا ظهر واشهر ولاخفاء به الوجه الثاني في ثبوت هذا الشرط ان الذين عاهدوهم او لا هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو من كان معه وقد ثقلنا العهد الذي بيننا وبينهم وذكرنا اقوال الذين عاهدوهم وهو عهد متضمن انه شرط عليهم الامساك عن الطعن في دين المسلمين وانهم اذا فعلوا ذلك حلت دماؤهم واموالهم ولم يبق بيننا وبينهم عهد واذا ثبت ان ذلك مشروط عليهم في العقد فزواله يوجب انفساخ العقد لان الانقضاء ايضا مشروط عليهم ولان الشرط حق الله كاشتراط اسلام الزوج والزوجة فاذا فات هذا

الشرط بطل العقد كما يبطل اذا ظهر الزوج كافر أو المرأة وثنية أو المبيع غصباً أو حراً أو تجدد دين الزوجين صهر أو رضاع يجوز ما أحدهما على الآخر أو تلف المبيع قبل القبض فإن هذه الأشياء كما لم يجوز الاقدام على العقد مع العلم بها يبطل العقد مقامه أو طرؤه عليه فكذلك وجود هذه الأقوال والأفعال من الكافر لم يجوز للإمام أن يعاهده مع إقامته عليها كان وجودها موجباً لفسخ العقد من غير إنشاء فسخ على أنه لو قدر أن العقد لا يفسخ إلا بفسخ الإمام فإنه يجب عليه فسخه بغير تردد لأنه عقد للمسلمين فإنه لو اشترى الولي سلعة لليتيم فبانت معيبة وجب عليه اسدائها فإت من مال اليتيم وفسخه يكون بقوله وبفعله وقبضه له ففسخ لعقده نعم لا يجوز له أن يفسخه بمجرد القول فإن فيه ضرراً على المسلمين وليس للسلطان فعل ما فيه ضرر على المسلمين مع القدرة على تركه وقولنا إن الذي انتقض عهده أي لم يبق له عهد بمصمومه والأول هو الوجه فإن بقاء العقد مع وجود ما يتنافيه محال. فهم هنا اختلف الفقهاء فيما ينافي العقد فقائل يقول جميع المخالفات تنافيه بناء على أنه ليس للإمام أن يصالحهم بدون شيء من الشروط التي شرط عمرهم قائل يقول التي تنافيه هي المخالفات المضرة بالمسلمين بناء على جواز مصالحتهم على ما هو دون ذلك كما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم أو لاحتال ضعف الإسلام. وقائل يقول التي تنافيه هي ما يوجب الضرر العام في الدين أو الدنيا كالظن على الرسول ونحوها وبالجملة فكما لا يجوز للإمام أن يعاهدهم مع كونهم يفعلونه فهو مناف للعقد كما أن كلاً لا يجوز للتبايعين والتناكح إن

يتعاقدا مع وجوده فهو مناف للمقد و اظهر الطعن في الدين لايحوز للامام
 ان يطهدهم مع وجوده منهم اعني مع كونهم ممكنين من فعله اذا ارادوا
 وهذا مما اجمع المسلمون عليه ولهذا بعضهم يوافقون على فعله بالتعزير
 واكثرهم يوافقون عليه بالقتل وهو مما لا يشك فيه مسلم ومن شك فيه فقد
 خلع ربة الاسلام من عنقه واذا كان المقد لا يحوز عليه كان منافياً للمقد
 ومن خالف شرطاً مخالفة تنافي ابداء المقد فان عقده ينسخ بذلك بلاريب
 كاحد الزوجين اذا احدث ديناً يمنع ابداء المقد مثل ان رد اد المسلم
 او اسلام المرأة تحت الكافر فان المقد ينسخ بذلك اما في الحال او عقب
 انقضاء المدة او بعد عرض القاضي كما هو مقرر في مواضعها حادث
 اهل الذمة الطعن في الدين مخالفة لموجب المقد مخالفة تنافي ابداءه
 فيجب انقضاء عقدهم بها وهذا بين لمن تأمله وهو يوجب انقضاء المقد
 بما ذكرناه عند جميع الفقهاء وتبين ان ذلك هو مقتضى قياس الاصول
 واعلم ان هذه الوجوه التي ذكرناها من جهة المعنى في الذمى فاما المسلم
 اذا سب فلم يمتنع ان يذكر فيه شيئاً من جهة المعنى اظهر ذلك في حقه
 ولكون المحل محل وفاق ولكن مباح ان شاء الله تعالى تحقيق الامر فيه هل سبه
 ردة محضة كسائر الردد الحالية عن زيادة مغلظة او هو نوع من الردة
 متعلظ بقتله على كل حال وهل يقتل للسب مع الحكم باسلامه ام لا والله
 سبحانه اعلم فان قيل فقد قال تعالى لعلون في اموالكم واتسكنم وتسمعن
 من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشر كوا اذى كثير وان

تصبروا وتقفوا فان ذلك من عزم الامور فاخبرنا نسمع منهم الاذى
 الكثير ودعانا الى الصبر على اذام واثامهم وانا اذى عامما الطعن في كتاب الله
 ودينه ورسوله وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى من هذا الباب قلنا
 •اولا• ليس في الآية بيان ان ذلك مسموع من اهل الذمة والعهد واثامه
 مسموع في الجملة من الكفار وثانيا• ان الامر بالصبر على اذامه ويتقوى الله
 لا يمنع قتالهم عند المكنة واقامة حد الله عليهم عند القدرة فانه لا خلاف بين
 المسلمين انا اذا سمعنا مشركا او كتابيا يوذى الله ورسوله فلا عهد بيننا وبينه
 وجب علينا ان نقاتله ونجاهده اذا امكن ذلك وثالثا• ان هذه الآية
 وما شابهها منسوخ من بعض الوجوه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لما قدم المدينة كان بها يهود كثير ومشركون وكان اهل الارض
 ذاك صنفين مشركا وصاحب كتاب فهاذ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من بها من اليهود وغيرهم وامرهم الله اذ ذاك بالعفو والصفح كما
 في قوله تعالى وذ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
 حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله
 بامرهم فامرهم الله بالعفو والصفح عنهم الى ان يظهر الله دينه ويعزجده فكان اول العز
 وقعة بدرفاتها اذ لت رقاب اكثر الكفار الذين بالمدينة وارهبت سائر
 الكفار وقد اخرجنا في الصحيحين عن عروة عن اسامة بن زيد ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ركب حمرا على اكاف على قطيفة فذكية واراد فاسامة
 ابن زيد يعو دسعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدرفسار

حتى مر يجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن أبي
و اذ افى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي
المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجا حة للذابة خمر ابن أبي الله
بر دائه ثم قال لا تقبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف
قتل فدعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي بن سلول ايها
المرأ انه لا احسن مما تقول ان كان حقاً فلا تؤذ نابه في مجالسنا رجع الى رحلك
فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاعشناه في
مجالسنا فاننا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا
يتثاورون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عباد ة فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله
ابن أبي قال كذا وكذا قال سعد بن عباد ة يا رسول الله اعف عنه واصفح
فو الذي نزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك ولقد اصطلح
اهل هذه البصرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصاة فلما رد الله ذلك بالحق
الذي اعطاك شرق بذلك فذلك الذي فعل به ما رأيت ففعا عنه رسول الله
ويكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يعفون عن المشركين واهل الكتاب
كما أمرهم الله تعالى ويصبرون على الاذى قال الله تعالى ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشرکوا الذي كثير اوان تصبروا وتنتقوا
فات ذلك من عزم الامور ة وقال الله عز وجل ود كثير من اهل الكتاب

لو يرد ونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم
الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامرهم ان الله على كل شئ قدير وكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاول في العفو ما امره الله تعالى حتى اذن الله
عز وجل فيه فبلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يد وافتل الله تعالى به
من قتل من صناديد قريش و قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
منصورين غائبين مع اسارى من صناديد الكفار وسادة قريش فقال
ابن ابي بن سلول ومن معه من المشركين عبدة الاوثان هذا امر قد توجه
فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فاسلموا الفظ للفقار عمو قال
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى واعرض عن المشركين لست عليهم
بمسيطر فاعف عنهم واصفح وان تقواوا تصفحوا فاعفوا واصفحوا حتى
ياتي الله بامرهم قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ونحو هذا
في القرآن مما امر الله به المؤمنين بالعفو والصفح عن المشركين فانه نسخ ذلك
كله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم حافرون فنسخ هذا عفوهم عن
المشركين وكذا روى الامام احمد وغيره عن قتادة قال امر الله فيه
ان يغفروا عنهم يصفح حتى ياتي الله بامرهم وقضائه ثم انزل الله عز وجل
برآة فاتى الله بامرهم وقضائه فقال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله الآية قال فنسخ
هذه الآية ما كان قبلها و امر الله فيها بقتال اهل الكتاب حتى يسلموا او يقتلوا

بالجزية صغاراً وقيمة لهم • وكذلك ذكر موسى بن عقبة عن الزهري
 ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقاتل من كف عن قتاله كقوله تعالى فان
 اعتزلوكم فلم يقاتلوكم واتقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سيلاً الى ان
 نزلت براءة وجهه ذلك انه لما نزلت براءة امر ان يتدى جميع الكفار
 بالقتال وثيبهم وكتائبهم سواء كفوا عنه او لم يكفوا وان يئبد اليهم تلك
 اليهود المطلقه التي كانت يئبو يئبهم قيل له فيها جاهد الكفار والمنافقين واغلق
 عليهم بعد ان كان قد قبل له ولا تطع الكافرين والمنافقين ردع اذام • ولهذا
 قال زيد بن اسلم نسخت هذه الآية ما كان قبلها فاما قبل براءة وقبل بدر
 فقد كان مأموراً بالصبر على اذامه والنزوع عنهم اما بعد بدر وقبل براءة فقد
 كان ليقاتل من يؤذيه ويمسك عن سائمه كما فعل باين الاشرف وغيره من
 كان يؤذيه فبدر كانت اساس عز الدين وفتح مكة كانت كمال عز الدين
 فكانوا قبل بدر يسمون الاذى الظاهر ويؤمنون بالصبر عليه وبعد بدر
 يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم فيؤمنون بالصبر عليه وفي ثبوت
 امره بالاغلاظ للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعد ما كافروا منافق من اذام
 في مجلس خاص ولا علم بل مات بنيفظه لعله بانه يقتل اذ انكم وقد كان بعد
 بدر لليهود استطالة واذاى للمسلمين الى ان قتل كعب بن الاشرف قال
 محمد بن اسحاق في حديثه عن محمد بن مسلمة قال فاصبحنا وقد خافت
 يهود فمنا بعد والله فليس بها يهودى الا وهو يخاف على نفسه • وروى
 باسناده عن حبيصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم

به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محبصة بن مسعود على ابن سنيته رجل من
 تجار يهود كان يلا بسهم ويبيعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذا ذاك
 لم يسلم وكان اسن من محبصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول اى عيوانه
 قتلتك اما والله لرب شحم في بطنك من ماله فواته ان كان لاول اسلام
 حويصة فقال محبصة فقلت له والله لقد امرنى بقتله من لوا امرنى بقتلك
 لضربت عنقك فقال لوا امرك محمد بقتلى لقتلتنى فقال محبصة نعم والله
 فقال حويصة والله ان دينا باغ هذا منك لعجب • وذكروا غير ابن اسحاق
 ان اليهود حذرت وذلت وخافت من يوم قتل ابن الاشرف
 فلما اتى الله بامرهم الذى وعده من ظهور الدين وعزا المؤمنين امر
 رسوله بالبراءة الى المعاهدين وبقتال المشركين كافة وبقتال اهل
 الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون • فكان ذلك
 عاقبة الصبر والتقوى الذين امرهم بهما في اول الامر وكان اذ ذاك
 لا يؤخذ من احد من اليهود الذين بالمدينة ولا غيرهم جزية وصارت
 تلك الآيات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله يده ولا لسانه
 فيتنصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه وصارت آية الضغار على المعاهدين في
 حق كل مؤمن قوى يقدر على نصر الله ورسوله يده اولسانه وبهذه الآية ونحوها
 كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عهد
 خلفائه الراشدين وكذلك هو الى قيام الساعة لا تزال طائفة من هذه الامة
 قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام فمن كان من المؤمنين بارض

هو فيها مستضعف او في وقت هو فيها مستضعف فليعمل بآية الصبر
والصفح والعفو عن يؤذى الله ورسوله من الذين اتوا الكتاب والمشركون
واما اهل القوة فلما يعملون بآية قتال ائمة الكفر الذين يطعنون في الدين
وبآية قتال الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
فان قبل فقد قال الله تعالى الم ترالى الذين نهوا عن التبغى الى قوله واذا جاءوك
حيوك بالم يحبك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعضدنا الله بما نقول حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير فاجبر انهم يحبون الرسول تحبة منكرا واخبر ان
العذاب في الآخرة يكفهم عليها فلم ان تعذيبهم في الدنيا ليس بواجب
وعن انس بن مالك قال مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
السام عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتدرون ما يقول قالوا لا قال يقول السام عليك قالوا
يا رسول الله الانقله قال لا اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليكم
رواه البخاري وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل رهط
من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك
قالت عائشة ففحتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله
فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال قد قلت و عليكم متفق عليه
وعن جابر قال سلم ناس من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
السام عليك يا با القاسم فقال و عليكم فقالت عائشة وغضبت الم نسمع

ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا محجوب ولا يجابون علينا رواه مسلم
ومثل هذا الداء اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وسب له ولو قاله المسلم لصار به
مرتدا لانه داء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته بانه يموت وهذا
فعل كافرو مع هذا فلم يقتلهم بل نهى عن قتل اليهودى الذى قال ذلك لما
استأمره اصحابه في قتله قلناه من هذا اجوبة ١٠ احد ها ١٠ ان هذا كان في
حال ضعف الاسلام الا ترى انه قال لعائشة مهلا يا عائشة فان الله يجب
الرفق في الامر كله وهذا الجواب كما ذكرناه في الاذى صلى الله عليه
بالصبر عليه الى ان اتى الله بامرهم وذكر هذا الجواب طوائف من المالكية
والشافعية والحنبلية منهم القاضى ابو يعلى وابو اسحق الشيرازى وابو الوفاء
ابن عقيل وغيرهم ومن اجاب بهذا اجمل الامان كالايمان في انتفاضة بالشم
ونحوه وفي هذا الجواب نظر لما روى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اليهود اذا سلم احدكم فاما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا
وعليكم متفق عليهما فعلم ان هذا سنة قائمة في حق اهل الكتاب مع بقائهم
على الذمة وانه صلى الله عليه وسلم حال عز الاسلام لم يامر بقتلهم لاجل
هذا وقد ركب الى بنى النضير فقال اذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم وكان ذلك بعد
قتل ابن الاشرف فعلم انه كان بعد قوة الاسلام نعم قد قد منان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسمع من الكفار والمنافقين في اول الاسلام اذى كبيرا
وكان يضرب عليه امثالا لقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم

لا ب إقامة الحدود عليهم كان يفضى الى فتنة عظيمة ومفسدة اعظم من
مفسدة الصبر على كلامهم فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله افواجا
وانزل الله برآءة قال فيها جاهد الكفار والمنافقين واغلاظ عليهم وقال
تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الى قوله اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا فلما رأى من بقى من المنافقين ما صار الامر اليه من عز الاسلام
وقيام الرسول بجهاد الكفار والمنافقين اضمروا النفاق فلم يكن يسمع
من احد من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء وماتوا بغيظهم حتى بقى منهم
اناس بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم صاحب السرحذيفة فلم
يكن يصلى عليهم هو ولا يصلى عليهم من عرفهم بسبب آخر مثل عمر بن
الخطاب فهذا يفيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتمل من الكفار
والمنافقين قبل برآءة ما لم يكن يحتمل منهم بعد ذلك كما قد كان يحتمل من
اذى الكفار وهو بمكة ما لم يكن يحتمل بدار الهجرة والنصرة لكن هذه
الكلمة ليست من هذا الباب كما قد بيناه في الجواب الثاني ان هذا ليس من السب
الذى ينتقض به العهد لانهم انما اظهروا التحية الحسنة والسلام المعروف ولم يظهروا
سباً ولا شتماً وانما حرقوا السلام تحريفاً خفياً لا يظهر ولا يفطن به اكثر الناس
ولهذا لما سلم اليهودى على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ السام لم يعلم به
اصحابه حتى اعلمهم وقال ان اليهود اذا سلم احدكم فلنما يقول السام عليكم
وعهدهم لا ينتقض بما يقولونه سرا من كفر او تكذيب فان هذا لا بد منه
وكذلك لا ينتقض العهد بما يخفونه من السب وانما ينتقض بما يظهر ونه

وقد ذكر غير واحد ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون
 السام عليك فيرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم ولا يدري
 ما يقولون فاذا خرجوا قالوا لو كان نبياً لعذبنا واستجيب فينا وعرف قولنا
 فدخلوا عليه ذات يوم وقالوا السام عليك ففطنت عائشة الى قولهم وقالت عليكم
 السام والذام والداء واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة
 ان الله يحب الرفق في الامر كله ولا يحب الفحش ولا الفحش فقالت يا رسول الله
 لم تسمع ما قالوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب
 فقولوا وعليكم فهذا دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يظهر له
 انه سب ولذ لك نهى عائشة عن التصريح بشتمهم وامرها بالرفق بان ترد
 عليهم تحيتهم فان كانوا قد حيوا تحية سيئة استجيب لنافيهم ولم يستجب لهم
 فينا ولو كان ذلك من باب سبهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الذي هو
 السب لكان فيه العقوبة ولو بالتعزير والكلام فلما لم يشرح رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في مثل هذه التحية تعزيراً ونهى من اغلظ عليهم لاجل علم ان
 ذلك ليس من السب الظاهر لكونهم اخفوه كما يخفي المنافقون نفاقهم
 ويعرفون في لحن القول فلا يعاقبون بمثل ذلك وسيأتي تمام الكلام ان شاء
 الله تعالى في ذلك . الجواب الثالث . ان قول اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 له الا تقتله لما اخبرهم انه قال السام عليكم دليل على انه كان مستقراً عندهم
 قتل الساب من اليهود لما رأوه من قتل ابن الاشرف والمرأة وغيرها فنهاهم
 النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله واخبرهم ان مثل هذا الكلام حقه

ان يقابل بمثله لانه ليس اظهر السب والشتم من جنس ما فعلت تلك اليهودية
وابن الاشرف وغيرهما وانما هو امر اربى تكلموا المناخين بالنفاق
الجواب الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يعقو عن شتمه ومسيه في
حياته وليس للامة ان يعقوا عن ذلك يوضح ذلك انه لا خلاف ان من سب النبي
صلى الله عليه وسلم او عابه بعد موته من المسلمين كان كافرا حلال الدم وكذلك
من سب نبي آمن الانبياء ومع هذا فقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كاذبين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وقال تعالى واذا قال موسى
لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فكان بنو اسرائيل
يؤذون موسى في حياته بما لو قاله اليوم احد من المسلمين وجب قتله
ولم يقتلهم موسى عليه السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يقتدى به في ذلك
فخر بما سمع اذاه او بلغه فلا يعاقب المؤذي على ذلك قال الله تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن الآية وقال تعالى ومنهم من يلزك في الصدقات
فان اعطوا لمنهار خسوا وان لم يعطوا منها اذاهم يستخطون وعن الزهري
عن ابي سلمة عن ابي سعيد قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم اذ جاء
عبد الله ابن ذبي (١) الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله قال ويلك من
يعدل اذ لم اعدل قال عمر بن الخطاب دعني اضرب عنقه قال دعه فان
له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيلمه مع صيامهم يرقون من
الله بن كما يرق السهم من الرمية وذكر الحديث وفيه نزلت ومنهم
من يلزك في الصدقات هكذا رواه البخاري وغيره من حديث معمر عن

لا يجوز للامة ان يعقوا عن سبه صلى الله عليه وسلم

(١) هكذا في المتنول عنه والظاهر اذ جاء ذو الخويصرة كما يحكي في الصفحة الآتية ٢٤

الزهرى واخر جاء في الصحيحين من وجوه اخرى عن الزهرى عن
ابى سلمة والضحاك الحمدانى عن ابى سعيد قال بينا نحن جلوس عند النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً اتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم
فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من
يعدل اذا لم اعدل قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
ايذن لى فيه فانضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عه فان له
اصحاباً يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم . وذكر حديث
الخوارج المشهور ولم يذكر نزول الآية ونسبة ذى الخويصرة هو المشهور
في عامة الحديث كما رواه عامة اصحاب الزهرى عنه والاشبه ان ما انفرد به
معمر وهم منه فان له مثل ذلك وقد ذكرنا ان اسمه حر قوص بن زهير
وفي الصحيحين ايضاً من حديث عبد الرحمن بن ابى نعم عن ابى سعيد
قال بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن الى النبي صلى الله عليه وسلم بذهية
في تربتها قسمها بين اربعة نفر وفيه ففضبت قریش والانصار وقالوا يعطى صناديد
اهل نجد ويد عنها فقال انما اتألفهم فاقبل رجل غائر العينين قاتى الجبين
كث اللحية مشرف الوجنتين محلق الرأس فقال يا محمد انق الله قال فمن
يطع الله اذا عصيته افيامننى على اهل الارض ولا ثامنوني فسال رجل من
القوم قتله اراه خاله بن الوليد فمنعه فلما ولي قال ان من ضئضى هذا قوماً
يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم وذكر الحديث في صفة الخوارج وفي
آخره يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان لئن ادركتهم لا قتلنهم

قتل عاد وفي رواية لمسلم الا تأمنوني وانا آمن من في السماء ياتيني خبر السماء
صباحاً ومساءً • وفيها فقال يا رسول الله اتق الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويك اولست احق اهل الارض ان يتقى الله قال ثم ولي الرجل فقال خالد بن
الوليد يا رسول الله الا ضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون يصلي قال خالد
وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لم امر ان انقب عن قلوب الناس ولا شق بطونهم • وفي رواية في الصحيح
فقام اليه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله الا ضرب عنقه قال لا فقام
اليه خالد سيف الله فقال يا رسول الله الا ضرب عنقه قال لا فهذا
الرجل الذي قد نص القرآن انه من المنافقين بقوله ومنهم من يلزم في الصدقات
اي يعيبك ويطعن عليك وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم اعدل واتق الله
بعد ما خص بالمال اولئك الاربعة نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى انه جار
ولم يتق الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اولست احق اهل الارض ان
يتقى الله الا تأمنوني وانا آمن من في السماء • ومثل هذا الكلام لا ريب انه يوجب
القتل لو قاله اليوم احد • وانما لم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يظهر
الاسلام وهو الصلاة التي يقاثل الناس حتى يفعلوها وانما كان نفاقه بما يخص
النبي صلى الله عليه وسلم من الاذي وكان له ان يعفو عنه وكان يعفو عنهم ناليفاً
للقلوب لئلا يتحدث الناس ان محمد يقتل اصحابه وقد جاء ذلك مفسراً في هذه
القصة او في مثلها فروى مسلم في صحيحه عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه
قال اتى رجل بالجرم انة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله

صلى الله عليه وسلم يقبض منها ويعطى منها الناس فقال يا محمد اعدل ويحك
 ومن يعدل اذا لم اعدل لقد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل فقال عمر بن
 الخطاب دعني يا رسول الله فاقبل هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس
 اني اقبل اصحابي ان هذا هو اصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون
 منه كيمرق السهم من الرمية وروى البخاري عنه عن عمرو بن جابر رضي الله عنهما
 بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنيمة بالجزاة اذ قال له رجل اعدل
 فقال لقد شقبت ان لم اعدل وجاء من كلامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما هو اغلظ من هذا قال ابن اسحاق في رواية ابن بكير عنه حدثني ابو عبيدة
 ابن محمد بن عمار بن بسر عن مقسم ابي القاسم مولى عبد الله بن الحارث قال خرجت
 انا وسبلاد بن كلاب الليثي فلقينا عبد الله بن عمرو بن العاص يطوف بالكعبة
 معلقا عليه في يديه فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
 ذو الخويصرة التميمي يكله قال نعم ثم حدثنا فقال اتى ذو الخويصرة التميمي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم المغام بحنين فقال يا محمد قد رايت
 ما صنعت قال فكيف رايت فقال لما ركعت فغضب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال اذا لم يكن للعدل عندى فعند من يكون فقال عمر يا رسول الله
 الا اقوم اليه فاخرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فانه
 سيكون له شيعه يتعمقون في الدن حتى يمرقون منه كيمرق السهم من الرمية
 وذكروا تمام الحديث قال ابن اسحاق حدثني ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين
 قال اتى ذو الخويصرة التميمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم المقاسم

بحنين وذكر مثل هذا سواء رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم بن
سعد عن ابيه عن ابن اسحاق نحوه وقال الاموي عن ابن اسحاق وذكر الحديث
عن ابي عبيدة وعن محمد بن علي وعن ابن ابي نجيع عن ابيه ان رجلا تكلم عند
النبي صلى الله عليه وسلم قال ولم يسمه الا محمد بن علي فانه قال هو ذوالخويصرة
التحيمي وكذا ذكر غيره ان ذوالخويصرة هو الذي اعترض على النبي
صلى الله عليه وسلم في قسم غنائم حنين . وكذا لك المناقب الذي سمعه ابن
مسعود فانه في غنائم حنين ايضاً . واما الذين في حديث ابن ابي نعم عن ابي سعيد
فانه كان بعد هذه المرة لان فيه ان علياً بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
باليمن بذهية فقسمها بين اربعة من اهل نجد ولا خلاف بين اهل العلم ان
علياً كان في غزوة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن اليمن فتحت
يومئذ ثم انه استعمل علياً على اليمن سنة عشر بعد تبوك وبعد ان بعثه
مع ابي بكر الى الموسم بنجد اليهود ووافى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع منصرفه من اليمن وكان النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة لما بعث علي
بالصدقة ومليين ذلك ان غنائم حنين نقل النبي صلى الله عليه وسلم منها
خلقا كثيرا من قريش واهل نجد وهذه الذهية انما قسمها بين اربعة نجديين
واذا كان كذلك فاما ان يكون المعترض في هذه المرة غير ذوالخويصرة
ويكون ابو سعيد قد شهد القصة . وعلى هذا فالذي في رواية معمران آية
الصدقات نزلت في قصة ذوالخويصرة ليس بجيد بل هو مدرج في
الحديث من كلام الزهري او كلام معمر لان ذوالخويصرة انما ذكر عليه قسم

الغنائم وليست هي الصدقات التي جعلها الله لثمانية اصناف ولا التقات الى ما ذكره بعض المفسرين من ان الآية نزلت في قسم غنائم حنين وامان يكون المعترض في ذهية علي رضي الله عنه هو ذو الخويصرة ايضا وعلى هذا فيكون احاديث ابي سعيد كلها في هذه القصة لا في قسم الغنائم وتكون الآية قد نزلت في ذلك او يكون قد شهد القصتين معا والآية نزلت في احدهما وقد روي عن ابي برزة الاسلمي قال اتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال قسمه فاعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئا فقام رجل من ورائه فقال يا محمد ما عدلت في القسمة رجل اسود مطموم الشعر عليه ثوبان ايضان فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال والله لا تجددن بعدي رجلا هو اعدل مني ثم قال يخرج في آخر الزمان قوم كان هذا منهم يقرؤون القرآن لا يجاوزوا زراعتهم يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فاذا القيتهم وقتلوا هم شر الخلق والخليقة رواه النسائي ومن هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين عن ابي وائل عن عبد الله قال لما كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب واثرهم يومئذ في القسمة فقال رجل والله ان هذه لقسمة ما عدل فيها او ما يريد بها وجه الله قال فقلت والله لا اخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله

ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد اودى باكثر من هذا فصرى قال فقلت
 لاجرم لا ارفع اليه بعد هاحدينا وفي رواية للبخاري قال رجل من
 الانصار ما اراد به وجه الله و ذكر الواقدي ان المتكلم بهذا كان معتب بن
 قشير وهو معدود من المنافقين فهذا الكلام مما يوجب القتل بالاتفاق لانه
 جعل النبي صلى الله عليه وسلم ظالمًا امرأته و قد صرح النبي صلى الله عليه وسلم
 بان هذا من اذى المرسلين ثم اقتدى في العفو عن ذلك بموسى عليه السلام
 ولم يستتب لان القول لم يثبت فانه لم يراجع القائل ولا تكلم في ذلك بشيء
 ومن ذلك ما رواه ابن ابي عاصم وابو الشيخ في الدلائل باسناد صحيح عن
 قتادة عن عتبة بن وساج (١) عن ابن عمر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بقليد من ذهب وفضة فقسمه بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال
 يا محمد والله لان امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك
 بعدى فلما ولي قال ردوه علي رويدا ومن ذلك قول الانصاري الذي حاكم الزبير
 في شراج الحرة لما قال له صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم سرح الى جارك فقال ان كان
 ابن عمتك و حديث الرجل الذي قضى عليه فقال لا ارضى ثم ذهب الى ابي بكر ثم
 الى عمر فقتله ولهذا نظائر في الحديث اذا تتبع مثل الحديث المعروف عن بهز بن
 حكيم عن ابيه عن جده ان اخاه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبراني على ماذا
 اخذوا فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الناس يزعمون انك تهى
 عن النفي و تستمل به فقال لئن كنت افعل ذلك انه لم يولي وما هو عليهم خلوا
 له جيرانه و رواه ابو داود باسناد صحيح فهذا وان كان قد حكى هذا القذف

(١) في الخلاصة وساج بفتح الواو والمهملة الثقيلة وآخره جيم ١٢ الحسن البيمان

عن غيره فانما قصد به انتقاصه وايداه بذكاء ولم يحكه على وجه الرد على من قاله وهذا من انواع السب ومثل حديث ابن اسحاق عن هشام عن ابيه عن عائشة قالت اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم جزورامن اعرابي بوسق من تمر الذخيرة فجاء به الى منزله فالتمس التمر فلم يجد في البيت قال فخرج الى الاعرابي فقال يا عبد الله انا ابتعنا منك جزوراء هذا بوسق من تمر الذخيرة ونحن نرى انه عندنا فلم نجد فقال الاعرابي واغدراه واغدراه فوكزه الناس وقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه رواه ابن ابي عاصم وابن حبان في الدلائل فهذا الباب كله مما يوجب القتل ويكون به الرجل كافرا منافقا حلال الدم كان النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء يعفون ويصفحون عمن قاله امثالا لقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وكقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقوله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وكقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وكقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذ هم وذلك لان درجة الحلم والصبر على الاذى والعفو عن الظلم افضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصهام والقيام قال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا

و اصلح فاجره على الله ✽ وقال تعالى ان تبدوا خيرا او تحفهوا او تعفوا عن سيئه
 فان الله كان عفوا قديرا ✽ وقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
 ولئن صبرتم لهو خبير للصابرين ✽ والا حاديث في هذا الباب كثيرة مشهورة
 ثم الانبياء احق الناس بهذه الدرجة لفضلهم واحوج الناس اليها لما ابتلوا به
 من دعوة الناس ومعالجتهم وتغيير ما كانوا عليه من العادات وهو امر
 لم يأت به احد الا عودي ✽ قال الكلام الذي يؤذيهم يكفر به الرجل فيصير به
 محاربا ان كان ذا عهد ومرتدا او منافقا ان كان ممن يظهر الاسلام ولهم
 فيه ايضا حق الادمي فجعل الله لهم ان يعفوا عن مثل هذا النوع ووسع
 عليهم ذلك لما فيه من حق الادمي تغليبا لحق الادمي على حق الله كما جعل المستحق
 القود وحده القذف ان يعفو عن القاتل والقاذف وهم لولى لما في جوار عفوا
 الانبياء ونحوهم من المصالح العظيمة المتعلقة بالنبي وبالامة وبالدين وهذا
 معنى قول عائشة رضي الله عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
 خادماه ولا امرأه ولا دابة ولا شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا انتقم
 لنفسه قط ✽ وفي لفظ حنبل منه شيء فانتقمه من صاحبه الا ان تنتهك محارم الله
 فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقمه متفق عليه ✽ ومعلوم ان
 النيل منه اعظم من انتهاك المحارم لكن لما دخل فيها حق كالت الامر اليه
 في العفو والانتقام فكان يختار العفو ربما امر بالقتل اذ ارجى المصلحة في ذلك
 بخلاف ما لاحق له فيه من زنا وسرقة او ظلم لغيره فانه يجب عليه القيام به
 وقد كان اصحابه اذ اراهم يؤذيه ارا دواقله لعلمهم بانه يستحق القتل

فيعفو عنه صلى الله عليه وسلم ويبين لهم ان عفوه اصلى مع اقراره لهم
على جواز قتله ولو قتله قاتل قبل عفوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض له
النبي صلى الله عليه وسلم لعله بانه قد انتصر لله ورسوله بل يحمده على
ذلك ويثني عليه كما قتل عمر رضى الله عنه الرجل الذى لم يرض بحكمه
وكما قتل رجل بنت مروان وآخر اليهودية السابة فاذا تعذر عفوه بموته
صلى الله عليه وسلم بقى حقاً محضاً لله ولرسوله وللمؤمنين لم يعرف عنه
مستحقه فيجب اقامته ويبين ذلك ماروى ابراهيم بن الحكم بن ابان حدثني
ابي عن عكرمة عن ابي هريرة رضى الله عنه ان امرأياً جاءت الى النبي
صلى الله عليه وسلم يستعينه فى شئ فاعطاه شيئاً ثم قال احسنت اليك قال
الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان
كفوا ثم قام فدخل منزله ثم ارسل الى الاعرابي فدعاه الى البيت بغنى
فاعطاه فرضى فقال انك جئتنا فاعطيناك فقلت ما قلت وفي انفس
المسلمين شئ من ذلك فان احببت فقل بين ايدىهم ما قلت بين يدي حتى
يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء قال
رسول صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم جاء ففسأنا فاعطيناه فقال ما قال وانا
دعواته الى البيت فاعطيناه فزعم انه قد رضى اكد لك قال الاعرابي نعم
فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان
مثلى ومثل هذا الاعرابي كمثلى رجل كانت له ناقة فشردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين

فاقبى فاذا رفق بها فتوجه لها صاحب الناقه بين يديها فاخذ لها من قمام الارض
فجاءت فاستأخت فشد عليها رجليها واستوى عليها وانى لو تركتكم حين
قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار رواه ابو احمد العسكري بهذا الاسناد
قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اعطني فانك لا تعطيني
من مالك ولا من مال ابيك فاغلظ للنبي صلى الله عليه وسلم فوثب اليه
اصحابه فقالوا يا اعدوا الله تقول هذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره
بهذا يبين لك ان قتل ذلك الرجل لا جل قوله ما قال كان جائزا قبل
الاستتابة وانما صار كما فربك الكلمة ولو لا ذلك لما كان
يدخل النار اذا قتل على مجرد تلك الكلمة بل كان يدخل الجنة لانه مظلوم
شهيد وكان قاتله يدخل النار لانه قتل مؤمنا متعمدا وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يبين ان قتله لم يحل لان سفك الدم بغير حق من اكبر الكبائر وهذا
الاعرابي كان مسلما لهذا اقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه لفظ صاحبكم
ولهذا جاءه الاعرابي يستعينه ولو كان كافرا محاربا بالمجاهد يستعينه في شيء
ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه ليعلم لذكر في الحديث انه اسلم فلما
لم يجر للاسلام ذكر دل على انه كان ممن دخل في الاسلام وفيه جفاء الاعراب
وممن دخل في قوله تعالى فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذ هم يخطون
ومما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعفو عن المنافقين الذين
لا يشك في تقاعبهم حتى قال لو اعلم اني لو زدت على السبعين غفرا لزدت
حتى نهاه الله من الصلاة عليهم والاستغفار لهم وامره بالاغلاظ عليهم فكثير

مما كان يحتمله من المنافقين من الكلام وما يعاملهم من الصفع والعفو والاستغفار
 كان قبل نزول برادة لما قيل له لا تطع الكافر بن والمنافقين ودع اذاهم ❦ لاحتياجه
 اذ ذاك الى استعطافهم وخشية نفور العرب عنه اذا قتل احدا منهم وقد صرح
 صلى الله عليه وسلم لما قال ابن ابي لئن رجعت الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل ❦
 ولما قال ذوالخويرة اعدل فانك لم تعدل وعند غير هذه القصة انما لم يقتلهم
 لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فان الناس ينظرون الى ظاهر الامر
 فيرون واحدا من اصحابه قد قتل فيظن للظان انه يقتل بعض اصحابه على غرض
 او حقد او نحو ذلك فينفّر الناس عن الدخول في الاسلام و اذا كان من شريعته
 ان يتألف الناس على الاسلام بالاموال العظيمة ليقوم دين الله وتعلو كلمته فلان
 يتألفهم بالعفو والى واحرى فلما انزل الله تعالى براءة ونهاه عن الصلاة على
 المنافقين والقيام على قبورهم وامره ان يجاهد الكفار والمنافقين ويغظ عليهم
 نسخ جميع ما كان المنافقون يعاملون به من العفو كما نسخ ما كان الكفار يعاملون
 به من الكف عن سالم ولم يبق الا اقامة الحدود واعلاء كلمة الله في حق كل انسان
 ❦ فان قيل ❦ فقد قال تعالى لم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة
 الى قوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا
 و اسمع غير مسمع و اعدا لئلا يستهم وطعنا في الدين ❦ وقولهم اسمع غير مسمع
 مثل قولهم اسمع لا سمعت و اسمع غير مقبول منك لان من لا يقصد اسماعه
 لا يقبل كلامه وقولهم راعنا قال قتادة وغيره كانت اليهود تقول للنبي
 صلى الله عليه وسلم راعنا سمعتك يستهزئون بذلك وكانت في اليهود قبيحة ❦

وروى الامام احمد عن عطية قال كان ياتي ناس من اليهود فيقولون را عنا
سمعتك حتى قالها ناس من المسلمين فكره الله له ما قالت اليهود وقال عطية الخراساني
كان الرجل يقول ارعنا سمعتك وبلوى بذلك لسانه ويطعن في الدين
وذكر بعض اهل التفسير ان هذه اللفظة كانت سباقا بلغة اليهود فهو لاء
قد سبوه بهذا الكلام ولووا السننهم به واستهزوا به وطفنوا في الدين ومع
ذلك لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم قلنا عن ذلك اجوبة احدها
ان ذلك كان في حال ضعف الاسلام في الحال التي اخبر الله عن رسوله والمومنين
انهم يسمعون من الذين اتوا الكتاب والمشركين اذى كثيرا وامرهم بالصبر
والتقوى ثم ان ذلك نسخ عند القوة بالامر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن
يد وهم صاغرون والصاغرون لا يفعل شيئا من الاذى في الوجه ومن فعله ليس
بصاغرا ثم ان من الناس من يسمى ذلك نسخا لتغير الحكم ومنهم من لا يسميه
نسخا لان الله امرهم بالصفح والعفو الى ان ياتي الله بامرهم وقد اتى الله بامرهم من
عز الاسلام واظهاره والامر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون
وهذا امثل قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل
الله لهن سيلا وقال النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل الله لهن سيلا فبعض
الناس يسمى ذلك نسخا وبعضهم لا يسميه نسخا والخلاف لفظي ومن الناس
من يقول الامر بالصفح باق عند الحاجة اليه بضعف المسلم عن القتال بان
يكون في وقت او مكان لا يتمكن منه وذلك لا يكون منسوخا اذ المنسوخ
ما ارتفع في جميع الازمنة المستقبلية وبالجملة فلا خلاف ان النبي صلى الله عليه

وسلم كان مفروضا عليه لما قوي ان يترك ما كان يعامل به اهل الكتاب
والمشركين ومظهرى النفاق من العفو والصغ الى قتالهم واقامة الحدود
عليهم سمي استخاؤم يسم ❁ الجواب الثاني ❁ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له
ان يعفو عن سبه وليس للامة ان يعفوا عن سبه كما قد كان يعفو عن سبه
من المسلمين مع انه لا خلاف بين المسلمين في وجوب قتل من سبه من المسلمين ❁
❁ الجواب الثالث ❁ ان هذا ليس باظهار للسب وانما هو اخفاء له بمنزلة السام
عليكم وبمنزلة ظهور النفاق في لحن القول لانهم كانوا يظهر ون انهم يقصدون
مسأله ان يسمع كلامهم وان يراعيهم فينتظروهم حتى يقضوا كلامهم وحتى
يفهموا كلامه وياتونه على هذا الوجه ثم انهم يلوون السنتهم بالكلام وينوون
به الاستهزاء والسب والطعن في الدين كما يلوون السنتهم بالسلام وينوون
به الدعاء عليه بالموت واليهود امة معروفة بالنفاق والخبث وان تظهر خلاف
ما تبطن ولكن ذلك لا يوجب اقامة حد عليهم ولو كان هذا سببا ظاهرا
لما كان المسلمون يخاطبون بمثل ذلك قاصدين به الخير حتى نهوا عن التكلم
بكلام يحتمل الاستهزاء وبوجهه بحيث يصير سببا بالنية ودلالة الحال وذلك
ان هذه اللفظة كانت العرب تتخاطب بها لا تقصد سببا قال عطاء كانت لغة
في الانصار في الجاهلية وقال ابو العالية ان مشركي العرب اذا حدث بعضهم
بعضا يقول احدهم لصاحبه ارعني سمعتك فنهوا عن ذلك وكذلك قال
الضحاك وذلك ان العرب تقول ارعته سمعي ارعاه اذا فرغته الكلام
لانك جعلت السمع يرعى كلامه ويقول راعيته سمعي بهذا المعنى لكن كانت

اليهود تعتقد هاسباينها، لما فيها من الاشتراك فانها كما تستعمل في استرعا
السمع تستعمل بمعنى المفاعلة كانه قيل راعني حتى ارا عيك وهذا انما يكون
بين الامثال والنظراء ومرتبة الرئيس اعلى من ذلك او ان اليهود
ينوون بها معنى الرعونة او فيها طلب حفظ الكلام والاهتمام
به وهذا انما يكون من الاعلى للأسفل لان الرعاية هي الحفظ والكلاءة
ومنه استرعاء الشاة وقد غلبت في عرفهم ولغتهم على معنى
ردى كما قيل انهم ينوون بها السمع لاسمعت وبالجملة انما يصير مثل هذاسبأ بالنية
ولي اللسان ونحوه فنهى المسلمون عنها حسا لمادة التشبه باليهود وتشبه اليهود
بهم وجعل ذلك ذريعة الى الاستهزاء به ولما يحمله لفظها من قلة الادب
في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم الجواب الرابع ما ذكره بعض اهل
التفسير الذي ذكر انها كانت سبا قبيحا بلغة اليهود قال كان المسلمون يقولون
راعنا يا رسول الله وارعنا سمعك يعنون من المراعاة وكانت هذه اللفظة سبا
قبيحا بلغة اليهود فلما سمعتها اليهود اغتموها وقالوا فيما بينهم كناسب محمدا سرا
فاعلنوا له الآن بالشم وكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم
فسمها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده يا معشر اليهود لان سمعها من رجل منكم يقول لارسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ضرر بن عنقه فقالوا او لستم تقولونها فانزل الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا لكيلا يتخذ اليهود ذلك سبيلا الى شتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذا القول دليل على ان اللفظة مشتركة في لغة العرب

وسلم كان مفروضا عليه لما قوي ان يترك ما كان يعامل به اهل الكتاب
والمشركين ومظهرى النفاق من العفو والصغ الى قتالهم واقامة الحدود
عليهم سمي نسخا ولم يسم **• الجواب الثاني •** ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له
ان يعفو عن سبه وليس للامة ان يعفوا عن سبه كما قد كان يعفو عن سبه
من المسلمين مع انه لا خلاف بين المسلمين في وجوب قتل من سبه من المسلمين **•**
• الجواب الثالث • ان هذا ليس باظهار للسب وانما هو اخفاء له بمنزلة السام
عليكم وبمنزلة ظهور النفاق في لحن القول لانهم كانوا يظهر ون انهم يقصدون
مسائلته ان يسمع كلامهم وان يراعيهم فينتظروهم حتى يقضوا كلامهم وحتى
يفهموا كلامه ويأتونه على هذا الوجه ثم انهم يلوون السنتهم بالكلام وينوون
به الاستهزاء والسب والظعن في الدين كما يلوون السنتهم بالسلام وينوون
به الدعاء عليه بالموت واليهودية معروفة بالنفاق والخبث وان تظهر خلاف
ما تبطن ولكن ذلك لا يوجب اقامة حد عليهم ولو كانت هذا سببا ظاهرا
لما كان المسلمون يخاطبون بمثل ذلك قاصدين به الخير حتى نهوا عن التكلم
بكلام يحتمل الاستهزاء وبوهمه بحيث يصير سببا بالنية ودلالة الحال وذلك
ان هذه اللفظة كانت العرب تتخاطب بها لا تقصد سببا قال عطاء كانت لغة
في الانصار في الجاهلية وقال ابو العالية ان مشركي العرب اذا حدث بعضهم
بعضا يقول احدهم لصاحبه ارعني سمعتك فنهوا عن ذلك وكذلك قال
الضحاك وذلك ان العرب تقول ارعته سمعي ارعاه اذا فرغته لكلامه
لانك جعلت السمع يرعى كلامه ويقول راعيته سمعي بهذا المعنى لكن كانت

اليهود تعتقد هاسباينها، لما فيها من الاشتراك فانها كما تستعمل في استرعاء
السمع تستعمل بمعنى المفاعلة كانه قيل راعني حتى ارا عليك وهذا انما يكون
بين الامثال والنظراء ومرتبة الرئيس اعلى من ذلك او ان اليهود
ينوون بها معنى الرعونة او فيها طلب حفظ الكلام والاهتمام
به وهذا انما يكون من الاعلى للأسفل لان الرعاية هي الحفظ والكلاءة
ومنه استرعاء الشاة وقد غلبت في عرفهم ولقنهم على معنى
ردى كما قيل انهم ينوون بها السمع لاسمعت وبالجملة انما يصير مثل هذاسبأ بالنية
ولي اللسان ونحوه فنهى المسلمون عنها حسما لمادة التشبه باليهود وتشبه اليهود
بهم وجعل ذلك ذريعة الى الاستهزاء به ولما يحمله لفظها من قلة الادب
في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم الجواب الرابع ما ذكره بعض اهل
التفسير الذي ذكر انها كانت سبا قبيحا بلغة اليهود قال كان المسلمون يقولون
راعنا يا رسول الله وارعنا سمعك يعنون من المراعاة وكانت هذه اللفظة سبا
قبيحا بلغة اليهود فلما سمعتها اليهود اغتموها وقالوا فيما بينهم كناسب محمدا سرا
فاعلنوا له الآن بالشم وكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد وبضعكون فيما بينهم
فسمعا سعد بن معاذ فقطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده يا معشر اليهود لان سمعها من رجل منكم يقول لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ضرر بن عنقه فقالوا او لستم تقولونها فانزل الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا لكيلا يتخذ اليهود ذلك سبيلا الى شتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذا القول دليل على ان اللفظة مشتركة في لغة العرب

ولغة العبرانيين وان المسلمين لم يكونوا يفهمون من اليهود اذا قالوها الامعناها
 في لغتهم فلما فطنوا المعناها في اللغة الاخرى نهوهم عن قولها واعلموهم ان ذلك
 ناقض لعهدهم ومبيح لدمائهم وهذا اوضح دليل على انهم اذا اتكلموا
 بما يفهم منه السب حلت دماؤهم وانما لم يستحلوا دماءهم لان المسلمين لم يكونوا
 يفهمون السب والكلام في السب الظاهر وهو ما يفهم منه السب * فان قيل *
 اهل الذمة قد اقرروا لهم على دينهم ومن دينهم استحلل سب النبي صلى الله
 عليه وسلم فاذا قالوا ذلك لم يقولوا غير ما اقرروا عليه وهذا انكسة المخالف
 * قلنا * ومن دينهم استحلل قتل المسلمين واخذ اموالهم ومحاربتهم بكل
 طريق ومع هذا فليس لهم ان يفعلوا ذلك بعد العهد ومتى فعلوه نقضوا
 العهد وذلك لانا وان كنا نقرهم على ان يعتقدوا ما يعتقدونه وبخفوا ما يخفونه
 فلم نقرهم على ان يظهر او اذ لك ويتكلموا به بين المسلمين ونحن لا نقول
 بنقض عهد الساب حتى نسمعه يقول ذلك او يشهده المسلمون ومتى حصل
 ذلك كان قد اظهره واعلنه * وتحريم الجواب * ان كلنا المقدمتين باطلة * اما
 قوله اقرروا لهم على دينهم * فيقال لو اقرروا لهم على كل ما يدعون به لكانوا بمنزلة
 اهل ملتهم المحاربين ولو اقرروا لهم على كل ما يدعون به لم يعاقبوا على اظهار
 دينهم واظهار الطعن في ديننا ولا خلاف انهم يعاقبون على ذلك ولو اقرروا لهم
 على دينهم مطلقا لقرروا لهم على هدم المساجد واحراق المصاحف وقتل
 العلماء والصالحين فان ما يدعون به مما يؤذي المسلمين كثير والخطيئة اذا اخفيت
 لم تنصر الاصحابها ثم لا خلاف انهم لا يقررون على شيء من ذلك وانما اقرروا لهم

كما قال غرفة بن الحارث على ان نخليهم يفعلون بينهم ما شاءوا مما لا يؤذي المسلمين ولا يضرهم ولا يفرض عليهم في امور لا تظهر فان الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها ولكن اذا اعلنت فلم تنكر خربت العامة وشرطنا عليهم ان لا يفعلوا شيئا يؤذي بنا ولا يضرنا سواء كانوا يستحلونه او لا يستحلونه فمتى آذوا الله ورسوله فقد نقضوا العهد وشرطنا عليهم التزام حكم الاسلام وان كانوا يرون ان ذلك لا يزمهم في دينهم وشرطنا عليهم اداء الجزية وان اعتقدوا ان اخذها منهم حرام وشرطنا عليهم اخفاء دينهم فلا يظهرون الاصوات بكتابهم ولا على جنائزهم ولا ضرب ناقوس وشرطنا عليهم ان لا يرتفعوا على المسلمين وان يخالفوا بها آتهم هيئة المسلمين على وجه يتميزون به ويكونون اذلاء في تمييزهم الى غير ذلك من الشروط التي يعتقدون انها لا تجب عليهم في دينهم فعلم ان شرطنا عليهم ترك كثير مما يعتقدونه دينيا اماما باحا او واجبا وفعل كثير مما يعتقدونه ليس من دينهم فكيف يقال اقرناهم على دينهم مطلقا واما المقدمة الثانية فنقول هب اننا اقرناهم على دينهم فقوله استحلال السب من دينهم جوابه ان يقال اهو من دينهم قبل العهد او من دينهم وان عاهدوا على تركه الاول مسلم لكن لا ينفع لان هؤلاء قد عاهدوا فان لم يكن هذا من دينهم في هذه الحال لم يكن لهم ان يفعلوه لانه من دينهم في حال اخرى وهذا كما ان المسلم من دينه استحلال ما بينهم واموالهم واذاهم بالعجاء والسب اذا لم تعاهدوهم وليس من دينه استحلال ذلك اذا عاهدوهم فليس لنا ان نؤذيهم ونقول قد عاهدناكم على ديننا ومن ديننا استحلال اذاكم فان المعاهدة

التي بين المتحاربين تحرم على كل واحد منهما في دينه ما كان يستحله من ضرر
 الآخر و اذا قبل العهد و اما الثاني فمنع فانه ليس من دينهم استحلال
 نقض العهد ولا مخالفة من عاهده في شيء مما عاهده بل من دين جميع اهل
 الارض الوفاء بالعهد و ان لم يكن معتقدهم فنحن انما عاهدناهم على ان يدبوا
 بوجوب الوفاء بالعهد فان لم يكن دينهم وجوب الوفاء به فلم نعاهدهم على
 دين يستحل صاحبه نقض العهد و لو عاهدناهم على هذا الدين لكان نقضه اهدانهم
 على ان يدبوا بنقض العهد فينقضوه و نحن موفون بالعهد و بطلان هذا واضح
 و اذا لم يكن فعل ما عاهدوا على تركه من دينهم فنحن قد عاهدناهم على ان
 يكفوا عن اذا انا بالسنتهم و ايد بهم و ان لا يظهروا شيئاً من اذى الله و رسوله
 و ان يخفوا دينهم الذي هو باطل في حكم الله و رسوله و اذا عاهدوا اعلى
 ترك هذا و اخفاء هذا كان فعله حراماً عليهم في دينهم لان ذلك غدر و خيانة
 و ترك للوفاء بالعهد و من دينهم ان ذلك حرام و لو ان مسلماً عاهده قوم
 من الكفار طائفاً غير مكره على ان يمسك عن ذكر صليهم لوجب عليه في دينه
 ان يمسك مادام العهد قائماً فقول القائل من دينهم استحلال سب نبينا باطل اذ ذلك
 مع العهد المقتضى لتركه جرم في دينهم كما يحرم عليهم في دينهم استحلال دماءنا
 و اموالنا لاجل العهد و هم يعتقدون عند انفسهم انهم اذا آذوا الله و رسوله
 بالسنتهم او ضرروا المسلمين بعد العهد فقد فعلوا ما هو جرم في دينهم كما ان المسلم
 يعلم انه اذا آذاهم بعد العهد فقد فعل ما هو جرم في دينه و يعلمون ان ذلك
 مخالفة للعهد و ان ظنوا ان لا عهد بينهم و انما هم مغلوبون تحت يد الاسلام

فذلك ابعدهم عن العصمة واولي بالانتقام فانه لا عاصم لهم من الا العهد فان لم يعتقدوا
 الوفاء بالعهد فلا عاصم اصلا وهذا كله بين لمن تأمله يتبين به بعض فقه المسئلة
 ومن الفقهاء من اجاب عن هذا باناقررناهم على ما يعتقدونه ونحن انما نقول
 بنقض العهد اذا سبوه بالا يعتقدونه من القذف ونحوه وهذا التفصيل
 ليس بمرضى وسبأ في ان شاء الله تعالى تحقيق ذلك • فان قيل • فهب انهم
 صولحوا على ان لا يظهر واذا ذلك لكن مجرد اظهار دينهم كيف ينقض
 العهد وهل ذلك الاثباته مالوا ظهوروا واصواتهم بكتائبهم او صليهم او
 اعيادهم فان ذلك موجب لتكليمهم وتزيرهم دون نقض العهد • قلنا •
 واي ناقض للعهد اعظم من ان يظهر واكلمة الكفر ويعلوها ويخرجوا عن
 حد الصغار ويعطون في ديننا ويؤذونا اذى هو اباح من قتل النفوس واخذ
 الاموال واما اظهار تلك الاشياء بعد شرط عمر المعروف ففيها وجهان عندنا
 • احدهما • ينتقض العهد فلا يلزمنا • والاخر • لا ينتقض العهد والفرق بينهما من
 وجهين (احدهما) ان ظهور تلك الاشياء ليس فيه ظهور كلمة الكفر وعلوها وانما
 فيه ظهور لدين المشركين وبين البابين فرق فان المسلم لو تكلم بكلمة الكفر
 كفروا لو لم يفعل الا مجرد مشاركة الكافر في هديه عوقب ولم يكفر وكان
 ذلك كاظهار المعاصي من المسلم يوجب عقوبته ولا يطل ايمانه والتكلم بكلمة
 الكفر يطل ايمانه كذلك اهل العهد اذا اظهروا الكفر ونحوه نقضوا ايمانهم
 واذا اظهروا ايمانهم عصوا ولم ينقضوا ايمانهم وهذا جواب من يقول
 من اصحابنا وغيرهم انهم لو اظهروا التثليث ونحوه مما هو دينهم نقضوا العهد

(الجواب الثاني) ان ظهور تلك الاشياء ليس فيها ضرر عظيم على المسلمين ولا معرفة في دينهم ولا طعن في ملتهم وانما فيه احد امرين اما اشتباه زعيم بزي المسلمين او اظهار المنكرات دينهم في دار الاسلام كاظهار الواحد من المسلمين لشرب الخمر ونحوه واما سب الرسول والطعن في الدين ونحو ذلك فهو مما يضر المسلمين ضررا يفوق قتل النفس واخذ المال من بعض الوجوه فانه لا يبلغ في اسفالك كلمة الله ولا اذلال دين الله واهانة كتاب الله من ان يظهر الكافر المعاهد السب والشتم لمن جاء بالكتاب ولاجل هذا الفرق فصل اصحابنا واصحاب الشافعي الامور المحرمة عليهم في العهد الذي بيننا وبينهم الى ما يضر المسلمين في نفس او مال او دين والى ما لا يضر وجعلوا القسم الاول ينقض العهد حيث لا ينقضه القسم الثاني لان مجرد العهد ومطلقه هو جب الامتناع عما يضر المسلمين ويؤذيهم خصوصاً له تفويت لمقصود العقد فيفسخه كما لو فات مقصود البيع بتلف العوض قبل القبض او ظهوره مستحقا ونحوه بخلاف غيره ولان تلك المضرات هو جب جنسها عقوبة المسلم بالقتل فلان هو جب عقوبة المعاهد بالقتل اولى واخرى لان كلاهما ملتزم اما بايمانه او بامانه ان لا يفعلها ولان تلك المضرات من جنس المحاربة والقتال وذلك لابقاء العهد معه بخلاف المعاصي التي فيها مراغمة ومصارمة * فان قيل * فقد اقرروا على ما هم عليه من الشرك الذي هو اعظم من سب الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون اقرارهم على سب الرسول اولى بل قد اقرروا على سب الله تعالى وذلك لان النصارى يعتقدون التثليث ونحوه وهو شتم الله تعالى

لما روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتني ولم يكن له ذلك فاما تكذبه اباي فقله لن يعبدني كما بدتني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اباي فقله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد * وروى في صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه * وكان معاذ بن جبل يقول اذا رأى النصرى لا ترجموه فقلد سبوا الله سبة ما سبه اياها احد من البشر وقد قال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا ادا * تكاد السموات يتفطرن منه وتشق الارض ونخر الجبال هدا * ان دعوا للرحمن ولدا الآية * وقد اقر اليهود على مقاتلتهم في عيسى عليه السلام وهي من ابلغ القذف * قلنا * الجواب من وجوه * احدها * ان هذا السؤال فاسد الاعتبار فان كون الشئ في نفسه اعظم اثما من غيره يظهر اثره في العقوبة عليه في الآخرة لافي الاقرار عليه في الدنيا * الا ترى ان اهل الذمة يقرون على الشرك ولا يقرون على الزنا ولا على السرقة ولا على قطع الطريق ولا على قذف المسلم ولا على محاربة المسلمين وهذه الاشياء دون الشرك بل سنة الله في خلقه كذلك فانه عجل لقوم لوط العقوبة وفي الارض مدائن مملوءة من الشرك لم يعاجلهم بالعقوبة لاسيما والمخنج بهذا الكلام يرى ان قتل الكفار انما هو لمجرد المحاربة سواء كان كفره اصليا او طاريا حتى انه لا يرى قتل المرتدة ويقول الدنيا ليست دار الجزاء على الكفر وانما الجزاء على

الكفر في الآخرة فلما يقاتل من يقاتل فقط لدفع اذاه . ثم لا يجوز ان يقال
 اذا اقررناهم على الكفر فلان نقرهم على المحاربة التي هي دون الكفر بطريق
 الاولى وسبب ذلك انما كان من الذنوب يتعدى ضرره فاعله عجلت لصاحبه
 العقوبة في الدنيا تشريعاً وتقديراً ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما من ذنب
 احرى ان تعجل لصاحبه العقوبة من البغي وقطيعة الرحم . لان تاخير عقوبته
 فساد لاهل الارض بخلاف ما لا يتعدى ضرره فاعله فانه قد تؤخر عقوبته
 وان كان اعظم كالكفر ونحوه فاذا اقررناهم على الشرك اكثر ما فيه تاخير
 العقوبة عليه وذلك لا يستلزم تاخير عقوبة ما يضر بالمسلمين لانه دونه كما قدمناه
 . الوجه الثاني . ان يقال لا خلاف انهم اذا اقروا على ما هم عليه من الكفر غير
 مضارين للمسلمين لا يجوز اذام لافي دمائهم ولا في ابشارهم ولو اظهروا
 السب ونحوه عوقبوا على ذلك اما في الدماء او في الابشاش . ثم انه لا يقال
 اذ لم يعاقبوا بالتعزير على الشرك لم يعاقبوا على السب الذي هو دونه واذا
 كان هذا السؤال معترضا على الاجماع لم يجب جوابه كيف والمنازع
 قد سلم انهم يعاقبون على السب فعلم انهم لم يقرهم عليه فلا يقبل منه السؤال
 والجواب عن هذه الشبهة مشترك فلا يجب علينا الانفراد به . الوجه
 الثالث . ان الساب ينضم السب الى شركه الذي هو هـد عليه بخلاف
 المشترك الذي لم يسب ولا يلزم من الاقرار على ذنب مفرد الاقرار عليه
 مع ذنب آخر وان كان دونه فان اجتماع الذنوبين يوجب جرما مغالطا
 لا يحصل حال الاقتراد . الوجه الرابع . قوله ما هم عليه من الكفر اعظم

من سب الرسول ليس يجيد على الاطلاق وذلك لان اهل الكتاب طائفتان
 اما اليهود فاصل كفرهم تكذيب الرسول وسبه اعظم من تكذيبه فليس
 لهم كفر اعظم من سب الرسول فان جميع ما يكفرون به من الكفر بدین
 الاسلام وبعمی وبما اخبر الله به من امور الآخرة وغيرك متعلق بالرسول
 فصبه كفر بهذا كله لان ذلك انما علم من جهته وليس عند اهل الارض
 في وقتنا هذا علم موثق يشهد عليه انه من عند الله الا العلم المورث عن
 محمد صلى الله عليه وسلم وماسوى ذلك مما يؤثر عن غيره من الانبياء فقد
 اشبه واختلط كثير منه واكثره والواجب فيما لا يعلم حقيقته منه ان
 لا يصدق ولا يكذب ❦ واما النصارى فسيهم للرسول طعن فيما جاء به
 من التوحيد وانباء الغيب والشرائع وانما ذنبه الاعظم عندهم ان قال ان
 عيسى عبدا لله ورسوله كما ان ذنبه الاعظم عند اليهود ان غير شريعة
 التوراة والا فالنصارى ليسوا محافظين على شريعة مورثة بل كل برهة
 من الدهر تبتدع لهم الاحبار شريعة من الدين لم ياذن الله بها ثم لا يرهونها
 حق وعابتها فسيهم له متضمن الطعن في التوحيد وللشرك وللتكذيب
 بالانبياء والدين ومجرد شركهم ليس متضمنا لتكذيب جميع الانبياء ورد
 جميع الدين فلا يقال ما هم عليه من الشرك اعظم من سب الرسول
 بل سب الرسول فيه ما هم عليه من الشرك وزيادة ❦ وبالجملة فينبغي
 للعاقل ان يعلم قيام دين الله في الارض انما هو بواسطة المرسلين
 صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فلولوا الرسل لما عبد الله وحده

لا شريك له ولما علم الناس اكثر ما يستحقه سبحانه من الاسماء الحسنى والصفات العلى
ولا كانت له شريعة في الارض ولا تحسبن ان العقول لو تركت وعلومها التي
تستفيد بها مجرد النظر عرفت الله معرفة مفصلة بصفاته واسماؤه على وجه
اليقين فان عامة من تكلم في هذا الباب بالعقل فانما تكلم بعد ان بلغه ما جاءت
به الرسل واستصغى بذلك واستأنس به سواء اظهر الانقياد للرسل او
لم يظهر وقد اعترف عامة الرؤوس منهم انه لا ينال بالعقل علم جازم في تفاصيل
الامور الالهية وانما ينال به الظن والحسبان والقدر الذي يمكن العقل ادراكه
بنظره فان المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم نبهوا الناس عليه وذكروهم
به ودعوهم الى النظر فيه حتى فتحوا اعيناً عمياً واذاناً صماً وقلوباً غلظاً
والقدر الذي يعجز العقل عن ادراكه علومهم اياهم وانبأوهم به فالطعن
فيهم طعن في توحيد الله واسماؤه وصفاته وكلامه ودينه وشرائعه وانبياؤه
ووثابه وعقابه وعامة الاسباب التي بينه وبين خلقه بل يقال انه ليس
في الارض مملكة قائمة الانبوبة او اثر نبوة وان كل خير في الارض فمن آثار
النبوات ولا يستترين العاقل في هذا الباب الذين درست النبوة فيهم مثل
البراهمة والصابئة والمجوس ونحوهم فلا سفتهم وعامتهم قد اعرضوا عن الله
وتوحيده واقبلوا على عبادة الكواكب والنيران والاصنام وغير ذلك من
الافان والطواغيت فلم يبق بايديهم لا توحيده ولا غيره وليست امة
مستمكة بالتوحيد الا اتباع الرسل قال الله سبحانه شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا الذي اوحي اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا

الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فاخبر ان دينه
الذي يدعو اليه المسلمون كبر على المشركين فما الناس الا تابع لهم لو مشرك
وهذا حق لا ريب فيه فعلم ان سب الرسل والطعن فيهم ينبوع جميع انواع
الكفر وجماع جميع الضلالات وكل كفر ففرع منه كما ان تصديق الرسل
اصل جميع شعب الايمان وجماع مجموع اسباب الهدى ❖ الوجه الخامس ❖
ان نقول قد ثبت بالسنة ثبوت لا يمكن دفعه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يامر بقتل من سبه وكان المسلمون يحرضون على ذلك مع الامساك عن هو مثل
هذا الساب في الشرك او اسوأ منه من محارب ومعاهد فلو كانت هذه
الحجة مقبولة لتوجه ان يقال اذا امسكوا عن المشرك فالامساك عن الساب
اولى واذا اعوهذ الذي على كفره فمعاذته على السب اولى وهذا لو قبل
معارضه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل قياس عارض السنة فهو رد
❖ الوجه السادس ❖ ان يقال ما هم عليه من الشرك وان كان سب الله فهم لا يعتقدونه
مبائنا يعتقدونه تمجيدا او تعد يسافليسوا قاصدين به قصد السب والاستهانة
بخلاف سب الرسول فلا يلزم من اقرارهم على شيء لا يقصدون به الاستخفاف
اقرارهم على ما يقصدون به الاستخفاف وهذا جواب من يقتاهم اذا اظهروا
سب الرسول ولا يقتلهم اذا اظهروا ما يعتقدونه من دينهم ❖ الوجه السابع ❖
ان اظهار سب الرسول طعن في دين المسلمين واخضرار بهم ومجرد
التكلم بدنيهم ليس فيه اخضرار بالمسلمين فصار اظهار سب الرسول بمنزلة المحاربة
يعاقبون عليها وان كانت دون الشرك وهذا ايضا جواب هذا

القائل * الوجه الثامن * منع الحكم في الاصل المقيس عليه فاننا نقول متى
 اظهروا كفرهم واعلنوا به تقضوا العهد بخلاف مجرد رفع الصوت بكتابهم
 فانه ليس كل ما فيه كفر ولستائقه ما يقولون وانما فيه اظهار شعار الكفر وفرق
 بين اظهار الكفر وبين اظهار شعار الكفر او نقول متى اظهروا الكفر الذي هو وطن
 في دين الله تقضوا به العهد بخلاف كفر لا يطعنون به في ديننا وهذا لان
 العهد انما اقتضى ان يقولوا ويفعلوا ايمنهم ما شاءوا مما لا يضر المسلمين فاما ان يظهروا
 كلمة الكفر او ان يؤذوا المسلمين فلم يعاهدوا عليه البتة وسيأتي ان شاء الله تعالى
 الكلام على هذين القولين والذي قبلهما قال كثير من فقهاء الحديث واهل
 المدينة من اصحابنا وغيرهم لم يقرهم على ان يظهروا شيئا من ذلك ومتى اظهروا شيئا
 من ذلك تقضوا العهد قال ابو عبد الله في رواية حنبل كل من ذكر شيئا يمرض
 بذلك الرب تبارك وتعالى فعليه القتل مسلما كان او كافرا وهذا مذاهب
 اهل المدينة وقال جعفر بن محمد سمعت ابا عبد الله يسأل عن يهودي مريض يؤذن وهو
 يؤذن فقال له كذبت فقال يقتل لانه شتم * ومن الناس من فرق بين ما يعتقدونه
 وما لا يعتقدونه ومن الناس من فرق بين ما يعتقدونه واظهاره يضر بنا
 لانه قدح في ديننا وبين ما يعتقدونه واظهاره ليس بطعن في نفس ديننا
 وسيأتي ان شاء الله تعالى ذلك فان فروع المسئلة تظهر مأخذا وقد منا
 عن عمر رضي الله عنه انه قال بمحضر من المهاجرين والانصار للنصراني الذي
 قال ان الله لا يفضل احدا الا لم نعطك ما اعطيناك على ان تدخل علينا في ديننا
 فوالذي نفسي بيده لان عدت لاخذن (١) الذي فيه عيناك * وجميع ما ذكرنا

(١) هكذا في المنقول عنه والظاهر لا ضرر بن كما مر قبل مرارا ١٢ الحسن التميمي

من الآيات والاعتبار بجي أيضاً ذلك فان الجهاد واجب حتى تكون
 كلمة الله هي العليا وحتى يكون الدين كله لله وحتى يظهر دين الله على الدين
 كله وحتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والنهي عن اظهار المنكر واجب
 بحسب القدرة فاذا اظهروا كلمة الكفر واعلنوها خرجوا عن العهد الذي
 عاهدوا ناعليه والصغار الذي التزموه ووجب علينا ان نجاهد الذين اظهروا
 كلمة الكفر وجهادهم بالسيف لانهم كفار لا عهد لهم والله سبحانه اعلم
 • المسئلة الثانية • انه يتعين قتله ولا يجوز استرقاقه ولا المن عليه ولا فدائه اما
 ان كان مسلماً فبالاجماع لانه نوع من المرتد او من الزنديق والمرتد يتعين قتله
 وكذلك الزنديق وسواء كان رجلاً او امرأة وحيث قتل يقتل مع الحكم
 لاسلامه فان قتله حد بالاتفاق فتجب اقامته وفيما قد مناه دالة واضحة على
 قتل السابة المسلمة من السنة واقول الصحابة فان في بعضها تصريحاً بقتل
 السابة المسلمة وفي بعضها تصريحاً بقتل السابة الذمية واذا قتلت الذمية
 للسب فقتل المسلمة اولى كما لا يخفى على الفقيه ومن قال من اهل الكوفة ان
 المرتدة لا تقتل بقياس مذهبه ان لا تقتل السابة لان الساب عنده مرتد
 وقد كان يحمل مذهبه ان تقتل السابة حداً كقتل الساحرة عند بعضهم
 وقتل قاطعة الطريق ولكن اصوله تأبى ذلك والصحيح الذي عليه العامة
 قتل المرتدة بالسابة اولى وهو الصحيح لما تقدم وان كان الساب معاهداً
 فانه يتعين ايضاً قتله سواء كان رجلاً او امرأة عند عامة الفقهاء من السلف
 ومن تبعهم وقد ذكرنا قول ابن المنذر فيما يجب على من سب النبي صلى الله

سب النبي صلى الله عليه وسلم يحجب قتله ولا يجوز استرقاقه ولا المن عليه ولا الفداء

عليه وسلم قال اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم نغده القتل ومن قاله مالك واللبث واجد واسحاق وهو مذهب الشافعي * قال وجنك عن النعمان لا يقتل من سبه من اهل الذمة وهذا اللفظ دليل على وجوب قتله عند العامة وهذا مذهب مالك واسحاق وسائر فقهاء المدينة وكلام اصحابه يقتضي ان لقتله ماخذين * احدهما انتقاض عهده . والثاني . انه حد من الحدود وهو قول فقهاء الحديث * قال اسحاق بن راهويه ان اظهر واسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منهم ذلك او تحقق عليهم قتلوا واخطأ هؤلاء الذين قالوا ما هم فيه من الشرك اعظم من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسحاق يقتلون لان ذلك نقض للعهد وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز ولا شبهة في ذلك لانه يصير بذلك ناقضا للصالح وهو كما قتل ابن عمر الراعي الذي سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ماعلى هذا صالحناهم . وكذلك نص الامام احمد على وجوب قتله وانتقاض عهده وقد تقدم بعض نصوصه في ذلك وكذلك نص عامة اصحابه على وجوب قتل هذا الساب ذكره بخصوصه في مواضع وهكذا اذكره ايضا في جملة نافي المهد من اهل الذمة . ثم المتقدمون منهم وطوائف من المتأخرين قالوا ان هذا وغيره من نافي المهد يتعين قتلهم كما دل عليه كلام احمد * وذكر طوائف منهم ان الامام بخير فيمن نقض العهد من اهل الذمة كما يخير في الاميريين الاسترقاق والقتل والمن والفداء ويجب عليه فعل الاسلح للامة من هذه الاربعة بعد ان ذكره .

في الناقضين للعهد قد دخل هذا الساب في عموم هذا الكلام واطلاقه
والاوجب ان يقال فيه بالتخير اذ اقبل به في غيره من ناقضى العهد لكن قيد
محققوا اصحاب هذه الطريقة وروى عنهم مثل القاضي ابي بلى في كتبه المتأخرة
وغيره هذا الكلام وقالوا بالتخير في غير ساب الرسول واما سابه فانه يتعين
قتله وان كان غيره مخيرا فيه كالاسير وعلى هذا فاما ان لا يحكى في تعيين قتله
خلاف لكون المذنب اطلقوا بالتخير في موضع قد قالوا في موضع آخر بان
الساب يتعين قتله وصرح رأس اصحاب هذه الطريقة بانه مستثنى من ذلك
الاطلاق او يحكى فيه وجه ضعيف لان المذنب قالوا به في موضع نصوا على
خلافه في موضع آخر . واختلف اصحاب الشافعى ايضا فيه فمنهم من قال
يجب قتل الساب حتما وان خير في غيره . ومنهم من قال هو كغيره
من الناقضين للعهد وفيه قولان اضعفهما انه يلحق بآمنه والصحيح منها جواز
قتله قالوا ويكون كالاسير يجب على الامام ان يفعل فيه الاصلح للامة من
القتل والاسترقاق والمن والفداء وكلام الشافعى في موضع يقتضى ان
حكم الناقض للعهد حكم الحربى فلهذا قيل انه كالاسير وفي موضع آخر امر
بقتله عينا من غير تخيير . وتحرير الكلام في ذلك يحتاج الى تقدم مقدمة فيما ينتقض به
العهد وفي حكم ناقض العهد على سبيل العموم ثم يتكلم في خصوص مسألة السب
اما الاول فان ناقض العهد قسمان ممتنع لا يقدر عليه الا بقتال . ومن هو في
ايدى المسلمين . اما الاول فان يكون لهم شوكه ومنعة فيمنعوا بها على الامام من
اداء الجزية والتزام احكام الملة الواجبة عليهم دون ما يظلمهم به الوشاة او يلحقوا

بدار الحرب مستوطنين بها فهو لاء قد نقضوا العهد بالاجماع فاذا اسر الرجل
 منهم فحكمه عند الامام احمد في ظاهر مذهبهم حكم اهل الحرب اذا اسروا
 يفعل بهم الامام ما يراه اصلح قال في رواية ابي الحارث وقد سئل عن قوم
 من اهل العهد نقضوا العهد وخرجوا بالذرية الى دار الحرب فبعث في طلبهم
 فلحقوهم فاربوهم قال احمد اذا نقضوا العهد فمن كان منهم بالغاً فيجوز عليه
 ما يجزى على اهل الحرب من الاحكام اذا اسروا فامرهم الى الامام بحكم فيهم
 بما يرى واما الذرية فما ولد بعد نقضهم العهد فهو بمنزلة من نقض العهد
 ومن كان ممن ولد قبل نقض العهد فليس عليه شيء وذلك ان امرأة علقمة
 ابن علاثة قالت ان كان علقمة ارثد فانالم ارثد وكذا روي عن الحسن
 فبين نقض العهد ليس على النساء شيء وقال في رواية صالح وقد سئل عن
 قوم من اهل العهد في حصن ومعهم مسلمون فنقضوا العهد والمسلمون
 معهم في الحصن ما السبيل فيهم قال ما ولد لهم بعد نقض العهد فالذرية
 بمنزلة من نقض العهد يسبون ومن كان قبل ذلك لا يسبون فقد نص على
 ان ناقض العهد اذا اسر بعد المحاربة يخير الامام فيه وعلى ان الذرية الذين
 ولدوا بعد نقض العهد بمنزلة من نقض العهد يسبون فعلم ان ناقض العهد يجوز
 استرقاقه وهذا هو المشهور من مذهبهم وعنه انهم اذا قدر عليهم فانهم
 لا يسترقون بل يردون الى الذمة قال في رواية ابي طالب في رجل من
 اهل العهد لحق بالعد وهو واهله وولده وولد له في دار العد وقال يسترق
 ولادهم الذين ولدوا في دار العد ويردونهم واولادهم الذين

ولدوا في دار الاسلام الى الجزية قيل له لا يسترق اولادهم الذين ولدوا في دار الاسلام قال لا قيل له فان كانوا ادخلوهم صغاراً ثم صاروا رجالاً قال لا يسترقون ادخلوهم مامنهم وكذلك قال في رواية ابن ابراهيم وقد سأله عن رجل لحق بدار الحرب هو واهله وولد له في بلاد العدو وقد اخذه المسلمون قال ليس على ولده واهله شيء ولكن ما ولد له وهو في ايديهم يسترقون ويردون هم الى الجزية فقد نص على ان الرجل الذي نقض العهد يرد الى الجزية هو وولده الذين كانوا موجودين وانهم لا يسترقون وان ولده الذين حدثوا بعد المحاربة يسترقون وذلك لان صغار ولده سبي من اولاد اهل الحرب وهم يصيرون رقيقاً بنفس السبي فلا يدخلون في عقد الذمة اولاً ولا آخراً واما اولاده الذين ولدوا قبل النقض فلهم حكم الذمة المتقدمه فعلى الرواية الاولى المشهورة يخرج الامام في الرجال اذا اسروا فيفعل ما هو الا صاحب للمسلمين من قتل واسترقاق ومن وفاء واذ اجاز ان يمن عليهم جاز ان يطلقهم على قبول الجزية منهم وعقد الذمة لهم ثانياً لكن لا يجب عليه ذلك كما لا يجب عليه في الاسير الحربي الا صلى اذا كان كتابياً وقد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرى بنى قريظة واسرى من اهل خيبر ولم يدعهم الى اعطاء الجزية ولودعهم اليها لا جابوا وعلى الرواية الثانية يجب دعاؤهم الى العود الى الذمة كما كانوا كما يجب دعاؤهم الى ان يعودوا الى الاسلام او يستحب كما يستحب دعاؤهم الى المرتد متى بذلوا العود الى الذمة وجب قبول ذلك منهم كما يجب قبول الاسلام

من المرئد وقبول الجزية من الحربي الاصلى اذا بذلها قبل الاسر ومتى امتنعوا
فقياس هذه الرواية وجوب قتلهم دون استرقاقهم جعلاً لنقض الامان
كنقض الايمان ولو تكرّر النقض منهم فقد يقال فيهم ما يقال فيمن تكررت تردنه
ونحو من هذه الرواية قال اشهب صاحب مالك في مثل هؤلاء قال لا يمود
الحرقوا لا يسترى ابداً بحال بل يردون الى ذمتهم بكل حال وكذلك
قال الشافعي في (الام) وقد ذكرنا قاض العهد وغيرها قال وايه قال او فعل
شيئاً مما وصفته نقضاً للعهد واسلم لم يقتل اذا كان ذلك قولاً وكذلك اذا كان
ذلك فعلاً لم يقتل الا ان يكون في دين المسلمين ان من فعله قتل حد او قصاصاً
فيقتل بحد او قصاص لا بنقض عهده وان فعل مما وصفنا وشرط انه نقض
لعهد الذمة فلم يسلم ولكنه قال اتوب واعطى الجزية كما كنت اعطيها وعلی
صلح اجد عوقب ولم يقتل الا ان يكون قد فعل فعلاً يوجب القصاص
والحد فان فعل او قال مما وصفنا وشرط انه يحمل دمه فظفر نابه فامتنع
من ان يقول اسلم او اعطى جزية قتل واخذ ماله فينأققد نص على وجوب
قبول الجزية منه اذا بذلها وهو في ايدينا وانه اذا امتنع منها من الاسلام
قتل واخذ ماله ولم يخير فيه ولاصحابه في وجوب قبول الجزية من الاسير
الحربي الاصلی و جهان وعنه الامام احمد رواية ثالثة انهم يصيرون رقيقاً
اذا اسروا وقال في رواية ابن ابراهيم اذا اسر الروم من اليهود ثم ظهر المسلمون
عليهم فانهم لا يبيعونهم وقد وجبت لهم الحرمة الا من ارتد منهم عن جزيته
فهو بمنزلة المملوك وهذا هو المشهور من مذهب مالك قال ابن القاسم وغيره

من المالكية اذ اخرجوا ناقضين العهد ومنعوا الجزية وامتنعوا امتناعاً غير ان
 يظلموا ولحقوا ابدار الحرب فقد انتقض عهدهم واذ انتقض عهدهم ثم اسروا
 فهم في ولا يردون الى ذمتنا فواجبوا استرقاقهم ومنعوا ان تعقد لهم الذمة
 ثانياً كانه جعل خروجهم من الذمة مثل ردة المرتد يمنع اقراره بالجزية
 لكن هو لاء لا يسترقون لكون كفرهم اصلياً وقلل اصحاب ابي حنيفة من
 نقض العهد فانه يصير كالمرد الا انه يجوز استرقاقه والمرد لا يجوز استرقاقه
 فاما ان لم يقدر عليهم حتى بذلوا الجزية وطلبوا العود الى الذمة فانه يجوز
 عقد هالمهم لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عقدوا الذمة لاهل
 الكتاب من اهل الشام مرة ثانية وثالثة بعد ان نقضوا العهد والقصة في
 ذلك مشهورة في فتوح الشام وما احسب في هذا خلافاً لان مالكا واصحابه
 قالوا اذا منعوا الجزية وقتلوا المسلمين والامام عدل فلنهم يقاتلون حتى يردوا
 اليه مع ان المشهور عند من ان الاسير منهم لا يرد الى الذمة بل يكون فيمناً فاذا
 كان مالك لا يخالف في هذه المسئلة فغيره لولى ان لا يخالف فيها لانه هو الذي
 اشترى عنه القول بمنع عود الاسير منهم الى الذمة فان بذل هو لاء
 العود الى الذمة فهل يجب قبول ذلك منهم كما يجب قبوله من الحربي
 الاصلي ان قلنا انه يجب رد الاسير منهم الى ذمتهم هو لاء اولى وان قلنا
 لا يجب هناك فينوجه ان لا يجب هنا ايضاً لان بني قينقاع لما نقضوا العهد
 الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم اراد قتلهم حتى اخرج عليه عبدالله
 ابن ابي في الشفاعة فيهم فاجلهم الى اذرعهم ولم يقرهم بالدينونة مع ان

القوم كانوا احرصا على المقام بالمدينة بعد مجده وانه و كذلك بنو قريظة
 لما جارت ارا دوا الصلح والعود الى الذمة فلما لم يجبههم النبي صلى الله عليه
 وسلم نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكذلك بنو النضير لما نقضوا العهد
 فخاصهم انزلهم على الجلاء من المدينة مع انهم كانوا احرص شئ على المقام
 بدارهم بان يعودوا الى الذمة وهو لاء الطوائف كانوا اهل ذمة عاهدوا
 النبي صلى الله عليه وسلم ان الدار دار الاسلام يجري فيها حكم الله تعالى
 ورسوله وانه مهما كان بين اهل العهد من المسلمين وبين هؤلاء المتعاهدين
 من حدث فامرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم هكذا في كتاب الصلح
 فاذا كانوا نقضوا العهد فبعضوا قتل وبعضا اجلى ولم يقبل منهم ذمة ثانية مع
 حرصهم على بذلها علم ان ذلك لا يجب ولا يجوز ان يكون ذلك لكون ارض
 الحجاز لا يقر فيها اهل دينين ولا يمكن الكفار من المقام بها لان هذا الحكم
 لم يكن شرع بعد بل قد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه
 مرهونة عند ابي شحمة اليهودي بالمدينة وبالمدينة غيره من اليهود وبخير
 خلائق منهم وهي من الحجاز لكن عهد النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه
 ان يخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وان لا يبقى بهاد ينان فانفذ
 عهده في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والفرق بين هؤلاء
 وبين المرتدين ان المرتدين اذا عاد الى الاسلام فقد اتى بالغاية التي بقا قتل
 الناس حتى يصلوا اليها فلا يطلب منه غير ذلك وان ظننا ان باطنه خلاف
 ظاهره فانالم نؤمن ان نشق عن قلوب الناس واماهو لاء فان الكف عنهم انما كان

لاجل العهد ومن خفانته الحيانة جاز لنا ان نبذل اليه العهد وان لم يجوز نبذ العهد الى
من خفانته الردة فاذا انقضوا العهد فقد يكون ذلك اماراة على عدم الوفاء
وان اجابتهم الى العهد انما فعلوه خوفا وثقية ومتى قدروا فيكون هذا
الجوف يجوز الترك معاهدتهم على اخذ الجزية كما كان يجوز نبذ العهد الى
اهل الهدنة بطريق الاولى وفي هذا دليل على انه لا يجب رد الاسير الناقض
للعهد الى الذمة بطريق الاولى فان النبي صلى الله عليه وسلم اذا لم يرد هم
الى الذمة وقد طلبوا امتنعين فان لا يرد هم اذا طلبوا هموا ثقيين اولى وقد
اسر بني قريظة بعد نقض العهد فقتل مقاتلتهم ولم يرد هم الى العهد ولان الله
تعالى قال ومن نكث فمما ينكث على نفسه * فلو كان الناكث كلما طلب العهد منا
وجب ان نجيبه لم يكن للنكث عقوبة يخافها بل ينكث اذا احب لكن يجوز ان
نعيد هم الى الذمة لان النبي صلى الله عليه وسلم وهب الزبير بن باطاء
القرظي لثابت بن قيس بن شماس هو واهله وماله على ان يسكن ارض الحجاز
وكان من اسرى بني قريظة لنا كثيرين فعلم جوارا قرارهم في الدار بعد
النكث واجلاء بني قينقاع بعد القدرة عليهم الى اذ رعات فعلم جوارا لمن
عليهم بعد النكث واذا اجازا لمن على الاسير الناكث واقراه في دار الاسلام
فالنفادة به اولى وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في هؤلاء الناقضين
تدل على جواز القتل والمن على ان يقيموا دار الاسلام وان يذهبوا الى
دار الحرب اذا كانت المصلحة في ذلك وفي ذلك حجة على من اوجب اعادتهم
الى الذمة وعلى من اوجب استرقاقهم * فان قيل * انما اوجبنا اعادتهم الى

الذمة لان خروجهم عن الذمة ومفارقتهم لجماعة المسلمين كخروجهم
عن الاسلام ومفارقة جماعة المسلمين او نقض الامان كنقض الايمان فاذا
كان المرتد عن الاسلام لا يقبل منه ما يقبل من الكافر الاصل بل اما الاسلام
او السيف فكذلك المرتد عن العهد لا يقبل منه ما يقبل من الحربي الاصل
بل اما الاسلام او العهد والا فالسيف ولانه قد صارت لهم حرمة العهد
المتقدم فتمنع استرقاقهم كما منع استرقاق المرتد حرمة اسلامه المتقدم
* قلنا * المرتد يخرج عن الدين الحق بعد دخوله فيه تغاظ كفره
فلم يقر عليه بوجه من الوجوه فتحتم قتله ان لم يسلم عصمة للدين كما
تحتم غيره من الحدود حفظا للفروج والاموال وغير ذلك ولم يميز
استرقاقه لان فيه اقرارا له على الردة لتشرفه بدين قد بدله وناقض
العهد قد نقض عهده الذي كان يرضى به فزال حرمة وصار بايدي
المسلمين من غير عقد ولا عهد فصار كحربي اسرناه واسوه حاله ومثل
ذلك لا يجب المن عليه بجزية ولا بغيرها لان الله تعالى لنا امرنا ان نقاتلهم
حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فمن اخذناه قبل ان يعطى
الجزية لم يدخل في الآية لانه لا قتال معه بل قد خيرنا الله اذ اشد دنا
الوفاق بين المن والفداء ولم يوجب المن في حق ذي ولا كتابي
ولان الاسير قد صار للمسلمين فيه حق بامكان استعباده والمفاداة به فلا يجب
عليهم بذل حقه منه مجانا وجاز قتله لانه كافر لا عهد له وانما هو باذل للعهد
في حال لا يجب معاهدته وذلك لا يعصم دمه فان قال * من منع من اعادته

الى الذمة وجعله فبئذا هذا من على الاسير مجانلو ذلك اضاعة لحق المسلمين فلم يحز
اتلاف اموالهم * قلنا * هذا مبنى على انه لا يجوز للمن على الاسير والمرضى
جوازه كما دل عليه الكتاب والسنة ومدعى النسخ يفتقر الى دليل * فان قيل *
خروجه عن العهد موجب للتغليظ عليه فينبغي امان يقتل او يسترق كما ان
المرتد يغلظ حاله بتعين قتله فاذا جاز في هذا ما يجوز في الحربي الاصل لم يبق
بينهما فرق * قلنا * اذا جاز استرقاقه جاز اقراره بالجزية اذا لم يكن المانع
حقانه لانه ليس في ذلك الافوات ملك رقبته وقد يرى الامام ان في اقراره
بالجزية او في المن عليه والمغادرة به مصلحة اكبر من ذلك بخلاف المرتد فانه
لا سبيل الى استبقائه وبخلاف الوثني اذا جوز ناسترقاقه فان المانع من اقراره
بالجزية حق الله و هو دينه و ناقض العهد دينه قبل النقض و بعده سواء
و نقضه انما يعود ضرره على من يجاربه من المسلمين فكان الرأى فيه الى اميرهم
* فان قيل * فهلا حكيتم خلافاً فانه يتعين قتل هذا الناقض للعهد كما يتعين قتل غيره
من الناقضين كما سيأتى وقد قال ابو الخطاب اذا احكمنا بنقض عهد الذمى
فظاهر كلام الامام احمد انه يقتل في الحال قال وقال شيخنا يخبر الامام فيه بين
اربعة اشياء فاطلق الكلام فبين نقض العهد مطلقاً و تبعه طائفة على الاطلاق
و من قيد قيد * بان ينقضه بما فيه ضرر على المسلمين مثل قتالهم و نحوه فاما ان
نقضه بمجرد اللحاق بدار الحرب فهو كالاسير و يؤيد هذا ما رواه عبد الله بن
احمد قال سألت ابي عن قوم نصارى نقضوا العهد و قاتلوا المسلمين قال ارى
ان لا يقتل الذرية ولا يسبون و لكن يقتل رجالهم * قلت لابي فان ولد لرجل عالم

اولاد في دار الحرب * قال اري ان يسبوا اولئك ويقتلوا قلت لا بي فان هرب
من الذرية الى دار الحرب احد فسيبهم المسلمون ترى لم ان يسترقوا * قال الذرية
لا يسترقون ولا يقتلون لانهم لم ينقضوا هم انما نقض العهد رجالم وما ذنب هؤلاء
فقد امر رحمه الله بقتل المقاتلة من هؤلاء المجردين النقض او للنقض والقتال
* قلنا * قد ذكرنا فيما مضى نص احمد على ان من نقض العهد وقتل المسلمين
فانه يجرى عليه ما يجرى على ادل الحرب من الاحكام واذا اسرحكم فيه الامام
بما رأى ونص رحمه الله فحين لحق بدار الحرب على انه يسترق في رواية وعلى
ان يعاد الى ذمته في رواية اخرى فلم يميز ان يقال ظاهر كلامه في هذه الصورة
يدل على وجوب قتله مع تصريحه بخلاف ذلك كيف والمذين قالوا ذلك
انما اخذوا من كلامه في مسائل شتى ليست هذه الصورة منها على ان ابا الخطاب
وغيره لم يذكروا هذه الصورة ولم يدخل في كلامهم اعنى صورة اللحاق
بدار الحرب وانما ذكروا من نقض العهد بان ترك ما يجب عليه في العهد
او فعل ما ينتقض به عهده وهو في قبضة المسلمين وذكروا ان ظاهر كلام
احمد يعين قتله وهو صحيح فمن فهم من كلامهم عموم الحكم في كل من انتقض
عهده فمن فهمه اتي لا من كلامهم ومن ذكر اللحاق بدار الحرب وقال
المسلمين والامتناع من اداء الجزية وغير ذلك من النواقض فانه احتاج ان
يفرق بين اللحاق بدار الحرب وبين غيره كما ذكرناه من نصوص الامام
احمد وغيره من الائمة على الناقض المتنع والفرق بينهما انه من لم يوجد منه
الا للحاق بدار الحرب فانه لم يجز جنابة فيها ضرر على المسلمين حتى يعاقب

عليها بخصوصها والماترك العهد الذي بيننا وبينه فصار ككافر لا عهد له كما سيأتي
 ان شاء الله تعالى تقريره ويجب ان يعلم ان من لحق بدار الحرب صار حربياً فلو وجد
 منه من الجنايات بعد ذلك فهي كجنايات الحربى لا يؤخذ بها ان اسلم او عاد
 الى الذمة وكذلك قال الحرفي ومن هرب من ذمتنا الى دار الحرب ناقضاً للعهد
 عاد حربياً وكذلك ايضا اذا امتنعوا بدار الاسلام من الجزية او الحكم ولم
 شوكة ومنعة قاتلوا بها عن انفسهم فانهم قد قاتلوا بعد ان انتقض عهدهم وصار حكمهم
 حكم المحاربين فلا يمين قتل من استرق منهم بل حكمه الى الامام ويجوز استرقاقه
 كما نص الامام احمد على هذه بعينها لان المكان الذي تحيزوا فيه وامتنعوا بمنزلة
 دار الحرب ولم يحنوا على المسلمين جنابة ابتداء بها للمسلمين وانما قاتلوا عن انفسهم
 بعد ان تحيزوا وامتنعوا وعلم انهم محاربون فمن قاتل من اصحابنا ان من قاتل
 المسلمين يمين قتله ومن لحق بدار الحرب خير الامام فيه فانما ذلك اذا قاتلهم
 ابتداء قبل ان يظهر نقض العهد ويظهر الامتناع بان يعين اهل الحرب على قتال
 المسلمين ونحو ذلك فاما اذا قاتل بعد ان صار في شوكة ومنعة يمتنع بها عن
 اداء الجزية فانه يصير كالحربي سواء كما تقدم ولهذا قلنا على الصحيح ان
 المرتد ين اذا اتلفوا دماً او مالا بعد الامتناع لم يضمنوه وما اتلفوه قبل الامتناع
 ضمنوه وسيأتي ان شاء الله تعالى تمام الكلام في الفرق واما ما ذكره الامام احمد
 في رواية عبد الله فانما اراد به الفرق بين الرجال والله رية ليشين ان الذرية
 لا يجوز قتله وان الرجال يقتلون كما يقتل اهل الحرب ولهذا قال في الذرية
 الذين ولدوا بعد النقض يسبون ويقتلون وانما اراد انهم يسبون اذا كانوا

صغاراً ويقتلون اذا كانوا رجالاً لا يجوز قتلهم كاهل الحرب الاصلين ولم يرد ان
القتل يتعين لهم فانهم على خلاف الاجماع والله اعلم. القسم الثاني * اذا لم يكن
ممنعاً عن حكم الامام فذهب ابي حنيفة ان مثل هذا لا يكون ناقضاً للعهد
ولا ينتقض عهد اهل الذمة عنده الا ان يكونوا اهل شوكة ومنعة يتمتعوا
بذلك عن الامام ولا يمكنه اجراء احكامنا عليهم او تخلفوا بدار الحرب
لانهم اذا لم يكونوا ممنوعين امكن الامام ان يقيم عليهم الحدود ويستوفي منهم
الحقوق فلا يخرجون بذلك عن العصمة الثابتة ممن خرج عن طاعة الامام
من اهل البغي ولم تكن له شوكة * وقال الامام مالك لا ينتقض عهدهم الا ان
يخرجوا ناقضين للعهد ومنعاً للجزية وامتنعوا من امن غير ان يظلموا او يلحقوا بدار
الحرب فقد انتقض عهدهم لكن يقتل عنده الساب والمستكره للمسلمة على
الزنا وغيرهما * واما مذهب الامام الشافعي والامام احمد فانهم قسموا الامور
المتعلقة بذلك قسمين * احدهما * يجب عليهم فعله * والثاني * يجب عليهم
تركه * فاما الاول * فانهم قالوا اذا امتنع الذي مما يجب عليه فعله وهو اداء الجزية
او جريان احكام الملة عليه اذا حكم بها احكام المسلمين انتقض العهد بلا تردد *
قال الامام احمد في الذي يمنع الجزية ان كان واحداً اكره عليها واخذت منه
وان لم يعطها ضربت عنقه وذلك لان الله تعالى امر بقتالهم الى ان يعطوا الجزية عن
يد وهم صاغرون * والاعطائه مبتدأ وتام فبتدأه الالتزام والضمان ومنتهاه
الاداء والاعطاء ومن الصغار جريان احكام المسلمين عليهم فمتى لم يعطوا اعطاه
الجزية او اعطوها وليسوا بصاغرين فقد زالت الغاية التي امرنا بقتالهم اليها

فيعود القتال ولان حقن دماهم انما ثبت ببذل الجزية والتزام جريان احكام الاسلام عليهم فمتى امتنعوا منه واتوا بضده صاروا كالمسلم الذي ثبت حقن دمه بالاسلام اذا امتنع منه واتى بكلمة الكفر وعلى ما ذكره الامام احمد فلا بد ان يمتنع من ذلك على وجه لا يمكن استيفاءه منه مثل ان يمتنع من حقن بدني لا يمكن فعله والنيابة عنه دائما او يمتنع من اداء الجزية ولعب ماله كما قلنا في المسلم اذا امتنع من الصلاة او الزكاة فاما ان قاتل الامم على ذلك فذلك هو الغاية في انتقاض العهد من قاتل على ترك الصلاة او الزكاة لما القسم الثاني وهو ما يجب عليهم تركه فنوعان * احدهما * ما فيه ضرر على المسلمين * والثاني * ما لا ضرر فيه عليهم والاول قسمان ايضا * احدهما * ما فيه ضرر على المسلمين في انفسهم واهلهم مثل ان يقتل مسلما او يقطع الطريق على المسلمين او يعين على قتال المسلمين او يتجسس للعد وبمكاتبة او كلام او ايذاء عين من عيونهم او يزني بمساحة او يصيبها باسم نكاح * والقسم الثاني * ما فيه اذى وغضاضة عليهم مثل ان يذكر الله او كتابه او رسوله او دينه بالسوء * والنوع الثاني ما لا ضرر فيه عليهم مثل اظهار اصواتهم بشعائر دينهم من الناقوس والكتاب ونحو ذلك ومثل مشابهة المسلمين في حياتهم ونحو ذلك وقد تقدم القول في انتقاض العهد بكل واحد من هذه الاقسام فاذا انقضض الذمي العهد ببعضها وهو في قبضة الاسلام مثل ان يزني بمساحة او يتجسس للكفار فالنصوص عن الامام احمد انه يقتل قال في رواية حنبل كل من نقض العهد او احدث في الاسلام حدثا مثل هذا يعني سب النبي صلى الله عليه وسلم رايت عليه القتل ليس على هذا اعطوا العهد

والذمة فقد نص على ان من نقض العهد واتى بمفسدة مما ينقض العهد قتل
عينا وقد قدمت نصوصه ان من لم يوجد منه الانقض العهد بالا مناع
فانه كالحرابي • وقال في مواضع متعددة في ذمى فجر باصرة مسلة يقتل
ليس على هذا اصولحو والمرأة ان كانت طاوخته اقيم عليها الحد وان كان
استكرها فلا شيء عليها • وقال في يهودى زنا بمسلة يقتل لان عمر رضى الله عنه
اثنى بيهودى نخس بمسلة ثم غشيا فقتله فالزنا اشد من نقض العهد قيل
فبعد نصرانى زنى بمسلة قال يقتل ايضا وان كان عبدا • وقال في مجوسى
فجر بمسلة يقتل هذا قد نقض العهد وكذا لك ان كان من اهل الكتاب
يقتل ايضا قد صلب عمر رجلا من اليهود فجر بمسلة هذا نقض العهد فقتل له
ترى عليه الصلب مع القتل قال ان ذهب رجل الى حديث عمر كانه
لم يعب عليه وقال منها سألت احمد عن يهودى او نصرانى فجر باصرة
مسلة ما يصنع به قال يقتل فاعدت عليه قال يقتل قلت ان الناس يقولون
غير هذا قال كيف يقولون فقلت يقولون عليه الحد قال لا ولكن يقتل
فقلت له في هذا شيء قال نعم عن عمر انه امر بقتله • وقال في رواية جماعة
من اصحابه في ذمى فجر بمسلة يقتل قيل فان اسلم قال يقتل هذا قد وجب
عليه فقد نص رحمه الله على وجوب قتله بكل حال سواء كان محصنا وغير
محصن وان القتل واجب عليه وان اسلم وانه لا يقيم عليه حد الزنا الذى يفرق
فيه بين المحصن وغير المحصن واتبع في ذلك ما رواه خاله الحداء عن
ابن اشوع عن الشعبي عن عوف بن مالك ان رجلا نخس باصرة فنجلها

فامر به عمر فقتل وصلب ورواه المروزي عن مجالد عن الشعبي عن سويد
ابن خلفه ان رجلا من اهل الدمة نخس بامرأة من المسلمين بالشام وهي على
حمار فصرعها واتى نفسه عليها فراه عوف بن مالك فصر به فشبجه فانطلق
الى عمر يشكو عوفا فأتى عوف عمر فحدثه حديثه فارسل الى المرأة يسألها
فصدقت عوفا فقال قد شهدت اختنا فامر به عمر فصلب قال فكان اول
مصلوب في الاسلام ثم قال عمر ايها الناس اتقوا الله في ذمة محمد صلى الله
عليه وسلم ولا تظلموهم فمن فعل هذا فلا ذمة له • وروي سيف
في الفتوح هذه القصة عن عوف بن مالك مبسطة وذكر فيها ان الحمار
صرع المرأة واين النبطي ارادها فامتنعت واستنثت قال عوف
فاخذت عصا فشببت في اثره فادر كته فصربت رأسه ضربة ذاعجر
ورجعت الى منزلي وفيه فقال للنبطي اصدقني فاخبره • وقال الامام
احمد ايضا في الجاسوس اذا كان ذميا قد نقض العهد يقتل وقال في الراهب
لا يقتل ولا يؤذى ولا يسأل عن شيء الا ان نعلم منه انه يدل على عورات
المسلمين ويخبر عن امرهم عدوهم فيستحل حينئذ مه وقد نص الامام احمد
على انه من نقض العهد بسبب الله او رسوله فانه يقتل • ثم اختلف اصحابنا بعد
ذلك فقال القاضي واكثر اصحابه مثل ابيه ابى الحسين والشريف ابى جعفر وابى
المواهب العكبري وابن عقيل وغيره وطوائف بعدهم ان من نقض العهد
بهذه الاشياء وغيرها فحكمه حكم الاسير يخير الامام فيه كما يخير في الاسير
بين القتل والمن والاسترقاق والفداء وعليه ان يختار من الاربعة ما هو

الاصح للمسلمين قال القاضي في (المجرد) اذا قلنا قد انتقض عهد هـ فانا نستوفي منه الحقوق والقتل والحد والتعزير لان عقد الذمة على ان تجري احكامنا عليه وهذه احكامنا فاذا استوفينا منه غالا امام مخير فيه بين القتل والاسترقاق ولا يرد الى ما منه لانه بفعل هذه الاشياء قد نقض العهد واذا نقض عاد بمعناه الاول فكانه وجد نصراني بدار الاسلام ثم ان القاضي في الخلاف قال حكم نقض العهد حكم الاسير الحربي يتخير الامام فيه بين اربعة اشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء لان الامام احمد قد نص في الاسير على الخيار بين اربعة اشياء وحكم الاسير لانه كافر حصل في ايدينا بغير امان قال ويحمل كلام الامام احمد اذا رآه الامام صلاحا واستثنى في الخلاف وهو الذي صنفه آخر اساب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة قال فانه لا تقبل توبته ويتعمد قتله ولا يخبر الامام في قتله وتركه لان كذب النبي صلى الله عليه وسلم حق لميت فلا يسقط بالتوبة ككذب الآدمي * وقد يستدل لهؤلاء من المذهب بعموم كلام الامام احمد وتعليقه حيث قال في قوم من اهل العهد نقضوا العهد وخرجوا بالذرية الى دار الحرب فبعث في طلبهم فلقوهم فاربوهم قال اذا نقضوا العهد فمن كان منهم بالغافيجرى عليه مايجرى على اهل الحرب من الاحكام اذا اسروا فامرهم الى الامام يحكم فيهم بما يرى وعلى هذا نقول فللإمام ان يعبد هم الى الذمة اذا رأى المصلحة في ذلك كماله مثل ذلك في الاسير الحربي الاصلى وهذا القول في الجملة هو الصحيح من قولى الامام الشافعي * والقول الآخر للشافعي ان من نقض العهد من هو لا يرد الى ما منه

ثم من اصحابه من استثنى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فجعله
موجباً للقتل حتماً دون غيره ومنهم من عمم الحكم * هذا هو الذي ذكره
اصحابه واللفظه فانه قتل في (الام) اذا اراد الامام ان يكتب كتاب صالح
على الجزية كتب وذكر الشروط الى ان قال وعلى ان احد امنكم ان ذكر محمد
صلى الله عليه وسلم او كتاب الله او دينه بما لا ينبغي ان يذكر به فقد برئت
منه ذمة الله ثم ذمة امير المؤمنين وجميع المسلمين ونقض ما اعطى من الامان
وحل لامير المؤمنين ماله ودمه كما يحل اموال اهل الحرب ودماءهم وعلى
ان احد امن رجلاهم ان اصاب مسلمة بزن او اسم نكاح او قطع الطريق على
مسلم او قتل مسلماً عن دينه او اعان المحاربين على المسلمين بقتال او دلالة
على عورات المسلمين او ايواء لعيونهم فقد نقض عهده واحل دمه وما له
وان نال مسليماً بدمه او عرضه لزمه فيه الحكم ثم قال فهذه
الشروط اللازمة ان رضى بها فان لم يرض بها فلا عقدة له ولا جزية * ثم قال وايهم
قال او فعل شيئاً مما وصفته نقض للعهد واسلم لم يقتل اذا كان ذلك قولاً وكذلك
اذا كان فعلاً لم يقتل الا ان يكون في دين المسلمين ان من فعله قتل حداً او قصاصاً
فيقتل بحد او قصاص لان نقض عهد وان فعل ممّا وصفنا وشرط انه نقض
لعهد الذمة فلم يسلم ولكنه قال اتوب واعطى الجزية كما كنت اعطيها وعلى
صلح اجدده عوقب ولم يقتل الا ان يكون فعل فعلاً هو جب القصاص او الحد
فاما ما دون هذا من الفعل او القول فكل قول فيعاقب عليه ولا يقتل * قال
فان فعل او قال ما وصفنا وشرط ان يحل دمه فظفر به فامتنع من ان يقول اسلم

او اعطى جزية قتل واخذ ماله فيثا وهذا اللفظ يعطى وجوب قتله اذا امتنع
من الاسلام والعود الى الذمة وسلك ابو الخطاب في (الهداية) والحلواني
وكثير من متأخري اصحابنا مسلك المتقدمين في اقرار نصوص الامام احمد
بجأله وهو الصواب فان الامام احمد قد نص على القتل عينا فبين زنى بمسلة
حتى بعد الاسلام وجعل هذا اشد من تقض العهد بالحق ودار الحرب ثم
انه نص هناك على ان الامر الى الامام كالا سبر ونص هنا على ان الامام
يخير ان يقتل ولا يخفى لمن تأمل نصوصه ان القول بالتخيير مطلقا مخالف لما
واما ابو حنيفة فلا تجب هذه المسئلة على اصله لانه لا ينتقض عهد اهل الذمة
عنده الا ان يكونوا اهل شوكة ومنعة فيمتنعون بذلك على الامام ولا يمكنه
اجراء احكامنا عليهم وهذا مذهب مالك لا ينتقض عهدهم الا ان يخرجوا
ممتنعين منا امنين للجزية من غير ظلم او يلحقوا بدار الحرب لكن مالك لا يوجب
قتل سائب الرسول صلى الله عليه وسلم عينا وقال اذا استكره الذمي
مسئلة على الزنا قتل ان كانت حرة وان كانت امة عوقب العقوبة الشديدة
فذهب ايجاب القتل عينا لبعض اهل الذمة الذين يفعلون ما فيه ضرر على
المسلمين فمن قال انه يرد الى ما منه قال لانه حصل في دار الاسلام بامان
فلم يجز قتله حتى يرد الى ما منه كما لو دخلها بامان صبي وهذا ضعيف جدا لان
الله قال في كتابه وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوم انكثوا ايمانهم الآية
فهذه الآية وان كانت نزلت في اهل الهدنة فعمومها لفظا ومعنى يتناول كل

ذى عهد على ما لا يخفى وقدام سبجانه بالمقاتلة حيث وجدناهم فعم ذلك ما منهم
 وغير ما منهم ولان الله تعالى امر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون •
 فمتى لم يعطوا الجزية او لم يكونوا صاغرين جاز قتالهم من غير شرط على
 معنى الآية • ولانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل من
 راوه من رجال يهود صبيحة قتل ابن الاشرف و كانوا معه معاهد بن
 ولم يأمر بردهم الى ما منهم • وكذ لك لما نقضت بنو قينقاع العهد قاتلهم
 ولم يردهم الى ما منهم • ولما نقضت بنو قريظة العهد قاتلهم واسرهم ولم يبلغهم
 ما منهم • وكذ لك كعب بن الاشرف نفسه امر بقتله غيلة ولم يشعره انه يريد قتله
 فضلا عن ان يبلغه ما منه • وكذ لك بنو النضير اجلاهم على ان لا ينقلوا
 الا ما حملته الابل الا الحلقة وليس هذا بابلاغ للامن لان من بلغ ما منه يؤمن على
 نفسه و اهله و ماله حتى يبلغ ما منه • وكذ لك سلام بن ابى الحقيق وغيره
 من يهود لما نقضوا العهد قتلهم نوبة خيبر ولم يبلغهم ما منهم ولانه قد ثبت ان
 اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابا عبيدة و معاذ بن جبل وعوف
 ابن مالك قتلوا النصراني الذي اراد ان يفجر بالمسلمة و صلبوه ولم ينكره منكر
 فصار اجماعا ولم يردوه الى ما منه ولان في شروط عمر التي شرطها على النصارى
 فان نحن خالفنا عن شئ شرطناه لكم و ضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل
 لكم منا ما حل لاهل المعاهدة والشقاق رواه حرب باسناد صحيح وقد تقدم
 عن عمر وغيره من الصحابة مثل ابى بكر وابن عمر وابن عباس و خالد بن الوليد
 وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم انهم قتلوا او امروا بقتل ناقض العهد ولم يبلغوه

ما منه ولان دمه كان مباحا وانما عصمته الذمة فتى ارتفعت الذمة بقى على
 الاباحة ولان الكافر لودخل دار الاسلام بغير امان وحصل في ايدىنا جاز
 قتله في دارنا و امان دخل بامان صبي فلما ذلك لانه يعتقد انه مستامن
 فصارت له شبهة امان وذلك يمنع قتله كمن وطئ فراجيعتقد انه حلال لاحد
 عليه وكذلك ينسب في دخوله دار الاسلام الى ثريط واما هذا فانه ليس
 له امان ولا شبهة امان لان مجرد حصوله في الدار ليس بشبهة امان بالاتفاق
 بل هو مقدم على ما ينتقض به العهد مفراط في ذلك عالم اننا لم نصلحه على
 ذلك فاي عذره له في حق دمه حتى يلحقه بما منه نعم لو فعل من نواقض
 العهد ما لم يعلم انه يضرنا مثل ان يذكر الله تعالى او كتابه او رسوله بشيء
 يحسبه جائزا عندنا كان معذورا بذلك فلا ينتقض العهد كما تقدم ما لم يتقدم
 اليه كما فعل عمر بقسطنطين النصراني و امان قال انه كالا سير الحربي اذا
 حصل في ايدىنا فقال لانه كافر حلال الدم حصل في ايدىنا وكل من كان
 كذلك فانه ماسور فلنا ان نقله كما قتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن
 ابي معيط والنضر بن الحارث ولنا ان نمن عليه كما من النبي صلى الله عليه
 وسلم على ثمامة بن اثال الحنفي وعلى ابي عزة الجمحي ولنا ان نفاذي به كما فاذى
 النبي صلى الله عليه وسلم بعقيل وغيره ولنا ان نسترقه كما استرق المسلمون
 خلقا من الاسرى مثل ابي لؤلؤة قاتل عمرو ومالك العباس وغيرهم ما قتل
 الاسير واسترقاه فما اعلم فيه خلا فالكفر قد اختلف العلماء في المن عليه
 والمفاداة هل هو باق او منسوخ على ما هو معروف في مواضعه وهذا لانه

اذا انقض العهد عاد كما كان والحربي الذي لا عهد له اذا قدر عليه جاز قتله واسترقاقه ولانه ناقض للعهد فجاز قتله واسترقاقه كاللا حق بدار الحرب والمحارب في طائفة ممتعة اذا اسر بل هذا الولي لان نقض العهد بذلك متفق عليه. فهذا الغلط فاذا اجاز ان يحكم فيه يحكم الاسير في هذا الولي نعم اذا انتقض العهد بفعل له عقوبة تخصه مثل ان يقتل مسلماً او يقطع الطريق عليه ونحو ذلك اقيمت عليه تلك العقوبة سواء كانت قتلاً او جلد اثم ان بقي حياً بعد اقامة حد تلك الجريمة عليه صار كالكا في الحرب الذي لا حد عليه ومن فرق بين سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سائر النواقض قال لان هذا حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعف عنه فلا يجوز اسقاطه بالاسترقاق ولا بالتوبة كسب غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياً في ان شاء الله تعالى تحرير ماخذ السب ولما من قال انه يتعين قتله اذا انتقض به فيه مضرة على المسلمين ومن ما اذا لم يوجد منه الامجد للخلق بدار الحرب والاعتناع عن المسلمين فلان الله تعالى قال وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا قتالون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأواكم اول مرة الى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايدكم ويخترهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين فلو جب سبحانه قتال الذين نكثوا العهد وطعنوا في الدين ومعلوم ان مجرد نكث العهد موجب للقتال الذي كان واجبا قبل العهد ولو كد فلا بد ان يفيد هذا زيادة توكيد وما ذاك الا لان الكافر الذي ليس بمجاهد يجوز الكف عن

قتاله اذ اقتضت المصلحة ذلك الى وقت فيجوز استرقاقه بخلاف هذا الذي
نقض وطعن فانه يجب قتاله من غير استتابة وكل طائفة وجب قتالها من غير
استيناف لفعل يبيع دم احادها فانه يجب قتل الواحد منهم اذ افعله وهو في
ايدينا كالردة والقتل في المحاربة والزنا ونحو ذلك بخلاف البغي فانه لا يبيع
دم الطائفة الا اذا كانت ممتنعة وبخلاف الكفر الذي لا عهد معه فانه يجوز
الاستيناف بقتل اصحابه في الجملة وقوله سبحانه يعذبهم الله بايدكم ويغزهم
دليل على ان الله تعالى يريد الانتقام منهم وذلك لا يحصل من الواحد الا
اذا قتل ولا يحصل ان من عليه او فودى به او استرق نعم دلت الآية على ان
الطائفة الناقضة الممتنعة يجوز ان يتوب الله على من يشاء منها بعد ان يعذبها
ويغزها بالغلبة لان ما حاق بهم من المذاب والحزى يكفي في رد عنهم وردع
امثالهم عما فعلوه من النقض والظعن اما الواحد فلولم يقتل بل من عليه لم يكن
هناك رادع قوى عن فعله وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم لما سبي
بنى قريظة قتل المغاتلة واسترق الذرية الامراة واحدة كانت قد اقلت رحي
من فوق الحصن على رجل من المسلمين فقتلها لذلك وحديثها مع عائشة
رضي الله عنها معروف ففرق صلى الله عليه وسلم بين من اقتصر على نقض
العهد وبين من آذى المسلمين مع ذلك وكان لا يبلغه عن احد من المعاهدين
انه آذى المسلمين الا ندب الى قتله وقد اجل كثيرا ومن على كثير من
نقض العهد فقط وايضاً فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهدوا
اهل الشام من الكفار ثم نقضوا العهد فقاتلهم ثم عاهدوهم مرتين او ثلاثا

وكذلك

وكذلك مع اهل مصر ومع هذا فلم يظفروا بمعاهد آذى المسلمين بطعن في الدين اوزنا بمسئلة ونحو ذلك الاقتلوا وامر وا بقتل هو لاء الاجناس عينا من غير تخيير فلم انهم فرقوا بين النوعين . وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل مقيس بن صبابه وعبد الله بن خطل ونحوهما من ارتد وجمع الى رد تم قتل مسلم ونحوه من الضرر ومع هذا فقد ارتد في عهد ابي بكر رضى الله عنه خلق كثير وقتلوا من المسلمين عددا بعد الامتناع مثل ما قتل طلحة الاسدي عكاشة بن محصن وغيره ولم يؤخذ احد منهم بقصاص بعد ذلك فاذا كان المرتد يؤخذ بما اصابه قبل الامتناع من الجنايات ولا يؤخذ بما فعله بعد الامتناع فكذلك الناقض للعهد لان كلاهما خرج عما عصم به دمه هذا نقض ايمانه وهذا نقض امانه وان كان في هذا خلاف بين الفقهاء في المذهب وغيره فانما قسنا على اصل ثبت بالسنة واجماع الصحابة نعم المرتد اذا عاد الى الاسلام عصم دمه الامن حد يقتل بمثله المسلم والمعاهد يقتل على ما فعله من الجنايات المضرة بالمسلمين لانه يصير مباحا بالنقض ولم يعد الى شيء يعصم دمه فيصير كحربي يغلظ قتله بين ذلك ان الحربي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا آذى المسلمين وخسرهم قتله عقوبة له على ذلك ولم يمين عليه بعد القدره عليه فهذا الذي نقض عهده بضرر المسلمين اولى بذلك الا ترى انه لما من على ابي عزة الجحى وعاهده ان لا يمين عليه ففقد ربه ثم قدر عليه بعد ذلك وطلب ان يمين عليه فقال لا تمسح سبلاتك بمكة وتقول سخرت بمحمد مرتين ثم قال لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين فلما نقض يمينه منعه ذلك من المن عليه لانه ضرر بعد

ان كان عاهد على ترك ضراره فكذلك من عاهد من اهل الذمة انه لا يؤذى المسلمين ثم اذ هم لواطقوه لدغوا من جحر واحد مرتين ولمسح المشرك سبلاته وقال سخرت بهم مرتين * وايضا فلانه اذا الحق بدار الحرب وامنع لم يضر المسلمين وانما ابطال العقد الذي بينهم وبينه فصار كحربي اصيل اما اذا فعل ما يضر بالمسلمين من مقاتلة او زنا بمسلمة او قطع طريق او حبس او نحو ذلك فانه يتعين قتله لانه لو لم يقتل لحلت هذه المفسدات عن العقوبة عليها وتعطلت حدود هذه الجرائم ومثل هذه الجرائم لا يجوز العفو عن عقوبتها في حق المسلم فلان لا يجوز العفو عن عقوبتها في حق الذمي او لى واحرى ولا يجوز ان يقام عليه حدا مفردا كما يقام على من بقيت ذمته الحد لان صاحبها صار حريبا والحربي لا يقام عليه الا القتل فتعين قتله وصار هذا كالا سير اقتضت المصلحة قتله لعلمنا انه متى اقلت كان فيه ضرر على المسلمين اكثر من ضرر قتله لا يجوز المن عليه ولا المفاداة به اتفاقا ولان الواجب في مثل هذا اما القتل او المن او الاسترقاق او الفداء فاما الاسترقاق فانه ابقى له على ذمته بنحو ما كان فانه كان ثمت ذمتنا اخذ منه الجزية بمنزلة العبد ولهذا قال بعض الصحابة لعمر في مسلم قتل ذميا اتقيد عبدك من اخيك بل ربما كان استعباده انفع له من جعله ذميا واستعباد مثل هذا الا نؤمن عاقبته وسوء مغبته واما المن عليه والمفاداة به فابطل في المفسدة واعادته الى الذمة ترك لعقوبته بالكلية فتعين قتله * يوضح ذلك انا على هذا التقدير لا نعاقبه اذ اعاد الى الذمة الا بما عاقب فيه المسلم او الباقي على ذمته وهذا في الحقيقة يؤول الى قول من

يقول ان العهد لا ينقض بهذه الاشياء فلامعنى لجعل هذه الاشياء نافضة للعهد
 ويجاب اعادة اصحابها الى العهد وان لا يعاقبوا اذا عاذا والا بما يعاقب به
 المسلم يؤيد ذلك ان هذه الجرائم اذا رقت العهد وفسخته فلا بد
 يمنع ابتداء بطريق الاولى لان الدوام اقوى من الابتداء الا ترى ان
 العدة والردة تمنع ابتداء عقد النكاح دون دوامه فاما ان كان وجود
 هذه المضرات يمنع دوام العقد فتنبه ابتداءه اولى واخرى واذا لم يجوز
 ابتداء عقد الذمة فلان لا يجوز المن اولى ولان الله تعالى امر بقتل جميع
 المشركين الا ان المشرك ود وثاقه من المحاربين جعل لنا ان نعامله بما نرى
 والخارج عن العهد ليس بمنزلة الذي لم يدخل فيه كما ان الخارج عن الدين
 ليس بمنزلة الذي لم يدخل فيه فان الذي لم يدخل فيه باق على حاله
 والذي خرج من الايمان والامان قد احدث فسادا فلا يلزم من احتمال
 الفساد الباقي المستصحب احتمال الفساد المحدث المتجدد لان الدوام اقوى
 من الابتداء * يبين ذلك ان كل اسير كان يؤذى المسلمين مع كفره فان
 النبي صلى الله عليه وسلم قتله مثل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
 ومثل ابي عزة الجمحي في المرة الثانية * وايضا فانه اذا امتنع بطائفة
 او بدار الحرب كان ما يتوقى من ضرره متعلقا بجزءه ومنعته كالحربي الاصل
 فاذا زالت المنعة باسره لم يبق منه ما يبقى الا من جهة كونه كافرا فقط
 فلا فرق بينه وبين غيره اما اذا اضر المسلمين واداهم بين ظهرانيهم او تورد عليهم
 بالامتناع مما اوجبته الذمة عليه كان ضرره بنفسه من غير طائفة تمنعه وتنصره

فيجب ازهاق نفسه التي لا عصمة لها وهي منشأ للضرر وينبوع لاذى المسلمين
الا ترى ان الممتنع ليس فيما فعله اغراء للاحاد غير ذوي المنعة بخلاف الواحد
فان فيما فعله فتح باب الشرفان لم يعاقب فعل ذلك غيره وغيره ولا عقوبة
لمن لا عهد له من الكفار الا السيف . وايضا فان الممتنع منهم قد امرنا بقتاله
الى ان يعطى الجزية عن يد وهو صاغر وامرنا بقتاله حتى اذا اثناه
فشد الوثاق فكل آية فيها ذكر القتال دخل فيها فينتظمه حكم غيره من
الكفار الممتنعين ويجوز انشاء عقد ثلث لهم واسترقاقهم ونحو ذلك اما من
فعل جناية انتقض بها عهده وهو في ايد يتاقل يدخل في هذه العمومات
لانه لا يقاتل وانما يقتل اذ القتال للممتنع واذا كان اخذ الجزية والمن والفداء
انما هو لمن قوتل وهذا الم يقاتل فيبقى د اخلافي قوله فاقتلوا المشركين غير
داخل في آية الجزية والفداء . وايضا فان الممتنع يصير بمنزلة الحربي والحربي
يندر ج جميع شانه تحت الحراب بحيث لو اسلم لم يواخذ بضمان شئ من
ذلك بخلاف الذي في ايد يتا وذلك انه مادام تحت ايد يتا في ذمتنا
فانه لا تاويل له في ضرر المسلمين وايد ائهم اما اللحاق بدار الحرب
فقد يكون له معه شبهة في دونه يرى انه اذا تمكن من الحرب هرب
لاسيما وبعض فقها ثنائيج له ذلك فاذا فعل ذلك بتاويل كان بمنزلة ما يتلفه
اهل البغي والعدل حال القتال لاضمان فيه وما التفرع في غير حال الحرب
ضمنته كل طائفة للآخرى فلبس حال من تأول فيما فعله من النقص كحال من
لم يتأول . وايضا فانما يفعله بالمسلمين من الضرر الذي ينتقض به عهده لا بدله

من عقوبة لانه لا يجوز اخلاء الجرائم التي تدعو اليها الطباع من عقوبة زاجرة وشرع
 الزواج شاهد لذلك ثم لا يخلو اما ان نكون عقوبته من جنس عقوبة من يفعل
 ذلك من مسلم او ذمي بامرأة ذمية او دون ذلك او فوق ذلك و الاول باطل
 لانه يلزم ان يكون عقوبة المعصوم والمباح سواء لان الذي نقض العهد يستحق
 العقوبة على كفره وعلى ما فعله من الضرر الذي نقض به العهد وانما اخرجت
 عقوبة الكفر لاجل العهد فاذا ارتفع العهد استحق العقوبة على الامرين وبهذا
 يظهر الفرق بينه وبين من فعل ذلك وهو معصومين مباح دمه لم يفعل ذلك
 لان هذه المعاصي اذا فعلها المسلم فانها منجبة بما يلتزمه من نصر المسلمين ومنفعتهم
 وموالاتهم فلم يحضض مضرا للمسلمين لان فيه منفعة ومضرة وخيرا وشرا
 بخلاف الذمي فانه اذا ضر المسلمين تحضض ضررا الزوال العهد الذي هو
 مظنة منفعته ووجود هذه الامور المضرة و اذا لم يجز ان يعاقب بمثل
 ما يعاقب به المسلم فان لا يعاقب بما هو دونه اولى واخرى فوجب ان يعاقب
 بما هو فوق عقوبة المسلم ثم المسلم يتحتم قتله اذا فعل مثل هذه الاشياء فتحتم
 عقوبة ناقض العهد اولى لكن يختلفان في جنس العقوبة فهذا عقوبته القتل
 فيجب ان يتحتم وذلك عقوبته نارة القتل ونارة القطع ونارة الرجم او الجلد ❀

❀ فصل ❀

اذ ائلفنا هذه القاعدة فمين نقض العهد على العموم فنقول شاتم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يتعين قتله كما قد نص عليه الائمة اما على قول من يقول
 يتعين قتل كل من نقض العهد وهو في ايدينا او يتعين قتل كل من نقض العهد

بما فيه ضرر على المسلمين واذى لهم كما قد ذكرناه في مذهب الامام احمد وكما
قد دل عليه كلام الشافعي الذي نقلناه او نقول يتعين قتل من نقض العهد
بسبب الرسول صلى الله عليه وسلم وحده كما قد ذكره القاضي ابو يعلى وغيره
من اصحابنا وكما ذكره طائفة من اصحاب الشافعي وكما نص عليه عامة الذين
ذكروه في نواقض العهد وذكروا ان الامام يخير فيمن نقض العهد على
سبيل الاجمال فانهم ذكروا في مواضع اخرائه يقتل من غير تخيير فظاهروا ما على
قول من يقول ان كل ناقض للعهد فان الامام يخير فيه كالاسير فقد ذكرنا
انهم قالوا انه يستوفي منه الحقوق كالقتل والحد والتعزير لان عقد الذمة
على ان تجرى احكامنا عليه وهذه احكامنا ثم اذا استوفينا منه ذلك فالامام
يخير فيه كالاسير وعلى هذا القول فيمكنهم ان يقولوا انه يقتل لان سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم موجب للقتل حدا من الحدود كما لو نقض العهد بزنا او قطع
طريق فانه يقام عليه حد ذلك فيقتل ان اوجب القتل بل قد يقتل الذمي
حدا من الحدود وان لم ينتقض عهده كما لو قتل ذميا آخر او زنى بدمية
فانه يستوفي منه القود وحد الزنا وعهده باق ومذهب مالك يمكن ان
يوجه على هذا الماخذ ان كان فيهم من يقول لم ينتقض عهده وبالجملة فالقول
بان الامام يخير في هذا انما يدل عليه كلام بعض الفقهاء او اطلاقه وكذلك
القول بانه يلحق بما منه واخذ مذاهب الفقهاء من الاطلاقات من غير مراجعة
لما فسروا به كلامهم وما تقتضيه اصولهم يجر الى مذاهب قبيحة فان تقرر
في هذا خلاف فهو ضعيف تقلا لما قد مناه وتوجيها لما ساند ذكره والدليل على

انه يتعين قتله ولا يجوز استرقاقه ولا المن عليه ولا الهادة به من طريقين
 • احدهما • ما تقدم من الادلة على وجوب قتل ناقض العهد اذا نقضه
 بما فيه ضرر على المسلمين مطلقا • الثاني • ما يخصه وهو من وجوه • احدها •
 من الآيات الدالة على وجوب قتل الطاعن في الدين • الثاني • حديث
 الرجل الذي قتل المرأة اليهودية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واهد ر النبي صلى الله عليه وسلم منها وقد تقدم من حديث علي وابن
 عباس فلو كان سب النبي صلى الله عليه وسلم يرفع العهد فقط ولا يوجب
 القتل لكانت هذه المرأة بمنزلة كافرة اسيرة وبمنزلة كافرة دخلت الى
 دار الاسلام ولا عهد لها معلوم انه لا يجوز قتلها وانها تصير رقيقة للمسلمين
 بالسبي وهذه المرأة المقتولة كانت رقيقة والمسلم اذا كانت له امة كافرة
 جارية لم يحزله ولا غيره قتلها المجرد كونها حربية بل تكون ملكا لسيدها
 ترد عليه اذا اخذها المسلمون ولا نعلم بين المسلمين خلافا في ان المرأة
 لا يجوز قتلها المجرد الكفر اذا لم تكن معاينة كما يقتل الرجل لذلك
 ولا نعلم خلافا في ان المرأة اذا ثبت في حقها حكم نقض العهد فقط
 مثل ان تكون من اهل الهدنة وقد نقضوا العهد فانه لا يجوز قتل نسايتهم
 واولادهم بل يسترق النساء والاولاد وكذلك الذي اذا نقض العهد ولحق
 به ارح الحرب فمن ولد له بعد نقض العهد لم يحز قتل النساء منهم والاطفال
 بل يكونون رقيقا للمسلمين وكذلك اهل الذمة اذا امتنعوا بد ارح الحرب
 ونحوها فمن الفقهاء من قال العهد باق في ذريتهم ونسايتهم كما هو المعروف

عن الامام احمد وقال اكثرهم ينتقض العهد في الذرية والنساء ايضاً • ثم لا يختلفون ان النساء لا يقتلن واصل ذلك ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين • فامر بقتال الذين يقاتلون فعلم ان شرط القتال كون المقاتل مقاتلاً • وفي الصحيحين عن ابن عمر قال وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان • وعن رباح بن ربيع انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فر رباح واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما صابت المقدمة فوقفوا بنظرون اليها يعني وتعجبون من قتلها حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كانت هذه لتقاتل فقال لاحد هم الحق خالد اقله لا تقتلوا ذرية ولا عسفارواه الامام احمد وابوداود وابن ماجه • وعن ابن كعب ابن مالك عن عمه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الى ابن ابي الحقيق بخير نهى عن قتل النساء والصبيان رواه الامام احمد • وفي الباب احاديث مشهورة على ان هذا من العلم العام الذي تناقلته الامة خلفا عن سلف وذلك لان المقصود بالقتال ان تكون كلمة الله هي العليا وان يكون الدين كله لله وان لا تكون فتنة اي لا يكون احد يفتن احدا عن دين الله فلما تناقل من كان بمأمن عن ذلك وهم اهل القتال فامان لا يقاتل عن ذلك فلا وجه لقتله

كل امرأة والشيخ الكبير والراهب ونحو ذلك ولا المرأة نصير رقيقة للمسلمين
ومالهم فني قتلها تفويت لذلك عليهم من غير حاجة واضاعة للمال لغير
حاجة نعم اذا قاتلت المرأة جازان تقتل بالاتفاق لوجود المعنى فيها الذي
جعل الله ورسوله عدمه مانعا من قتلها بقوله صلى الله عليه وسلم ما كانت
هذه لتقاتل لكن هل يجوز ان تقصد بالقتل كما يقصد الرجل او يقصد كفها
كما يقصد كف الصائل ففيه خلاف بين الفقهاء فاذا كان الحكم في المرأة مثل
ذلك وقد اهدى النبي صلى الله عليه وسلم دم امرأة ذمية لاجل سبها
مع ان قتلها لو كان حراما لا نكره النبي صلى الله عليه وسلم كما انكر قتل
المرأة التي وجد هامقولة في بعض مغازيه وان لم تكن مضمونة بدية ولا كفارة
فانه صلى الله عليه وسلم لا يسكت عن انكار المنكر بل اقراره دليل على الجواز
والاباحة وقد علم ان السابية ليست بمنزلة الاسيرة الكافرة لان تلك لا يجوز
قتلها وعلم ان السب اوجب قتلها بنفسه كما يجب قتلها بالاجماع اذا قطعت
الطريق وقتلت فيه واذا زنت وكما يجب قتلها بالردة عند جماهير العلماء
فان قبل * يجوز ان يكون سبها للنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة قتلها والمرأة
اذا قاتلت وكانت معاهدة انتقض عهدها كالرجل اذا فعل ذلك ويجوز
ان تكون حينئذ بمنزلة المرأة المقاتلة اذا اسرت يتخير الامام فيها بين اربعة
اشياء كما يتخير في الرجل المقاتل اذا اسره قلنا . الجواب من وجوه
* احدها . ان هذه المرأة لم يصد ر عنها الا مجرد شتم النبي صلى الله عليه
وسلم بمحضرة سبها المسلم ولم تحضر احدا من المشركين للقتال ولا اشارت

على الكفار برأى تعين فيه على قتال المسلمين ومعلوم ان من لم يقاتل يده
ولا اعان على القتال بلسانه لم يجزان ينسب اليه القتال بوجه من الوجوه ونحن
لا ننكر ان من لا يجوز قتله كالراهب والاعمى والشيخ الفاني والمقعّد ونحوهم اذا كان
لم رأى في القتال وكلام يعينون به على قتال المسلمين كانوا بمنزلة المقاتلين لكن
مجرد سب المرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوم مسلمين ليس من هذا
القبيل وانما هو اذى لله ولرسوله ابلغ من القتال من بعض الوجوه فلم يكن
موجبا للقتل لكانت المرأة الكافرة قد قتلت لانها مقاتلة وهي لم تقاتل وذلك
غير جائز فعمل انه موجب للقتل وان لم يكن قتالا وقد يكون قتالا اذا ذكر
في معرض الخوض على قتال المسلمين واغراء الكفار بحربهم فاما في هذه الواقعة
فلم يكن من القتال المعروف * الجواب الثاني * انا نسلم ان سب النبي صلى الله
عليه وسلم بمنزلة محاربة المسلمين ومقاتلتهم من بعض الوجوه كما كتب ابو بكر
الصدّيق رضي الله عنه ان حد الانبياء ليس يشبه الحد ودفن تعاطى يعنى
سب الانبياء من مسلم فهو مرتد او معاهد فهو محارب غادر بل هو من ابلغ
انواع الحرب كما تقدم تقريره لكن الجواب نوعان احدهما ما ينقطع فسدته
بالقتل تارة وبلاسترقاق اخرى وبالمن او الفداء اخرى وهو حارب الكافر
بالقتال يدا ولسانا فان الحربي والحريّة المقاتلة اذا اسرافا سترقا قطع عن المسلمين
ضررهما كما يزول بالقتل وكذلك لو من عليهما جاء ان يسلما اذ ابدت
مخائل الاسلام او رجاء ان يكفعا عن الاسلام شر من خلفهما او فودى بهما فهنا
مفسدة المحاربة قد تزول بهذه الامور * والثاني * ما لا يزول فسدته الا باقاعة

الحد فيه مثل اجواب المسلم او المعاهد في دار الاسلام بقطع الطريق ونحوه
 فان ذلك يتحتم اقامة الحد فيه باتفاق الفقهاء فهذه الامة التي كانت نسب
 النبي صلى الله عليه وسلم قد حاربت في دار الاسلام فان قيل تعاقب بالاسترقاق
 فهي رقيقة لا يتغير حالها وان قيل يمن عليها او يفادى بها لم يحز لوجهين
 • احدهما • انها ملك مسلمة ولا يجوز اخراجها عن ملكه مع حياتها • الثاني •
 ان ذلك احسان اليها وازالة للرق عنها فلا يجوز ان يكون جزاء لسبها
 وحرابها فتعين قتلها • الجواب الثالث • ان مفسدة السب لا تزول الا
 بالقتل لانها متى استبقيت طمعت هي وغيرها في السب الذي هو من اعظم
 الفساد في الارض كقاطع الطريق سواء بخلاف المرأة المقاتلة اذا اسرت فان
 مفسدة مقاتلتها قد زالت باسرها ولا يمكنها مع استرقاقها ان تقا تل ويمكنها ان
 تظهر السب والشتم فصار سبها من جنس الجنايات التي توجب العقوبات
 لا تزول مفسدتها الا باقامة الحد فيها وعلم ان الذميمة التي تسب ليست بمنزلة
 الحرية التي تقا تل اذا اسرت بل هي بمنزلة الذميمة التي تقطع الطريق وترزى •
 ✽ الجواب الرابع ✽ ان الحديث فيه حكم وهو القتل وسبب القتل هو السب
 فيجب اضافة الحكم الى السب والاصل ايجاد الحكم فمن زعم ان السب حكم
 آخر احتاج الى دليل وقياسه على الاسيرة لا يصح لما سياتى ان شاء الله تعالى
 • الجواب الخامس • انها لو كانت بمنزلة الاسيرة لكان النظر فيها للامام لا يجوز
 لاحاد الرعية تخير واحدة من الخصال الاربع فيها ومن قتلها ضمنها بقيمتها للمسلمين
 ان كانت فيئا وللغنائم ان كانت • فمنها فعلم ان القتل كان واجبا فيها عينا •

يُبقَى ان يقال الحد ود لا يقيمها الا الامام او نائبه وجوابه من وجوه. احدها.
 ان السيد له ان يقيم الحد على عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اقيموا
 الحد ود على ما ملكت ايمانكم وقوله اذ انت امة اجد كم فليجدها ولا اعلم خلافا
 بين فقهاء الحديث ان له ان يقيم عليه الحد مثل حد الزنا والقذف والشرب
 ولا خلاف بين المسلمين ان له ان يعززه واخلفوا هل له ان يقيم عليه قتلا
 او قطعاً مثل قتله لردته او لسبه النبي صلى الله عليه وسلم وقطعه للسرقة
 وفيه عن الامام احمد روايتان . احدها . يجوز وهو المنصوص عن الشافعي
 . والاخرى . لا يجوز كما حد الوجهين لاصحاب الشافعي وهو قول مالك وقد
 صح عن ابن عمر انه قطع يد عبده له سرق وصح عن حفصة انها قتلت
 جارية لها اعترفت بالسحر وكان ذلك برأى ابن عمر فيكون الحديث حجة
 لمن يجوز للسيد ان يقيم الحد على عبده مطلقاً وعلى هذا القول فالسيد له ان
 يقيم الحد على عبده بعلمه في المنصوص عن الامام احمد وهو احدي الروايتين
 عن مالك والنبي صلى الله عليه وسلم لم يطلب من سيد الامة بيعة على سبه
 بل صدقه في قوله كانت تسبك وتشتك في الحديث حجة لهذا القول
 ايضاً . الوجه الثاني . ان ذلك اكثر ما فيه انه اقيمت على الامام والامام
 له ان يعفو عن اقام حد او اجبا دونه . الوجه الثالث . ان هذا وان كان
 حدا فهو قتل حربي ايضاً فصار بمنزلة قتل حربي تحتم قتله وهذا يجوز قتله
 لكل احد وعلى هذا يحمل قول ابن عمر في الراهب الذي قيل له انه يسب
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو سمعته لقتلته . الوجه الرابع . ان مثل هذا

قد وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق الذي قتله عمر
بدون اذن النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يرض بحكمه فنزل القرآن باقراره .
ومثل بنت مروان التي قتلها ذلك الرجل حتى سماه النبي صلى الله عليه
وسلم ناصرا لله ورسوله . وذلك ان من وجب قتله لمعنى يكيد به الدين
ويفسده ليس بمنزلة من قتل لاجل معصيته من زنا ونحوه . الجواب
السادس . ان الفقهاء قد اختلفوا في المرأة المقاتلة اذا اسرت هل يجوز
قتلها ومذهب الشافعي انها لا تقتل فلو كانت هذه انما قتلت لكونها قد قتلت
لم يجز ان تقتل بعد الاسر عنده فلا يصح ان يوردها السؤال على اصله .
الدليل الثالث . ان الساب لو صار بمنزلة الحر في فقط لكان دمه معصوما بامان
يعقد له اؤذمة او هدية ومعلوم ان شبهة الامان كحقيقته في حقن الدم والنفر
الذين ارسلهم النبي صلى الله عليه وسلم الى كعب بن الاشرف جاؤا اليه على ان
يستسلموا منه وحادثوه وماشوه وقد آمنهم على دمه وماله وكان بينه وبينهم قبل ذلك
عهد وهو يعتقد بقاءه ثم انهم استاذنوه في ان يشموا ريح الطيب من رأسه
فاذن لهم مرة بعد اخرى وهذا كله ثبت الامان فلو لم يكن في السب الاجرد
كونه كافرا حرييا لم يجز قتله بعد امانه اليهم وبعد ان اظهروا له انهم يؤمنون له
واستأذنتهم اياه في امساك يده فلم بذلك ان ايداه الله ورسوله موجب
للقتل لا يصح منه امان ولا عهد وذلك لا يكون الا فيما وجب القتل عينا
من الحدود وكحد الزنا وحده قطع الطريق وحد المرتد ونحو ذلك فان عقد
الامان لهؤلاء لا يصح ولا يصبرون مستأمنين بل يجوز اغتيالهم والفتك بهم

لتعين قتلهم فعلم ان سب النبي صلى الله عليه وسلم كذلك يؤيد هذا ما ذكره
 اهل المغازى من قول النبي صلى الله عليه وسلم انه لو قر كما قر غيره ما اغتيل
 ولكنه نال منا الاذى وهجانا بالشعرو لم يفعل هذا احد منكم الا كان السيف
 فان ذلك دليل على ان لاجزاء الا القتل الدليل الرابع قوله صلى الله
 عليه وسلم ان كان ثابتا من سب نبي اقتل ومن سب اصحابه جلد فوجب القتل
 عينا على كل سب ولم يخير بينه وبين غيره وهذا ما يعتمد في الدلائل ان كان
 محفوظا الدليل الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى قتل
 ابن الاشرف لانه كان يؤذي الله ورسوله وكذلك كان يامر بقتل من يسبه
 او يهجو الامن عفا عنه بعد القدرة وامره صلى الله عليه وسلم للايجاب
 فلم وجوب قتل الساب وان لم يجب قتل غيره من المخاريق وكذلك
 كانت سيرته لم يعلم انه ترك قتل احد من السابين بعد القدرة عليه الامن
 تاب او كان من المنافقين وهذا يصلح ان يكون امثالا للامر بالجهاد واقامة
 الحد وذا فيكون على الايجاب يؤيد ذلك ان في ترك قتله تركا لنصر الله
 ورسوله وذلك غير جائز الدليل السادس اقاويل الصحابة فانها نصوص
 في تعيين قتله مثل قول عمر رضي الله عنه من سب الله او سب احد امن
 الانبياء فاقتلوه فامر بقتله عينا ومثل قول ابن عباس رضي الله عنه اياما عهد
 عائد فسب الله او سب احدا من الانبياء او جهر به فقد نقض العهد فاقتلوه
 فامر بقتل المعاهد اذ سب عينا ومثل قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
 فيما كتب به الى المهاجر في المرأة التي سبت النبي صلى الله عليه وسلم لولا

ما قد سبقني فيها الامر بك بقتلها لان حد الانبياء لا يشبه اليهود من تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد ومعهده فهو محارب غادره قين ان الواجب كان قتلها عيننا ولا فوات ذلك ولم يجعل فيه خيرة الى الامام لاسيما والساية امره و ذلك وحده دليل كما تقدم ومثل قول ابن عمر في الراهب الذي بلغه انه يسب النبي صلى الله عليه وسلم لو سمعته لقتله ولو كان كالامير الذي يخير فيه الامام لم يجز لابن عمر اختيار قتله وهذا الدليل واضح * والدليل السابع * ان ناقض العهد بسب النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه حاله اغلظ من حال الجري الاصلى وخروجه عما عاهدنا عليه بالظن في الدين واذاى الله ورسوله ومثل هذا يجب ان يعاقب عقوبة يزجر امثاله عن مثل حاله * والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون * فاما تتقنهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلم يذكرون * فامر الله رسوله اذا صادف الناكثين للعهد في الحرب ان يشردهم غيرهم من الكفار بان يفعل بهم ما يفرق به اولئك وقال تعالى الاتقاتلون قومنا نكشوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بداءكم اول مرة فحضر على قتال من نكث اليمين وهم باخراج الرسول وبداء بنقض العهد ومعلوم ان من سب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد فعل ما هو اعظم من الهمة باخراج الرسول وبداءنا اول مرة * ثم قال تعالى فاتلوهم يعذبهم الله بايدكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف

صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم • فلم ان تمذهب هو لا •
 واخزاهم ونصر المؤمنين عليهم وشفاء صدورهم بالانتقام منهم وذهاب
 غيظ قلوبهم مما آذوهم به امر مقصود للشارع مطلوب في الدين ومعلوم ان
 هذا المقصود لا يحصل من سب النبي صلى الله عليه وسلم واذى الله تعالى
 ورسوله وعباده المؤمنين الا بقتله لا يحصل بمجرد استرقاقه ولا بالئن عليه
 والمغادرة به • وكذلك ايضا تكيل غيره من الكفار الذين قد يريدون
 اظهار السب لا يحصل على سبيل التمام الا بذلك ولا يعارض هذا من تقضي
 العهد في طائفة ممتعة اذا امرناو احدا منهم لان قتال اولئك والظهور
 عليهم يحصل هذا المقصود بخلاف من كان في ابد يتقبل السب وبعده فان
 لم يجد فيه قتلا لم يحصل هذا المقصود • وجماع ذلك ان ناقض العهد
 لا بد له من قتال او قتل اذ لا يحصل المقصود الا بذلك وهذا الوجه وان كان
 فيه عموم لكل من تقضي العهد بالاذاي لكن ذكرناه هنا لخصوص الدلالة
 ايضا فانها تدل عموما وخصوصا • في الدليل الثامن • ان الذي اذا سب النبي
 صلى الله عليه وسلم فقد صدر منه فعل تضمن امرين • احدهما • انتقاض
 العهد الذي يتناو بينه • الثاني • جنايته على عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وانتهاكه حرمة وايداء الله ورسوله والمؤمنين وطعنه في الدين وهذا
 معنى زائد على مجرد كونه كافرا قد نقض العهد • ونظير ذلك ان ينقضه
 بالزنا بمسلمة او بقطع الطريق على المسلمين وقتلهم واخذ اموالهم او بقتل
 مسلم فان فعله مع كونه نقضا للعهد قد تضمن جناية اخرى فان الزنا و قطع

الطريق و القتل من حيث هو وجناية و نقض العهد جنابة كذلك هناسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث هو وجناية منفصلة عن نقض العهد له
عقوبة تخصه في الدنيا والآخرة زائدة على مجرد عقوبة التكذيب بنبوته
والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة واعدهم عذاباً مهيناً فعلق اللعنة في الدنيا والآخرة
والمذاب الممين بنفس اذى الله ورسوله فعلم انه موجب ذلك وكذلك
قوله تعالى وان تكثروا ايمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلمهم ينتهون وقد تقدم تقريره بوضع ذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة آمن الناس الذين كانوا يقاتلونه قبل ذلك
والذين نقضوا العهد الذي كان بينه وبينهم وخانوه الا نفر منهم القيتان
اللتان كانتا تغنيان بهجاءه وسارة مولاة بنى عبد المطلب التي كانت تؤذيه
بمكة فاذا كان قد امر بقتل التي كانت تهجو من النساء مع ان قتل المرأة
لا يجوز الا اذا قتلت وهو صلى الله عليه وسلم قد آمن جميع اهل مكة
من كان قد قاتل و نقض العهد من الرجال والنساء علم بذلك ان الهجاء
جنابة زائدة على مجرد القتال والحرب لان التفريق بين المتماثلين
لا يقع من النبي صلى الله عليه وسلم كما انه امر بقتل ابن خطل لانه كان
قد قتل مسلماً ولانه كان مرتداً ولانه كان يامر بهجاءه وكل واحد
من القتل والردة والامر بهجاءه جنابة زائدة على مجرد الكفر والحرب
ومما بين ذلك انه قد كان امر بقتل من كان يؤذيه بعد فتح مكة مثل ابن

الزبيرى و كعب بن زهير و الحويرث بن نقيد و ابن خطل و غيرهم مع
امانه لسائر اهل البلد • و كذ لك اهد ردم ابي سفيان بن الحارث و امتنع
من اد خاله عليه واد خال عبد الله بن امية لما كا ياقعان في عرضه و قتل
ابن ابي معيط و النضر بن الحارث دون غيرهما من الاسرى و سمي من
يبدل نفسه في قتله ناصر الله و رسوله و كان يندب الى قتل من يؤذيه
و يقول من يكفينى عدوى و كذ لك اصحابه يسارعون الى قتل من آذاه
بلسانه و ان كان ابا او غيره و يندرون قتل من ظفروا به من هذا الضرب
و قد تقدم من بيان ذ لك ما فيه بلاغ و من المعلوم ان هؤلاء لو كانوا بمنزلة
سائر الكفار الذين لا عهد لهم لم يقتلهم ولم يامر بقتلهم في مثل هذه الاوقات التى
آمن فيها الناس و كف عنهم هو مثلهم فلم ان السب جنابة زائدة على الكفر و قد تقدم
تقرير ذ لك في المسئلة الاولى على وجهه يقطع العاقل ان سب الرسول
صلى الله عليه وسلم جنابة لها موقع يزيد على سائر الجنابات بحيث يستحق
صاحبها من العقوبة ما لا يستحقه غيره و ان كان كافرا حريا مبالغيا في محاربة
المسلمين و ان وجوب الانتصار ممن كان هذه حاله كان مؤكدا في الدين
و السعى في اهدار دمه من افضل الاعمال و اوجهها احقها بالمسارعة اليه
و ابتغاء رضوان الله تعالى فيه و ابلغ الجهاد الذى كتبه الله على عباده و فرضه
عليهم و من تأمل الذين اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دماهم يوم الفتح
و اشتد غضبه عليهم حتى قتل بعضهم في نفس الحرم و اعرض عن بعضهم
و انتظر قتل بعضهم وجد لهم جرائم زائدة على الكفر و الحراب من ودة

و قتل

وقتل ونحو ذلك وجرم أكثرهم إنما كان من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذاه بالسنتهم فأي دليل أوضح من هذا على أن سبه وهجاءه جناية زائدة على الكفر والحراب لا يدخل في ضمن الكفر كما يدخل سائر المعاصي في ضمن الكفر وعلى أن المعاهدين إذا نقضوا العهد وفيهم من سب النبي صلى الله عليه وسلم كان للسب عقوبة زائدة على عقوبة مجرد نقض العهد وما يدل على أن السب جناية زائدة على كونه كفرا وحرابا وإن كان منضمنا لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يعفو عن يؤذيه من المنافقين كما تقدم بيانه وقد كان له أن يقتصهم كما تقدم ذكره في حديث أبي بكر وغيره ولو كان السب مجرد ردّة لوجب قتله كما لرئد يجب قتله فلم أنه قد تغلب في السب حق النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يجوز له العفو عنه * وما يدل على أن السب جناية مفردة أن الذي لم يوجب واحد من المسلمين أو المعاهدين ونقض العهد كان سب ذلك الرجل جناية عليه يستحق بها من العقوبة ما لا يستحقه بمجرد نقض العهد فيكون سب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سب واحد من البشر * وما يدل على ذلك أن سب النبي صلى الله عليه وسلم وشتمه يؤذيه شتمه وهجاءه كما يؤذيه التعرض لدمه وماله قال الله تعالى لما ذكر الغيبة يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه فجعل الغيبة التي هي كلام صحيح بمنزلة أكل لحم المغتاب ميتا فكيف يهتانه وسب النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا بهتانه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

لعن المؤمن كقتله • وكأبؤ ذى ذلك غيره من البشر • وإيضاً فان ذلك
يؤذى جميع المؤمنين ويؤذى الله سبحانه وتعالى ومجرد الكفر والمخاربة
لا يحصل بهما من اذاه ما يحصل بالوقعة في العرض مع المخاربة فلوقيل
ان الواقع في عرضه ممن انتقض عهده بمنزلة غيره ممن انتقض
عهده لكانت الواقعة في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم واذاه
بذلك جرماً لا جزاء له من حيث خصوص النبي صلى الله عليه وسلم وخصوص
اذاه كما لو قتل رجل نبياً من الانبياء فان لقتله من العقوبة ما لا يستحق على مجرد
الكفر والمخاربة وهذا كله ظاهر لا خفاء به فان دماء الانبياء واعراضهم
اجل من دماء المؤمنين فاذا كان دماء غيرهم واعراضهم لا تدرج
عقوبتها في عقوبة مجرد نقض العهد فان لا تندرج عقوبة دمايتهم واعراضهم
في عقوبة نقض العهد بطريق الاولى • وما يوضح ذلك ان سب النبي صلى الله
عليه وسلم تعلق به عدة حقوق حق الله سبحانه منه من حيث كفر برسوله
وعادى افضل اوليائه وبارزه بالمخاربة ومن حيث طعن في كتابه ودينه فان
صحتها موقوفة على صحة الرسالة ومن حيث طعن في الهيئته فان الطعن في
الرسول طعن في المرسل وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وانكار كلامه
وامره وخبره وكثير من صفاته وتعلق به حق جميع المؤمنين من هذه
الامة ومن غيرهم من الامم فان جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصاً صالمتهم فان
قيام امر دنياهم ودينهم وآخرتهم به بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا
والآخرة بوساطته وسفارتهم فالسب له اعظم عندهم من سب انفسهم وآبائهم

وابنائهم وسب جميعهم كما انه احب اليهم من انفسهم واولادهم وابائهم والناس
اجمعين وتعلق به حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث خصوص نفسه
فان الانسان توذبه الوقعة في عرضه اكثر مما يوذيه اخذ ماله واكثر مما يوذيه
الضرب بل ربما كانت عنده اعظم من الجرح ونحوه خصوصاً من يجب
عليه ان يظهر للناس كمال عرضه وعلوقه ليستغوا بذلك في الدنيا والآخرة
فان هتك عرضه قد يكون اعظم عنده من قتله فان قتله لا يقدر عند
الناس في نبوته ورسالته وعلوقه كما ان موته لا يقدر في ذلك بخلاف
الوقعة في عرضه فانها قد تؤثر في نفوس بعض الناس من النفرة عنه وسوء
الظن به ما يفسد عليهم ايمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة فكيف
يجوز ان يعتقد عاقل ان هذه الجناية بمنزلة ذمي كان في ديار المسلمين فلحق
ببلاد الكفار مستوطنهم ان ذلك اللحاق ليس في خصوصه حق الله
والرسوله ولا لاحد من المسلمين اكثر مما فيه ان الرجل كان معصياً بجلنا
نفق تلك العصمة فانما اضر بنفسه لا باحد من المؤمنين فعلم بذلك ان
السب فيه من الاذى لله ورسوله ولعباده المؤمنين ما ليس في الكفر والمخاربة
وهذا ظاهر ان شاء الله اذ اثبت ذلك فنقول هذه الجناية جناية السب موجبها
القتل لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من لکب بن الاشرف فانه قد
آذى الله ورسوله فعلم ان من آذى الله ورسوله كان حقه ان يقتل ولما
تقدم من اهدار النبي صلى الله عليه وسلم دم المرأة السابعة مع انها لا تقتل لمجرد
نقض العهد ولما تقدم من امره صلى الله عليه وسلم بقتل من كان يسبه مع

امساكه عن هو بمنزلة في الدين وندبه الناس في ذلك والثناء على من
سارع في ذلك • ولما تقدم من الحديث المرفوع ومن اقوال الصحابة رضى
الله عنهم ان من سب نبيا قتل ومن سب غير نبى جلد • والذي يختص بهذا
الموضع ان تقول هذه الجناية اما ان يكون موجبا بخصوصها القتل او الجلد
او لا عقوبة لما بل يدخل عقوبتها في ضمن عقوبة الكفر والحراب وقد اطلقنا
القسم الثالث والقسم الثاني ايضا باطل لوجوه • احدها • انه لو كان الامر
كذلك لكان الذمى اذا انقض العهد بسب النبى صلى الله عليه وسلم ينبغي ان
يجلد لسب النبى صلى الله عليه وسلم لانه حق آدمى ثم يكون كالكافر الحربى
يقتل للكفر ومعلوم ان هذا خلاف ما دل عليه السنة واجماع الصحابة فانهم
اتفقوا على القتل فقط فعلم ان موجب كلا الجنائين القتل والقول لا يمكن
تعدده وكذلك كان ينبغي ان يجلد المرتد لحق النبى صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل لردته كمرتد سب بعض المسلمين فانه يستوفى منه حق الآدمى
ثم يقتل الا ترى ان السارق يقطع لسرقته التي هي حق لله ويرد المال المسروق
اذا كان باقيا بالاتفاق ويغرم بدله ان كان تالفا عند اكثر الفقهاء ولا يدخل
حق الآدمى في حق الله مع اتحاد السب • الثاني • انه لو لم يكن موجبه القتل
وانما القتل موجب كونه ردة لم يجز للنبى صلى الله عليه وسلم العفو عنه لان
اقامة الحد على المرتد واجبة بالاتفاق لا يجوز العفو عنه فلما عفا عنه النبى
صلى الله عليه وسلم في جنابة دل على ان السب نفسه يوجب القتل حق للنبى
صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه حق الله تعالى ويكون سابه وقاذفه بمنزلة

سأب غيره. وقاذفه قد اجتمع في سبه حقان حق الله وحق آدمي فلو ان
المسبوب والمقدوف عقان حقه لم يقدر القاذف والسأب على حق الله
بل دخل في المفولة لك النبي صلى الله عليه وسلم اذ اغفاه عن سبه دخل
في غفوه عنه حق الله فلم يقتل لكفره كما يبرز سب غيره لمعصيته مع ان
المعصية المجردة عن حق آدمي توجب التغريم بوضوح ذلك انه قد ثبت انه
كان له ان يقتل من سبه كما في حديث ابي بكر وحديث الذي امر بقتله
لما كذب عليه وحديث الشعبي في قتل الخارجي وكما دل عليه احاديث
قد تقدم ذكرها و ثبت له ان يغفوه كما دل عليه حديث ابن مسعود
وابي سعيد وجابر وغيرهم فلم ان سبه يوجب القتل كما ان سب غيره يوجب
الجلد وان تضمن سبه الكفر بالله كما تضمن سب غيره المعصية لله ويكون
الكفر والحراب نوعين احدهما حق الله خالص والثاني ما فيه حق الله وحق
لآدمي كما ان المعصية قسمان احدهما حق خالص لله والثاني حق لله
ولآدمي ويكون هذا النوع من الكفر والحراب بمنزلة غيره من الانواع
في استحقاق فاعله القتل ويفارقه في الاستيفاء فانه الى الآدمي كما ان المعصية
بسب غير النبيين بمنزلة غيرها من المعاصي في استحقاق فاعلها الجلد ويفارق
غيرها في ان الاستيفاء فيها الى الآدمي بوضوح هذا ان الحق الواجب على
الانسان قد يكون حقاً محضاً لله وهو ما اذا كفر او عصي على وجه لا يورث
احداً من الخلق فهذا اذا اوجب فيه حد لم يميز العفو عنه بحال وقد يكون
حقاً محضاً لآدمي بمنزلة الديون التي تجب للانسان على غيره من ثمن مبيع

فاذا كان كفر المرتد قد تغلظ لكونه قد خرج عن الدين بعد ان دخل
 فيه فاجب القتل عينا فكفر الساب الذي آذى الله ورسوله وجميع
 المؤمنين من عباده اولى ان يتغلظ فيوجب القتل عينا لان مفسدة
 السب في انواع الكفر اعظم من مفسدة مجرد الردة وقد اختلف
 الناس في قتل المرتدة وان كان المختار قتلها ونحن قد قد مناصوا عن النبي
 صلى الله عليه وسلم واصحابه في قتل السابة الذمية وغير الذمية والمر تدستاب
 من الردة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قتلوا الساب ولم يستبوه
 فلم ان كفره اغاظ فيكون تعين قتله اولى ❦ الدليل العاشر ❦ ان تطهير
 الارض من اظهار سب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب بحسب الامكان
 لانه من تمام ظهور دين الله وعلو كلمة الله وكون الدين كله الله حيث ما ظهر سبه
 ولم ينتقم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهرا ولا كلمة الله عالية وهذا
 كما يجب تطهيرها من الزنا والسراق وقطاع الطريق بحسب الامكان بخلاف
 تطهيرها من اصل الكفر فانه ليس بواجب كجواز اقرار اهل الكتابين على
 دينهم بالذمة ملتزمين جربان حكم الله ورسوله عليهم لا ينافي اظهار الدين
 وعلو كلمة الله وانما يجوز مهادة الكافر وامانه عند العجز والمصلحة المرجوة
 في ذلك وكل جنائية وجب تطهير الارض منها بحسب القدرة يتعين عقوبة
 فاعلم العقوبة المحددة في الشرع اذا لم يكن لها مستحق معين فوجب ان
 يتعين قتل هذا لانه ليس لهذه الجنائية مستحق معين لانه تعين بها حق الله
 ورسوله وجميع المؤمنين وبهذا يظهر الفرق بين الساب وبين الكافر

لجواز اقرار ذلك على كفره مستغنياً به ملتزماً بحكم الله ورسوله بخلاف المظهر
 للسب * الله ليل الحادي عشر * ان قتل سباب النبي صلى الله عليه وسلم وان
 كان قتل كافر فهو حد من الحد وليس قتلاً على مجرد الكفر والحرب
 لما تقدم من الاحاديث الدالة على انه جناية زائدة على مجرد الكفر والمجاربة
 ومن ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه امرؤا فيه بالقتل عينا وليس هذا
 موجب الكفر والمجاربة ولما تقدم من قول الصديق رضي الله عنه في التي
 سببت النبي صلى الله عليه وسلم ان حد الانبياء ليس يشبه الحدود * ومعلوم ان
 قتل الاسير الحربي ونحوه من الكفار والمجاريين لا يسمى حداً ولا يظهور
 سبه في ديار المسلمين فساد عظيم اعظم من جرائم كثيرة فلا بد ان يشرع له حد يزجر
 عنه من يتعاطاه فان الشارح لا يهمل مثل هذه المفاسد ولا ينجليها من
 الزواجر وقد ثبت ان حد القتل بالسنة والاجماع وهو حد لغير معين حي
 لان الحق فيه لله ورسوله وهو ميت ولكل مؤمن وكل حد يكون بهذه المثابة
 فانه يتعين اقامته بالاتفاق * الدليل الثاني عشر * ان نصر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وتزيره وتوقيره واجب وقتل سابه مشروع كما تقدم فلو جاز
 ترك قتله لم يكن ذلك نصراً له ولا تعزيراً ولا توقيراً بل ذلك اقل نصرة لان
 الساب في ايدينا ونحن متمكنون منه فان لم نقتله مع ان قتله جائز لكان ذلك
 غاية في الخذلان وترك التعزير له والتوقيرو هذا ظاهر * واعلم ان تقرير
 هذه المسئلة له طرق متعددة غير ما ذكرناه ولم نطل الكلام هنا لان عامة
 الدلائل المذكورة في المسئلة الاولى تدل على وجوب قتله لمن تأملها فاكتمها

بما ذكرناه هناك وان كان القصد في المسئلة الاولى بيان جواز قتله مطلقاً
وهنا بيان وجوب قتله مطلقاً وقد اجبتنا هناك عن ترك النبي صلى الله عليه
وسلم قتله من اهل الكتاب والمشركين السايين وبينان ذلك انما كان في
اول الامر حين كان ما موراً بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بقتال الذين اوتوا
الكتاب حتى يعطوا الجزية ويجاهد الكفار والمنافقين وانه كان له ان يعفو عن
سبه لان هذه الجريمة غلب فيها حقه وبعد موته لا عافي عنها والله اعلم *

المسئلة الثالثة انه يقتل ولا يستتاب سواء كان مسلماً او كافراً
قال الامام احمد في رواية حنبل كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم ونقصه مسلماً
كان او كافراً فله القتل واري ان يقتل ولا يستتاب وقال كل من نقض العهد
واحدث في الاسلام حدثاً مثل هذا رأت عليه القتل ليس صلى هذا
اعطوا العهد والذمة وقال عبد الله سالت ابي عن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم يستتاب قال قد وجب عليه القتل ولا يستتاب خالد بن الوليد قتل
رجلاً شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستتابه هذا مع نصه انه مرتد ان كان
مسلماً وانه قد نقض العهد ان كان ذمياً واطلق في سائر اجوبته انه يقتل
ولم يامر فيه باستتابه هذا مع انه لا يختلف نصه ومذهبه ان المرتد المجرى يستتاب
ثلاثاً الا ان يكون ممن ولد على الفطرة فقد روي عنه انه يقتل ولا يستتاب
والمشهور عنه استتابه جميع المرتدين واتباع في استتابه ما صح في ذلك عن
عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابي موسى وغيرهم من الصحابة رضي الله
عنهم انهم امروا باستتابه المرتد في قضايا متفرقة وقد رها عمر رضي الله عنه

المسئلة الثالثة انه يقتل ولا يستتاب سواء كان مسلماً او كافراً

ثلاثاً وفسر الامام احمد قول النبي صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه
بانه المقيم على التبدل الثابت عليه فاذا تاب لم يكن مبدلاً وهو راجع بقول
قد اسلمت وهل استتابه المرتدوا جبة او مستحبة فيه عن الامام احمد روايتان
وكذلك الخرقى اطلق القول بان من قذف ام النبي صلى الله عليه وسلم قتل
مسليماً كان او كافراً واطلق ابو بكر انه يقتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك غيرهما مع انهم في المرتد يذكرون انه لا يقتل حتى يستتاب فان
تاب من السب بان يسلم او يعود الى الذمة ان كان كافراً او يعود الى الاسلام
ان كان مسلماً ويقطع عن السب فقال القاضي في (المجرد) وغيره من اصحابنا والردة
تتحصل بمجرد الشهادتين وبالتعرض بسب الله تبارك وتعالى وبسب النبي
صلى الله عليه وسلم الا ان الامام احمد قال لا تقبل توبة من سب النبي صلى الله
عليه وسلم لان المرة تلتحق النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك قال
ابن عقيل قال اصحابنا في سب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا تقبل توبته من
ذلك لما ندخل من المرة من السب على النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق
آدمي لم يعلم اسقاطه وقال القاضي في خلافه وانه ابو الحسين اذا سب
النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم تقبل توبته مسلماً كان او كافراً ويجعله
ناقضاً للعهد نص عليه احمد وذكر القاضي النصوص التي قد منها عن
الامام احمد في انه يقتل ولا يستتاب وقد وجب عليه القتل قال القاضي لان
حق النبي صلى الله عليه وسلم يتعلق به حقان حق لله وحق لآدمي
والعقوبة اذا تعلق بها حق لله وحق لآدمي لم تسقط بالتوبة كالحديث في المحاربة

فانه لو تاب قبل القدرة لم يسقط حق الآدمي من القصاص وسقط حق الله وقال ابو المواهب العكبري يجب لقذف النبي صلى الله عليه وسلم الحد المغلظ وهو القتل تاب او لم تب ذميا كان او مسلما وكذا لك ذكر جماعات آخرون من اصحابنا انه يقتل سباب النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقبل توبته سواء كان مسلما او كافرا ومرا دهم بانه لا تقبل توبته ان القتل لا يسقط عنه بالتوبة والتوبة اسم جامع للرجوع عن السب بالاسلام وبغيره فلذلك اتوا بها وارادوا انه لو رجع عن السب بالاسلام او بالاقلاع عن السب والعود الى الذمة ان كان ذميا لم يسقط عنه القتل لان عامة هؤلاء لما ذكروا هذه المسئلة قالوا خلا فالابي حنيفة والشافعي في قولهما ان كان مسلما يستتاب فان تاب والاقبل كالمتردد وان كان ذميا فقال ابو حنيفة لا ينتقض عهده واختلف اصحاب الشافعي فيه فلم ينهدوا اداوا بالتوبة توبة المتردد وهي الاسلام ولا منهم قد حكموا بانه متردد وقد صرحوا بان توبة المتردد ان يرجع الى الاسلام وهذا ظاهر فيه فان كل من ارتد بقول فتوبته ان يرجع الى الاسلام ويتوب من ذلك القول واما الذمي فان توبته لها صورتان . احدهما . ان يقطع عن السب ويقول لا اعود اليه وانا اعود الى الذمة والتزم موجب العهد . والثانية . ان يسلم فان اسلامه توبة من السب وكلا الصورتين تدخل في كلام هؤلاء الذين قالوا لا تقبل توبته مسلما كان او كافرا وان كانت الصورة الثانية ادخل في كلامهم من الاولى لكن اذا لم يسقط عنه القتل بتوبة هي الاسلام فان لا يسقط بتوبة هي العود الى الذمة اولى وانما كانت ادخل

لانه قد علم ان التوبة من المسلم انما هي الاسلام فكذلك من الكافر لانه كرم
 توبة الاثنين بلفظ واحد ولان تعليلهم بكونه حتى آدمي وقياسه على المحارب
 دليل على انه لا يسقط بالاسلام ولانهم قد صرحوا في مواضع يأتي بعضها
 ان التوبة من الكافر هنا اسلامه وقد صرح بذلك جماعة غيرهم فقال القاضي
 الشريف ابو علي بن ابي موسى في (الارشاد) وهو ممن يعتمد نقله ومن سب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستنب ومن سبه صلى الله عليه
 وسلم من اهل الذمة قتل وان اسلم . وقال ابو علي بن البناء في (الحصا
 والاقسام) له ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم وجب قتله ولا تقبل توبته
 وان كان كافرا فاسلم فالصحيح من المذهب انه يقتل ايضا ولا يستتاب . قال
 ومذهب مالك كذا هبتلو عامة هؤلاء لم يذكروا خلافا في وجوب قتل
 المسلم والكافر وانه لا يسقط بالتوبة من الاسلام وغيره وهذه طريقة
 القاضي في كتبه المتأخرة من التعليق الجديد وطريقته من وافقه وكان القاضي
 في (التعليق القديم) وفي (الجامع الصغير) يقول ان المسلم يقتل ولا تقبل توبته
 وفي الكافر اذا اسلم روايتان قال القاضي في الجامع الصغير الذي ضمنه مسائل
 التعليق القديم ومن سب ام النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم تقبل توبته
 فان كان كافرا فاسلم ففيه روايتان . احدها . يقتل ايضا . والثانية . لا يقتل
 ويستتاب قياسا على قوله في الساحر اذا كان كافرا لم يقتل وان كان مسلما قتل
 وكذلك ذكر من نقل من التعليق القديم مثل الشريف ابي جعفر قال اذا
 سب ام النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم تقبل توبته وفي الذي اذا سب

ام النبي صلى الله عليه وسلم روايتان ❦ احدهما ❦ يقتل ❦ والاخرى ❦ لا يقتل
قال وبهذا التفصيل قال مالك وقال اكثرهم تقبل توبته في الحالين ❦ لئانه
حد وجب كقذف آدمي فلا يسقط بالتوبة كقذف غير ام النبي صلى الله
عليه وسلم وكذلك قال ابو الخطاب في رؤس المسائل اذا قذف ام النبي
صلى الله عليه وسلم لا تقبل التوبة منه وفي الكافر اذا سبها ثم اسلم روايتان
وقال ابو حنيفة والشافعي تقبل توبته في الحالين ❦ لئانه حد وجب كقذف
آدمي فلا يسقط بالتوبة دليله قذف غير ام النبي صلى الله عليه وسلم وانما
ذكرت عبارة هؤلاء ليتبين ان مرادهم بالتوبة ههنا من الكافر الا سلام
ويظهر ان طريقهم بعينها هي طريقة ابن البناء في ان المسلم اذا سب لم تقبل توبته
وان الذي اذا سب ثم اسلم قتل ايضا في الصحيح من المذهب فان قيل فقد
قال القاضي في خلافه ❦ فان قيل ❦ اليس قد قلتم لو نقض العهد بغير سب النبي
صلى الله عليه وسلم مثل ان نقضه بمنع الجزية او قتل المسلمين او اذ يهتهم ثم
تاب قبلتم توبته وكان الامام فيه بالخيار بين اربعة اشياء كالخبري اذا حصل
اسير في ايدينا هلاقلتم في سب النبي صلى الله عليه وسلم اذا تاب منه كذلك
❦ قيل ❦ لان سب النبي صلى الله عليه وسلم قذف لمبت فلا يسقط بالتوبة كما
قذف ميناء وهذا من كلامه يدل على ان التوبة غير الا سلام لانه لو نقض
العهد بغير السب ثم اسلم لم يتخير الامام فيه ❦ قلنا ❦ لافرق في التخيير بين الاربعة
قبل التوبة التي هي الافلاع وبعده عند من يقول به وانما اراد المخالف
ان يقيس على صورة تشبه صور النزاع وهي الحكم فيه بعد التوبة اذا

كان قبل التوبة قد ثبت جواز قتله على ان توبة الذمي الناقض للعهد لها صورتان . احدهما . ان يسلم فان اسلامه توبة من الكفر وتوابه . والثانية . ان يرجع الى الذمة تائباً من الذنب الذي احدثه حتى انتقض عهد . فهذا توبة من نقض العهد فاذا تاب هذه التوبة وهو مقدور عليه جاز للامام ان يقبل توبته حيث يكون حكمه حكم الاسير كما ان الاسير اذا طلب ان تعقد له الذمة جاز ان يجاب الى ذلك فالزم المخالف القاضي على طريقته ان الناقض التائب من النقض يخير الامام فيه فملاخيرتموه في الساب اذا تاب توبة يمكن التخيير بعدها بان يقطع عن السب ويطلب عقد الذمة له ثانياً فلذلك قيل في هذه الصورة هلاخير الامام فيه بعد التوبة وان كان في صورة اخرى لا يمكن التخيير بعد توبة هي الاسلام وقد تقدم ذكر ذلك وقد قد منا ايضاً ان الصحيح انه لا يخير فيمن نقض العهد بما يضر المسلمين بحال وقد ظهر ان الرواية الاخرى التي حكوها في الفرق بين المسلم والكافر مخرجة من نصه على الفرق بين الساحر الكافر والساحر المسلم وذلك انه قد قال في الساحر الذمي لا يقتل ما هو عليه من الكفر اعظم واستدل بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل ليبيد بن اعصم لما سحره والساحر المسلم يقتل عنده لما جاء في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان وابن عمر وحفصة رضي الله عنهم من الاحاديث ووجه الترجيح ان ما الكافر عليه من الشرك اعظم مما هو عليه من السب والسحر فنسبة السب والسحر اليه واحدة بخلاف المسلم فاذا قتل الساحر المسلم دون الذمي فكذلك الساب

الذي دون المسلم لكن السب ينقض العهد فيجوز قتله لاجل نقض العهد
 فاذا اسلم امتنع قتله لنقض العهد وهو لا يقتل لخصوص السب كما لا يقتل
 لخصوص السج فبقي دمه معصوما وهو قد حكى هذه الرواية الخطابي عن
 الامام احمد نفسه فقال قال مالك بن انس من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
 من اليهود والنصارى قتل الا ان يسلم وكذا قال احمد بن حنبل وحكى
 آخرون من اصحابنا رواية عن الامام احمد ان المسلم تقبل توبته من السب
 بان يسلم ويرجع عن السب كذلك ذكر ابو الخطاب في (المداينة) ومن
 احتذى حذوه من متأخري اصحابنا في سب الله ورسوله من المسلمين
 هل تقبل توبته ام يقتل بكل حال روايتان فقد تلخص ان اصحابنا حكوا في
 السب اذا تاب ثلاث روايات • احداهن • يقتل بكل حال وهي التي
 نصرها كلهم ودل عليها كلام الامام احمد في نفس هذه المسئلة واكثر
 محققهم لم يذكرها سواها • والثانية • تقبل توبته مطلقا • والثالثة • تقبل
 توبة الكافر ولا تقبل توبة المسلم وثوبة الذي التي تقبل اذا قلنا بها ان
 يسلم فلما اذا اقلع وطلب عقد الذمة له ثانيا لم يعصم ذلك دمه رواية
 واحدة كما تقدم • وذكر ابو عبد الله السامري ان من سب النبي صلى الله
 عليه وسلم من المسلمين فهل تقبل توبته على روايتين قال ومن سبه من اهل الذمة
 قتل وان اسلم ذكره ابن ابي موسى فعلى ظاهر كلامه يكون الخلاف في المسلم
 دون الذي عكس الرواية التي حكاهما جماعة من الاصحاب وليس الامر
 كذلك فان ابن ابي موسى قال ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل

ولم يستتب ومن سبه من اهل الذمة قتل وان اسلم فلم يذكر خلافا في شيء من ذلك كما دل عليه المأثور عن الامام احمد وكتاب ابى عبد الله السامري تضمن نقل ابى الخطاب وقل ابن ابى موسى كما اقتضى شرطه ان تضمنه عدة كتب صفار فلما ذكر ما حكاه ابو الخطاب من الروايتين في المسلم وما ذكره ابن ابى موسى في الذمي اذا اسلم ظهر نوع خلل والافلا ريب ان قبلنا توبة المسلم باسلامه فتوبة الذمي باسلامه اولى فان كلما يفرض في الكافر من غلظ السب فهو في المسلم وزيادة فانها يشتر كان في اذى النبي صلى الله عليه وسلم وينفرد سب المسلم بانه يدل على زندقته وان سابه منافق ظهر تفاهه بخلاف الذمي فانه سب مستند الى اعتقاد وذلك الاعتقاد زال بالاسلام نعم وقد يوجه ما ذكره السامري بان يقال السب قد يكون غلطا من المسلم لا اعتقاد فاذا تاب منه قبلت توبته اذ هو عثرة لسان وسوء ادب او قلة علم والذمي سبه اذى محض لا ريب فيه فاذا وجب الحد عليه لم يسقط باسلامه كسائر الحدود وقد ينزع هذا الى قول من يقول ان السب لا يكون كفرا في الباطن الا ان يكون احتمالا لا هو قول مرغوب عنه كما سيأتي ان شاء الله تعالى * واعلم ان اصحابنا ذكروا انه لا تقبل توبته لان الامام احمد قال لا يستتاب ومن اصله ان كل من قبلت توبته فانه يستتاب كالمرئد ولهذا لما اختلفت الرواية عنه في الزنديق والساحر والكاهن والعراف ومن ارتد وكان مسلم الاصل هل يستتابون ام لا على روايتين فان قلنا لا يستتابون قتلوا بكل حال وان تابوا وقد صرح في رواية عبد الله بان من سب النبي صلى الله عليه وسلم قد وجب عليه القتل ولا يستتاب فبين

ان القتل فد وجب وما وجب من القتل لم يسقط بحال. يؤتد هذا انه قد قال
في ذمى فجر بمسلمة يقتل قيل له فان اسلم قال يقتل هذا قد وجب عليه فتبين
ان الاسلام لا يسقط القتل الواجب وقد ذكر في الساب انه قد وجب عليه
القتل. وايضاً فانه اوجب على الزاني بمسلمة بعد الاسلام القتل الذي وجب
عقوبة على الزنا بمسلمة حتى انه يقتله سواء كان حراً او عبداً او محصناً او غير
محصن كما قد نص عليه في مواضع ولم يسقط ذلك القتل بالاسلام ويوجب
عليه مجرد حد الزنا لانه ادخل على المسلمين من الضرر والمعرفة ما وجب قتله
ونقض عهده فاذا اسلم لم تزل عقوبة ذلك الاضرار عنه كما لا تزل عنه
عقوبة قطعه للطريق لو اسلم ولم يحزان يقال هو بعد الاسلام كسلم فعل
ذلك يفعل به ما يفعل بالمسلم لان الاسلام يمنع ابتداء العقوبة ولا يمنع
دوامها لان الدوام اقوى كما لو قتل ذمى ذمياً ثم اسلم قتل ولو قتله وهو
مسلم لم يقتل ولهذا ينتقض عهد الذمى باشياء مثل الزنا بالمسلمة وان لم يكن
محصناً وقيل اي مسلم كان والتجسس للكفار وقتال المسلمين والحاق بدار
الحرب وان كان المسلم لا يقتل بهذه الاشياء على الاطلاق فاذا وجب قتل
الذمى بها عيناً ثم اسلم كان كما لو وجب قتله بذمى ثم اسلم اذ لا فرق بين ان
يجب عليه حد لا يجب على المسلم فيسلم او يجب عليه قصاص لا يجب على المسلم
فيسلم فان القصاص في اندرائه بالاسلام كالحدد وهو يسقط بالشبهة
فكما يمنع الاسلام ابتداءه دون دوامه فكذلك العقوبات الواجبة على
المعاهد وهذا ينبنى على قولنا يتعين قتل الذمى اذا فعل هذه الاشياء

وان لخصوص هذه الجنايات اثر في قتله وراه كونه كافرا غير ذي عهد يقتضى ان قتله حد من الحد ودا التي تجب على اهل دار الاسلام من مسلمو معاهد ليس بمنزلة رجل من اهل دار الحرب اخذ اسيرا اذ ذاك المقصود بقتله تطهير دار الاسلام من فساد هذه الجنايات وحسم مادة جناية المعاهدين و اذا كان قد نص على ان لا تزول عنه عقوبة ما دخله على المسلمين من الضرر في زناه بالمسلمة فان لا تزول عنه عقوبة اضراره بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لان ما يلحق المسلمين من المضرّة في دينهم بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما يلحق بالزنا بمسلمة اذا اقيم على الزنا في الحد ونصه هذا يدل على ان الذي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم او سبه ثم اسلم قتل بذلك ولم يقيم عليه مجرد حد قذف واحد من الناس وهو ثمانون او سب واحد من الناس وهو التعزير كما انه لم يوجب على من زنى بمسلمة اذا اسلم حد الزنا وانما اوجب القتل الذي كان واجبا على الرواية الاخرى التي خرجها القاضي في كتبه القديمة ومن اتبعه فان الذي يستتاب من السب فان تاب والقتل وكذلك يستتاب المسلم على الرواية التي ذكر ابو الخطاب وغيره كما يستتاب الزنديق والساحر ولم اجد للاستتاب في كلام الامام احمد اصلا فاما استتابه المسلم فظاهره كما استتابه من اراد بكلام تكلم به واما استتابه الذي فان يدعى الى الاسلام فاما استتابه بالعود الى الذمة فلا يكفي على المذهب لان قتله متعين فاما على الوجه المضطرب الذي يقال فيه ان الامام يخبر فيه فيشرع استتابته بالعود الى الذمة لان اقراره بها جائز بعد هذا لكن لا تجب هذه الاستتابه رواية

واحدة وان اوجبت الاستتابة بالاسلام على احدى الروايتين واملح الرواية التي ذكرها الخطابي فانه اذا اسلم الذي سقط عنه القتل مع انه لا يستتاب كالاسير الحربي وغيره من الكفار يقتلون قبل الاستتابة ولو اسلموا سقط عنهم القتل وهذا الوجه من قول من يقول بالاستتابة فان الذي اذا تقضى العهد جاز قتله لكونه كافرا محاربا وهذا لا يجب استتابة بالانفاق اللهم الا ان يكون على قول من يوجب دعوة كل كافر قبل قتاله فاذا اسلم جاز ان يقال عصم دمه كالحربي الاصل بخلاف المسلم فانه اذا قبلت توبته فانه يستتاب ومع هذا فمن قبل توبته فقد يجوز استتابة كما يجوز استتابة الاسير لانه من جنس دعاء الكافر الى الاسلام قبل قتله لكن لا يجب لكن المنصوص عن اصحاب هذا القول انه لا يقال له اسلم ولا لتسلم لكن اذا اسلم سقط عنه القتل فيلخص من ذلك انها لا يستتابان في المنصوص المشهور فان تابا لم تقبل توبتهما في المشهور ايضا وحكى عنه في الذي انه اذا اسلم سقط عنه القتل وان لم يستتب وحكى عنه ان المسلم يستتاب وتقبل توبته وخرج عنه في الذي انه يساب وهو بعيد واعلم انه لا فرق بين سبه بالقذف وغيره كما نص عليه الامام احمد وعامة اصحابه وعامة العلماء وخرق الشيخ ابو محمد المقدسي رحمه الله بين القذف والسب فذكر الروايتين في المسلم وفي الكافر في القذف ثم قال وكذا لك سبه بغير القذف الا ان سبه بغير القذف يسقط بالاسلام لان سب الله تعالى يسقط بالاسلام فسب النبي صلى الله عليه وسلم اولي سبأتى ان شاء الله تعالى تحريرو ذلك اذا ذكر بانواع السب فهذه المذهب الامام احمد

• واما مذهب مالك رضى الله عنه فقال مالك في رواية ابن القاسم ومطرف
 ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستنب قال ابن القاسم من سبه او شتمه
 او عابه او تنقصه فانه يقتل كالزندقى • وقال ابو مصعب وابن ابي اويس سمعنا
 مالكا يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل
 مسلما كان او كافرا ولا يستتاب • وكذا قال محمد بن عبد الحكم اخبرنا
 اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
 مسلما كان او كافرا قتل ولم يستنب قال وروى لنا مالك الا ان يسلم
 الكافر قال اشهب عنه من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر
 قتل ولم يستنب • فهذه نصوصه نحو من نصوص الامام احمد و المشهور من
 مذهبه انه لا تقبل توبة المسلم اذا سب النبي صلى الله عليه وسلم وحكمه
 حكم الزندقى عندهم ويقتل عندهم حدا لا كفرا اذا اظهر التوبة من السب
 وروى الوليد بن مسلم عن مالك انه جعل سب النبي صلى الله عليه وسلم
 ردة قال اصحابه فلي هذا يستتاب فان تاب نكل وان ابي قتل ويحكم له
 بحكم المرتد واما الذى اذا سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فهل يدبر
 عنه الاسلام القتل على روايتين ذكرهما القاضى عبد الوهاب وغيره احدهما
 يسقط عنه قال مالك في رواية جماعة منهم ابن القاسم من شتم نبيا من اهل
 الذمة او احدا من الانبياء قبل الا ان يسلم وفي رواية لا يقال له اسلم ولا
 لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة • وفي رواية مطرف عنه من سب
 النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين او احدا من الانبياء او اتقصه قتل وكذلك

من فعل ذلك من اليهود والنصارى قتل ولا يستتاب إلا ان يسلم قبل القتل * قال ابن حبيب وسمعت ابن الماجشون يقول له وقال لي ابن عبد الحكم وقال لي اصبح عن ابن القاسم فعلى هذه الرواية قال ابن القاسم قال مالك ان شتم النصراني النبي صلى الله عليه وسلم شتم يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب * قال ابن القاسم ومحمد قوله عندي ان اسلم طائعا وعلى هذا فاذا اسلم بعد ان يؤخذ وثبت عليه السب ويعلم انهم يريدون قتله ان لم يسلم لا يسقط عنه القتل لانه مكره في هذه الحال * والرواية الثانية لا يد راعنه اسلامه القتل * قال محمد بن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي باسلامه وانما تسقط عنه باسلامه جد ود الله فاما حد القذف فحد للعباد كان ذلك من نبي او غيره * واما مذهب الشافعي رضي الله عنه فلم في سب النبي صلى الله عليه وسلم وجهان * احدهما هو كالمرتد اذا تاب سقط عنه القتل وهذا قول جماعة منهم وهو الذي يحكيه اصحاب الخلاف عن مذهب الشافعي * والثاني * ان جد من سبه القتل فكما لا يسقط حد القذف بالتوبة لا يسقط القتل الواجب بسب النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة قالوا ذكر ذلك ابو بكر الفارسي وادعى فيه الاجماع ووافقه الشيخ ابو بكر القفال * وقال الصيدلاني قولنا لثاوه هو ان الساب بالقذف مثلا يستوجب القتل للردة لا للسب فان تاب زال القتل الذي هو موجب الردة وجلده ثمانين لا قذف وعلى هذا الوجه لو كان السب غير قذف عزر بحسبه * ثم منهم من ذكر هذا الخلاف في المسلم اذا سب ثم اسلم ولم يتعرض للكلام في الذمي

اذا سب ثم اسلم . ومنهم من ذكر الخلاف في الذمي كالخلاف في المسلم اذا
 جدد الاسلام بعد السب . ومنهم من ذكر في الذمي اذا سب ثم اسلم انه
 يسقط عنه القتل وهو الذي حكاه اصحاب الخلاف عن مذهب الشافعي وعليه يدل
 عموم كلام الشافعي في موضع من (الام) فانه قال بعد ان ذكر نواقض العهد وذكر فيها
 سب النبي صلى الله عليه وسلم وايهم قال او فعل شيئا مما وصفته نقضا للعهد واسلم
 لم يقتل اذا كان ذلك قولاً وكذا اذا كان فعلاً لم يقتل الا ان يكون
 في دين المسلم ان من فعله قتل حدا او قصاصاً فيقتل بحدا او قصاص
 لا نقض عهد وان فعل مما وصفنا وشرط انه نقض لعهد الذمة فلم يسلم
 ولكنه قال اتوب واعطى الجزية كما كتبت اعطيها او على صلح اجدده
 عوقب ولم يقتل الا ان يكون فعل فعلاً يوجب القصاص او القود
 فاما ما دون هذا من الفعل او القول فكل قول فيعاقب عليه ولا يقتل قال
 فان فعل او قال مما وصفنا وشرط انه يحل دمه فظفرنا عليه فامتنع من ان
 يقول اسلم او اعطى الجزية قتل واخذ ماله فيثا فقد ذكر ان من نقض العهد
 فانه تقبل ثوبته اما بان يسلم او بان يعود الى الذمة . وذكر الخطابي قال قال
 مالك بن انس من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى قتل الا
 ان يسلم . وكذلك قال احمد بن حنبل . وقال الشافعي يقتل الذمي اذا سب
 النبي صلى الله عليه وسلم وتبرأ منه الذمة واحتج في ذلك بخبر كعب بن
 الاشرف وظاهر هذا القتل والاستدلال يقتضي ان لا يكف عنه اذا ظهر
 التوبة لانه لم يحك عنه شيئاً ولان ابن الاشرف كان مظهر للذمة مجيباً الى

❁ فصل في بيان استتابة المسلم وقبول توبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم ❁

أظهار التوبة لو قبلت منه والكلام في فصلين ❁ واحد هما ❁ في استتابة المسلم وقبول توبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا أن المشهور عن مالك وأحمد أنه لا يستتاب ولا تسقط القتل عنه توبته وهو قول الليث بن سعد.. وذكر القاضي عياض أنه المشهور من قول السلف وجمهور العلماء وهو أحد الوجهين لأصحاب الشافعي.. وحكى مالك وأحمد أنه يقبل توبته وهو قول الإمام أبي حنيفة وأصحابه وهو المشهور من مذهب الإمام الشافعي بناء على قبول توبة المرتد فتكلم أولاً في قبول توبته والذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين أنه يقبل توبة المرتد في الجملة وروى عن الحسن البصري أنه يقتل وإن أسلم جعله كالزاني والسارق.. وذكر عن أهل الظاهر نحوه ذلك أن توبته تنفعه عند الله ولكن لا يدرأ القتل عنه.. وروى عن أحمد أن من ولد في الإسلام قتل ومن كان مشركاً فأسلم استتيب.. وكذلك روى عن عطاء وهو قول أصحاب بن راهويه والمشهور عن عطاء وأحمد الاستتابة مطلقاً وهو الصواب.. ووجه عدم قبول التوبة قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه روى البخاري ولم يستثن ما إذا تابوا قال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بأحدى ثلاث الشبب الزاني وللنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة متفق عليه.. فإذا كان القاتل والزاني لا يسقط عنها القتل بالتوبة فكذلك التارك لدينه المفارق للجماعة.. وعن حكيم بن جماعة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه روى الإمام

احمد ولانه لا يقتل لمجرد الكف والمخاربة لانه لو كان كذ لك لما قتل المترهب
والشيخ الكبير والاعمى والمقعذ والمرأة ونحوهم فلما قتل هؤلاء علم ان الردة
حد من الحدود والحدود لا تسقط بالتوبة والصواب ما عليه الجماعة لان الله
سبحانه وتعالى قال في كتابه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين الى قوله
تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فاخبرانه
غفور رحيم لمن تاب بعد الردة وذلك يقتضى مغفرته له في الدنيا
والآخرة ومن هذا حاله لم يعاقب بالقتل بين ذلك ما رواه الامام احمد قال
حدثنا علي بن عاصم عن داود بن ابى هند عن عكرمة عن ابن عباس ان
رجلا من الانصار ارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين فانزل الله تعالى
كيف يهدي الله قوما كفروا الى آخر الآية فبعث بها قومه اليه فرجع
تائبا فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه وخلي عنه ورواه النسائي من
حديث داود مثله وقال الامام احمد ثنا علي بن خالد عن عكرمة بمعناه
وقال والله ما كذبني قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كذب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الله والله اصدق الثلاثة فرجع تائبا
فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه وخلي عنه وقال ثنا حجاج عن
ابن جريج حدثنا عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله تعالى كيف
يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق في ابى
عاصم بن النعمان ووحوش بن الامت والحارث بن سويد بن الصامت

في اثني عشر رجلاً رجعوا عن الاسلام ولحقوا بقريش ثم كتبوا الى
اهليهم هل لنا من توبة فنزلت الا الذين تابوا من بعد ذلك في الحارث بن
سويد بن الصامت و قال ثعابد الرزاق انا جعفر عن حميد عن مجاهد قال
جاء الحارث بن سويد فاسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحارث
فرجع الى قومه فانزل الله فيه القرآن كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
ايمانهم الى قوله غفور رحيم قال فحملها اليه رجل من قومه فقراً ها عليه
فقال الحارث والله انك ما علمت لصادق وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا صدق منك وان الله لا صدق الثلاثة قال فرجع الحارث
فاسلم فحسن اسلامه و كذلك ذكر غير واحد من اهل العلم انها نزلت
في الحارث بن سويد و جماعة ارتدوا عن الاسلام و خرجوا من المدينة
كهيئة البدء ولحقوا بمكة كفاراً فانزل الله فيهم هذه الآية فندم الحارث
وارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي توبة
ففعلوا ذلك فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله
غفور رحيم فحملها اليه رجل من قومه فقراً ها عليه فقال الحارث انك
والله ما علمت لصادق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدق منك
وان الله عز وجل لا صدق الثلاثة فرجع الحارث الى المدينة واسلم
وحسن اسلامه فهذا رجل قد ارتد ولم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم
بعد عوده الى الاسلام ولان الله تعالى قال في اخباره عن المنافقين ابالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزؤون لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نغف عن

طائفة منكم تعذب طائفة فدل على ان الكافر بعد ايمانه قد يعني عنه وقد يعذب
وانما يعني عنه اذا تاب فعلم ان توبته مقبولة * وذكر اهل التفسير انهم كانوا
جماعة وان الذي تاب منهم رجل واحد يقال له محشي بن حير وقال
بعضهم كان قد انكر عليهم بعض ما سمع ولم يما لهم عليه وجعل يسير مجازاتهم
فلما نزلت هذه الآيات برئ من نقاه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تفرعيني
تتشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم فا جعل و فاتي قتلا في سبيك
وذكروا القصة * وفي الاستدلال بهذا نظره * ولانه قال تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الى قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهو بما لم ينالوا وما تقموا الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان يتوبوا اليك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا
اليماني الدنياء والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير * وذلك دليل
على قبول توبة من كفر بعد اسلامه وانهم لا يعذبون في الدنيا ولا في الآخرة
عذابا باليما يفهم الشرط ومن جهة التعليل والسياق الكلام والقتل عذاب
اليم * فعلم ان من تاب منهم لم يعذب بالقتل ولان الله سبحانه قال من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا
على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين * اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون * لا جرم انهم في الآخرة
هم الخاسرون * ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا

وصبروا ان ربك من بعد هالنفور رحيم • فبين ان الذين هاجروا الى دار الاسلام بعد ان فتنوا عن دينهم بالكفر بعد الاسلام وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم ويرحمهم ومن غفر له ذنبه مطلقا لم يعاقبه في الدنيا ولا في الآخرة وقال سفهان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة خرج ناس من المسلمين يعني من المهاجرين فادركهم المشركون ففتنوا فاعطوهم الفتنة فترلت فيهم ومن الناس من يقول آمانا به فاذا اودى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الآية ونزل فيهم من كفر بالله من بعد ايمانه الآية • ثم انهم خرجوا مرة اخرى فانقلبوا حتى اتوا المدينة فانزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الى آخر الآية • ولانه سبحانه قل ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة • فعلم ان من لم يمت وهو كافر من المرتدين لا يكون خالدا في النار • وذلك دليل على قبول التوبة وصحة الاسلام فلا يكون تاركا له به فلا يقتل ولعموم قوله تعالى فاذا انسلكوا اشهر الحرم فاقتلوا المشركين الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم • فان هذا الخطاب عام في قتال كل مشرك وتخليه سبيله اذا تاب من شركه واقام الصلاة وآتى الزكاة سواء كان مشركا اصليا او مشركا مرتدا • وايضا فان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان قد ارتد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولحق بمكة وافترى على الله ورسوله ثم انه بعد ذلك بايعه النبي صلى الله عليه وسلم وحقن دمه وكذلك الحارث بن سويد وكذلك جماعة من اهل مكة اسلموا ثم ارتدوا ثم عادوا الى الاسلام فحقت

دماؤهم وقصص هؤلاء وغيرهم مشهورة عند اهل العلم بالحديث والسيرة
 وايضاً فالاجماع من الصحابة رضي الله عنهم على ذلك فان النبي صلى الله عليه
 وسلم لما توفي ارتد اكثر العرب الا اهل مكة والمد ينقبوا الطائف واتبع قوم
 من تبأ لهم مثل مسيلة و القنسي و طليحة الاسدي فقاتلهم الصديق وسائر
 الصحابة رضي الله عنهم حتى رجع اكثرهم الى الاسلام فاقروهم على ذلك
 ولم يقتلوا واحداً من رجع الى الاسلام ومن رؤس من كان قد ارتد ورجع طليحة
 الاسدي المتنبى والاشعث بن قيس وخلق كثير لا يحصون والعلم بذلك
 ظاهر لا يخفى عليه على احد وهذه الرواية عن الحسن فيها نظر فان مثل هذا
 لا يخفى عليه ولعله اراد نوعاً من الردة كظهور الزندقة ونحوها او قائل
 ذلك في المرتد الذي ولد مسلماً ونحو ذلك مما قد شاع فيه الخلاف ولما قوله
 صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه فنقول بوجبه فانما يكون مبدلاً
 اذا دام على ذلك واستمر عليه فاما اذا رجع الى الدين الحق فليس بمبدل
 وكذلك اذا رجع الى المسلمين فليس بتارك لدينه مفارق للجماعة بل هو
 متمسك بدينه ملازم للجماعة وهذا بخلاف القتل والارتداد فان فعل صدر عنه
 لا يمكن دوامه عليه بحيث اذا تركه يقال انه ليس بزياني ولا عاتلي فمضى وجد
 منه ترك بحد عليه وان عزم على ان لا يعود اليه لان العزم على ترك العود
 لا يقطع مفسدة ماضى من الفعل على ان قوله التارك له بينه المفارق للجماعة
 قد يفسر بالمخاربات قاطع الطريق كذلك رواه ابو داود في سننه مفسراً عن
 عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحمل دم امرئ

مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله الا باحدى ثلاث رجل
 زنى بعد احصان فانه يرجم ورجل خرج محارباً لله ورسوله فانه يقتل او يصلب
 او ينفى من الارض او يقتل نفساً فيقتل بها . فهذا المستثنى هو المذكور في
 قوله التارك لدينه المفارق للجماعة ولهذا وصفه بفراق الجماعة وانما يكون
 هذا بالمحاربة ويؤيد ذلك ان الحديثين تضمننا انه لا يحل دم من يشهد ان
 لا اله الا الله وان محمداً رسول الله والمرتب لم يدخل في هذا العموم فلا حاجة
 الى استثنائه وعلى هذا فيكون ترك دينه عبارة عن خروجه عن موجب
 الدين ويفرق بين ترك الدين وتبديله او يكون المراد به من ارتد وحارب
 كالعربيين ومقيس بن صباية ممن ارتد وقتل واخذ المال فان هذا يقتل بكل
 حال ان تاب بعد القدرة عليه ولهذا والله اعلم استثنى هؤلاء الثلاثة الذين
 يقتلون بكل حال وان اظهروا التوبة بعد القدرة ولو كان اريد
 المرتد المجرد لما احتج الى قوله المفارق للجماعة فان مجرد الخروج من
 الدين يوجب القتل وان لم يفارق جماعة الناس فهذا الوجه يحتمله
 الحديث وهو والله اعلم مقصود هذا الحديث . واما قوله لا يقبل الله توبة
 عبد اشرك بعد اسلامه فقد رواه ابن ماجه من هذا الوجه ولفظه لا يقبل الله
 من مشرك اشرك بعد اسلامه عملاً حتى يفارق المشركين الى المسلمين . وهذا دليل
 على قبول اسلامه اذا رجع الى المسلمين وبيان ان معنى الحديث ان توبته
 لا تقبل مادام مقبلاً في المشركين مكث السواد هم كمال الذين قتلوا
 بيدرو معناه ان من اظهر الاسلام ثم قتل عن دينه حتى ارتد فانه لا تقبل

توبته وعمله حتى يهاجر الى المسلمين وفي مثل هو لا نزل قوله تعالى ان
الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم الآية وايضاً فان ترك الدين وتبديله
وفراق الجماعة يدوم ويستمر لانه تابع للاعتقاد والاعتقاد دائم فمتى قطعه
وتركه عاد كما كان ولم يبق للمضى حكم اصلاً ولا فيه فساد ولا يجوز ان
يطلق عليه القول بانه مبدل للدين ولانه نارك لانه كما يطلق على الزاني
والقاتل بان هذا زان وقاتل فان الكافر بعد اسلامه لا يجوز ان يسمى كافراً
عند الاطلاق ولان تبدل الدين وتركه في كونه موجبا للقتل بمنزلة الكفر
الاصلى والحراب في كونها كذلك فاذا كان زوال الكفر بالاسلام اوزوال
المحاربة بالهدى يقطع حكم الكفر فكذلك زوال تبدل الدين وتركه بالعود
الى الدين واخذه يقطع حكم ذلك التبدل والترك *

☆ فصل ☆

لذا اتقرر ذلك فان الذى عليه جماهير اهل العلم ان المرتد يستتاب ومذهب
مالك واحمد انه يستتاب ويؤجل بعد الاستتابة ثلاثة ايام وهل ذلك
واجب او مستحب على روايتين عنهما اشهرهما عنهما ان الاستتابة واجبة وهذا
قول اسحاق بن راهويه * وكذلك مذهب الشافعى هل الاستتابة واجبة
او مستحبة على قولين لكن عنده في احد القولين يستتاب فان تاب في الحال
والا قتل وهو قول ابن المنذر والمزني وفي القول الآخر يستتاب كذهب
مالك واحمد * وقال الزهرى وابن القاسم في رواية يستتاب ثلاث مرات
ومذهب ابى حنيفة انه يستتاب ايضاً فان لم يتب والاقول والمشهور

☆ فصل في ان الاستتابة للمرتد واجبة او مستحبة او غير ذلك ☆

عندهم ان الاستتابة مستحبة * وذكر الطحاوي عنهم لا يقتل المرتد حتى يستتاب
وعندهم يعرض عليه الاسلام فان اسلم والاقتل مكانه الا ان يطلب ان يؤجل
فانه يؤجل ثلاثة ايام * وقال الثوري يؤجل ما رجيت توبته وكذا لك معنى
قول النخعي * وذهب عبيد بن عمير وطاوس الى انه يقتل ولا يستتاب لانه
صلى الله عليه وسلم امر بقتل المبدل دينه والتارك لدينه المارق للجماعة
ولم يأمر باستتابته كما امر الله سبحانه بقتال المشركين من غير استتابة مع انهم
لو تابوا لكفنا عنهم * يؤيد ذلك ان المرتد اغلظ كفرا من الكافر الاصل فاذ
جاز قتل الاسير الحربي من غير استتابة فقتل المرتد اولى * وسر ذلك ان الانبياء
قتل كافر حتى نستتبه بان يكون قد بلغه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فان قتل من لم يبلغه الدعوة غير جائز والمرتد قد بلغه الدعوة
فجاز قتله كالكافر الاصل الذي بلغته وهذا هو علمه من رأى الاستتابة مستحبة
فان الكفار يستحب ان ندعوهم الى الاسلام عند كل حرب وان كانت
الدعوة قد بلغتهم فكذلك المرتد ولا يجب ذلك فيها * نعم لو فرض
المرتد من يخفى عليه جواز الرجوع الى الاسلام فان الاستتابة هنا لا بد منها
ويدل على ذلك ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى يوم فتح مكة
دم عبد الله بن سعد بن ابي سرح ودم مقيس بن صباية ودم عبد الله بن
خطل وكانوا مرتدين ولم يستشبههم بل قتل ذاك الرجلان وتوقف صلى الله
عليه وسلم عن مبايعة ابن ابي سرح لعل بعض المسلمين يقتله فلم ين قتل
المرتد جائز ما لم يسلم وانه لا يستتاب * وايضا فان النبي صلى الله عليه وسلم

عاقب العرتين الذين كانوا في القاح ثم ارتدوا عن الاسلام بما اوجب موتهم
ولم يستنهم ولا نه فعل شيئاً من الاسباب المبيحة للدم فقتل قبل استتابته
كالكافر الاصلي وكالزاني وكقاطع الطريق ونحوهم فان كل هؤلاء من قبلت
توبته ومن لم يقبل يقتل قبل الاستتابة ولان المرتد لو امتنع بان يلحق بدار
الحرب او بان يكون المرتد ون ذوى شوكة يمتنعون بها عن حكم الاسلام
فانه يقتل قبل الاستتابة بلا تردد فكذلك اذا كان في ايدينا * وحجة من
رأى الاستتابة املا واجبة او مستحبة قوله سبحانه وتعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * امر الله رسوله ان يخبر جميع الذين كفروا
انهم ان انتهوا غفر لهم ما سلف وهذا معنى الاستتابة والمرتد من الذين
كفروا والامر للجواب * فلم * ان استتابة المرتد واجبة ولا يقال فقد
بلغهم عموم الدعوة الى الاسلام لان هذا الكفر اخص من ذلك الكفر
فانه يوجب قتل كل من فعله ولا يجوز استبقاؤه وهو لم يستتب من هذا
الكفر . وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم بعث بالتوبة الى الحارث بن
سويد ومن كان قد ارتد معه الى مكة كما قد مناه بعد ان كانت قد نزلت
فيهم آية التوبة فيكون استتابته مشروعة ثم ان هذا الفعل منه خرج امثالاً
للامر بالدعوة الى الاسلام والابلاغ لديه فيكون واجباً . وعن جابر
رضي الله عنه ان امرأة يقال لها ام مروان ارتدت عن الاسلام فامر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يعرض عليها الاسلام فان رجعت والاقتلت .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت ارتدت امرأة يوم احد فامر النبي صلى الله

عليه وسلم ان تستتاب فان تابت والا قتلت رواها الدارقطني . وهذا
ان صح امر بالاستتابة والامر للوجوب والعمدة فيه اجماع الصحابة عن
محمد بن عبد الله بن عبد القاري قال قدم علي عمر بن الخطاب رجل من
قبل ابي موسى الاشعري فسأله عن الناس فاخبره ثم قال هل من مغربة
خبر قال نعم رجل كفر بعد اسلامه قال فما فعلتم به قال قربناه فضر بنا عنقه
قال عمر فملا حبسهم ثلاثا واطعمهم كل يوم رغيفا واستبتموه لعله يتوب
ويرجع الى امر الله اللهم اني لم احضر ولم امر ولم ارض اذ بلغني رواه مالك
والشافعي واحمد وقال اذهب الى حديث عمر وهذا يدل على ان
الاستتابة واجبة والالم يقل عمر لم ارض اذ بلغني . وعن انس بن مالك
قال لما افتمتونا تستر بعثني الاشعري الى عمر بن الخطاب فلما قدمت عليه قال
ما فعل البكريون قال فلما رأته لا بقاع قلت يا امير المؤمنين ما فعلوا انهم قتلوا
ولحقوا بالشركين ارندها عن الاسلام قاتلوا مع المشركين حتى قتلوا قال
فقال لان اكون اخذتهم سلما كان احب الي مما لي وجه الارض من صفراء
او بيضاء وقال فقلت وما كان سييلهم لو اخذتهم سلما قال كنت اعرض
عليهم الباب الذي خرجوا منه فان ابوا استودعهم الحبس . وعن عبد الله
ابن عتبة قال اخذ ابن مسعود قوما ارتدوا عن الاسلام من اهل العراق
قال فكتب فيهم الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فكتب اليه ان اعرض
عليهم دين الحق وشهادة ان لا اله الا الله فان قبلوا فخل عنهم وان
لم يقبلوا فاقتلهم فقبل بعضهم فتركة ولم يقبلها بعضهم فقتله . رواها الامام

احمد بسند صحيح . وعن العلاء ابى محمد ان عليا رضى الله تعالى عنه اخذ رجلا من بنى بكر بن وائل قد تنصر فاستتابه شهرا فابى فقدمه ليضرب عنقه فنادى بالبكر فقال علي اما انتك واجده امامك في النار رواه الحلال وصاحبه ابو بكر . وعن ابى موسى انه اتى برجل قد ارتد عن الاسلام فدعا عشرين ليلة او قريبا منها فجاء معاذ فدعا فابى فضرب عنقه رواه ابو داود . وروى من وجه آخر ان اباموسى استتابه شهرا اذ كره الامام احمد . وعن رجل عن ابن عمر قال يستتاب المرتد ثلاثا رواه الامام احمد . وعن ابى وائل عن ابى معين السعدى قال مرت في السمر بمسجد بنى حنيفة وهم يقولون ان مسيلة رسول الله فاثبت عبد الله فاخبرته فبعث الشرط فجاءوا بهم فاستتابهم فتابوا فغلى سيولهم وضرب عنق عبد الله ابن النواحة فقالوا احدث قوم في امر فقتلت بعضهم وترك بعضهم فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد م اليه هذا و ابن اثال فقال اتشهد ان اتى رسول الله فقالا اتشهدان ان مسيلة رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بالله ورسوله ولو كنت قاتلا وفدا لقتلتكما قال فلذلك قتلته رواه عبد الله بن احمد باسناد صحيح . فهذه اقوال الصحابة في قضايا متعددة لم ينكرها منكر فصارت اجماعا والفرق بين هذا وبين الكافر الاصل من وجوه . احدها ان توبة هذا اقرب لان المطلوب منه اعادة الاسلام والمطلوب من ذلك ابتداء والا عادة اسهل من الابتداء فاذا اسقط عنا استتابة الكافر لصعوبتها لم يلزم سقوط استتابة المرتد

الفرق بين المرتد وبين الكافر الاصل

٠ الثاني ٠ ان هذا يجب قتله عينا وان لم يكن من اهل القتال وذاك لا يجوز ان يقتل الا ان يكون من اهل القتال ويجوز استبقاؤه بالايمان والهدنة والذمة والارفاق والمن والقداء فاذا كان حده اغلظ فلم يقدم عليه الا بعد الاعذار اليه بالاستتابة بخلاف من يكون جزاؤه دون هذا ٠ الثالث ٠ ان الاصل قد بلغت الدعوة وهي استتابة عامة من كل كفر واما هذا فانما نستتبه من التبديل وترك الدين الذي كان عليه ونحن لم نصرح له بالاستتابة من هذا ولا بالدعوة الى الرجوع ٠ واما ابن ابي سرح وابن خطل ومقيس بن صباة فانه كانت لهم جرائم زائدة على الردة وكذلك العريون فان اكثر هؤلاء قتلوا مع الردة واخذوا الاموال فصاروا قطاع الطريق محاربين لله ورسوله وفيهم من كان يؤذي بلسانه اذى صار به من جنس المحاربين فلذلك لم يستتابوا على ان الممتنع لا يستتاب وانما يستتاب المقدور عليه ولعل بعض هؤلاء قد استتب فنكل ٠

﴿ فصل ﴾

ذكرنا حكم المرتد اسطر ادالان الكلام في الساب متعلق به تعلقا شديدا فمن قال ان ساب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين يستتاب قال انه نوع من الكفر فان من سب الرسول اوجحد نبوته او كذب بآية من كتاب الله او هود او نصر ونحو ذلك كل هؤلاء قد بدلوا دينهم وتركوه وفارقوا الجماعة فيستتابون وتقبل توبتهم كغيرهم ٠ يوهيد ذلك ان في كتاب ابي بكر رضي الله عنه الى المهاجر في المرأة السابة ان حد الانبياء ليس يشبه

فصل في متعلقان احكام المرتد انما

الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو محرم قد اؤمعاهد فهو محارب غادر .
وعن ابن عباس رضي الله عنه ائنا مسلم سب الله او سب احدا من الانبياء
فقد كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب منها فان رجع
والا قتل . والاعمى الذي كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم كان
ينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر فقتلها بعد ذلك فان كانت مسلمة فلم
يقتلها حتى استتابها وان كانت ذمية وقد استتابها فاستتابه المسلم اولى وايضا .
فاما ان يقتل الساب لكونه كفر بعد اسلامه او لخصوص السب والثاني
لا يجوز لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان
لا اله الا الله الا باحدى ثلاث كفر بعد اسلام اوزنا بعد احصائ
او قتل نفس فيقتل بها . وقد صح ذلك عنه من وجوه متعددة وهذا الرجل
لم يزن ولم يقتل فان لم يكن قتله لاجل الكفر بعد الاسلام امتنع قتله فثبت
انه انما يقتل لانه كفر بعد اسلامه وكل من كفر بعد اسلامه فان توبته تقبل
لقوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية ولما تقدم من الأدلة الدالة على قبول توبة
المرتد . وايضا فعموم قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينشروا يغفر لهم
ما قد سلف . وقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله والاسلام يهدم
ما كان قبله رواه مسلم يوجب ان من اسلم غفر له كل ما مضى . وايضا
فان المنافقين الذين نزل فيهم قوله تعالى ومنهم الذين هو ذون النبي ويقولون
هو اذن قل اذن خير لكم الى قوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وقد قيل فيهم

ان نغف عن طائفة منكم نعذب طائفة مع ان هو لاه قد آذوه بالسنتهم
و بايد بهم ايضاً ثم الغفورمر جو لم وانما يرجى الصفوح التوبة فعمل ان
توبتهم مقبولة ومن عفى عنه لم يعذب في الدنيا ولا في الآخرة . وايضاً فقلوه
سبحانه جاهد الكفار والمنافقين الى قوله فان يتوبوا بك خيرا لهم وان يتولوا
يعذبهم الله عذاباً اليماً الآية فانها تدل على ان المنافق اذا كفر بعد اسلامه
ثم تاب لم يعذب عذاباً اليماً في الدنيا ولا في الآخرة والقتل عذاب اليم
فعلم انه لا يقتل . وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في
رجال من المنافقين اطاع احد هم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال علام
نستغنى انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه خلفوا بالله ما قالوا شيئاً فانزل الله
هذه الآية . وعن الضحاك قال خرج المنافقون مع النبي صلى الله عليه وسلم
الى تبوك فكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل النفاق ما هذا الذي بلفني عنكم خلفوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا شيئاً من ذلك فانزل الله هذه الآية
اكذب ابا لهم . وايضاً فلا ريب ان توبتهم فيما بينهم وبين الله وان تضمنت
التوبة من حقوق الآدميين لا وجه . احدها . انه قد قيل كفارة الغيبة
الاستغفار لمن استغيبه وقد ذهب كثير من العلماء او اكثرهم الى مثل ذلك
فجاز ان يكون قد اتي به من الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم الموجب
لانواع الثناء عليه والتعظيم له موجبا لما ناله من عرضه . الثاني . ان حق

الانبياء تابع لحق الله وانما عظمت الواقعة في اعراضهم لما يضمن ذلك من الكفر والوقعة في دين الله وكتابه ورسالته فاذا تبعت حق الله في الوجوب تبعته في السقوط لئلا يكون اعظم منه ومعلوم ان الكافر تصح توبته من حقوق الله فكذلك من حقوق الانبياء المتعلقة بنبوتهم بخلاف التوبة من الحقوق التي يجب للناس بعضهم على بعض . الثالث . ان الرسول قد علم منه انه يدعوا للتأسي به واتباعه ويخبرهم ان من فعل ذلك فقد غفر له كل ما اسلفه في كفره فيكون قد عفا لمن قد اسلم عما ناله من عرضه وبهذه الوجوه يظهر الفرق بين سب الرسول وبين سب واحد من الناس فانه اذا سب واحد من الناس لم يأت بعد سبه ما يناقض موجب السب وسبه حق آدمي محض لم يعف عنه والمقتضي للسب هو موجود بعد التوبة والاسلام كما كان موجودا قبلها ان لم يزجر عنه بالحد وهناك الداعي اليه الكفر وقد زال بالايمان واذا ثبت ان توبته وايمانه مقبول منه فيما بينه وبين الله فاذا اظهرها وجب ان يقبل منه لما روى ابو سعيد في حديث ذي الخويصرة التيمي الذي اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم في القسمة فقال خالد ابن الوليد يا رسول الله الا اضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون يصلي قال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اومر ان اتعب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم رواه مسلم * وقال لا سامة في الرجل الذي قتله بعد ان قال لا اله الا الله كيف قتله بعد ان قال لا اله الا الله قال انما قالها نعوذا قال فهل اشقت عن قلبه . كذا في

حديث المقداد نحو هذا وفي ذلك نزل قوله تعالى ولا تقولوا لمن اتى
اليكم السلام لست مؤمناً تبغون عرض الحياة الدنيا ولا خلاف بين المسلمين
ان الحربي اذا سلم عند رؤية السيف هو مطلق او مقيد يصبح اسلامه وتقبل
توبته من الكفر وان كانت دلالة الحال تقتضي ان باطنه خلاف ظاهره
وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من المنافقين علانيتهم
ويكلم سر ائرم الى الله مع اخبار الله له انهم اتخذوا ايمانهم جنة وانهم يحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بالميل الى الراء فعلم ان
من اظهر الاسلام والتوبة من الكفر قبل ذلك منه فهذا قول هو لا
وسبأني ان شاء الله تعالى الاستدلال على تعيين قتله من غير استتابة
والجواب عن هذه الحجج .

﴿ الفصل الثاني ﴾

في ان الذي اذا سبه ثم تاب وقد ذكرنا فيه ثلاثة اقوال . احدها .
يقتل بكل حال وهو المشهور من مذهب الامام احمد ومذهب الامام مالك اذا
تاب بعد اخذه وهو وجه لاصحاب الشافعي . الثاني . يقتل الا ان يتوب
بالاسلام وهو ظاهر الرواية الاخرى عن مالك واحمد . والثالث .
يقتل الا ان يتوب بالاسلام او بالعود الى الذمة كما كان وعليه يدل ظاهر
عموم كلام الشافعي الا ان يتأول وعلى هذا فانه يعاقب اذا عاد الى الذمة
ولا يقتل فمن قال ان القتل يسقط عنه بالاسلام فانه يستدل بمثل ما ذكرناه
في المسلم فانه كله يدل على ان الكافر ايضاً اذا اسلم سقط عنه موجب السب

فصل في ان الذي اذا سبه صلى الله عليه وسلم تاب

ويدل على ذلك ايضاً ان الصحابة ذكروا انه اذا فعل ذلك فهو غادر محارب وانه ناقض للعهد ومعلوم ان من حارب وناقض العهد اذا اسلم عصم دمه وماله وقد كان كثير من المشركين مثل ابن الزبير وكعب بن زهير وابي سفيان بن الحارث وغيرهم يهجون النبي صلى الله عليه وسلم بانواع العجاء ثم اسلموا فعصم الاسلام دماءهم واموالهم وهؤلاء وان كانوا محاربين لم يكونوا من اهل العهد فهو دليل على ان حقوق الادميين التي يستملها الكافر اذا فعلها ثم اسلم سقطت عنه كما تسقط حقوق الله ولهذا اجمع المسلمون اجماعاً مستنده كتاب الله وسنة نبيه الظاهرة ان الكافر الحربي اذا اسلم لم يؤخذ بما كان اصابه من المسلمين من دم او مال او عرض والذمي اذا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه معتقد حل ذلك وعقد الذمة لم يوجب عليه تحريم ذلك فاذا اسلم لم يؤخذ به بخلاف ما يضييه من دماء المسلمين واموالهم واعراضهم فان عقد الذمة يوجب تحريم ذلك عليه من كل ما يوجب تحريم ذلك علينامته وان كان يوجب علينا الكف عن سب دينهم والطعن فيه فهذا اقرب ما يتوجه به الاستدلال بقصص هؤلاء وان كان الاستدلال به خطأً وايضاً فان الذمي اما ان يقتل اذا سب لكفره او حرا به كما يقتل الحربي الساب او يقتل حداً من الحد ود كما يقتل لزنائه بذمته وقطع الطريق على ذمي والثاني باطل فتعين الاول وذلك لان السب من حيث هو سب ليس فيه اكثر من انتهاك العرض وهذا القدر لا يوجب الا الجلد بل لا يوجب على الذمي شيئاً لاعتقاده حل ذلك نعم انما صولح على الكف عنه

والامساك فتى اظهر السب زال العهد فصار حرياً ولان كون السب موجباً للقتل
حد احكم شرعى فيفتقر الى دليل ولا دليل على ذلك اذا اكثر ما يذكر من
الادلة انما يفيد انه يقتل وذلك متردد بين كون القتل لكفره وحرابه او لخصوص
السب ولا يجوز اثبات الاحكام بمجرد الاستحسان والاستصلاح فان ذلك
شرع للدين بالرأى وذلك حرام كقوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله ❦ والقياس في المسئلة متعذر لوجهين (احدهما)
ان كثيراً من النظار يمنع جريان القياس في الاسباب والشروط والموانع
لان ذلك يفتقر الى معرفة نوع الحكمة وقد رهاو ذلك متعذر لان ذلك
يخرج السب عن ان يكون سباً وشرط القياس بقاء حكم الاصل ولا نه
ليس في الجنايات الموجبة للقتل حداً ما يمكن الحاق السب بها لاختلافها
نوعاً وقد راوا اشتراكها في عموم المفسدة لا يوجب الحاق بالاتفاق
وكون هذه المفسدة مثل هذه المفسدة يفتقر الى دليل والا كان شرعاً
بالرأى ووضعاً للدين بالمعقول وذلك انحلال عن معاهد الدين وانسلاخ
عن روابط الشريعة وانخلاع من ربق الاسلام وسياسة للخلق بالآراء
الملكية والانحاء العقلية وذلك حرام بلا ريب فثبت انه انما يقتل لاجل
كفره وحرابه ومعلوم ان الاسلام يسقط القتل الثابت للكفر والحراب
بالاتفاق ❦ وايضاً فاذ مى لو كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيما بينه
وبين الله تعالى ويقول فيه ما عسى ان يقول من القبايح ثم اسلم واعتقد نبوته
ورسالة لما ذلك عنه جميع تلك السيئات ولا يجوز ان يقال ان النبي

صلى الله عليه وسلم يطالبه بموجب سبه في الدنيا ولا في الآخرة ومن قال
ذلك علم انه مبطل في مقاله للعلم بان الكافرين يقولون في الرسول شر
المقالات واشنعها وقد اخبر الله تعالى عنهم في القرآن بعضها مثل قولهم
ساحر وكاهن ومجنون ومفترو قول اليهود في مريم هتانا عظيما ونسبتها
الى الفاحشة وان المسيح لغير رشدة وهذا هو القذف الصريح ثم لو اسلم
اليهودى واقر بنبوة المسيح وانه عبد الله ورسوله وانه بريء مما رمته اليهود
لم يبق للمسيح عليه تبعة ونحن نعتقد ان من الكفار من يعتقد نبوة نبينا
الى الامين * ومنهم من يعتقد نبوته مطلقا لكن الف الدين وعادته واغراض
اخر تمنع الدخول في الاسلام * ومنهم المعرض عن ذلك الذى لا ينظر
اليه ولا يفكر فهو لاء قد يسبونه * ومنهم من يعتقد فيه العقيدة الردية ويكف
عن سبه وشتمه او يسبه ويشتمه بما يعتقد فيه مما يكفر به ولا يظهر ذلك
ومنهم من يظهر ذلك عند المسلمين * ومنهم من يسبه بما لا يكفر به مما يكون
سباً للنبي صلى الله عليه وسلم وغير النبي كالقذف ونحوه واذا اسلم الكافر
غفر له جميع ذلك ولم يجزى في كتاب ولا سنة ان الكافر اذا اسلم يبق عليه
تبعة من التبعات بل الكتاب والسنة دليلان على ان الاسلام يجب ما قبله مطلقا
واذا كان اثم السب مغفورا له لم يجز ان يعاقب عليه بعد الاسلام * وايضا
فلو سب الله سبحانه ثم اسلم لم يؤخذ بموجب ذلك وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى شتمنى ابن آدم وما ينبغي له
ذلك اما شتمه اباى فقله انى اتخذت ولدا وانا الاحد الصمد * ثم لو تاب

النصراني ونحوه من شتم الله سبحانه لم يعاقب على ذلك في الدنيا ولا في الآخرة بالاتفاق قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة. وما من اله الا اله واحد. وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم. افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم. فسب النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون اعظم من سب الله فانه انما عظم وصار موجبا للقتل لكون حقه تابعا لحق الله فاذا اسقط المتبوع بالاسلام فالتابع اولى وبهذا يظهر الفرق بين سب الانبياء وسب غيرهم من المؤمنين فان سب الواحد من الناس لا يختلف بين ما قبل الاسلام وما بعده والاذى والنقصان التي يلحق المسبوب قبل اسلام الساب وبعده سواء بخلاف سب النبي صلى الله عليه وسلم فانه قد زال موجب الاسلام وتبدل بالتعزير له والتوقير والثناء عليه والمدح له كما تبدل السب لله بالايمان به وتوحيده وتقدسه وتحميده وعبادته. يوضح ذلك ان الرسول له نعم البشرية ونعت الرسالة كما قال سبحانه ربي هل كنت الا بشرا رسولا فمن حيث هو بشر له احكام البشر ومن حيث هو رسول قد ميزه الله سبحانه وفضله بما خصه به فسه موجب للعقوبة من حيث هو بشر كغيره من المؤمنين وموجب العقوبة من حيث هو رسول بما خصه الله به لكن انما اوجب القتل من حيث هو رسول فقط لان السب المتعلق بالبشرية لا يوجب قتلا وسبه من حيث هو رسول حق لله فقط فاذا اسلم الساب انقطع حكم السب المتعلق برسالة كما انقطع حكم السب المتعلق بالمرسل فسقط انقتل الذي هو موجب ذلك السب ويبقى

حق بشريته من هذا السب وحق البشرية انما يوجب جلد ثمانين فمن قال انه
يجلد لظنه بعد اسلامه ويعزر لسبه لغير القذف قال ان الاسلام يسقط
حق الله وحق الرسالة ويبقى حق خصوص الآدمية كغيره من الآدميين
فيوه د ب سابه كما يوه د ب سابه جميع للمؤمنين بعد اسلامه . ومن قال
انه لا يعاقب بشيء قال هذا الحق اندرج في حق النبوة وانتم في حق
الرسالة فان الجريمة الواحدة اذا اوجبت القتل لم توجب معه عقوبة اخرى
عند اكثر الفقهاء . ولهذا اندرج حق الله المتعلق بالقتل والقذف في حق
الآدمي فاذا عني للجاني عن القصاص وحد القذف لم يعاقب على ما انتهكه
من الحرمة كذلك اندرج هنا حق البشرية في حق الرسالة وفي هذين
الاصليين المقيس عليهما خلاف بين الفقهاء فلن مذهب مالك ان القاتل يعزره
الامام اذا عفا عنه ولى الدم وعند ابي حنيفة ان حد القذف لا يسقط
بالعفو وكذا ترد من قال ان القتل يسقط بالاسلام هل يؤدب حد الموتى
على خصوص القذف والسب ومن قلل هذا القول قلل لا يستبدل عليان
الصحابه قتلوا سابه او امره او بقتل سابه او اراده او قتل سابه من غير استتابة
فان للذمي اذا سبه لا يستتاب بل اتردد فانه يقتل لكفره الاصلى كما يقتل
الاسير الجريبي . ومثل ذلك لا يستتاب كاستتابة المرتد اجماعا لكن لو اسلم
عصم دمه كذلك يقول فحين شتمه من اهل الذمة فانه يقتل ولا يستتاب كانه حربى
اذى المسلمين وقد امرنا به فانا نقتله فان اسلم سقط عنه القتل وكذلك
اكثر نصوص مالك واحمد وغيرهما انما هي انه يقتل ولا يستتاب وهذا لا ترد

فيه اذا سبه الذمي ومن قال ان الذمي يستتاب فقد يقول انه قد لا يعلم انه
اذا اسلم سقط عنه القتل فيستتاب كما يستتاب المرتد واولى فان قتل الكفار
قبل الاعذار اليهم وبلغهم رسالات الله غير جائز ومن لم يستببه قال هذا
هو القياس لما جاء في الكتب في قتل كل كافرا صلى اسير وقد ثبت ثبوتنا لا يمكن دفعه
ان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدون كانوا يقتلون كثيرا من الاسرى
من غير عرض الاسلام عليهم وان كانوا نافضين للعهد وذلك في قصة قريظة
وخير ظاهر لا يختلف فيه اثنان من اهل العلم بالسيرة فان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذهم اسرى بعد ان تقضوا العهد وضرب رقابهم من غير ان يعرض
عليهم الاسلام وقد امر بقتل ابن الاشرف من غير عرض الاسلام عليه
وانما قتله لانه كان يوذى الله ورسوله وقد نقض العهد ومن قال اذا قاب
بالعود الى الذمة قبلت توبته او خير الامام فيه قال انه في هذه الحال بمنزلة
حربي قد بذل الجزية عن يد وهو صاغر فيصب الكف عنه * واعلم ان
هنا معنى لا بد من التنبيه عليه وهو ان الاسير الجربي الاصل لو اسلم فان اسلامه
لا يزيل عنه حكم الاسر بل اما يصير رقيقا للمسلمين بمنزلة النساء والصبيان
كاحد القولين في مذهب الشافعي واحمد او بخير الامام فيه بين الثلاثة
غير القتل على القول الآخر في المذهبين والدليل على ذلك ما رواه
مسلم في صحيحه عن عمران بن حصين قال كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل
فاُسرت ثقيف رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل واصابوا معه العضباء فأتى عليه

صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق فقال يا محمد فاتاه فقال ما شانك فقال بما
 اخذتني واخذت سابقة الحاج يعني العضاء فقال اخذتك بجريرة حلفائك
 من ثقيف ثم انصرف عنه فناده يا محمد يا محمد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رحيمًا رقيقًا فرجع اليه فقال ما شانك قال اني مسلم قال لو قلتها وانت تملك
 امرك افلحت كل الفلاح ثم انصرف فناده يا محمد يا محمد فاتاه فقال ما شانك
 فقال اني جائع فاطعمني وظمان فاسقني قال هذه حاجتك ففدى بالرجلين
 فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا اسلم بعد الاسر لم يفلح كل الفلاح كما اذا
 اسلم قبل الاسر وان ذلك الاسلام لا يوجب اطلاقه وكذلك العباس بن
 عبد المطلب رضي الله عنه اظهر الاسلام بعد الاسر بل اخبر انه قد اسلم قبل
 ذلك فلم يطلقه النبي صلى الله عليه وسلم حتى فدى نفسه والقياس يقتضي
 ذلك فانه لو اسلم رقيق للمسلمين لم يمنع ذلك دوام رقه فكذلك اسلام
 الاسير لا يمنع دوام اسره لانه نوع رقي ويجوز للاسترقاق كما ان اسلامه
 لا يوجب لن يرد عليه ما اخذ من ماله قبل الاسلام فاذا كان هذا حال من
 اسلم بعد ان اسر ممن هو حربي الاصل فهذا الناقض للعهد حاله اشد بل لا ريب
 فاذا اسلم بعد ان تقضى العهد وهو في ايدينا لم يميز ان يقال انه يطلق بل حيث
 قلنا قيد عصمه فاما ان يصير رقيقًا وللإمام ان يبيعه بعد ذلك وثمنه لبيت المال
 لو انه يتخير فيه وهذا قياس قول من يجوز استرقاق ناقض العهد ومن لم يجوز
 استرقاقهم فانه يجعل هذا بمنزلة المرتد ويقول اذا عاد الى الاسلام لم يسترق
 ولم يقتل ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو اسلمت وانت تملك امرك لا فلتحت

فيه اذا سبه الذمي ومن قال ان الذمي يستتاب فقد يقول انه قد لا يعلم انه
 اذا اسلم سقط عنه القتل فيستتاب كما يستتاب المرتد واولى فان قتل الكفار
 قبل الاعذار اليهم وبلغهم رسالات الله غير جائز ومن لم يستتب قال هذا
 هو القياس لما جاء في الكتب في قتل كل كافرا صلى اسير وقد ثبت ثبوته لا يمكن دفعه
 ان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدون كانوا يقتلون كثيرا من الاسرى
 من غير عرض الاسلام عليهم وان كانوا ناقضين للعهد وذلك في قصة قريظة
 وخير ظاهري لا يختلف فيه اثنان من اهل العلم بالسيرة فان النبي صلى الله عليه
 وسلم اخذهم اسرى بعد ان تقضوا العهد وضرب رقابهم من غير ان يعرض
 عليهم الاسلام وقد امر بقتل ابن الاشرف من غير عرض الاسلام عليه
 واما قتله لانه كان يوذى الله ورسوله وقد نقض العهد ومن قال اذا قاب
 بالعود الى الذمة قبلت توبته او خير الامام فيه قال انه في هذه الحال بمنزلة
 حربي قد بذل الجزية عن يد وهو صاغر فيصيب الكف عنه * واعلم ان
 هنا معنى لا بد من التنبيه عليه وهو ان الاسير الجربي الاصل لو اسلم فان اسلامه
 لا يزيل عنه حكم الاسر بل اما يصير رقيقا للمسلمين بمنزلة النساء والصبيان
 كما جد القولين في مذهب الشافعي واحمد او يغير الامام فيه بين الثلاثة
 غير القتل على القول الآخر في المذهبين والدليل على ذلك ما رواه
 مسلم في صحيحه عن عمران بن حصين قال كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل
 فاسرت ثقيف رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسرا صحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل واصابوا معه المضباء فاقى عليه

صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق فقال يا محمد فأتاه فقال ما شأنك فقال بما
أخذتني وأخذت سابقة الحاج يعني العضاء فقال أخذتكم بجريرة حلفائكم
من ثقيف ثم انصرف عنه فناده يا محمد يا محمد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحيما رقيقا فرجع اليه فقال ما شأنك قال اني مسلم قال لو قتلها وانت تملك
امرك افلحت كل الفلاح ثم انصرف فناده يا محمد يا محمد فقال ما شأنك
فقال اني جائع فاطعمني وظمان فاسقني قال هذه حاجتك ففدى بالرجلين
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا اسلم بعد الاسر لم يفلح كل الفلاح كما اذا
اسلم قبل الاسر وان ذلك الاسلام لا يوجب اطلاقه وكذلك العباس بن
عبد المطلب رضي الله عنه اظهر الاسلام بعد الاسر بل اخبر انه قد اسلم قبل
ذلك فلم يطلقه النبي صلى الله عليه وسلم حتى فدى نفسه والقياس يقتضي
ذلك فانه لو اسلم رقيق للمسلمين لم يمنع ذلك دوام رقه فكذلك اسلام
الاسير لا يمنع دوام اسره لانه نوع رقي ومجوز للاسترقاق كما ان اسلامه
لا يوجب ان يرد عليه ما اخذ من ماله قبل الاسلام فاذا كان هذا حال من
اسلم بعد ان اسر ممن هو حر بي الاصل فهذا الناقض للعهد حاله اشد بل اريب
فاذا اسلم بعد ان تقضى العهد وهو في ايدينا لم يجوز ان يقال انه يطلق بل حيث
قلنا قيد عصمه فاما ان يصير رقيقا وللإمام ان يبيعه بعد ذلك وثمنه لبيت المال
لو انه يتخير فيه وهذا قياس قول من يجوز استرقاق ناقض العهد ومن لم يجوز
استرقاقهم فانه يحمل هذا بمنزلة المرتد ويقول اذا عاد الى الاسلام لم يسترق
ولم يقتل ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو اسلمت وانت تملك امرك لا فلتحت

كل الفلاح دليل على ان من اسلم ولا يملك امره لم يكن حاله كحال من اسلم وهو مالك امره فلا تجوز التسوية بينهما بحال وفي هذا ايضا دليل على انه اذا بذل الجزية لم يجب اطلاقه فانه اذا لم يجب اطلاقه بالاسلام فيبذل الجزية اولى لكن ليس في الحديث ما يفي استرقاقه .

﴿ فصل ﴾

والدليل على ان المسلم يقتل من غير استئابة وان اظهر التوبة بعد اخذه كما هو مذهب الجمهور قوله سبحانه ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا . وقد تقدم ان هذا يقتضي قتله ويقتضي تحميم قتلهم وان تاب بعد الاخذ لانه سبحانه ذكر الذين يؤذون الله ورسوله والذين يؤذون للمؤمنين والمؤمنات فاذا كانت عقوبة اولئك لا تسقط اذا تابوا بعد الاخذ فعقوبة هؤلاء اولى واخرى لان عقوبة كليهما على الاذى الذي قاله بلسانه لا على مجرد كفره وبقا عليه . وايضا فانه قال لئن لم ينته المنافقون الى قوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا اقتيلا وهو يقتضي ان من لم ينته فانه يؤخذ ويقتل فعلم ان الانتهاء العاصم ما كان قبل الاخذ . وايضا . فانه جعل ذلك تفسير اللعن فعلم ان الملعون متى اخذ قتل اذا لم يكن انتهى قبل الاخذ وهذا ملعون قد خل في الآية . يؤيد ذلك ما قد مناه عن ابن عباس انه قال في قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات الموءنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولم عذاب عظيم . قال هذه في شان عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ليس فيها توبة ثم قرأ

﴿ فصل في ان المسلم اذا سب يقتل من غير استئابة وان اظهر التوبة ﴾

والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء الى قوله ان الذين تابوا
من بعد ذلك واصبحوا نجمل لهم لاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة قال فهم رجل
ان يقوم فيقبل رأسه من حسن مافسر فهذا ابن عباس قد بين ان من لعن
هذه اللعنة لا توبة له واللعنة الاخرى ابلغ منها يقرره ان قاذف امهات
المؤمنين انما استحق هذه اللعنة على قوله لاجل النبي صلى الله عليه وسلم فعلم
ان موديه لا توبة له وايضاً قوله سبحانه انما جزاء الذين يجارون الله
ورسوله ويسعون في الارض فساد الآفة وهذا الساب محارب لله ورسوله
كما تقدم تعزيره من انه محاد لله ورسوله وان المحاد لله ورسوله مشاق لله
ورسوله محارب لله ورسوله ولان المحارب ضد المسالم والمسلم الذي تسلم
منه ويسلم منك ومن آذاه لم يسلم منه فليس بمسلم فهو محارب وقد تقدم
من غير وجه ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه عدواً له ومن عاداه فقد
حاربه وهو من اعظم الساعين في الارض بالفساد قال الله تعالى في صفة
النافقين واذ قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم
هم المفسدون ولكن لا يشعرون وكل ما في القرآن من ذكر الفساد كقوله
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقوله واذ اتولى سعى في الارض ليفسد
فيها الى قوله والله لا يحب الفساد وغير ذلك فان السب داخل فيه فانه اصل
لكل فساد في الارض اذ هو افساد للنبوقة التي هي عماد صلاح الدين والدنيا
والآخرة واذ كان هذا الساب محاربا لله ورسوله ساعيا في الارض بفساد
وجب ان يعاقب باحدى العقوبات المذكورة في الآية الا ان يتوب

قبل القدرة عليه وقد قدمنا الادلة على ان عقوبته متعينة بالقتل كعقوبة من قتل في قطع الطريق فيجب ان يقام ذلك عليه الا ان يتوب قبل القدرة وهذا الساب الذي قامت عليه البيعة ثم ناب بعد ذلك انما ناب بعد القدرة فلا تسقط العقوبة عنه ولهذا كان الكافر الحربي اذا سلم بعد الاخذ لم تسقط عنه العقوبة مطلقا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للعقيلي لو قتلها وانت تملك امرك افلحت كل الفلاح بل يعاقب بالاسترقاق او بجواز الاسترقاق وغيره لكن هذا امر تدحارب فلم يكن استرقاقه كالعربيين اذ المحاربة باللسان كالمحاربة باليد فتعين عقوبته بالقتل * وايضا فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم دللت من غير وجه على قتل الساب من غير استتابة فانه امر يقتل الذي كذب عليه من غير استتابة وقد ذكرنا ان ذلك يقتضي قتل الساب سواء اجرينا الحديث على ظاهره او حملناه على من كذب عليه كذا يشينه وكذلك في حديث الشعبي انه امر يقتل الذي طعن عليه في قسم مال الغزي من غير استتابة وفي حديث ابي بكر لما استاذنه ابو بردة ان يقتل الرجل الذي شتمه من غير استتابة قال انها لم تكن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم انه كان له قتل من شتمه من غير استتابة وعمر رضى الله عنه قتل الذي لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم من غير استتابة اصلا فنزل القرآن باقراره على ذلك وهو من ادنى انواع الاستخفاف به فكيف باعلاها وايضا فان عبد الله بن سعد بن ابي سرح لما طعن عليه واقتري افتراء عابه به بعد ان اسلم اهد رده وامتنع عن مبايعته * وقد تقدم تقرير الدلالة

منه على ان الساب يقتل وان اسلم وذكرنا انه كان قد جاءه مسلماناً باقداً سلم
 قبل ان يمضي اليه كما روينا عن غيره واحد او قد جاءه يريد الاسلام وقد علم النبي
 صلى الله عليه وسلم انه قد جاءه يريد الاسلام ثم كف عنه انتظار ان يقوم اليه رجل
 فيقتله وهذا نص في ان مثل هذا المرتد الطاعن لا يجب قبول توبته بل
 يجوز قتله وان جاء تائباً وان تاب وقد قررنا هذا فيما مضى وهنالك وجوه
 اخرى ان الذي عصم دمه غفور رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه لا مجرد
 اسلامه وان بالاسلام والتوبة انمى الاثم وبغفو النبي صلى الله عليه وسلم
 احتقن الدم والعفو بطل بموته صلى الله عليه وسلم وليس للامة ان يعفوا
 عن حقه وامتناعه من بيعه حتى يقوم اليه بعض القوم فيقتله نص في جواز
 قتله وان جاء تائباً * واما عصمة دمه بعد ذلك فليس دليلاً على ان نعصم
 دم من سبواً بعد ان قدرنا عليه لا ناقد بينا من غيره وجه ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قد كان يعفو عن سبه ممن لا خلاف بين الامة في وجوب قتله
 اذا فعل ذلك وتعذر عفو النبي صلى الله عليه وسلم عنه * وقد ذكرنا ايضاً
 ان حديث عبد الله بن خطل يدل على قتل الساب لانه كان مسلماً فارتد
 وكان يهجوهم فقتل من غير استتابة * وايضاً فأتقدم من حديث انس
 المرفوع واثرا بن بكر في قتل من آذاه في ازواجه وشراريه من غير استتابة
 وما ذاك الا لاجل انه من نوع الاذى وكذلك حرمة الله ومعلوم ان
 السب اذى منه بدليل ان السب يحرم منه ومن غيره ونكاح الزوج
 لا يحرم الا منه صلى الله عليه وسلم وانما ذلك في تحريم ما يؤذيه ووجوب

قتل من يؤذيه اى اذا كان من غير استتابة * و ايضا فانه صلى الله عليه
وسلم امر بقتل النسوة اللاتي كن يؤذينه بالنسختين بالهجم مع امانه لعامة اهل
البلد ومع ان قتل المرأة لا يجوز الا ان تفعل ما يوجب القتل ولم يستتب
واحدة منهن حين قتل من قتل والكافرة الحريية من النساء لا تقتل ان
لم تقا تل والمر تة لا تقتل حتى تستتاب وهو لاء النسوة قتلن من غير ان
يقا تلن ولم يستتبن فعلم ان قتل من فعل مثل فعلهن جائز بدون استتابة فان
صد و ر ذلك عن مسلمة او معا هة اعظم من صدوره عن حريية * وقد بسطنا
بعض هذه الد لالات فيامضى بما غنى عن اعادته هنا و ذكرنا ان السنة
تدل على ان السب ذنب مقتطع عن عموم الكفرو هو من جنس المحاربة
والتوبة التى تحقق دم المرتد انما هى التوبة عن الكفر فاما ان ارتد
بمحاربة مثل سفك الدم واخذ المال كما فعل العرييون وكما فعل مقيس ابن
صباة حيث قتل الانصارى واستاق المال ورجع مرتدا فهذا يتعين قتله
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم مقيس بن صباة وكما قيل له في مثل العريين انما
جزاؤهم ان يقتلوا الآية * فلذلك من تكلم بكلام من جنس المحادة والمحاربة لم يكن
بمنزلة من ارتد فقطه وايضا ما اعتمد * الا امام احمد من ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرقوا بين الساب وبين المرتد المجر د فقتلوا الاول من غير
استتابة واستتابوا الثانى وامروا باستتابته وذلك انه قد ثبت انهم قتلوا
سابه وقد تقدم ذكر بعض ذلك مع انه قد تقدم عنهم انهم كانوا يستتیبون
المرتدوباً مرو ن باستتابته فثبت بذلك انهم كانوا لا يقبلون توبة من يسبه من المسلمين

لان توبته لو قبلت لشرعت استتابته كالم توفاه على هذا القول نوع من المرتدين
ومن خص المسلم بذلك قال لا يدل ذلك على ان الكافر السلب لا يسقط عنه
اسلامه القتل فان الحربي يقتل من غير استتابة مع ان اسلامه يسقط عنه القتل اجماعا
ولم يبلغنا عن احد من الصحابة انه امر باستتابة الساب الا ماروى عن ابن
عباس وفي اسناد الحديث عنه مقال ولفظه انما مسلم سب الله او سب احدا
من الانبياء فقد كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب
فان رجع والاقتل وهذا هو العلم فيمن كذب بنبوة شخص من الانبياء
وسبه بناء على انه ليس نبي الا ترى الى قوله فقد كذب برسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا ريب ان من كذب بنبوة بعض الانبياء وسبه بناء على ذلك
ثم تاب قبلت توبته من كذب ببعض آيات القرآن فان هذا الظاهر امره فهو
كالم تدا ما من كان يظهر الاقرار بنبوة النبي ثم اظهر سبه فهذا هو مسئلتنا
يؤيد هذا الناقد وروى عنه انه كان يقول ليس لقاذف ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم توبة وقاذف غيره من له توبة ومعلوم ان ذلك رعاية لحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم ان مذهبه ان سب النبي صلى الله عليه
وسلم وقاذفه لا توبة له وان وجه الرواية الاخرى عنه ان صححت ما ذكرناه
او نحوه وايضا فان سبه او شتمه ممن يظهر الاقرار بنبوته دليل على
فساد اعتقاده وكفره به بل هو دليل على الاستهانة به والاستخفاف بمجرمه
فان من قرأ الايمان به في قلبه والايمان موجب لأكبر امه واجلا له لم يتصور
منه ذمه وسبه والتقص به وقد كان من اقبح المناقبين نقاما من يستخف

بشتم النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل حجرة من حجر نساءه في نفر من المسلمين قد كان تقلص عنهم الظل فقال سيأتيكم انسان ينظر بعين شيطان فلا تكلموه فجاء رجل ازرق فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال علي ما شئتني انت وفلان وفلان دعاهم باسمائهم فانطلق فجاءهم فخلفوا له واعتذروا اليه فانزل الله تبارك وتعالى يخلفون لكم لترضوا عنهم الآية رواه ابو مسعود ابن القرات ورواه الحاكم في صحيحه وقال فانزل الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعاً فيخلفون له الآية واذ اثبت انه كافر مستهين به فاظهار الاقرار برسالته بعد ذلك لا يدل على زوال ذلك الكفر والاستهانة لان الظاهر انما يكون دليلاً صحيحاً معتمداً اذا لم يثبت ان الباطن بخلافه فاذا قام دليل على الباطن لم يلتفت الى ظاهره قد علم ان الباطن بخلافه ولهذا اتفق العلماء على انه لا يجوز للحاكم ان يحكم بخلاف عليه وان شهد عنده بذلك العدول ويجوز له ان يحكم بشهادتهم اذا لم يعلم خلافاً وكذلك ايضاً لو اقرار ارا علم انه كاذب فيه مثل ان يقول لمن هو اكبر منه هذا ابني لم يثبت نسبه ولا ميراثه باتفاق العلماء وكذلك الادلة الشرعية مثل خبر العدل الواحد ومثل الامر والنهي والعموم والقياس يجب اتباعها الا ان يقوم دليل اقوى منها يدل على ان باطنها يخالف لظاهرها ونظائر هذا كثيرة فاذا علمت هذا فنقول هذا الرجل قد قام الدليل على فساد عقيدته وتكذيبه به واستهائته له فاظهاره

الاقرار برسلته الآن ليس فيه اكثر مما كان يظهره قبل هذا وهذا القدر
 بطلت دلالة فلا يجوز الاعتماد عليه وهذه نكتة من لا يقبل توبة الزنديق
 وهو مذ هب اهل المدينة ومالك واصحابه واليث بن سعد وهو المنصور
 من الروايتين عن ابي حنيفة وهو احاديث الروايات عن احمد نصرها كثير
 من اصحابه و عنهما انه يستتاب وهو المشهور عن الشافعي وقال ابو يوسف
 اخر اقلته من غير استتابة لكن ان تاب قبل ان اقلته قبلت توبته وهذا
 ايضا الرواية الثالثة عن احمد وعلى هذا المأخذ فاذا كان الساب قد تكرر
 منه السب ونحوه مما يدل على الكفر اعتضد السب بدلالات اخر من
 الاستخفاف بحرمات الله والاستهانة بفرائض الله ونحو ذلك من دلالات
 النفاق والزندق كان ذلك ابلغ في ثبوت زندقته وكفره وفي ان لا يقبل
 منه مجرد ما يظهر من الاسلام مع ثبوت هذه الامور وما ينبغي ان يتوقف
 في قتل مثل هذا وفي ان لا يسقط عنه القتل بما يظهر من الاسلام اذ توبة
 هذا بعد اخذه لم تجدد له حاله لم تكن قبل ذلك فكيف تعطل الحدود
 بغير موجب نعم لو انه قبل رفعه الى السلطان ظهر منه من الاقوال والاعمال
 ما يدل على حسن الاسلام وكف عن ذلك لم يقتل في هذه الحال وفيه
 خلاف بين اهل هذا القول سيأتي ان شاء الله تعالى ذكره وعلى مثل هذا ومن
 هو اخف منه ممن لم يظهر نفاقه قط تحمل آيات التوبة من النفاق وعلى الاول
 تحمل آيات اقامة الحد ثم من اسقط القتل عن الذمي اذا اسلم قال بهذا
 يظهر الفرق بينه وبين الكافر اذا اسلم فانه كان يظهر له بين يمينه او

لا يمنعه من سبه فظهر دين الاسلام الذي يوجب تعزيره وتوقيره فكان
ذلك دليلاً على صحة اتقائه ولم يعارضه ما يخالف فوجب العمل به وهذه
الطريقة مبنية على عدم قبول توبة الزنديق كما قررناه من ظهور دليل
الكفر مع عدم ظهور دليل الاسلام وهو من القياس الجلي ويدل على
جواز قتل الزنديق والمنافق من غير استتابة قوله تعالى ومنهم من يقول
انذني لي ولا فتني الى قوله قل هل ترضون بنا الا احدى الحسينين ونحن
تربص بكم ان يصيبكم الله بعباد من عنده او بايد بنا قال اهل التفسير
او بايد بنا بالقتل ان اظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم وهو كما قالوا الان العذاب
على ما يظنون من النفاق بايد بنا لا يكون الا القتل لكفرهم ولو كان المنافق
يجب قبول ما يظهر من التوبة بعد ما ظهر نفاقه وزندقته لم يمكن ان يتربص
بهم ان يصيبهم الله تعالى بعباد من عنده او بايد بنا لا كما اردنا ان نعذبهم
على ما اظهروه اظهروا التوبة وقال قتادة وغيره قوله ومن حولكم من
الاعراب منافقون الى قولهم سنعذبهم مرتين قالوا في الدنيا القتل وفي
البرزخ عذاب القبر وما يدل على ذلك ايضاً قوله تعالى يحلفون بالله
لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله سبحانه سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم الى قوله يحلفون
لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
وكذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم وقوله سبحانه اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله

يعلم انك لرسوله و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون ✽ اتخذوا ايمانهم جنة
فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ✽ وقوله تعالى الم تر الى الذين
تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم
يعلمون ✽ الى قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلم عذاب
مهيّن ✽ الى قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون ✽ دلت هذه الآيات كلها على ان المنافقين
كانوا يرضون المؤمنين بالايان الكاذبة وينكرون انهم كفروا ويحلفون
انهم لم ينكلوا بكلمة الكفر ✽ وذلك دليل على انهم يقتلون اذا ثبت ذلك
عليهم بالبينه لو جوه ✽ احدها ✽ انهم لو كانوا اذا اظهروا التوبة قبل ذلك
منهم لم يحتاجوا الى الحلف والانكار ولكنهم يقولون قلنا وقد تبنا فعلم انهم كانوا
يخافون اذا اظهر ذلك عليهم انهم يعاقبون من غير استتابة ✽ الثاني ✽ انه قال
تعالى اتخذوا ايمانهم جنة واليمين انما تكون جنة اذا لم تأت بينة عادلة تكذبها فاذا
كذبت بها بينة عادلة انخرقت الجنة فجاز قتلهم ولا يمكنه ان يجتن بعد ذلك
الايجنة من جنس الاولى وتلك جنة مخروقة ✽ الثالث ✽ ان الآيات دليل
على ان المنافقين انما عصم دماءهم الكذب والانكار ومعلوم ان ذلك انما يصح
اذ لم تقم بينة بخلافه ولذلك لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ويدل
على ذلك قوله سبحانه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وماواهم جهنم وبئس المصير ✽ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الآية
وقوله تعالى في موضع آخر جاهد الكفار والمنافقين ✽ قال الحسن وقنادة

باقامة الحد ود عليهم وقال ابن مسعود يده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه وعن ابن عباس وابن جريج باللسان وتعليظ الكلام وترك الرفق ووجه الدليل ان الله امر رسوله بجهاد المنافقين كما امره بجهاد الكافرين وان جهادهم انما يمكن اذا اظهر منهم من القول والفعل ما يوجب العقوبة فانه ما لم يظهر منه شيء البتة لم يكن لناسيل عليه فاذا اظهر منه كلمة الكفر فجهاده القتل وذلك يقتضى ان لا يسقط عنه بتجديد الاسلام له ظاهر الا لا واسقطناعهم القتل بما اظهره من الاسلام لكانوا بمنزلة الكفار وكان جهادهم من حيث هم كفار فقط لامن حيث هم منافقون والاية تنضى جهادهم لانهم صنف غير الكفار لاسيما قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين يقتضى جهادهم من حيث هم منافقون لان تعليق الحكم باسم مشتق مناسب يدل على ان موضع الاشتقاق هو العلة فيجب ان يجاهد لاجل النفاق كما يجاهد الكافر لاجل الكفرة ومعلوم ان الكافر اذا اظهر التوبة من الكفر كان تركاله في الظاهر ولا يعلم ما يخالفه اما المنافق فاذا اظهر الاسلام لم تكن تركاله للنفاق لان ظهور هذه الحال منه لا ينفي النفاق ولان المنافق اذا كان جهاد باقامة الحد عليه كجهاد الذى في قلبه مرض وهو الزانى اذا زنى لم يسقط عنه حده اذا اظهر التوبة بعد اخذه لاقامة الحد عليه كما قد عرف ولانه لو قبلت علانيتهم دائماً ثبتت ضد ما يمكن الى الجهاد على النفاق سبيل فان المنافق اذا ثبت عنه انه اظهر الكفر فلو كان اظهار الاسلام حينئذ ينفعه لم يمكن جهاده ويدل على ذلك قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لغربتكم بهم

ثم لا يحاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما تقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله
 في الذين خلوا من قبل * دلت هذه الآية على ان المنافقين اذا لم ينتهوا فان الله
 يغري نبيه بهم وانهم لا يحاورونه بعد الاغراء بهم الا قليلا وان ذلك في حال
 كونهم ملعونين اينما وجدوا واصبوا اسروا وقتلوا وانما يكون ذلك اذا
 اظهروا النفاق لانه مادام مكتوم لا يمكن قتلهم وكذالك قال الحسن اراد
 المنافقون ان يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فواعدهم الله في هذه الآية
 فكنموا واسروه وقال قتادة ذكر لنا ان المنافقين ارادوا ان يظهر وامافي
 قلوبهم من النفاق فواعدهم الله في هذه الآية فكنموا ولو كان اظهار التوبة بعد
 اظهار النفاق مقبولا لم يمكن اخذ المنافق ولا قتله لتمكنه من اظهار التوبة لاسيما اذا كان
 كلما شاء اظهر النفاق ثم اظهر التوبة وهي مقبولة منه * يؤيد ذلك ان الله تبارك
 وتعالى جعل جزاءهم ان يقتلوا ولم يجعل جزاءهم ان يقتلوا ولم يستثن حال
 التوبة كما استثناه من قتل المحاربين وقتل المشركين فانه قال فاذا انسلخ الاشهر
 الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم
 كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم * وقال في
 المحاربين اثنا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
 ان يقتلوا او يصلبوا الى قوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم * فعلم
 انهم يقتلون من غير استئابة وانه لا يقبل منهم ما يظهر وانه من التوبة * يوضح
 ذلك انه جعل انتهاءهم النافع قبل الاغراء بهم وقبل الاخذ والتقتيل وهناك
 جعل التوبة بعد ذكر الحصر والاخذ والقتل فعلم ان الانتهاء بعد الاغراء بهم

لا ينفعهم كما لا تنفع المحارب التوبة بعد القدرة عليه وان نعت المشرك من
مرتد واصل التوبة بعد القدرة عليه وقد اخبر سبحانه ان سنته فمن لم يتب
عن النفاق حتى قدر عليه ان يؤخذ ويقتل وان هذه السنة لا تبدل لها
والانتهاء في الآية اما ان يعنى به الانتهاء عن النفاق بالتوبة الصحيحة
او الانتهاء عن اظهاره عند شباطينه وعند بعض المؤمنين والمعنى الثاني
اظهر فان من المنافقين من لم ينته عن اسرار النفاق حتى مات النبي صلى الله
عليه وسلم وانتهوا عن اظهاره حتى كان في آخر الامر لا يكاد احد يجترئ
على اظهار شيء من النفاق نعم الانتهاء يعم القسمين فمن انتهى عن اظهاره
فقط او عن اسراره واعلانه خرج من وعيد هذه الآية ومن اظهر لحقه
وعيدها وما يشبه ذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
الى قوله تعالى فان يتوبوا اليك خيرا لهم وان يتولوا بعد بهم الله عذابا الينا
في الدنيا والآخرة فانه دليل على ان المنافق اذا لم يتب عذبه في الدنيا
والآخرة وكذا لك قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون الى قوله
سنعذبهم مرثين واما قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والمرجعون في المدينة فقد قال ابو رزين هذا شيء واحد هم المنافقون
وكذا لك قال مجاهد كل هؤلاء منافقون فيكون من باب عطف الخاص
على العام كقوله تعالى وجبريل وميكال وقال سلمة بن كهيل وعكرمة
الذين في قلوبهم مرض اصحاب الفواحش والزناة ومعلوم ان من اظهر
الفاحشة لم يكن بد من اقامة الحد عليه فكذلك من اظهر النفاق ويدل على

جواز قتل الزنديق المنافق من غير استتابة ما خير جاء في الصحيحين عن علي
 في قصة حاطب بن ابي بلتعقة فقال عمر د عني يا رسول الله انضرب عنق هذا
 المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك
 لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فدخل
 على ابن ابي نضير عنق المنافق من غير استتابة مشروعا اذ لم ينكر النسي
 صلى الله عليه وسلم على عمر استخلاص ضرب عنق المنافق ولكن اجاب بان هذا ليس
 بمنافق ولكنه من اهل بدر المغفور لهم فاذا اظهر النفاق الذي لا ريب انه
 نفاق فهو مباح الدم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها في حديث الافك
 قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه فاستعذر من عبد الله
 ابن ابي بن سنول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من بعد رعى
 من رجل بلغني اذاه في اهل فواء ما علمت على اهل الاخير او لقد ذكروا
 رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهل الامي فقام سعد بن
 معاذ احد بني عبد الاشهل فقال يا رسول الله انا والله اعذر رك منه ان يكن
 من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرنا ففعلنا فيه امرك
 فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فخذ
 وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله
 لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ
 فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لا تقتله فمالك متافق تجادل عن المنافقين
 فتنا رالحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتلوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى
سكتوا وسكت متفق عليه . وفي الصحيحين عن عمرو بن جابر بن
عبد الله قال غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس
من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا
فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري بالانصار
وقال المهاجري بالمهاجرين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى
الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري قال فقال النبي
صلى الله عليه وسلم دعوها فانها خيشنة وقال عبد الله بن ابي بن سلول اقد
تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليجرحن الاعز منها الا ذل قال عمر الا تقتل
باني الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه . وذكر اهل التفسير واصحاب السيرة ان هذه القصة
كانت في غزوة بني المصطلق اختصم رجل من المهاجرين ورجل من الانصار
حتى غضب عبد الله بن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم
غلام حديث السن وقال عبد الله بن ابي افعلوها قد نافرنا وكابرونا في بلادنا
واقامنا مثلهم الا كما قال القائل سمنك بك يا كلك اما والله لئن رجعنا
الى المدينة ليجرحن الاعز منها الا ذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم
اجلتموهم بلادكم وقاسمتموهم امواكم اما والله لئن امسكتم عنهم فضل الطعام
لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا ان يتحولوا عن بلادكم ويلحقوا بعشارهم

و موالهم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت
والله الذليل القليل المفض في قومك و محمد في عز من الرحمن و مودة من
المسلمين و ان لا احبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب
فشي زيد بن ارقم بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و ذلك بعد فراغه من
الغزوة و عنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال
اذا ترعد له انف كثيرة يثرب فقال عمر فان كرهت يا رسول الله ان
يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن معاذ و محمد بن مسلمة او عباد بن بشر
فليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر اذا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه لا ولكن اذن بالرحيل و ذلك في ساعة لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها و ارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عبد الله بن ابي قاتاه فقال انت صاحب هذا الكلام فقال عبد الله
والذي انزل عليك الكتاب بالحق ما قات من هذا شيئا و ان زيدا
لكاذب فقال من حضر من الانصار يا رسول الله شيخنا و كبيرنا لا تصدق
عليه كلام غلام من غلمان الانصار عسى ان يكون هذا الغلام و هم في حديثه
ولم يحفظ ما قال فعذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و فشت الملامة في الانصار لزيد
و كذبوه قالوا و بلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي و كان من فضلاء الصحابة ما كان من
امر ابيه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بلغني انك تريد
قتل عبد الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرفي فانما احمل اليك براسه
فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بهار جل ابرو الدية مني و اني اخشى ان

تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن أبي عيسى
في الناس فاقتله فاقتل مؤمناً بكافراً فادخل النار فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولكن يراباك واحسن صحبته وذكروا
القصة . قالوا وفي ذلك نزلت سورة المنافقين وقد اخرجني الصحيحين عن
زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب
الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله
ابن ابي فساله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد يا رسول الله قال خفف
في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل الله تصديقاً اذ اجاءك المنافقون قال ثم
دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفروا لهم فلو ارادوا في هذه القصة
بيان ان قتل المنافق جائز من غير استتابة وان اظهر النكار ذلك القول وتبرأ
منه و اظهر الاسلام واتمانع النبي صلى الله عليه وسلم من قتل ما ذكره من
تحدث الناس انه يقتل أصحابه لان النفاق لم يثبت عليه بالبينة وقد حلف
انه ما قال واتمانع بالوحي وخبر زيد بن ارقم . وايضاً لما خافه من ظهور
فتنة بقتله وغضب اقوام يخاف افتتاحهم بقتله . وذكر بعض اهل التفسير
ان النبي صلى الله عليه وسلم عذ المنافقين الذين وقفوا على العقبة في غزوة
تبوك ليفتكوا به فقال حذيفة لا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان يقول

سبوا نزل المنافق وان اظهر النكار

العرب لما ظفروا بصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالرسلة * وذكر بعضهم
 ان رجلا من المنافقين خاصم رجلا من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه
 المنافق وقال انطلق بنا الى عمر بن الخطاب فاقبل الى عمر فقال لليهودى
 اختصمت انا و هذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم
 اليك و تعلق بي فجت معه فقال عمر للمنافق ا كذلك قال نعم فقال لهما رويدا
 حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت فاخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج
 به اليهما فضرب به المنافق حتى برد فقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء الله
 وقضاء رسوله فنزل قوله الم تر الى الذين يزعمون الآية وقال جبريل ان عمر
 فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقد تقدمت هذه القصة مروية
 من وجهين في هذه الاحاديث دلالة على ان قتل المنافق كان جائزا
 اذ لو لا ذلك لا نكر النبي صلى الله عليه وسلم على من اسأذنه في قتل المنافق
 ولا نكر على عمر اذ قتل من قتل من المنافقين ولا خبر النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الدم معصوم بالاسلام ولم يعلل ذلك بكراهية غضب عشائر المنافقين
 لهم وان يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وان يقول القائل لما ظفر
 بصحابه اقبل يقتلهم لان الدم اذا كان معصوما كان هذا الوصف عديم
 التأثير في عصمة دم المعصوم ولا يجوز تعليل الحكم بوصف لا اثر له ونزل
 تعليله بالاسف الذي هو مناط الحكم وكما انه دليل على القتل فهو دليل على
 القتل بكونه غير استتابة على ما لا يخفى * فان قيل * فلم لم يقتلهم النبي صلى الله عليه

وسلم مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علايتهم قلنا . انما ذلك لوجهين .
 • احدهما . ان عا منهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما ثبت عليهم
 بالبينه بل كانوا يظهرون الاسلام ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة بسمها الرجل
 المؤمن من فينقلها الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحلفون بالله انهم ما قالوها
 او لا يحلفون وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستشغالهم بالزكاة
 وظهور الكراهة منهم لكثير من احكام الله وعامتهم يعرفون في لحن
 القول كما قال الله ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله
 اضغانهم ولو نشاء لارينا كهم فلعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول
 فاخبر سبحانه انه لو شاء لعرفهم رسوله بالسيما في وجوههم ثم قال ولتعرفنهم
 في لحن القول فاقسم انه لا بد ان يعرفهم في لحن القول . ومنهم
 من كان يقول القول او يعمل العمل فينزل القرآن فيخبر ان صاحب
 ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة . ومنهم من كان المعلمون
 ايضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والامارات
 ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى ومن حولكم من الاعراب
 منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم جميع هؤلاء
 المنافقين يظهرون الاسلام ويحلفون انهم مسلمون وقد اتخذوا ايمانهم جنة
 واذا كانت هذه حالهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقيم الحدود بعلمه
 ولا يخبر الواحد ولا يجرد الوحي ولا باللائل والشواهد . ثبت
 الموجب للحد بينة او اقرار الا ترى كيف اخبر عن المرأة كذبة ثمة

انها ان جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي رميت به وجاءت به
على النعت المكره فقال لولا الايمان لكان لي ولها شأن وكان بالمدينة امرأة
تعلن الشرف قال لو كنت راجما احدا من غيري لرجمتها وقال للذين اختصموا
اليه انكم تختصمون الي ولعل بضمكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى
بشعورهما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذها فانما اقطع له قطعة
من النار فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بحجة
شرعية ويدل على هذا انه لم يستبهم على التعيين ومن المعلوم ان احسن حال
من ثبت نفاقه وزندقته ان يستتاب كما مر تدفان تاب والقتل ولم يبلغنا انه
استتاب واحدا بعينه منهم . فعلم ان الكفر والردة لم تثبت على واحد
بعينه ثبوتا يوجب ان يقتل كما مر تدفان ولذا اتقبل علايتهم ونكل سرائرهم
الى الله فاذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال
من لم يظهر نفاقه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اني لم اومر ان اتقب عن قلوب
الناس ولا اشق بطونهم لما استوذن في قتل ذي الخويصرة ولما استوذن
ايضا في قتل رجل من المنافقين قال اليس يشهد ان لا اله الا الله قيل بلى
قال اليس يصلي قبل بلى قال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم فاخبر صلى الله
عليه وسلم انه نهى عن قتل من اظهر الاسلام من الشهداءتين والصلاة وان
ذكر بالنفاق : رمي به وظهرت عليه دلالته اذا لم يثبت بحجة شرعية انه
اظهر الكفر وكذا لك قوله في الحديث الآخر امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم

واموالهم الابطحها وحسابهم على الله معناه اني امرت ان اقبل منهم ظاهر
 الاسلام واكل بواطنهم الى الله والزنديق والمنافق انما يقتل اذا تكلم بكلمة
 الكفر وقامت عليه بذلك بينة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب
 يظهر فقه المسئلة الوجه الثاني انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف ان يتولد
 من قتلهم من الفساد اكثر مما في استبقائهم وقد بين ذلك حين قال لا يتحدث
 الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اذا ترعد له انف كثيرة يثرب فانه لو قتلهم
 بما يعلم من كفرهم لا وشك ان يظن الظان انه انما قتلهم لا غرض واحقاد وانما
 قصد الاستعانة بهم على الملك كما قال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه
 اقبل يقتلهم وان يخاف من يريد الدخول في الاسلام ان يقتل مع اظهاره
 الاسلام كما قتل غيره وقد كان ايضا يغضب لقتل بعضهم قبيلته واناس آخرون
 فيكون ذلك سببا للفتنة واعتبر ذلك بما جرى في قصة عبد الله بن ابي لما عرض
 سعد بن معاذ بقتله خاصمه له اناس صالحون واخذتهم الخمية حتى سكتهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لما استاذنه عمر في قتل ابن ابي قال اصحابنا ونحن الان اذا اخفنا مثل ذلك
 كففتنا عن القتل فخاصله ان الحد لم يعم على واحد بعينه لعدم ظهوره
 بالحجة الشرعية التي يعلم بها الخاص والعام او لعدم امكان اقامته الامع تنفير
 اقوام عن الدخول في الاسلام وارتداد اخرين عنه واظهار قوم من
 الحرب والفتنة ما يربي فسادا على فساد ترك قتل منافق وهذا ان المعيان
 حكمهما باق الى يومنا هذا الا في شيء واحد هو انه صلى الله عليه وسلم ربما خاف

ان يظن الظان انه يقتل اصحابه لغرض آخر مثل اغراض الملوك فهذا امتف
اليوم والذي بين حقيقة الجواب الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كان بمكة مستضعفا هو واصحابه على جزيين عن الجهاد امرهم الله بكف
ايديهم والصبر على اذى المشركين فلما هاجروا الى المدينة وصار له دار عزة
ومنعة امرهم بالجهاد والكف عن سالمهم وكف يده عنهم لانه لو امرهم اذ ذاك
باقامة الحدود على كل منافق لفر عن الاسلام اكثر العرب اذ اراوا ان بعض
من دخل فيه يقتل وفي مثل هذه الحال نزل قوله تعالى ولا تطع الكافرين
والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً وهذه السورة
نزلت بالمدينة بعد الحندق فامر الله في تلك الحال ان يترك اذى الكافرين
والمنافقين له فلا يكافهم عليه لما يتولد في مكافاتهم من الفتنة ولم ينزل
الامر كذلك حتى فتحت مكة ودخلت العرب في دين الله فاطبة ثم اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الروم وانزل الله تبارك وتعالى سورة
براءة وكل شرائع الدين من الجهاد والحج والامر بالمعروف فكان كمال
لدين حين نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قبل الوفاة باقل من ثلاثة اشهر
ولما نزلت براءة امره الله بنبيذ اليهود التي كانت للمشركين وقال فيها يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهذه ناسخة لقوله تعالى ولا تطع
الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وذلك لانه لم يبق حينئذ للمنافق من يعينه
لواقيم عليه الحدود ولم يبق حول المدينة من الكفار من يتحدث بان عمدا يقتل
اصحابه فامر الله بجهادهم والاغلاظ عليهم وقد ذكر اهل العلم ان آية الاحزاب

منسوخة بهذا الآية ونحوها وقال في الاحزاب لئن لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا الآية فعلم انهم كانوا يفتنون اشياء اذ
ذاك ان لم ينتهوا عنها قبلوا عليها في المستقبل لما اعزاه دينه ونصر رسوله بحيث
ما كان للمنافق ظهور وتخاف من اقامة الحد عليه فتنة اكبر من بقاءه عملنا بآية
دع اذ هم كما انه حيث عجزنا عن جهاد الكفار عملنا بآية الكف عنهم والصفح
وحيث ما حصل القوة والعز خوطينا بقوله جاهد الكفار والمنافقين فهدنا
بين ان الامساك عن قتل من اظهر ثقافه بكتاب الله على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ لا نسخ بعده ولم ندع ان الحكم تغير بعده لتغير المصلحة
من غير وحي نزل فان هذا تصرف في الشريعة وتحويل لما بالأيوه دعوى
ان الحكم المطلق كان لمعنى وقد زال وهو غير جائز كما قد نسبوا ذلك الى من
قال ان حكم المؤلف انقطع ولم يأت على انقطاعه بكتاب ولا سنة سوى ادعاء
تغير المصلحة ويدل على المسئلة ماروى ابو ادريس قال اتى علي رضي الله عنه
بناس من الزنادقة ارتدوا عن الاسلام فسالهم فجحدوا فقامت عليهم البينة
العدول قال فقتلهم ولم يستبهم قال واتى برجل كان نصرانيا و اسلم ثم رجع
عن الاسلام قال فساله فافتر بما كان منه فاستنابه فتركه فقيل له كيف تستب
هذا ولم تستب او لا بك قال ان هذا اقرب بما كان منه وان اولئك لم يقرأوا
وجحدوا حتى قامت عليهم البينة فلذلك لم استبهم رواه الامام احمد
وروى عن ابي ادريس قال اتى علي برجل قد تنصر فاستنابه فاني ان يتوب

فقتله واتي برهط يصلون القبلة وهم نادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود
العدول فجحدوا وقالوا ليس لنا دين الا الاسلام فقتلهم ولم يستبهم ثم قال اندرون
لم استببت هذا النصر اني استبته لانه اظهر دينه واما الزنادقة الذين قامت
عليهم البيعة وجحدوني فانما قتلتم لانهم جحدوا وقامت عليهم البيعة فهذا من
اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب ان كل زنديق كتم زندقته وجحد حاجتي قامت عليه
البيعة قتل ولم يستب وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل من جحد زندقته
من المنافقين لعدم قيام البيعة ويدل على ذلك قوله تعالى ومن حولكم من
الاعراب منافقون ومن اهل المدينة الى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا اعمالا صالحا وآخر سيئا فعلم ان من لم يعترف بذنبه كان من المنافقين
ولهذا الحديث قال الامام احمد في الرجل يشهد عليه بالبدعة فيجحد ليست
له توبة انما التوبة لمن اعترف فاما من جحد فلا توبة له قال القاضي ابو يعلى
وغيره واذا اعترف بالزندقة ثم تاب قبلت توبته لانه باعترافه يخرج عن
جد الزندقة لان الزنديق هو الذي يستبطن الكفر ولا يظهره فاذا اعترف
به ثم تاب خرج عن جده فلهذا قبلنا توبته ولهذا لم يقبل علي رضي الله عنه
توبة الزنادقة لما جحدوا وقد يستدل على المسئلة بقوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات الا اية هروى الامام احمد باسناده عن ابي العالية في قوله
تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال
هذه في اهل الإيمان وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الا ان قال هذه في اهل النفاق ولا الذين يموتون

وهم كفار . قال هذه في اهل الشرك هذا مع انه الراوى عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيما اظن انهم قالوا كل من اصاب ذنبا فهو جاهل بالله وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب . ويدل على ما قال ان المنافق اذا اخذ ليقتل ورأى السيف فقد حضره الموت بدليل دخول مثل هذا في عموم قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت . وقوله تعالى شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت . وقد قال حين حضره الموت اني تبت الآن فليست له توبة كما ذكره الله سبحانه نعم ان تاب توبة صحيحة فيما بينه وبين الله لم يكن ممن قال اني تبت الآن بل يكون ممن تاب عن قريب لان الله سبحانه انما نفي التوبة عن حضره الموت وتاب بلسانه فقط ولهذا قال في الاول ثم يتوبون وقال هنا اني تبت الآن فمن قال اني تبت قبل حضور الموت او تاب توبة صحيحة بعد حضور اسباب الموت صحت توبته . وربما استدل بعضهم بقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آآ منا بالله وحده الايتين ويقولون تعالى فلما ادركه الفرق الآية وقوله تعالى فلولوا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الآية . فوجه الدلالة ان عقوبة الامم الخالية بمنزلة السيف للمنافقين ثم اولئك اذا تابوا بعد معاينة العذاب لم ينفعهم فكذلك المنافق ومن قال هذا فرق بينه وبين الحربي باقالاته عقوبة له على كفره بل تقالته ليسلم فاذا اسلم فقد اتى بالمقصود والمنافق انما يقاتل عقوبة لايسلم فانه لم يزل مسلما والعقوبات لا تسقط بالتوبة بعد مجيء البأس وهذا كعقوبات سائر العصاة فلهذه طريقة من يقتل الساب لكونه منافقا . وفيه طريقة اخرى .

و هي ان سب النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه موجب للقتل مع قطع النظر
عن كونه مجرد ردّة فان اذ يناله موجب للقتل ويناله جناية غير الكفر
اذ لو كان ردّة محضة وتبديلا للدين وتركاله لما جاز للنبي صلى الله عليه وسلم
العفو عن كان يؤذيه كما لا يجوز العفو عن المرتد ولما قتل الذين سبوه وقد
عفا عن قاتل وحارب وقد ذكرنا دلالة اخرى على ذلك فيما تقدم ولان
التقص والسب قد يصدر عن الرجل مع اعتقاد النبوة والرسالة لكن لما
وجب تزيير الرسول وتوقيفه بكل طريق غلظت عقوبة من انتهك عرضه
بالقتل فصارت قتلته حدا من الحد ودلان سبه نوع من الفساد في الارض
كالحاربة باليد لا مجرد كونه بدل الدين وتركه وفارق الجماعة واذا كان
كذلك لم يسقط بالتوبة كسائر الحدود غير عقوبة الكفر وتبديل الدين
قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض
فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا
من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين
تابوا من قبل ان تقدر عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم * فثبت بهذه
الآية ان من تاب بعد ان قدر عليه لم تسقط عنه العقوبة وكذلك قال سبحانه
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله
عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه واصبح فان الله يتوب عليه ان الله
غفور رحيم * فامر بقطع ايديهم جزاء على ما مضى ونكالا عن السرقة
في المستقبل منهم ومن غيرهم واخبر ان الله يتوب على من تاب ولم يدره

القطع بذلك لان القطع له حكمتان الجزاء والتكال والتوبة تسقط الجزاء
ولا تسقط التكال فان الجاني متى علم انه اذا تاب لم يعاقب لم يردع ذلك
الفساق ولم يزجرهم عن ركوب المظالم فان اظهر التوبة والاصلاح لمقصود
حفظ النفس والمال سهل ولهذا لم نعلم خلافا فاعتمد ان السارق او الزاني
لو اظهر التوبة بعد ثبوت الحد عليه عند السلطان لم يسقط الحد عنه وقد رجم
النبي صلى الله عليه وسلم ماعز او الغامدية واخبر بحسن توبتهما وحسن مصيرهما
وكذلك لو قيل ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يسقط بالتوبة وتجدد
الاسلام لم يردع ذلك الالسن عن انتهاك عرضه ولم يزجر النفوس عن استحلال
حرمة بل يؤذيه الانسان بما يريد ويصيب من عرضه ما شاء من انواع السب
والاذى ثم يجدد اسلامه ويظهر ايمانه وقد ينال المرء من عرضه وشرفه
منه تنقص له واستهزاء ببعض اقواله واعماله وان لم يكن منتقلا من دين
الى دين فلا نه يصعب على من هذه سبيله كلما نال من عرضه واستخف
بجرمته ان يجدد اسلامه بخلاف الردة المجردة عن الدين فان سقوط
القتل فيها بالعود الى الاسلام لا يوجب اجترأ الناس على الردة او الاثقال
عن الدين لا يقع الا عن شبهة قاذحة في القلب او شهوة قاصمة للعقل
فلا يكون قبول التوبة من المرتد محرضا للنفوس على الردة ويكون ما يتوقعه
من خوف القتل زاجرا له عن الكفر فانه اذا اظهر ذلك لا يتم مقصوده لعلمه
بانه يجبر على العود الى الاسلام وهنا من فيه استخفاف او اجترأ او سفاهة
تمكن من انتقاص النبي صلى الله عليه وسلم وغيبه والطعن عليه كلما شام

يجدد الاسلام ويظهر التوبة وبهذا يظهر ان السب والشتم يظهر الفساد في الارض الذي يوجب الحد اللازم من الزنا وقطع الطريق والسرقة وشرب الخمر فان مر يد هذه المعاصي اذ اعلم انه تسقط عنه العقوبة اذا تاب فعلها كما شاء كذلك من يدعوه ضعف عقله او ضعف دينه الى الانتقاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اعلم ان التوبة تقبل منه اتي ذلك متى شاء ثم تاب منه وقد حصل مقصوده بما قاله كما حصل مقصود او لا تلك بما فعلوه بخلاف مر يد الرد فان مقصوده لا يحصل الا بالمقام عليها وذلك لا يحصل له اذا قتل ان لم يرجع فيكون ذلك راد عاله وهذا الوجه لا يخرج السب عن ان يكون ردة ولكن حقيقته انه نوع من الردة يغلظ بما فيه من انتهاك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد تنغلظ ردة بعض الناس بان ينضم اليها قتل وغيره فيتحتم القتل فيهادون الردة المجردة كما يتحتم القتل في قتل من قطع الطريق لغلظ الجرم وان لم يتحتم قتل من قتل لغرض آخر فعوده الى الاسلام يسقط موجب الردة المحضة ويبقى خصوص السب ولا بد من اقامة حده كما ان توبة القاطع قبل القدره عليه تسقط تحتم القتل ويبقى حق اولياء المقتول من القتل او الدية او العفو وهذه مناسبة ظاهرة وقد تقدم نص الشارع وتنبه على اعتبار هذا المعنى فان قيل تلك المعاصي يدعوا اليها الطمع مع صحة الاعتقاد فلو لم يشرع عنها اجر لتسارعت النفوس اليها بخلاف سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الطبع لا يدعوا اليه الا بخلل في الاعتقاد اكثر ما يوجب الردة فعلم ان مصدرة اكثر ما يكون الكفر فيلزمه عقوبة

الكافر وعقوبة الكافر مشروطة بعدم التوبة واذا لم يكن اليه مجر دباغت
طبعي لم يشرع ما يجر عنه وان كان حراماً كالاستخفاف في الكتاب
والدين ونحو ذلك قلنا بل قد يكون اليه باعث طبعي غير الخلل في
الاعتقاد من الكبر الموجب للاستخفاف ببعض احواله وافعاله والنضب
الداعي الى الوقعة فيه اذا خالف الغرض بعض احكامه والشهوة الحاملة
على ذم ما يخالف الغرض من اموره وغير ذلك فهذا الامور قد تدعو للانسان
الى نوع من السب له وضرب من الاذى والانتقام وان لم يصد والامع
ضعف الايمان به كما ان تلك المعاصي لا تصد وايضاً الامع ضعف الايمان
واذا كان كذلك فقبول التوبة من هذه حاله يوجب اجترأ امثاله على
امثال كلماته فلا يزال العرض منهوكا والحرمة مخفورة بخلاف قبول التوبة
من يريد ان يتقاعن الدين اما الى دين آخر او الى تعطيل فانه اذا علم انه
يستتاب على ذلك فان تاب والاقول لم يتقبل بخلاف ما اذا صدر
السب عن كافر به ثم آمن به فان علمه بانه اذا اظهر السب لا يقبل
منه الا الا سلام او السيف يردعه عن هذا السب الا ان يكون مردياً
للا سلام ومتى اراد الا سلام فالسلام يجب ما كان قبله فليس سيفه
سقوط القتل باسلام الكافر من الطريق الى الوقعة في عرضه ما في سقوطه
بتجدد اسلام من يظهر الا سلام وايضاً فان سب النبي صلى الله عليه وسلم
حق آدمي فلا يسقط بالتوبة كحد القذف وكسب غيره من البشر ثم من
فرق بين المسلم والذمي قال المسلم قد التزم ان لا يسب ولا يعنف سبه فاذا

انني ذلك اقيم عليه حده كما يقام عليه حد الخمر وكما يعز على اكل لحم الميت
والخنزير والكافر لم يلتزم تحريم ذلك ولا يعتقد في ان يجب عليه اقامة حده
كما لا يجب عليه اقامة حد الخمر ولا يعز على الميت والخنزير نعم اذا اظهره
نقض العهد الذي يتناوب بينه وخصار بمنزلة الحرابي فنقتله لذلك فقط لانه لا يكونه
انني حدها يعتقد بجرمته فاذن اسلم سقط عنه العقوبة على الكفر ولا عقوبة عليه
لخصوص السب فلا يجوز قتله وحقيقة هذه الطريقة ان سب النبي
صلى الله عليه وسلم لما فيه من الفضاخنة عليه يوجب القتل تعظيما لحرمة وتعزيرا
له وتوقيرا وتكالا عن التعرض له والحد انما يقام على الكفر فيما يعتقد تحريمه
خاصة لكنه اذا اظهر ما يعتقد حله من المحرمات عندنا زجر عن ذلك وعوقب
عليه كما اذا اظهر الخمر والخنزير فظاهر السب اما ان يكون كذه الاشياء
كما زعم بعض الناس او يكون نقضا للعهد كما تلة المسلمين على التقديرين
فلا سلام بسقط تلك العقوبة بخلاف ما يصيبه المسلم مما يوجب الحد عليه
وابضا فان الردة على قسمين ردة مجردة وردة مغالطة شرع القتل على
خصوصها وكل منهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها والادلة الدالة
على سقوط القتل بالنوبة لا تتم القسمين بل لما تدل على القسم الاول كما
يظهر ذلك لتلن تأمل الادلة على قبول توبة المرتد فيبقى القسم الثاني وقد قام
للدليل على وجوب قتل صاحبه ولم يأت نص ولا اجماع لسقوط القتل
عنه والقبيل متعذر مع وجود الفرق الجلي فانقطع الالحاق والذي يحقق
هذه الطريقة انه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا اجماع ان كل من ارتد بآي

قول او اي فعل كان فانه يسقط عنه القتل اذا اتى بعد القردة عليه بل
الكتاب والسنة والاجماع قد فرق بين انواع المرتدين كما سنبذ كره وانما
بعض الناس يجعل برأيه الردة جنساً واحداً على تباين انواعه وبقيس
بعضها على بعض فاذا لم يكن معه عموم لطقي يعم انواع المرتدين لم يبق
الا القياس وهو فاسد اذا فارق الفرع الاصل بوصفه تأثير في الحكم وقد
دل على تأثيره نص الشارع وتبنيه والناسبة المشتمة على المصلحة المعبرة
وتقرير هذا من ثلاثة اوجه * احدها ان دلائل قبول توبة المرتدين
قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله الا الذين
تابوا بعد ذلك واصبحوا * وقوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه *
ونحوها ليس فيها الا توبة من كفر بعد الايمان فقط دون من انضم
الي كفره من اذى واضرار وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما فيها قبول توبة من جرد الردة فقط وكذلك سنة الخلفاء
الراشدين انما تضمنت قبول توبة من جرد الردة وحارب بعد
ارتدادهم كمحاربة الكافر الاصل على كفره فمن زعم ان في الاصول
ما يعم توبة كل مرتد سواء جرد الردة او غلظها باي شيء كان فقد
اخطأ وحشذ فقد قامت الادلة على وجوب قتل الساب وان لم يرتد
ولم تدل الاصول على ان مثله يسقط عنه القتل فيجب قتله بالدليل السالم عن
المعارض * الثاني * ان الله سبحانه قال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم

الظالمين أو لك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون * إلا الذين تابوا من
بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم * ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
ازدادوا كفرا ان تقبل توبتهم واولئك هم الضالون * فاخبر سبحانه ان
من ازداد كفرا بعد ايمانه لن تقبل توبته * وفرق بين الكفر المزيّد كفرا
والكفر المجرد في قبول التوبة من الثاني دون الاول فمن زعم ان كل كفر
بعد الايمان تقبل منه التوبة فقد خالف نص القرآن وهذه الآية ان كان
قد قيل فيها ان ازداد الكفر المقام عليه الى حين الموت وان التوبة المنفية
هي توبته عند الفرغ فاو يوم القيامة فالآية اعم من ذلك وقد رأينا سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقت بين النوعين فقبل توبة جماعة من المرتدين
ثم انه امر بقتل مقيس بن صبابه يوم الفتح من غير استتابه لما ضم الى رده فقتل
المسلم واخذ للمال ولم ينب قبل القدره عليه وامر بقتل البرنيين لما ضمو الى
ردتهم فنجوا من ذلك وكذلك امر بقتل ابن خطل لما ضم الى رده السب
وقتل المسلم وامر بقتل ابن ابي سرح لما ضم الى رده الطعن عليه والاقتراء
واذا كان الكتاب والسنة قد حكما في المرتدين بحكمين ورأينا ان من ضر
واذى بالردة اذى يوجب القتل لم يسقط عنه القتل اذا تاب بعد القدرة
عليه وان تاب مطلقا دون من بدل دینه فقط لم يصح القول بقبول توبة المرتد
مطلقا وكان السبب من القسم الذي لا يجب ان تقبل توبته كما دلت عليه
السنة في قصة ابن ابي سرح ولان السبب اذاء عظيم للمسلمين اعظم عليهم من

المحاربة باليد كما تقدم تقريره فيجب ان يتهم عقوبة فاعله ولان المرند المجرد
انما نقله لمقامه على التبدل فاذا علو الدارين الحق زال المبيع لدمه كما يزول
المسيح لدم الكافر الا صلى باسلامه وهذا السلب اتى من الاذى لله ورسوله
بعد المعاهدة على ترك ذلك بما اتى به وهو لا يقتل لمقامه عليه فان ذلك
ممتنع فصار قتله كقتل المحارب باليد وبالجملة فمن كانت ردته محاربة فهو
ورسوله يد او لسان فقد دلت للسنة المفسرة للكتاب انه من كفر كفرا
مزيدا لا تقبل توبته منه * الوجه الثالث * ان الردة قد تجرد عن
السب والشتم فلا تضمنه ولا تستلزمه كما تجرد عن قتل المسلمين واخذ اموالهم
اذ السب والشتم افراط في المداوة وابلغ في المحادة مصدره شدة سفته
الكافر وحرصه على فساد الدين واضرار اهله ولربما صدر عن من يعتقد
النوبة والرسالة لكن لم يأت بموجب هذا الاعتقاد من التوفيق والاعتقاد
فصار بمنزلة ابليس حيث اعتقد ربوبية الله سبحانه بقوله رب وقد ايقن
ان الله امره بالسجود ثم لم يأت بموجب هذا الاعتقاد من الاستسلام
والانقياد بل استكبر وعاند معاندة معارض طاعن في حكمة الامر
ولا فرق بين من يعتقد ان الله ربه وان الله امره بهذا الامر ثم يقول انه لا يطعمه
لان امره ليس بصواب ولا سداد وبين من يعتقد ان محمدا رسول الله
وانه صادق واجب الاتباع في خبره وامره ثم يسبه او يعيب امره
لو شئنا من احواله لو نقصه انتفاصا لا يجوز ان يستحقه الرسول وذلك ان
الايان قول وعمل فمن اعتقد الوحدة في الالهية في الالهية سبحانه وتعالى

والرسالة بعده ورسوله ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجه من الاجلال
والاكرام الذي هو حال في القلب يظهر اثره على الجوارح بل قارنه
الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول او بالفعل كان وجود ذلك الاعتقاد
كعدمه وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة
والصلاح اذ الاعتقادات الايمانية تزكي النفوس وتصلح افئدة لم توجب زكاة
النفوس ولا صلاحها فاذك الالانها لم ترسخ في القلب ولم تصر صفة واعتنا
لنفس ولا صلاحا واذ لم يكن علم الايمان المفروض صفة لقلب الانسان
لازمة له لم ينفعه فانه يكون بمنزلة حديث النفس وخواطر القلب والنجاة
لا تحصل الا يتيقن في القلب ولو انه مثقال ذرة هذ افيما بينه وبين الله وامافي
الظاهر فيجري الاحكام على ما يظهره من القول والفعل والغرض بهذا التنبيه
على ان الاستهزاء بالقلب والاتقاص يتنافي الايمان الذي في القلب منافاة
الضد ضدّه والاستهزاء باللسان يتنافي الايمان الظاهر باللسان كذلك والغرض
بهذا التنبيه على ان السبب الصادر عن القلب يوجب الكفر ظاهرا وباطنا
هذا مذهب الفقهاء وغيرهم من اهل السنة والجماعة خلاف ما يقوله بعض
الجهمية والمرجئة القائلين بان الايمان هو المعرفة والقول بلا عمل من اعمال
القلب من انه انما ينافيه في الظاهر وقد يجامعه في الباطن وربما يكون لنا
ان شاء الله تعالى عوده الى هذا الموضوع والغرض هنا ان الردة تجرد عن السبب
فكذلك قد تجرد عن قصد تبديل الدين وارادة التكذيب بالرسالة كما
تجرد كفر ابليس عن قصد التكذيب بالربوبية وان كان عدم هذا القصد

لا ينفعه كما لا ينفع من قال الكفر ان لا يقصد ان يكفر و اذا كان كذلك
 فالشارع اذا امر بقبول توبة من قصد تبدل دينه الحق وغير اعتقاده
 وقوله فانما ذاك لان المقضى للقتل الاعتقاد الطارى واعدام الاعتقاد الاول
 فاذا عاد ذلك الاعتقاد الايمانى وزال هذا الطارى كان بمنزلة الماء والمصير
 يتنجس بغيره ثم يزول التغير فيعود حلالا لان الحكم اذا ثبت بعلة
 زال بزوالها وهذا الرجل لم يظهر مجرد تغير الاعتقاد حتى يعود معصوما بعوده
 اليه وليس هذا القول من لوازم تغير الاعتقاد حتى يكون حكمه حكمه اذ قد
 بتغير الاعتقاد كثير او لا يكون به اذى لله ورسوله واضرار المسلمين
 يزيد على تغير الاعتقاد ويفعله من يظن سلامة الاعتقاد وهو كاذب عند الله
 ورسوله والمؤمنين في هذه الدعوى والظن ومعلوم ان المفسدة في هذا
 اعظم من المفسدة في مجرد تغير الاعتقاد من هذين الوجهين من جهة كونه
 اضرارا اژاندا ومن جهة كونه قد يظن او يقال ان الاعتقاد قد يكون سالما
 معه فيصد رعن لا يريد الانتقال من دين الى دين ويكون فسادا اعظم
 من فساد الانتقال اذا الانتقال قد علم انه كفر فنزع عنه ما نزع عن الكفر
 وهذا قد يظن انه ليس بكفر الا اذا صدرا احتمالا لا بل هو مفضية وهو من
 اعظم انواع الكفر فاذا كان الداعى اليه غير الداعى الى مجرد الردة والمفسدة
 فيه مخالفة لمفسدة الردة وهي اشد منها لم يجز ان يلحق التائب منه بالتائب
 من الردة بالردة لان من شرط القياس قياس المعنى استواء القرع والاصل
 في حكمه الحكم باستواءهما في دليل الحكمة اذا كانت خفية فاذا كان في الاصل

معاني مؤثرة يجوز ان تكون التوبة المتأخلة لا جلاها وهي معه ومه في التفرع
لم يجوز اذ لا يلزم من قبول توبة من خففت مفسدة جنايته او انتفت قبول
توبة من تأخلت مفسدته او بقيت^١ وحاصل هذا الوجه انه عصمة دم هذا
بالتوبة قياسا على المرتد متعذر لوجود الفرق المؤثر فيكون المرتد المتقل الى
دين آخر ومن اتى من القول بما يضر المسلمين ويؤذي الله ورسوله وهو
موجب للكفر نوعين نعت جنس الكافر بعد اسلامه وقد شرعت التوبة
في حق الاول فلا يلزم شرع التوبة في حق الثاني لوجود القاري من حيث
لا ضرار ومن حيث ان مفسدته لا تزول بقبول التوبة •

فصل

قد تضمن هذه الدلالة على وجوب قتل الساب من المسلمين وان تاب واسلم ويوجه
قول من فرق بينه وبين الذي اذا اسلم وقد تضمن الدلالة على ان الذي
اذا عاد الى الذمة لم يسقط عنه القتل بطريقين الاول فان عود المسلم الى الاسلام
احقن له مه من عود الذي الى ذمته ولهذا عامة العلماء الذين حقنوا دم
هذا وامثاله بالعود الى الاسلام لم يقولوا مثل ذلك في الذي اذا عاد الى
الذمة ومن تأمل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله لبي قريظة
وبعض اهل خيبر وبعض ابني النضير واجلائه لبي النضير وبنو قينقاع بعد ان
تقيض هؤلاء الذمة وحرصوا على ان يجهنمهم الى عقد الذمة ثانيا فلم يفعل ثم
سنة خلفائه وصحابته في مثل هذا الموضع وامثاله مع العلم بانه كان احرص
شيء على العود الى الذمة لم يسترب في ان القول بوجوب اعادة مثل هذا

السَّابُّ الذِّمِّيَّ
الطَّرِيقَ الْمُتَعَدِّدَةَ فِي وَجوب قتل الذِّمِّيِّ

﴿ كَمَا يَتَّبَعُهَا ﴾

الى الذمة قول مخالف للسنة ولا جماع خير القرون وقد تقدم التنبيه على ذلك في حكم ناقض العهد مطلقا ولو لأظهره لاشبعنا القول فيه وانما احلنا على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته من له بها علم فانهم لا يستريبون انه لم يكن الذي بين النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء اليهود هدفة موقته وانما كانت ذمة مؤبدة على ان الدار دار الاسلام وانه يجري عليهم حكم الله ورسوله فيما يختلفون فيه الا انهم لم يضرب عليهم جزية ولم يلزموا بالصغار الذي الزموا بعد نزول براءة لان ذلك لم يكن شرعا بعد وامان قال ان الساب يقتل وان تاب واسلم وسواء كان كافرا او مسلما فقد تقدم دليله على ان المسلم يقتل بعد التوبة وان الذمي يقتل وان طلب العود الى الذمة واما قتل الذمي اذا وجب عليه القتل بالسب وان اسلم بعد ذلك فلهم فيه طرق وهي دالة على تحتم قتل المسلم ايضا كما تدل على تحتم قتل الذمي •

﴿ الطريقة الاولى ﴾ قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم • الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم فوجه الدلالة ان هذا الساب المذكور من المحاربين لله ورسوله الساعين في الارض فسادا الداخلين في هذه الآية سواء كان مسلما او معاهدا وكل من كان من المحاربين الداخلين في هذه الآية فانه يقام عليه الحد اذا قدر عليه قبل التوبة سواء تاب بعد ذلك او لم يتب فهذا الذمي او المسلم اذا سب

ثم اسلم بعد ان كل واحد قد قد ر عليه قبل التوبة فيجب اقامة الحد عليه
 وحده القتل فيجب قتله سواء تاب او لم يتب • والدليل مبني على
 مقدمتين • احدهما • انه داخل في هذه الآية • والثانية • ان ذلك
 يوجب قتله اذا اخذ قبل التوبة لما المقدمة الثانية فظاهرة فاننا لم نعلم به
 مخالفا في ان المحاريين اذا اخذوا قبل التوبة وجب اقامة الحد عليهم وان
 تابوا بعد الاخذ وذلك بين في الآية فان الله اخبر ان جزاءهم احد هذه
 الحدود الاربعة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فالتائب قبل
 القدرة ليس جزاؤه شيئا من ذلك وغيره احد هذه جزاؤه وجزاء
 اصحاب الحدود يجب لقامته على الآية لان جزاء العقوبة اذا لم يكن حقا لآدمي
 حتى بل كان حدا من حدود الله وجب استيفاؤه باتفاق المسلمين وقد
 قال تعالى في آية السرقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا فامر بالقطع جزاء
 على ما كسباه فلو لم يكن الجزاء المشروع الحد ود من العقوبات واجبا
 لم يعلل وجوب القطع به اذ العلة المطلوبة يجب ان تكون ابلغ من الحكم
 واقوى منه والجزاء اسم للفعل واسم لما يجازى به ولهذا قرئ قوله تعالى
 فجزاء مثل ما قتل • بالتثنية وبالاضافة وكذلك الثواب والعقاب
 وغيرهما فالقتل والقطع قد يسمى جزاء ونكالا وقد يقال فعل هذه ليجز به
 وللجزاء ولهذا قال الا كثرون انه نصب على المفعول له والمعنى ان الله
 امر بالقطع ليجزيهم وليشكل عن فعلهم وقد قيل انه نصب على المصدر لان
 معنى اقطعوا جزوهم ونكلوا وقيل انه على الحال اى فاقطعواهم مجزين

منكبين هم وغيرهم اوجازين منكبين وبكل حال فالجزاء مامور به
او مامور لاجله فثبت انه واجب الحصول شرعا وقد اخبر ان جزاء
المحاريين احد الحدود الاربعة فيجب تحصيلها اذ الجزاء هنا يتحد فيه معنى
القتل ومعنى المجزى به لان القتل والقطع والصلب هي افعال وهي عين
ما يجزى به وليست اجساما بمنزلة المثل من النعم بين ذلك ان لفظ الآية خبر
عن احكام الله سبحانه التي يامر الامام بفعلها ليست عن الحكم الذي يخبر فيه
بين فعله وتركه اذ ليس الله احكام في اهل الذنوب يخبر الامام بين فعلها
وترك جميعها وايضا فانه قال ذلك لم يخزى في الدنيا والخزى لا يحصل
الاباقامة الحدود لا تعطيلها وايضا فانه لو كان هذا الجزاء الى الامام له
اقامته وتركه بحسب المصلحة لئلا يذهب الى العفو كما في قوله تعالى وان عاقبتهم
فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقوله والجروح
قصاص فمن تصدق به فهو كفارة وقوله ودية مسلمة الى اهله الا ان
تصدقوا وايضا فالادلة على وجوب اقامة الحدود على السلطان من
السنة والاجماع ظاهرة ولم نعلم مخالفا في وجوب جزاء المحاريين ببعض
ما ذكر الله في كتابه وانما اختلفوا في هذه الحدود هل يخبر الامام بينها بحسب
المصلحة او لكل جرم جزاء معدود شرعا كما هو مشهور فلا حاجة الى الاطناظ في
وجوب الجزاء لكن نقول جزاء الساب التخل عينا بما تقدم من الدلائل الكبرية
ولا يخبر الامام فيه بين القطع والانتفاء واذا كان جزاؤه القتل من هذه
الحدود وقد اخذ قبل التوبة وجب اقامة الحد عليه اذا كان من المحاريين

بلا ترد فلقين المقدمة الاولى وهي ان هذا امن المحاربين لله ورسوله الساعين
 في الارض فسادا وذلك من وجوه احدها ما روته من حديث عبد الله بن
 صالح كاتب الليث قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن
 ابن عباس رضي الله عنهما قال وقوله انما جزاه الذين يجارون الله ورسوله
 ويسعون في الارض فسادا قال كان قوم من اهل الكتاب بينهم وبين
 النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله
 رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء ان يقتل وان شاء ان يصلب وان شاء ان
 يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف واما النبي فهو ان يهرب في الارض فان جاء
 تابئا فدخل في الاسلام قبل منه ولم يؤخذ بما سلف منه ثم قال في موضع آخر وذكر
 هذه الآية من شهر السلاح في قبة الاسلام واحاف السبيل ثم ظفربه وقدر
 عليه فامام المسلمين فيه بالخيار ان شاء قتله وان شاء صلبه وان شاء قطع يده
 ورجله ثم قال او ينفوا من الارض يخرجوا من دار الاسلام الى دار الحرب
 فان تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم وكذلك
 روى محمد بن يزيد الواسطي عن جوير عن الضحاك قوله تعالى انما جزاه
 الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا قال كان ناس من
 اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فقطعوا
 الميثاق وافسدوا في الارض فخير الله رسوله ان يقتل ان شاء او يصلب او
 يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف واما النبي فهو ان يهرب في الارض
 لا يقدر عليه فان جاء تابئا فدخل في الاسلام قبل منه ولم يؤخذ بما عمل وقال

الضحاك ليمارجل مسلم قتل او اصاب حدا او مالا لمسلم فلحق بالمشر كين
فلاتوبة له حتى يرجع فيضع يده في يد المسلمين فيقر بما اصاب قبل ان يهرب
من دم او غيره اقيم عليه او اخذ منه ففي هذين الاثرين انها نزلت في قوم
معاهد ين من اهل الكتاب لما نقضوا العهد وفسدوا في الارض وكذلك
في تفسير الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وان كان لا يعتمد عليه اذا انفرد
انها نزلت في قوم موادعين وذلك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وادع هلال بن عويمر وهو ابوردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن اتاه من المسلمين فهو آمن ان يهاج ومن اتى المسلمين منهم فهو آمن ان يهاج ومن
مر بهلال بن عويمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن ان يهاج قال
فرقوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من اسلم من قوم هلال بن عويمر
ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فبهذا فهدوا اليهم فقتلوه واخذوا اموالهم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل عليه جبريل بالقصة فيهم فقد ذكر انها
نزلت في قوم معاهد ين لكن من غير اهل الكتاب . وروى عكرمة عن
ابن عباس وهو قول الحسن انها نزلت في المشر كين ولعله اراد
الذين نقضوا العهد كما قال هو لانه فان الكافر الاصل لا يتطبق عليه حكم
الآية والذي يحقق ان ناقض العهد بما يضر المسلمين داخل في هذه الآية من
للاثر لما قد مناه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتى برجل من
اهل الذمة اخس بامرة من المسلمين حتى وقعت فيجلها فامر به عمر فقتل
وصلب فكان اول مصلوب في الاسلام وقال يا ايها الناس اتقوا الله في ذمة

محمد صلى الله عليه وسلم ولا تظلموهم فمن فعل هذا فلا ذمة له وقد رواه عنه
 عوف بن مالك الاشجعي وغيره كما تقدم وروى عبد الملك بن حبيب
 باسناده عن عياض بن عبد الله الاشعري قال مرت امرأة تسير على بغل
 فنخس بها عالج فوقعت من البغل فبدا بعض عورتها فكتب بذلك ابو عبيدة
 ابن الجراح الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر ان اصلب العالج في ذلك
 المكان فانالم نعاهدهم على هذا اتما عاهدناهم على ان يعطوا الجزية عن يد وهم
 صاغرون وقد قال ابو عبد الله احمد بن حنبل في مجوسى فجر بمسلمة يقتل
 هذا نقض العهد وكذلك ان كان من اهل الكتاب يقتل ايضا قد صلب
 عمر رجلا من اليهود فجر بمسلمة هذا نقض العهد قيل له ترى عليه الصلب
 مع القتل قال ان ذهب رجل الى حديث عمر كانه لم يعب عليه فهو لاه
 اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابو عبيدة وعوف بن مالك
 ومن كان في عصرهم من السابقين الاولين قد استحلوا قتل هذا وصلبه
 وبين عمر انالم نعاهدهم على مثل هذا الفساد وان العهد انتقض بذلك فعلم انهم
 تاولوا فمين نقض العهد بمثل هذا انه من محاربة الله ورسوله والسعى في الارض
 فسادا فاستحلوا ذلك قتله وصلبه والا فصلب مثله لا يجوز الا لمن ذكره الله في
 كتابه وقد قال آخرون منهم ابن عمرو انس بن مالك ومجاهد وسعيد بن جبير
 وعبد الرحمن بن جبير ومكحول وقتادة وغيرهم رضى الله عنهم انها نزلت في العربيين
 الذين ارتدوا عن الاسلام وقتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واساقوا ابل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث العربيين مشهور لا منافاة بين الحديثين

فان سبب النزول قد يتعدد مع كون اللفظ عاما في مدلوله وكذلك كان عامة
 العلماء على ان الآية عامة في المسلم والمرئد والناقض كما قال الاوزاعي في
 هذه الآية هذا حكم حكمه الله في هذه الامة على من حارب مقيما على الاسلام
 او غير تداعنه وفين حارب من اهل الذمة وقد جاءت آثار صحيحة عن
 علي وابي موسى وابي هريرة وغيرهم رضى الله عنهم تقتضي ان حكم هذه
 الآية ثابت فبين حارب المسلمين بقطع الطريق ونحوه مقيما على اسلامه ولهذا
 يستدل جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على جد قطاع الطريق
 بهذه الآية والمقصود هنا ان هذا الناقض للعهد والمرئد عن الاسلام بما فيه
 الضرر داخل فيها كما ذكرنا دلائله عن الصحابة والتابعين وان كان يدخل
 فيها بعض من هو مقيم على الاسلام وهذا الساب ناقض للعهد بما فيه ضرر على
 المسلمين وضرر تدبما فيه ضرر على المسلمين فيدخل في الآية وما يدل على
 انه قد عني بها نقضوا العهد في الجملة ان النبي صلى الله عليه وسلم نفي بني قينقاع
 والنضير لما نقضوا العهد الى ارض الحرب وقتل بنى قريظة وبعض اهل
 خيبر لما نقضوا العهد والصحابة قتلوا وصلبوا بعض من فعل ما ينقض العهد من
 الامور المضرة بحكم النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه في اصناف ناقض
 العهد حكم الله في هذه الآية مع صلاحه لان يكون امثالا لامر الله فيها دليل على
 انهم مرادون منها الوجه الثاني ان ناقض العهد والمرئد المؤذى لا ريب انه
 محارب لله ورسوله فان حقيقة نقض العهد محاربة المسلمين ومحاربة المسلمين
 محاربة لله ورسوله وهو اولى بهذا الاسم من قاطع الطريق ونحوه لان ذلك مسلم

لكن لما حارب المسلمين على الدنيا كان محاربا لله ورسوله فالذى يحاربهم على الدين اولى ان يكون محاربا لله ورسوله ثم لا يخلوا ما ان لا يكون محاربا لله ورسوله حتى يقاتلهم ويمتنع عنهم او يكون محاربا اذا فعل ما يضرهم مما فيه نقض العهد وان لم يقاتلهم والاول لا يصح لما قد مناه من ان هذا قد نقض العهد وصار من المحاربين ولان ابا بكر الصديق رضى الله عنه قال ايما معاهد تماطى سب الانبياء فهو محارب غادر وعمر وسائر الصحابة قد جعلوا الذمى الذى تجل المصلحة بعد ان نخس بها الدابة محاربا بمجرد ذلك حتى حكموا فيه بالقتل والصلب فعلم انه لا يشترط في المحاربة المقاتلة بل كلما نقض العهد عندهم من الاقوال والافعال المضرة فهو محارب داخل في هذه الآية. فان قيل. فيلزم من هذا ان يكون كل من نقض العهد بما فيه ضرر يقتل اذا اسلم بعد القدرة عليه. قيل. وكذلك تقول وعليه يدل ما ذكرناه في سبب نزولها فانها اذا نزلت فمين نقض العهد بالفساد وقد قيل فيها الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم علم ان النائب بعد القدرة مبقى على حكم الآية. الوجه الثالث. ان كل ناقض للعهد فقد حارب الله ورسوله ولولا ذلك لم يجز قتله ثم لا يخلوا اما ان يقتصر على نقض العهد بان يلحق بدار الحرب او يضم الى ذلك فسادا فان كان الاول فقد حارب الله ورسوله فقط فهذا لم يدخل في الآية وان كان الثاني فقد حارب وسعى في الارض فسادا مثل ان يقتل مسلما او يقطع الطريق على المسلمين او ينصب مسلما على نفسه او يظهر الطعن في كتاب الله ورسوله ودينه او يفتن مسلما عن دينه فان هذا قد حارب الله ورسوله

نقضه العهد وسعى في الارض فسادا بفعله ما يفسد على المسلمين اما دينهم
او دنياهم وهذا قد دخل في الآية فيجب ان يقتل او يقتل ويصلب او ينفي من
الارض حتى يلحق بارض الحرب ان لم يقتل ر عليه او تقطع يده ورجله ان
كان قد قطع الطريق واخذ المال ولا يستقط عنه ذلك الا ان يتوب من
قبل ان يقتل ر عليه وهو المطلوب ❖ الوجه الرابع ❖ ان هذا الساب محارب لله
ورسوله ساع في الارض فسادا فدخل في الآية وذلك لانه عدو لله
ورسوله ومن عادى الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله وذلك لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال للذي سبه من يكفيني عدوى وقد تقدم
ذكر ذلك من غير وجه واذا كان عدوا له فهو محارب ❖ وروى البخارى
في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك
وتعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ❖ وفي الحديث عن معاذ بن جبل
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اليسير من الرياء شرك ومن
عادى اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة فاذا كان من عادى واحدا من الاولياء قد
بارز الله بالمحاربة فكيف من عادى صفوة الله من اوليائه فانه يكون اشد مبارزة
له بالمحاربة واذا كان محاربا لله لا جل عداوته للرسول فهو محارب للرسول
بطريق الاولى ثبت ان الساب للرسول محارب لله ورسوله ❖ فان قيل ❖ فلو سب
واحدا من اولياء الله غير الانبياء فقد بارز الله بالمحاربة فانه اذا سبه فقد عاداه كما
ذكرتم واذا عاداه فقد بارز الله بالمحاربة كما نصه الحديث الصحيح ومع هذا لا يدخل
في المحاربة المذكورة في الآية فقد انتقض الدليل وذلك يوجب صرف المحاربة الى

المحاربة باليد ❖ قبل هذا باطل من وجوه ❖ أحدها ❖ اذ ليس كل من
سب غير الانبياء يكون قد عاداهم اذ لا دليل يدل على ذلك وقد قال
سبحانه وتعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً ❖ بعد ان اطلق انه من آذى الله ورسوله فقد
لعنه الله في الدنيا والآخرة ❖ فعلم ❖ ان المؤمن قد يؤذى بما اكتسب ويكون
آذاه بحق كقائمة الحدود والانتصار في الشتمة ونحو ذلك مع كونه
ولي الله واذا كان واجباً في بعض الاحيان او جائزاً لم يكن موزيه في تلك
الحال عدواً له لان المؤمن يجب عليه ان يوالى المؤمن ولا يعاديه وان
عاقبه عقوبة شرعية كما قال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
وقال تعالى من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا ❖ الثاني ❖ ان من سب
غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد يكون مع السب موالية من وجه
آخر فان سب المسلم اذا لم يكن يحق كان فسوقاً والفاسق لا يعادى
المؤمنين بل يوالىهم ويعتقد مع السب للمؤمن انه يجب موالاة من وجه
آخر اما سب النبي صلى الله عليه وسلم فانه ينافي اعتقاد نبوته وهستلزم البراءة
منه والمعاداة له لان اعتقاد عدم نبوته وهو يقول انه نبي يوجب ان يعامل
معاملة النبيين وذلك يوجب انبلغ العداوات له ❖ الثالث ❖ لو فرض ان سب
غير النبي صلى الله عليه وسلم سلم عداوة له لكن ليس احد بعينه يشهد له انه ولي الله
شهادة توجب ان ترتب عليها الاحكام المبيحة للدماء بخلاف الشهادة
لنبي بالولاية فانها بعينه نعم لما كان الصحابة قد يشهد لبعضهم بالولاية خرج

في قتل سابعهم خلاف مشهور بمائنيه ان شاء الله تعالى عليه ❀ الرابع ❀ انه لو فرض انه عادى ولياً علم انه ولي فأنما يدل على انه بارز الله بالمحاربة وليس فيه ذكر محاربة الله ورسوله والجزاء المذكور في الآية إنما هو لمن حارب الله ورسوله ومن سب الرسول فقد عاده ومن عاداه فقد حاربه وقد حارب الله ايضاً كما دل عليه الحديث فيكون محارباً لله ورسوله ومحاربة الله ورسوله اخص من محاربة الله والحكم المعلق بالاخص لا يدل على انه معلق بالاعم وذلك ان محاربة الرسول تقتضي مشاقته على ما جاء به من الرسالة وليس في معاداة ولي بعينه مشاقة في الرسالة بخلاف الطعن في الرسول ❀ الخامس ❀ ان الجزاء في الآية لمن حارب الله ورسوله او سعى في الارض فساداً والطاعن في الرسول قد حارب الله ورسوله كما تقدم وقد سعى في الارض فساداً كما سيأتي وهذا الساب للولي وان كان قد حارب الله فلم يسع في الارض فساداً الا ان السعي في الارض فساداً إنما يكون بافساد عام لدين الناس او دنياهم وهذا إنما يتحقق في الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لا يجب على الناس الايمان بولاية الولي ويجب عليهم الايمان بنبوة النبي ❀ السادس ❀ ان ساب الولي لو فرض انه محارب لله ورسوله فخرجه من اللفظ العام لدليل اوجهه لا يوجب ان يخرج هذا الساب للرسول لان الفرق بين العداوتين ظاهري والقول العام اذ اخصت منه صورة لم تخص منه صورة اخرى لا تساو بها الا بدليل آخر ❀ السابع ❀ ان حمله على المحاربة باليد متعذر ايضاً في حق الولي لان من

عاداه يده لم هو جب ذلك ان يدخل في حكم الآية على الاطلاق مثل ان
يضر به ونحو ذلك فلا فرق اذ في حقه بين المعادة باليد واللسان
بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا فرق بين ان يعاديه بيد او لسان
فانه يمكن دخوله في الآية وذلك مقرر الاستدلال كما تقدم
واذا ثبت ان هذا الساب محارب لله ورسوله فهو ايضا ساع في الارض
فسادا لان الفساد نوعان فساد الدين من الدماء والاموال والفروج وفساد
الدين والذي يسب الرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقع في عرضه يسعى
ليفسد على الناس دينهم ثم بواسطة ذلك يفسد عليهم دينهم وسواه فرضنا
انه افسد على احد دينه او لم يفسد لانه سبحانه تعالى انما قال ويسعون في الارض
فساداه قيل انه نصب على المفعول له اي ويسعون في الارض للفساد وكما قال
واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد والسعى هو العمل والفعل فمن سعى ليفسد امر الدين فقد سعى في الارض
فسادا وان خاب سعيه وقيل انه نصب على المصدر او على الحال تقديره
سعى في الارض مفسدا كقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين او كما يقال
جلس قعودا وهذا يقال لكل من عمل عملا يوجب الفساد وان لم يؤثر لعدم
قبول الناس له وتمكينهم اياه بمنزلة قاطع الطريق اذا لم يقتل احدا ولم يأخذ مالا
على ان هذا العمل لا يخلو من فساد في النفوس قط اذا لم يبق عليه الحد وايضا
فانه لا ريب ان الطعن في الدين وتقييح حال الرسول في عين الناس وتغييرهم
عنه من اعظم الفساد كما ان الدعاء الى تعزيره وتوقيفه من اعظم الصلاح والفساد

ضد الصلاح وكان كل قول وعمل يحبه الله فهو من الصلاح وكل قول
او عمل يفضه الله فهو من الفساد قال سبحانه وتعالى ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها * يعني الكفر والمعصية بعد الايمان والطاعة لكن الفساد نوعان
لازم وهو مصدر فسد يفسد فسادا او متعد وهو اسم مصدر افسد يفسد
افسادا كما قال تعالى سعي في الارض ليفسد فيه ويهلك الحرث والنسل والله
لا يحب الفساد * وهذا هو المراد هنا لان يقال يسعون في الارض فسادا وهذا
انما يقال لمن افسد غيره لانه لو كان الفساد في نفسه فقط لم يقل سعي في الارض
فسادا وهذا انما يقال في الارض لما انفصل عن الانسان كما قال سبحانه
وتعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب مبين * وقال
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم * وقال تعالى وفي الارض آيات للمؤمنين
وفي انفسكم * وايضا فان الساب ونحوه انتهاك حرمة الرسول ونقص قدره
واذى الله ورسوله وعباده المؤمنين واجراؤ النفوس الكافرة والمنافقة
على اصطلام امر الاسلام وطلب اذلال النفوس المؤمنة وازالة عز الدين
وامقال كلمة الله وهذا من ابلغ السعي فسادا * ويؤيد ذلك ان عامة ما ذكر في القرآن
من السعي في الارض فسادا والافساد في الارض فانه قد عني به افساد الدين فثبت
ان هذا الساب محارب لله ورسوله ساع في الارض فسادا فيدخل في الآية *
* الوجه الخامس * ان المحاربة نوعان محاربة باليد ومحاربة باللسان والمحاربة
باللسان في باب الدين قد تكون انكي من المحاربة باليد كما تقدم تقريره في المسئلة
الاولى وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقتل من كان يحاربه باللسان

مع استبقائه بعض من حاربه باليد خصوصاً محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته فإنها انما تمكن باللسان وكذا لك الافساد قد يكون باليد وقد يكون باللسان وما يفسده اللسان من الاديان اضعاف ما تنسده اليد كما ان ما يصلحه اللسان من الاديان اضعاف ما يصلحه اليد فثبت ان محاربة الله ورسوله باللسان اشد والسعي في الارض لفساد الدين باللسان او كد فهذا الساب لله ورسوله اولى باسم المحارب المفسد من قاطع الطريق * الوجه السادس * ان المحاربة خلاف المسالمة والمسالمة ان يسلم كل من المتسالمين من اذى الآخر فمن لم يسلم من يده او لسانه فليس بمسالماً لك بل هو محارب ومعلوم ان محاربة الله ورسوله هي المغالبة على خلاف ما امر الله به ورسوله اذا المحاربة لذاته الله ورسوله محال فمن سب الله ورسوله لم يسلم الله ورسوله لان الرسول لم يسلم منه بل طعنه في رسول الله مغالبة لله ورسوله على خلاف ما امر الله به على لسان رسوله وقد افسد في الارض كما تقدم فيدخل في الآية وقد تقدم في المسئلة الاولى ان هذا الساب محاد لله ورسوله مشاق لله تعالى ورسوله وكل من شاق الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله لان المحاربة والمشاقة سواء * فان الحرب هو الشق منه سمي المحراب مجراً ابوا ما كونه مفسداً في الارض فظاهر . واعلم ان كل ما دل على ان السب نقض للعهد فقد دل على انه محاربة لله ورسوله لان حقيقة نقض العهد ان يعود الذي محاربا فلم يكن بالسب يعود محارباً بل ما كان ناقضاً للعهد وقد قد منافي ذلك من الكلام ما لا يليق اعادته لما فيه من الاطالة فليراجع ماضى في هذا الموضع

بقي انه سعى في الارض فسادا وهذا واضح من ان يحتاج الى دليل فان اظهار
 كلمة الكفر والطعن في المرسلين والقدح في كتاب الله ودينه ورسوله
 وكل سب بينه وبين خلقه لا يكون اشد منه فسادا وعامة الآي في كتاب الله
 التي تنهى عن الافساد في الارض فان من اكثر المراد بها الطعن في الانبياء
 كقوله سبحانه عن المنافقين الذين يخادعون الله والذين آمنوا . واذا قيل
 لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون . قال تعالى الا انهم هم المفسدون .
 وانما كان افسادهم تقاعصهم وكفرهم . وقوله لا تفسدوا في الارض بعد
 اصلاحها . وقوله سبحانه والله لا يحب الفساد . وقوله واصلم ولا تتبع سبيل
 المفسدين . واذا كان هذا محاربا لله ورسوله سا عيا في الارض فسادا
 تناولته الآية وشملته وما يقرر الدلالة من الآية ان الناس فيها قسمان منهم
 من يجعلها مخصوصة بالكفار من مرتدوا ناقض عهد ونحوها . ومنهم من
 يجعلها عامة في المسلم المقيم على اسلامه وفي غيره ولا اعلم احدا خصها بالمسلم
 المقيم على اسلامه فتخصيصها به خلاف الاجماع ثم الذين قالوا انها عامة قال
 كثير منهم قتادة وغيره قوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم هذه
 لاهل الشرك خاصة فمن اصاب من المشركين شيئا من المسلمين وهولم حرب
 فاخذ مالا او اصاب دما ثم مات من قبل ان يقدر عليه اهدر عنه ماضى
 لكن المسلم المقيم على اسلامه محاربته انما هي باليد لان لسانه موافق مسالم للمسلمين
 غير محارب اما المرئى والناقض للعهد فمحاربه تارة باليد وباللسان اخرى
 ومن زعم ان اللسان لا تقع به محاربة فالادلة المتقدمة في اول المسئلة مع

ما ذكرناه هنا تدل على انه محاربة على ان الكلام في هذا المقام انما هو بعد
 ان نقرر ان السب محاربة وتعض للعهد ❖ واعلم ❖ ان هذه الآية آية جامعة
 لانواع من المفسدين والدلالة منها هنا ظاهرة قوية لمن تأملها لا اعلم شيئاً يدفعها
 . فان قيل . مما يدل على ان المحاربة هنا باليد فقط انه قال الا الذين تابوا
 من قبل ان تقدروا عليهم واثم يكون هذا فيمن كان ممتنعاً والشاتم ليس ممتنعاً
 . قيل . الجواب من وجوه ❖ احدها ❖ ان المستثنى اذا كان ممتنعاً لم يلزم
 ان يكون المستثنى ممتنعاً لجواز ان تكون الآية تعم كل محارب يد اولسان
 ثم استثنى منهم الممتنع اذا تاب قبل القدرة فيبقى المقدور عليه مطلقاً والممتنع
 اذا تاب بعد القدرة ❖ الثاني ❖ ان كل من جاء تائباً قبل اخذه فقد تاب
 قبل القدرة عليه . مثل عطاء عن الرجل ينجى بالسرقه تائباً قال ليس
 عليه قطع وقرأ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم وكل من
 لم يوحذ فهو ممتنع لاسيما اذا لم يوجد ولم تقم عليه حجة وذلك لان الرجل
 وان كان مقيماً فيمكنه الاستخفاء والحرب كما يمكن المصحر فليس كل من فعل
 جرم ما كان مقدوراً عليه بل قد يكون طلب المصحر اسهل من طلب المقيم
 اذا كان لا يواريه في الصحراء خرولاً غابة بخلاف المقيم في المصر وقد يكون
 المقيم له من يمنعه من اقامة الحد عليه وكل من تاب قبل ان يوحذ ويرفع
 الى السلطان فقد تاب قبل القدرة عليه . وايضاً فاذا تاب قبل ان يعلم به
 وثبت الحد عليه فان جاء بنفسه فقد تاب قبل القدرة عليه لان قيام البينة
 وهو في ايدينا قدرة عليه فاذا تاب قبل هذين فقد تاب قبل القدرة

عليه قطامه الثالث • ان المحارب باللسان كالمحارب باليد قد يكون ممنما وقد يكون المحارب باليد مستضعفاين قوم كثيرين وكما ان الذي يخاطر بنفسه بقتال قوم كثيرين قليل فكذلك الذي يظهر الشتم ونحوه من الضررين قوم كثيرين قليل وان الغالب ان القاطع بسيفه انما يخرج على من يستضعفه فكذلك الذي يظهر الشتم ونحوه من الساب ونحوه انما يفعل ذلك في الغالب مستخفيا مع من لا يتمكن من اخذه ورفعته الى السلطان والشهادة عليه • وما يقرر الدلالة الاستدلال بالآية من وجهين اخرين • احدهما • انها قد نزلت في قوم ممن كفروا وحارب بعد سله باتفاق الناس فما علمناه وان كانت نزلت ايضا فمين حارب وهو مقيم على اسلامه فالذمي اذا حارب امانا يقطع الطريق على المسلمين او يستكره مسلمة على نفسها ونحو ذلك يصير به محاربا وعلى هذا اذا تاب بعد القدرة عليه لم يسقط عنه القتل الواجب عليه وان كان هذا قد اختلف فيه فان العمدية على الحجة فالساب للرسول اولى ولا يجوز ان يخص بمن قاتل لاخذ المالى فان الصحابة جعلوه محاربا بدون ذلك وكذلك سب الرسول الذي ذكرناه ليس فيه أنهم قتلوا احدا لاخذ مال ولو كانوا قتلوا احدا لم يسقط القود عن قاتله اذا تاب قبل القدرة وكان قد قتله وله عهد كما لو قتله وهو مسلم وايضا فقطع الطريق امانا يكون نقضا للعهد او يقام عليه ما يقام على المسلم مع بقاء العهد فان كان الاول فلا فرق بين قطع الطريق وغيره من الامور التي تضر المسلمين وحينئذ فمن نقض العهد به لم يسقط حده

وهو القتل اذا تاب بعد القدرة وان كان الثاني لم ينتقض عهد الذي
 بقطع الطريق وقد تقدم الدليل على فساد ثم ان الكلام هنا انه هو تفرغ
 عليه فلا يصح المنع بعد التسليم الثاني ان الله سبحانه غفر بين التوبة قبل
 القدرة وبعدها لان الحدود اذا رفعت الى السلطان وجبت ولم يكن الغفر
 عنها ولا الشفاعة بخلاف ما قبل الرفع ولان التوبة قبل القدرة عليه توبة
 اختيار والتوبة بعد القدرة توبة اكراه واضطرار بمنزلة توبة غرغون حين
 ادركه الفرق وتوبة الامم المكذبة لما جاءها بالبأس وتوبة من حضر الموت
 فقال اني تبت الآن فلم يعلم صحتها حتى يسقط الحد الواجب ولان قبول
 التوبة بعد القدرة لو اسقط الحد لتعطلت الحدود وان شق سد الفساد
 فان كل مفسد يتمكن اذا اخذ ان يتوب بخلاف التوبة قبل القدرة فلانها
 تقطع دابر الشر من غير فساد فهذه معان مناسبة قد شهد لها الشارع بالاعتبار
 في غير هذا الاصل فتكون او صافاً مؤثرة او ملائمة فيطل الحكم بهلوهي
 بعينها موجودة في الساب فيجب ان يسقط القتل عنه بالتوبة بعد الاخذ لان
 اسلامه توبة منه وكذلك توبة كل كافر قال سبحانه تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة
 في مواضعين والحد قد وجب بالرفع وهذه توبة اكراه او اضطرار وفي
 قبولها تعطيل للحد ولا ينتقض هنا علينا توبة الحربى الاصل فانه لم يدخل في
 هذه الآية ولانه اذا تاب بعد الامر لم يخل سبيله بل يسترق ويستبدو هو احدي
 العقوبتين اللتين كان يعاقب باحداهما قبل الاسلام والساب لم يكن عليه الا عقوبة
 واحدة فلم يسقط كقواطع الطريق والمراد المجرم لم يسع في الارض فسادا

فلم يدخل في الاية ولا يرد نقضا من جهة المعنى لانا انما نعرضه للسيف ليعود الى الاسلام و انما نقله لمقامه على تبديل الدين فاذا اظهر الاعادة اليه حصل المقصود الذي يمكننا تحصيله و زال المحذور الذي يمكننا ازالته و انما تعطيل هذا الحد ان يترك على رده غير مرفوع الى الامام ولم يقدح كونه مكرها بحق في غرضنا لانا انما مطلبنا منه ان يعود الى الاسلام طوعا او كرها كما لو قاتلناه على الصلاة او الزكاة فبذلها طوعا او كرها حصل مقصودنا و الساب و نحوه من المؤذ بين انما نقلهم لما فعلوه من الاذى و الضرر لا مجرد كفرهم فانا قد اعطيناهم العهد على كفرهم فاذا اسلم بعد الاخذ زال الكفر الذي لم يعاقب عليه بمجرد هوانه الاذى و الضرر فهو افساد في الارض قد مضى منه كالا فساد بقطع الطريق لم يزل الا بتوبة اضطرار لم تطلب منه ولم يقتل ليفعل بل قوتل او لا ليذل واحد من الاسلام او اعطاء الجزية طوعا او كرها فبذل الجزية كرها على انه لا يضرب المسلمين فضرهم فاستحق ان يقتل فاذا تاب بعد القدره عليه و اسلم كانت توبة محاربة مفسد مقدور عليه

الطريقة الثانية * قوله سبحانه وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتبهون الآيات وقد قرأ ابن عامر والحسن وعطاء والضحاك والاصمعي وغيرهم عن ابي عمرو لا ايمان لهم بكسر الحزة وهي قراءة مشهورة وهذه الآية تدل على انه لا يصح دم الطاعن ايمان ولا يمين ثانية اما على قراءة الاكثرين فان قوله لا ايمان لهم اي لا وفاء بالايمان ومعلوم انه انما اراد لا وفاء في المستقبل يبين اخرى اذ عدم اليقين في الماضي قد تحقق بقوله وان نكثوا ايمانهم فافاد

الطريقة الثانية

هذا ان الناكث الطاعن امام في الكفر لا يعقد له عقد ثان ابدا * واما على
قراة ابن عامر فقد علم ان الامام في الكفر ليس له ايمان ولم يخرج هذا مخرج
التعليل لقتالهم لان قوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اباغ في انتفاء الايمان عنهم
من قوله تعالى لا ايمان لهم وادل على علوة الحكم ولكن يشبه والله اعلم ان يكون
المقصود ان الناكث الطاعن امام في الكفر لا يوثق بما يظهره من الايمان
كالم يوثق بما كان عقده من الايمان لان قوله تعالى لا ايمان نكرة منفية
بالا التي تنفي الجنس فتقتضي نفي الايمان عنهم مطلقا فنبت لن الناكث الطاعن
في الدين امام في الكفر لا ايمان له من هو لا فانه يجب قتله وان اظهر
الايمان * يؤيد ذلك ان كل كافر فانه لا ايمان له في حال الكفر فكيف بائمة
الكفر فتخصيص هو لا بسلب الايمان عنهم لا بد ان يكون له موجب
ولا موجب له الا نفيه مطلقا عنهم والمعنى ان هو لا لا يرتجي ايمانهم فلا يستبقون
وانهم لو اظهروا ايمانا لم يكن صحيحا وهذا كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم اقبلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم (١) لان الشيخ قد عسا في
الكفر وكما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في وصية لامراء الاجناد
شر حبل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ستلقون
اقواما مجوفة رؤسهم فاضربوا معاقدا الشيطان منها بالسيف فلان اقبل رجلا
منهم احب الي من ان اقبل سبعين من غيرهم وذلك بان الله تعالى قال فقاتلوا ائمة
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلمهم ينتهون والله اصدق القائلين فانه لا يكاد يعلم
احدا من النافذين للهود الطاعنين في الدين ائمة الكفر حسن اسلا

بخلاف من لم ينقض العهدا وتقضه ولم يظعن في الدين او ظعن ولم ينقض
عهدا فان هولا قد يكون لم ايمان • بين ذلك انه قال لعلم ينتهون اى عن
النقض والظعن كما سنقره • ولما يحصل الانتهاء اذا قوتلت الفئة الممنعة
حتى تغلب واخذ الواحد الذي ليس بممنوع قتل لانه متى استحيى بعد القدرة
طمع امثاله في الحياة فلا ينتهون • وجمايوضح ذلك ان هذه الآية قد قيل
انها نزلت في اليهود الذين كانوا غدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونكثوا
ما كانوا اعطوا من العهد والايان على ان لا يعينوا عليه اعداءه • من المشركين
وهو بما عاون الكفار والمنافقين على اخراج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة
فاخبر انهم بدأوا بالغدر ونكث العهد فامر بقنالم • ذكر ذلك القاضي ابو يعلى
فعلى هذا يكون سبب نزول الآية مثل مسئلتنا سوا • وقد قيل • انها نزلت
في مشركي قريش ذكره جماعة وقالت طائفة من العلماء وبرائة انها نزلت بعد
تبوك وبعد فتح مكة ولولم يكن حينئذ بقى بمكة مشرك يقاتل فيكون المراد من
اظهر الاسلام من الطلقاء ولم يبق قلة من الكفر اذا اظهروا النفاق • ويؤيد
هذا قراءة مجاهد والضحاك نكثوا ايمانهم بكسر الهمزة فتكون دالة على ان
من نكث عهده الذي عاهد عليه من الاسلام وظعن في الدين فانه يقاتل
وانه يقاتل له قال من نصر هذه الآية قال فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة فآخو انكم في الدين ثم قال وان نكثوا ايمانهم فعم ان هذا انكث بعده
التوبة لانه قد تقدم الاخبار عن نكثهم الاول لقوله تعالى لا يرفقون في
مؤ من الاول لاذمة وقوله تعالى كيف وان يظهر واعليكم الآية وقد تقدم ان

الايان هي اليهود فلي هذا اتم الآية من نكث عهد الايمان ومن نكث عهد
 الايمان انه اذا طعن في الدين قوتل وانه لا ايمان له حينئذ فتكون دالة على ان
 الطاعن في الدين يسب الرسول ونحوه من المسلمين واهل الذمة لا ايمان له
 ولا يمين له فلا يجتن دمه بشئ بعد ذلك . فان قيل . قد قيل قوله تعالى
 لا ايمان لهم اي لا امان لهم مصدر آمنت الرجل او منه ايماناً قصد اخفئه كما قال
 تعالى وامنهم من خوف . قيل . ان كان هذا القول صحيحاً فهو حجة ايضاً
 لانه لم يقصد لا امان لهم في الحال فقط للعلم بانهم قد نقضوا العهد وانما يقصد
 لا امان لهم بحال في الزمان الحاضر والمستقبل وحينئذ فلا يجوز ان يؤمن هذا بحال
 بل يقتل بكل حال . فان قيل . انما امر في الآية بالمقاتلة لا بالقتل وقد قال بعدها
 ويتوب الله بعدها على من يشاء فعلم ان التوبة منه مقبولة قبل لما تقدم
 ذكر طائفة ممتنعة امر بالمقاتلة واخبر سبحانه انه يعذبهم بايدي المؤمنين
 وينصر المؤمنين عليهم ثم من بعد ذلك يتوب الله على من يشاء لان ناقضى
 العهد اذا كانوا ممتنعين فمن تاب منهم قبل القدرة عليه سقطت عنه الحدود
 وكذلك قال على من يشاء وانما يكون هذا في عدد تتعلق المشية بثوبة بعضهم
 بوضع ذلك انه قال ويتوب الله بالضم وهذا كلام مستأنف ليس داخل في حيز جواب
 الامر وذلك يدل على ان التوبة ليست مقصودة من قتالهم ولا هي حاصلة
 بقتالهم وانما المقصود بقتالهم انتهاؤهم عن النكث والطعن والمضمون بقتالهم
 تعذيبهم وخزيهم والنصر عليهم وفي ذلك ما يدل على ان الحد لا يسقط
 عن الطاعن الناكث باظهار التوبة لانه لم يقتل ويقاتل لاجلها . يؤيد هذا انه

قال كيف يكون للشركين عهد عند الله الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة
واتوا الزكاة فآخوناكم في الدين * ثم قال وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في ديتكم فقاتلوا ائمة الكفر فذكر التوبة الموجبة للاخوة قبل ان
يذكر تنقض العهد والظعن في الدين وجعل للماهد ثلاثة احوال (الاحد ها)
ان يستقيم لانفسه يستقيم له كما استقام فيكون مخلي سبيله لكن لبس اخافي الدين
(الحال الثانية) ان يتوب من الكفر ويقم الصلاة ويؤتي الزكاة فيصير
اخافي الدين ولهذا لم يقل هنا فخلوا سبيلهم كما قال في الآية قبلها لان الكلام
هناك في توبة المحارب وتوبته توجب تخليه سبيله وهذا الكلام في توبة
الماهد وقد كان سبيله مخلي وانما توبته توجب اخوته في الدين قال سبحانه
ونفصل الآيات لقوم يعلمون * وذلك ان المحارب اذا تاب وجب تخليه
سبيله اذا حاجته انما هي الى ذلك وجاز ان يكون قد تاب خوف السيف
فيكون مسلما لامره منافخوته الايمانية تتوقف على ظهور دلائل الايمان كما
قال تعالى قالت الاعراب امانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والمعاهد اذا
تاب فلا ملجأ له الا التوبة ظاهر افانما لم يكرهه على التوبة ولا يجوز اكرامه
فتوبته دليل على انه تاب طائعا فيكون مسلما مؤمنا والمؤمنون اخوة فيكون
اخا (الحال الثالثة) ان ينكث بيمينه بعد عهده ويطعن في ديننا فامر بقتاله
وبين انه ليس له ايمان ولا ايمان والمقصود من قتاله ان ينهي عن النقض والظعن
لا عن الكفر فقط لانه قد كان معاهدا مع الكفر ولم يكن قتاله جائزا فعلم
ان الانتهاء من مثل هذا عن الكفر ليس هو المقصود لقتاله وانما المقصود

بقتاله انتهاؤه عن ما اضر به المسلمين من نقض العهد والظن في الدين وذلك لا يحصل الا بقتل الواحد الممكن و قتال الطائفة الممتنعة قتالا يعذبون به ويخزون وينصر المؤمنون عليهم اذ تخصيص التوبة بحال دليل على انتفاءها في الحال الاخرى وذكره سبحانه التوبة بعد ذلك جملة مستقلة بعد ان امر بما يوجب تعذيبهم وخزيهم وشفاء الصدور منهم دليل على ان توبة مثل هؤلاء لا بد معها من الانتقام منهم بما فعلوا بخلاف توبة الباقي على عهد . فلو كان توبة الماخوذ بعد الاخذ يسقط القتل لكانت توبة خالية عن الانتقام ولزم ان مثل هؤلاء لا يعذبون ولا يخزون ولا تشفى الصدور منهم وهو خلاف ما امر به في الآية و صار هؤلاء الذين نقضوا العهد وطعنوا في الدين كمن ارتد وسفك الدماء فان كان واحدا فلا بد من قتله وان عاد الى الاسلام وان كانوا ممتنعين قوتلوا فمن تاب بعد ذلك منهم لم يقتل والله سبحانه اعلم .

☆ الطريقة الثالثة ☆

☆ الطريقة الثالثة ☆ قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني نبت الآن وقوله تعالى فلما راوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا وقوله تعالى حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . وقوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس . وقد تقدم تقرير الدلالة من هذه الآيات في قتل

النافق . وذكرنا الفرق بين توبة الحربي والمرئد المجرد وتوبة المنافق
والمفسد من المعاهدين ونحوهما وفرقتا بين التوبة التي قدره العذاب
والتوبة التي تنفع في المآب .

الطريقه الرابعه قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة الآيات وقد قررنا فيما مضى ان هذه الآية
تدل على قتل المودى من المسلمين مطلقا وهي تدل على قتل من اظهر الاذى
من اهل الذمة لان اللعنة المذكورة موجبة للقتل كما في تمام الكلام وقد
تقدم تقرير هذا وقد ذكرنا ان قوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجده نصيرا . نزلت في ابن الاشرف الماطن في دين الاسلام
وقد كان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم فانتقض عهده بذلك واخبر الله
انه ليس له نصير ليبين ان لاذمة له اذ الذمى له نصرو والتفاق له قسمان
تفاق المسلم استبطان الكفر وتفاق الذمى استبطان المحاربة وتكلم المسلم
الكفر كتكلم الذمى بالمحاربة فمن عاهدنا على ان لا يؤذي الله ورسوله ثم نافق
بأذى الله ورسوله فهو من منافق المعاهدين فمن لم ينه من هؤلاء المنافقين
اغرى الله نبيه بهم فلا يجاورونه الا قلوبا ملمعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقبيلًا في الآية دلالتان احدهما ان هذا ملمعون والملمعون هو الذي يوخذ
اين وجد ويقتل فلم ان قتله حتم لانه لم يستثن حالا من الاحوال كما استثنى
في سائر الصور ولانه قال قتلوا وهذا وعد من الله لنبيه يتضمن نصره والله
لا يخاف الميعاد فلم انه لا بد من تقبيلهم اذا اخذوا ولو سقط عنهم القتل باظهار

الطريقه الرابعه

الاسلام لم يتحقق الوعد مطلقا . الثانية . انه جعل انتهاء هم النافع قبل الاخذ
والتقتيل كما جعل نوبة المحاربين النافعة لهم قبل القدرة عليهم فعمل انهم ان
انتهوا عن اظهار النفاق من الاذى ونحوه النفاق في العهد والنفاق في الدين
والا اغراه الله بهم حتى لا يجاورونه في البلد ملعونين يوخذون ويقتلون
وهذا الطاعن الساب لم ينته حتى اخذ فيجب قتله . وفيها دلالة ثالثة . وهو ان
الذي يوذى المؤمنين من مسلم او معاهد اذا اخذ اقيم عليه حد ذلك
الاذى ولم تد رآه عنه التوبة الآن فالذى يوذى الله ورسوله بطريق
الاولى لان الآية تدل على ان حاله اقمج في الدنيا والآخرة .

الطريقة الخامسة . ان سباب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل حدا من
الحدد ولا مجرد الكفر وكل قتل وجب حد الا لجرد الكفر فانه
لا يسقط بالاسلام . وهذا الدليل مبني على مقدمتين . احدهما . انه
يقتل لمخصوص سب رسول الله صلى الله عليه وسلم المستلزم للردة ونقض العهد
وان كان ذلك متضمنا للقتل لعموم ما تضمنه من مجرد الردة ومجرد نقض
العهد في بعض المواضع والدليل على ذلك انه قد تقدم ان النبي صلى الله
عليه وسلم اهدر دم المرأة الذمية التي كانت تسبه صلى الله عليه وسلم عند
الاعمى الذي كان بأوى اليها ولا يجوز ان يكون قتلها مجرد نقض العهد لان المرأة
الذمية اذا انتقض عهدا فانها تسترق ولا يجوز قتلها ولا يجوز قتل المرأة
للكفر الاصلي الا ان تقاتل وهذه المرأة لم تكن تقاتل ولم تكن معينة على قتال
كما تقدم ثم انها لو كانت تقاتل ثم اسرت صارت رقيقة ولم تقتل عند كثير

من الفقهاء منهم الشافعي لاسيما اذا كانت رقيقة فان قتلها يمنع لكونها امرأة
ولكونها رقيقة لمسلم فثبت ان قتلها كان لخصوص السب للنبي صلى الله عليه
وسلم وانه جناية من الجنايات الموجبة للقتل كما لو زنت المرأة الذميمة او قطعت
الطريق على المسلمين او قتلت مسلما او كما لو بدلت دين الحق عند اكثر
الفقهاء الذين يقتلون المرأة بل هذا ابلغ لانه ليس في قتل المرتدة من السنة
الماثورة الخاصة في كتب السنن المشهورة مثل الحديث الذي في قتل السابة
الذميمة. يوضح ذلك ان بني قريظة نقضوا العهد ونزلوا على حكم سعد بن
معاذ فحكم فيهم بان تقتل مقاتلتهم وتسبى الذرية من النساء والصبيان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة اربعة
ثم قتل النبي صلى الله عليه وسلم الرجال واسترق النساء والذرية ولم يقتل من
النساء الا امرأة واحدة كانت قد اقلت رحي من فوق الحصن على رجل من
المسلمين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الذرية التي لم يثبت في حقهم
لا مجرد انتقاض العهد وبين الذرية الذين نقضوا العهد باضرار المسلمين وهذه المرأة
الذميمة لم ينقض عهدها بانها لحقت بدار الحرب وامتنعت عن المسلمين وانما
نقضت العهد بان ضرت المسلمين واذت الله ورسوله وسعت في الارض
فسادا بالصد عن سبيل الله والطعن في دين الله كما فعلت المرأة الملقية للرحى فعلم
انها لم تقتل لمجرد انتقاض العهد وهي لم تكن مسلمة حتى يقال انها قتلت للردة
ولا هي ايضا بمنزلة امرأة قاتلت ثم اسرت حتى يقال تصير رقيقة بنفس السبي
لا تقتل او يقال يجوز قتلها كما يجوز قتل الرجل فاذا اسلمت عصم الاسلام الدم

وبقيت رقيقة لوجهين * احدهما * ان هذا السب الذي كانت تقوله لم تكن
للمشركين ولا لعموم المسلمين حتى يقال هو بمنزلة اعانة الكفار على القتال من
كل وجه * الثاني * انها لم تكن ممتعة حين السب بل هي حين السب ممكنة
مقدور عليها وحالها قبله وبعده سواء. فالسب وان كان حراما لكنه لم يصدر
من ممتعة اسرت بعد ذلك بل من امرأة ملتزمة للحكم بيننا وبينها العهد
على الذمة ومعلوم ان السب من الامور المضرة بالمسلمين وانه من ابلاغ الفساد
في الارض لما فيه من ذل الايمان وعز الكفر واذا ثبت انها لم تقتل للكفر
ولانقض العهد والحراب اصلي متقدم على القدرة عليها ثبت ان قتلها احد
من الحدود والقتل الواجب حد المجرد الكفر لا يسقط بالاسلام كحد الزاني
والقاطع والقاتل وغيرهم من المفسدين * وبما يقر الامر ان السب اما ان يكون
حراما او جناية مفسدة ليست حراما فان كانت حراما فهو حرام من ذمى
او من مسلم وسعى في الارض فسادا والذمى اذا حارب وسعى في الارض
فسادا او جب قتله وان اسلم بعد القدرة عليه حيث يكون حراما موجبا للقتل
وحرام هذه المرأة موجب للقتل كما جاءت به السنة وان كانت جناية
مفسدة ليست حراما وهي موجبة للقتل قتل ايضا بعد الاخذ بطريق الاولى
كسائر الجنايات الموجبة للقتل وهذا كلام مقرر ومداره على حرف واحد
وهو ان السب وان كان من اعمال اللسان فقد دلت السنة بانه بمنزلة الفساد
والمحاربة بعمل الجوارح واشد وكذلك قتل هذه المرأة * وتام ذلك ان
قياس مذهب من يقول ان السب اذا قتل انما يقتل لانه نقض العهد ان

لا يجوز قتل هذه بل لو كانت قد قاتلت باليد واللسان ثم اخذت لم تقتل
عنده فاذا دلت السنة على فساد هذا القول علم صحة القول الآخر اذ لا ثالث
بينهما ولا ريب عند احد ان من قتل لحديث اخذ به او جب نقض عهده
ولم يقتل لمجرد ان نقض عهده فقط فان قتله لا يسقط بالاسلام لان فساد ذلك
الحديث لا يزول بالاسلام الا ترى ان الجنايات الناقضة للعهد مثل قطع
الطريق وقتل المسلم والتجسس على الكفار والزنا بمسلمة واستكراهها على
الفجور ونحو ذلك اذا حد رمن ذمي فمن قتله لنقض العهد قال متى اسلم
لم آخذه الا بما يوجب القتل اذا فعله المسلم باقياً على اسلامه مثل ان يكون قد
قتل في قطع الطريق فاقتله او زنا فاحده او قتل مسلماً فاقتله لانه بالاسلام
صار بمنزلة المسلمين فلا يقتل كفراً ومن قال اقتله لمخاربة الله ورسوله وسعيه
في الارض فساد اقال قتله وان اسلم وتاب بعد اخذه كما اقل المسلم
اذا حارب ثم تاب بعد القدرة لان الاسلام الطارئ لا يسقط الحدود
الواجبة قبله لا ذمي بحال وان منع ابتداء وجوبها كما لو قتل ذمي ذمياً
او قذفه ثم اسلم فان حده لا يسقط ولو قتله او قذفه ابتداء لم يجب عليه خود
ولا حدود لا يسقط ما كان منها لله اذا تاب بعد القدرة كما لو قتل في قطع الطريق فانه
لا يسقط عنه بالاسلام وفاقاً فيما اعلم وكذلك لو زني ثم اسلم فان حده القتل الذي
كان يجب عليه قبل الاسلام عند احمد وعند الشافعي حده حد المسلم فقد
السب ان كان حقاً لا ذمي لم يسقط بالاسلام وان كان حقاً لله فليس هو حد
على الكفر الطارئ والمخاربة الاصلية كما دلت عليه السنة ولا على مجرد

الكفر الاصلي بالاتفاق فيكون حد الله على محاربة موجبة كقتل المرأة وكل قتل وجب حد اعلى محاربة ذمية لم يسقط بالاسلام بعد القدرة بالاتفاق فان الذمية اذا لم تقتل في المحاربة لم يقتلها من يقول قتل الذمي المحارب انما هو لنقض العهد ومن قتلها كما دل عليه السنة فلا فرق عنده في هذا الباب بين ان تسلم بعد القدرة او لا تسلم واعلم ان من قال ان هذه الذمية تقتل فاذا اسلمت سقط عنها القتل لم يجد هذا في الاصول نظير ان ذمية تقتل وهي في اليد يتاوى سقط عنها القتل بالاسلام بعد الاخذ ولا اصلا يدل على المسئلة والحكم اذا لم يثبت باصل ولا نظير كان تحكما ومن قال انها تقتل بكل حال فله نظير تقيس به وهو المحاربة باليد والزانية ونحوهما

الطريقة السادسة الاستدلال من قتل بنت مروان وهو كالاستدلال من هذه القصة لانا قد قد منا انها كانت من المهاجرين المرواد عين وانما قتلت للسب خاصة والتقرير كما تقدم

الطريقة السابعة ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كعب ابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله وقد كان معاهدا قبل ذلك ثم هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله الصحابة غيلة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه قد آمنهم على دمه وماله باعتقاد بقاء العهد ولا منهم جاءوه محيي من قد آمنه ولو كان كعب بمنزلة كافر محارب فقط لم يجوز قتله اذا آمنهم كما تقدم لان الحربي اذا قلت له او عملت معه ما يعقدانه امان صار له امانا وكذلك كل من يجوز امانه فعلم ان هجا النبي صلى الله عليه

الطريقة السابعة

الطريقة السابعة

وسلم واذاه الله تعالى ورسوله لا يعتقد معه امان ولا عهد وذلك دليل على ان قتله حدم من الحدود كقتل قاطع الطريق اذ ذلك يقتل وان اومن كما يقتل الزاني والمترد وان اومن وكل حد وجب على الذمي فانه لا يسقط بالاسلام وفاقا
❖ الطريق الثامنة ❖ انه قد دل هذا الحديث على ان اذى الله ورسوله علة للانتداب الى قتل كل احد فيكون ذلك علة اخرى غير مجرد الكفر والردة فان ذكر الوصف بعد الحكم بحرف الفاء دليل على انه علة والاذى لله ورسوله بوجوب القتل ويوجب نقض العهد ويوجب الردة • يوضح ذلك ان اذى الله ورسوله لو كان انما اوجب قتله لكونه كافرا غير ذي عهد لوجب تعليل الحكم بالوصف الاعم فان الاعم اذا كان مستقلا بالحكم كان الاخص عديم التأثير فلما علل قتله بالوصف الاخص علم انه مؤثر في الامر بقتله لاسيما في كلام من اوتي جوامع الكلم واذا كان المؤثر في قتله اذى الله ورسوله وجب قتله وان تاب كما ذكرناه فمين سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين فان كلاهما اوجب قتله انه اذى الله ورسوله وهو مقر للمسلمين بان لا يفعل ذلك فلو كان عقوبة هذا الموزي تسقط بالتوبة سقطت عنها ولانه قال سبحانه ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعدهم عذابا مهينا • وقال في خصوص هذا الموزي اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا • وقد اسلفنا ان هذه اللعنة توجب القتل اذا اخذ ولانه سبحانه ذكر الذين يؤذون الله ورسوله ثم قال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاننا واثما مبينا ولا خلاف علمناه ان الذين

يؤذون المؤمنين والمؤمنات لا تسقط عقوبتهم بالتوبة فالذين يؤذون الله
ورسوله احق واولى لان القرآن قد بين ان هؤلاء اسوأ حالا في الدنيا
والآخرة فلو اسقطنا عنهم العقوبة بالتوبة لكانوا احسن حالا وليس للنزاع
هنا الا كلمة واحدة وهو ان يقول هذا قد تفلظت عقوبته بالقتل لانه نوع
من المرتدين وناقض العهد والكافر تقبل توبته من الكفر وتسقط عنه
العقوبة بخلاف الموذي بالنسق فيقال له هذا لو كان الموجب لقتله انما
هو الكفر وقد دلت السنة على ان الموجب لقتله انما هو اذى الله ورسوله وهذا
اخص من عموم الكفر وكما ان الزنا والسرقة والشرب وقطع الطريق
اخص من عموم المعصية والشارع رتب الامر بالقتل على هذا الوصف
الاخص الذي نسبته الى سائر انواع الكفر نسبة اذى المؤمنين الى سائر انواع
المعاصي فالخاق هذا النوع بسائر الانواع جمع بين ما فرق الله ورسوله وهو
من القياس الفاسد كقياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا وانما الواجب ان يوفر
على كل نوع حظه من الحكم بحسب ما علقه به الشارع من الاسماء والصفات
المؤثرة الذي دل كلامه الحكيم على اعتبارها وتغاظ عقوبته ابتداء لا يوجب
تخفيفها انتهاء بل يوجب تغلظها مطلقا اذا كان الجرم عظيما وسائر الكفار
لم تغلظ عقوبتهم ابتداء والانهاء مثل هذا فانه يجوز اقرارهم بجزية
واسترقاقهم في الجملة ويجوز الكف عنهم مع القدرة لمصلحة ترتب وهذا
بخلاف ذلك وايضا فان الموجب لقتله اذا كان هو اذى الله ورسوله
كان محاربا لله ورسوله وساعيا في الارض فسادا وقد اومى النبي صلى الله

عليه وسلم الى ذلك في حديث ابن الاشرف كما تقدم وهذا الوصف قد رتب عليه من العقوبة ما لم يرتب على غيره من انواع الكفر وحتمت عقوبة صاحبه الا ان يتوب قبل القدره •

في الطريقة التاسعة • انا قد قدمنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اهدر حام الفتح دماء نسوة لاجل انهن كن يوذنه بالستهن من القينات لابن خطل اللتان كافتا تقيان بهجائه ومولاة لبني عبد المطلب كانت تؤذيه ويثا يانا واضحا انهن لم يقتلن لاجل حراب ولا قتال وانما قتلن لمجرد السب ويثا ان سبهن لم يجر مجرى قتال من بل كان اغلظ لان النبي صلى الله عليه عليه وسلم آمن عام الفتح المقاتلة كلهم الا من له جرم خاص يوجب قتله ولات سبهن مكان مقدما على الفتح ولا يجوز قتل المرأة في بعض الفزوات لاجل قتال مقدم منها قد كفت عنه وامسكت في هذه النزوة ويثا يانا واضحا ان قتل هؤلاء النسوة ادل شيء على قتل المرأة السابقة من مسئلة ومعاينة وهو دليل قوي على جواز قتل السابقة وان ثابت من وجوه • احدها • ان هذه المرأة الكافرة لم تقتل لاجل انها مرتدة ولا لاجل انها مقاتلة كما تقدم فلم يبق ما يوجب قتلها الا انها منسدة في الارض محاربة لله ورسوله وهذه يجوز قتلها بعد التوبة اذا كان قتلها جائزا قبلها بالكتاب والسنة والاجماع • الثاني • ان سب اولئك النسوة اما ان يكون حرابا او جنائية موجبة للقتل غير الحراب اذ قتلن لمجرد الكفر غير جائز كما تقدم فان كان حرابا فالذي اذا حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا يجب قتله بكل حال كما دل عليه القرآن وان كان جنائية اخرى

مبيحة للدم فهو اولي و احرى وقد قد منافعها حتى ما بين الان هؤلاء النسوة
لم يقتلن لحرب كان موجودا عنهن في غزوة الفتح و لما قتلن جزاء على الجرم
الماضي نكالا عن مثله وهذا اي بين ان قتلن بمنزلة قتل اصحاب الحدود من
المسلمين و المعاهدين الثالث ان اثنين متين قتلوا الثالثة اخفيت حتى
استؤمن لها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فامنها لانه كان له ان يعفو عن
سبه كما تقدم و له ان يقتله لم يصح دم احد من اهد و معه علم انهم الاثمانية
فعلم ان مجرد الاسلام لم يصح دم هذه المرأة و اما عصم دها مغيرة و بالجملة
فقصة قتله لا و الا تلك النسوة من اقوى ما يدل على جواز قتل الساية بكل
حال فان المرأة الحرة لا يبيع قتلها الا قتلهما و اذا قاتلت ثم توكت القتال
في غزوة اخرى و استسلمت و انقادت لم يجر قتلها في هذه المرة الثانية و مع
هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتلن و للمحدث و جها ن احد هما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان عاهد اهل مكة و الظاهر ان عهده
انظم الكف عن الاذى باللسان فان في كثير من الحديث ما يلهي
على ذلك و حيثئذ فهو لاء للبراني مجبونه تقضي العهد تقضا خلاصا يبعثهم
فكان النبي صلى الله عليه وسلم قتلن بذلك و ان يكون و هذه متروجة المسئلة
الثاني انه كان له ان يقتل من جملة اذ لم يرب حتى قد ر عليه و ان كان حربيا
لكن سقط هذا كما سقط بموته العفو عن المسلم و الذي الساب و يكون قد كان
امر الساب هو مخير فيه مطلقا لكونه اعظم بالمصلحة فاذا مات تحت قتل من التزم
ان لا يسب و كان العربي للساب كتمره من الحريريين اذا تابه و هذا الوجه

ضعيف فانه اثبات حكم باحتمال والاول جار على القياس ومن تأمل قصة الذين
اهدرت دماؤهم عام الفتح علم انهم كلهم كانوا احماريين لله ورسوله ساعين
في الارض فسادا

الطريقة العاشرة

الطريقة العاشرة انه صلى الله عليه وسلم امر في حال واحدة بقتل
جماعة ممن كان يؤذيه بالسب والهجاء مع خوفه عمن كان اشد منهم في
الكفر والمجاربة بالنفس والمال فقتل عقبة بن ابى معيط صبرا بالصفر
وكذلك النضر بن الحارث لما كانا يؤذيانه ويقتريان عليه ويظعنان فيه
مع استبقائه عامة الاسرى وقد تقدم انه قال يامشر قرش مالي اقتل من
بينكم صبرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك واقترائك على رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) ومعلوم ان مجرد الكفر يبيع القتل فلم ان الاقتراء على
رسول الله صلى الله عليه وسلم سب آخر اخص من عموم الكفر موجب للقتل
فحيث ما وجد وجد معه وجوب القتل واهدراع الفتح دم الخويرة بن
نقيد ودم ابى سفيان بن الحارث ودم ابن الزبيري واهدرب بعد ذلك دم
كعب بن زهير وغيرهم لانهم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما اهدر دم من ارتد وحارب ودم من ارتد واقتري على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودم من ارتد وحارب واذى الله ورسوله مع امانه لجميع الذين حاربوا
وتنصوا عهده فلم ان اذا سب منفرد باباحة القتل وراه الكفر والحرب
بالاقتس والاموال كقطع الطريق وقتل النفس وقد تقدم ما كان يأمر به
ويقر عليه اذا بلغه وما كان يجرى عليه المسلمين من قتل الساب دون غيره

من الكافر بن حتى انه لا يحقن دم الساب الا عفوه بعد ذلك فعلم انه كان يلحق
 الساب بذموى الافعال الموجبة للقتل من قطع الطريق ونحوه وهذا ظاهر
 لمن تأمله فيما مضى من الاحاديث وما لم يذكره ومثل هذا هو جب قتل
 فاعله من مسلم ومعاهد وان تاب بعد القدرة واذا ضم هذا الوجه الى
 الذي قبله وعلم ان الاذى وحده سبب هو جب القتل لا لكونه من جنس
 القتال لان النبي صلى الله عليه وسلم قد آمن الله بن قائلوه بالانفس والاموال
 من الرجال فاما المرأة التي اتت بما يشبه القتال اولى لو كان جرمها من جنس
 القتال ولان المرأة اذا قاتلت في غزوة من الغزوات ثم غزا المسلمون غزوة وعلوا
 انها لم تقا تل فيها يد ولا لسان لم يميز قتلها عند احد من المسلمين علماء وهؤلاء
 النسوة كان اذا هن متقدما على فتح مكة ولم يكن لهن في غزوة الفتح معرفة بيد
 ولا لسان بل كن مستلمات منقادات لو علمن ان اظهار الاسلام يعصم دماءهن
 لبادرن الى اظهاره فهل يعتقد احد ان هذه المرأة تقتل لكونها محاربة خصوصا
 عند الشافعي فان منصوبه ان قتل المرأة والصبي اذا قاتلا بمنزلة قتل الصائل
 من المسلمين يقصد به دفعهما وان افضى الى قتلها فاذا انكفأ بدون القتل كاسر
 او ترك للقتال ونحو ذلك لم يميز قتلها كما لا يجوز قتل الصائل واذا كان
 صلى الله عليه وسلم يا مر بقتل من كان يوءذيه ويهجو من النساء وقد تركن
 ذلك واستسلمن وربما كن يودن ان يظهرن الاسلام ان كان عاصما وقد
 آمن المقاتلين كلهم علم ان السب سبب مستقل موجب يحمل دم كل احد وان
 تركه ذل وعجز يؤيد ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم آمن اهل مكة

الامن قاتل الا هو ولا النفر فانه امر بقتلهم قاتلوا او لم يقتلوا فاعلم ان هو لا بالنسوة

قتلن لاجل السب لا لاجل انهن يقتلن •

الطريقة الحادية عشر * ان عبد الله بن سعيد بن ابي سرح كان قد

ارتد واقتري على النبي صلى الله عليه وسلم انه يلقنه الوحي ويكتب له

ما يريد فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ونذ رجل من المسلمين ليقتله

ثم حبسه عثمان ايا ما حقي اهل مكة ثم جاء ثائبيا ليايح النبي صلى الله

عليه وسلم ويؤمنه فصمت النبي صلى الله عليه وسلم طويلا رجاء ان يقوم

اليه الناذر او غيره فيقتله ويؤفي بنذره ففي هذا دلالة على ان المقترى

على رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعن عليه قد كان له ان يقتله

وان دمه مباح وان جاء ثائبا من كفره وفريته لان قتله لو كان حراما

لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم ما قال ولا قال للرجل هلا وفيت نذرك بقتله

ولا خلاف بين المسلمين علناه ان الكافر اذا جاء ثائبا برى للاسلام مظهرا

لذلك لم يجر قتله لذلك ولا فرق في ذلك بين الاصل والمرتد للائذ كرتله

من الخلاف الشاذ في المرتد مع ان هذا الحديث يبطل ذلك الخلاف بل

لوجاه الكافر طالبا لان يمرض عليه للاسلام ويقرأ عليه القرآن لوجب امانه

لذلك قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجر حتى بسع

كلام الله ثم ابلغه طمعه به وقال تعالى في المشركين فان تابوا واقاموا الصلاة

واتوا الزكاة فتحلو سبلهم • و عبد الله بن سعد ثائبا ملتزما لاقامة الصلاة

وايتاء الزكاة بل جاء بعد ان اسلم كما تقدم ذكر ذلك ثم ان النبي صلى الله

الطريقة الحادية عشر

عليه

عليه وسلم بين انه كان مريدا لقتله وقال للقوم هلا قام بمضكم اليه ليقتله وهلا
وغيت بندرك في قتله فعلم انه قد كان جائزا له ان يقتل من يفترى عليه
ويؤذيه من الكفار وان جاء مظهرا للاسلام والتوبة بعد القدرة عليه وفي
ذلك دلالة ظاهرة على ان الافتراء عليه واذا يجوز له قتل فاعله وان
اظهر الاسلام والتوبة وما يشبه هذا اعراضه عن ابي سفيان بن الحارث وابن
ابي امية وقد جاء مهاجرين يريدان الاسلام او قد اسلموا على ذلك بانها
كانا يؤذيانه ويقعان في عرضه مع انه لا خلاف علمناه ان الحربي اذا جاء
يريد الاسلام وجب المسارعة اليه قبله منه وكان الاستثناء به حراما وقد
عده بعض الناس كفرا وقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في المسارعة
الى قبول الاسلام من كل من اظهره وتآلف الناس عليه بالاموال وغيرها
اشهر من ان يوصف فلما ابطأ عن هذين واراد ان لا يلتفت اليها البتة علم انه
كان له ان يعاقب من كان يؤذيه ويسبه وان اسلم وهاجروا ان لا يقبل منه
من الاسلام والتوبة ما يقبل من الكافر الذي لم يكن يؤذيه وفي هذا دلالة
على ان السب وحده موجب للمعقوبة يوضح ذلك ما ذكره اهل المخازي ان
علي بن ابي طالب قال لابي سفيان بن الحارث انت رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف ناه الله لقد
آثر الله علينا وان كنا لحاططين فانه لا يرضى ان يكون احدا حسن قولاً منه
ففضل ذلك ابو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثرى عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ففى هذا دلالة على ان ما ناله من

عرضه كان له ان يعاقب عليه وان يعفو كما كان ليوسف صلى الله عليه وسلم
 ان يعاقب اخوته على ما فعلوا به من الالتقاء في الحب ويبيع للسيارة ولكن لكرمه
 عفا صلى الله عليه وسلم ولو كان الاسلام يسقط حقه بالكيفية كما يسقط حقوق الله
 لم يتوجه شيء من هذا وقد تقدم تقرير هذا الوجه في اول الكتاب وبيننا
 انه نص في جواز قتل المرتد الساب بعد اسلامه فلذلك قتل الساب المعاهد
 لان المأخذ واحد ومما يوضحه ان المسلمين قد كان استقر عندهم ان الكافر
 الحربي اذا اظهر الاسلام حرم عليهم قتله لا سيما عند السابقين الاولين
 مثل عثمان بن عفان ونحوه وقد علموا قوله تعالى ولا تقولوا لمن اتى اليكم
 السلام لست مؤمنا وقصة اسامة بن زيد وحديث المقداد فلما كان
 اولئك الذين اهدى النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم منهم من قتل
 ومنهم من اخفى حتى اطمأن اهل مكة وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم
 ان يبايعه دل على ان عثمان رضى الله عنه وغيره من المسلمين علموا ان اظهار
 عبيد الله بن سعد بن ابي سرح ونحوه الاسلام لا يحقق دماءهم دون
 ان يؤمنهم النبي صلى الله عليه وسلم والا فقد كان يمكنهم ان يأمروهم باظهار
 الاسلام والخروج من اول يوم والظاهر والله اعلم انهم قد كانوا اسلموا
 وانما تأخرت بيعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام حتى يؤمنهم النبي
 صلى الله عليه وسلم وذلك دليل على انه قد كان للنبي صلى الله عليه وسلم
 فتلهم لاجل سبه مع اظهار التوبة وقد روى عن عكرمة ابن ابي سرح
 رجع الى الاسلام قبل فتح مكة وكذلك ذكر آخرون ان ابن ابي سرح

وجع الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الظهران
وهذا الذي ذكره نص في المسئلة وهو شبه بالحق فان النبي صلى الله
عليه وسلم لما نزل بمكة الظهران شعرت به فريش حينئذ وابن ابي سرح قد
علم ذنبه فيكون قد اسلم حينئذ ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اهدر
دمه نقيب حتى استؤمن له والحديث لمن تأمله دليل على ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان له ان يقتله وان يؤذيه منه وان الاسلام وحده لم يعصم دمه
حتى عفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
له الى النبي صلى الله عليه وسلم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
طويلا واعرض عنه مرة بعد مرة وكان عثمان يأتيه من كل جهة وهو يعرض
عنه وجاء ان يقوم بعضهم فيقتله وعثمان في ذلك يكب على النبي صلى الله
عليه وسلم يقبل رأسه ويطلب منه ان يبايعه ويذكر ان لامته عليه حقوقا
حتى استحيى النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان فقضى حاجته ببيعته مع انه
كان يود ان لا يفعل فعلم ان قتله كان حقا له ان يعفو عنه ويقبل فيه شفاعته
شافع وله ان لا يفعل ولو كان ممن يعصم الاسلام دمه لم يحتج الى شافع
ولم يجز رد الشفاعته ومنها ان عثمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم انه يفر
منك قال الم ابايعه واومنه قال بلى ولكنه يتذكر عظيم جرمه فقال الاسلام
يجب اقبام في هذا بيان لان خوفه من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتله ازال
بامانه ويعتبه ^{اي} لا مجرد الاسلام فعلم ان الاسلام يحصوا ثم السب واماسقوط القتل
فلا يحصل بمجرد الاسلام لان النبي صلى الله عليه وسلم ازال خوفه من القتل

بالامان وازال خوفه من الذنب بالاسلام وما يدل على ان الانبياء لهم ان يعاقبو امن اذاهم بالهلاك وان اظهر التوبة والندم ما رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ان قارون كان يوذى موسى وكان ابن عمه فبلغ من اذاه اياه ان قال لامرأة بني اذا اجتمع الناس عندى غدا فتعالى وقولى انى موسى راودنى عن نفسى فلما كان الغد واجتمع الناس جاءت فسارت قارون ثم قالت للناس ان قارون قال لى كذا وكذا وان موسى لم يقل لى شيئا من هذا فبلغ ذلك موسى عليه الصلاة والسلام وهو قائم يصلى في المحراب فخر مساجدا فقال اى رب ان قارون قد آذاني وفعل وفعل وبلغ من اذاه اياى ان قال ما قال فاوحى الله الى موسى ان ياموسى انى قد امرت الارض ان تطيعك وكان لقارون غرفة قد ضرب عليها صفايح الذهب فاثاءه موسى ومعه جلساؤه فقال لقارون قد بلغ من اذك ان قلت كذا وكذا ايا ارض خذ يهم فاخذتهم الارض الى كبهم فهتفوا يا موسى ادع لنا ربك ان ينجينامنحن فيه فنؤمن بك وتبعك ونطيعك فقال خذ يهم فاخذتهم الى انصاف سوقهم فهتفوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك ان ينجينامنحن فيه فنؤمن بك وتبعك ونطيعك فقال يا ارض خذ يهم الى ركبهم فلم يزل يقول يا ارض خذ يهم حتى تطابقت عليهم وهم يهتفون فاوحى الله اليه يا موسى ما اظنك ما انهم لو كانوا اياى دعوا لخلصتهم ورواه عبد الرزاق قال ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن زيد بن جدعان فذكره ابط من هذا وفيه ان المرأة قالت ان قارون بمث الي فقال هل لك

الى ان امولك واعطيك واخبطك بنسائي علي ان تاتيني والملا من
 بني اسرائيل عندي تقولين يا قارون الاتهى موسى عن اذى (١)
 واني لم اجد اليوم توبة افضل من ان اكذب عدو الله وابري
 رسول الله قال فنكس قارون رأسه وعرف انه قد هلك ونشأ
 الحديث في الناس حتى بلغ موسى صلى الله عليه وسلم وكان موسى صلى الله
 عليه وسلم شديد الغضب فلما بلغه ذلك توجساً فسجد وبكى وقال يا رب عدوك
 قارون كان لي مؤذ يا فذ كراشيء ثم لم يتناه حتى اراد فضيحتي يا رب فسلطني
 عليه فادحى الله اليه ان مر الارض بما شئت تطمك قال فجاء موسى يمشي الى
 قارون فلما رآه قارون عرف الغضب في وجهه فقال يا موسى ارحمني فقال
 موسى يا ارض خذيهم فاضطربت داره وخسف به وباصحابه الى ركبه
 وساخت داره على قدر ذلك وجعل يقول يا موسى ارحمني ويقول موسى
 يا ارض خذيهم وذكر القصة فهذه القصة مع ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لابن مسعود لما بلغه قول القائل ان هذه لقمة ما يريد بها وجه الله دعنا
 منك لقد اودى موسى باكثر من هذا فصبر فهذا مع ما ذكرنا من احوال
 النبي صلى الله عليه وسلم دليل على ان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه لهم
 ان يعاقبوا من آذاهم وان تاب ولهم ان يعفوا عنه كما ذلك لغيرهم من البشر لكن
 (١) هكذا في الاصل ولعله بقي هنا بعض القصة كما مر سابقاً من ان المرأة
 جاءت فسارت قارون ثم قالت للناس ان قارون قال لي كذا وكذا وان
 موسى لم يقل لي شيئاً من هذا الى آخره ١٢٠ المصحح

لهم ان يعاقبوا من يؤذيهم بالقتل والاهلاك وليس لغيرهم ان يعاقبه بمثل ذلك * وذلك دليل على ان عقوبة مؤذيهم حد من الحد ودال على الكفر فان عقوبة الكافر تسقط بالتوبة بلا ريب وقارون قد كان تاب في وقت نفع فيه التوبة ولهذا في الحديث اما انهم لو كانوا اباي دعوا لخلصتهم وفي لفظ لرحمتهم وانما كان يرحمهم سبحانه والله اعلم بان يستطيب نفس موسى من اذا هم كما يستوهب المظالم من رحمة من عباد ممن هي له وبعوضه منها * الطريقة الثانية عشر * ما تقدم حديث انس بن زعيم الذي ذكر عنه انه هجا النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاءه وانشده قصيدة تتضمن اسلامه وبراءته مما قيل عنه وكان معاهدا فتوقف النبي صلى الله عليه وسلم فيه وجعل يسأل العفو عنه حتى عفا عنه فلولا ان تكن العقوبة بعد الاسلام على السب من المعاهد جائزة لما توقف النبي صلى الله عليه وسلم في حقن دمه ولا احتاج الى العفو عنه ولولا ان للرسول صلى الله عليه وسلم حقائلك استيفاء بعد الاسلام لما عفا عنه كما لم يكن يعفو عن اسلم ولا تبعه عليه وحديثه لمن تأمله دليل واضح على جواز قتل من هجا النبي صلى الله عليه وسلم من المعاهدين ثم اسلم كما ان حديث ابن ابي سريج دليل واضح على جواز قتل من سبه مر تدا ثم اسلم وذلك انه لما بلغه انه هجاه وقد كان معاهدا مواعدا وكان العهد الذي بينهم يتضمن الكف عن اظهار اذاه وكان على ما قيل عنه قد هجاه قبل ان يقتل بنو بكر خزاعة قبل ان ينقضوا العهد فلذلك ند النبي صلى الله عليه وسلم ثم انشده قصيدة يتضمن انه مسلم

الطريقة الثانية عشر

يقول فيها تعلم رسول الله و هبني رسول الله و ينكر فيها ان يكون هجاء
 و يدعو على نفسه بذهاب البدان كان هجاء و ينسب الذين شهدوا عليه
 الى الكذب و بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته و اعتذاره
 قبل ان يجيئ اليه و شفع له كبير قبيلته نوفل بن معاوية و كان نوفل هذا
 هو الذي قبض العهد و قال يا رسول الله انت اولى الناس بالعتو و من منا
 لم يعادك و يوذك و نحن في جاهلية لا ندرى ما نأخذ و لاندع حتى هدانا الله
 بك و اتقذنا بك عن الهلك و قد كذب عليه الركب و كثروا عندك فقال
 دع الركب عنك غانا لم نجد بهامة احد آمن ذى رحم قريب ولا بعيد
 كان ابر من خراطة فاسكت نوفل بن معاوية فلما سبكت قل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنه قال نوفل قد اكاي و اهي و ثلوكايت
 الاسلام المنقذم قد عصم دمه لم يحتج الى العفو كما لم يحتج اليه من اسلم
 و لاحد عليه و لكن قال الاسلام يجب ما قبله كما قاله لغيره من الحريدين
 كما يقول له من قول الاقتل هذا بعد اسلامه فيقول الاسلام يجب ما قبله
 و ما يجب الشريعة بين ان ما اسقط قتله عفوه و ذلك ان قوله عفوت
 عنه اما ان يكون لقاده سقوط ما كان هدره من دمه او لم يفده ذلك
 فان لم يفده فلا معنى لقوله عفوت عنه و ان كان قد افاده سقط ذلك
 الا هدره قبل ذلك لو قتله بعض المسلمين بعد ان اسلم و قبل ان عفا عنه النبي
 صلى الله عليه وسلم لكان جائزا لانه متبع لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بقتله امرا مطلقا الى حين عفا عنه كما ان امره بقتل ابن ابي سرح كان

باقيا حكمه الى ان عفا عنه وكذا لك عنهم اذ لم يقتلوه قبل عفوهم وهذا بين
 هذه الاحاديث بيانا واضحا ولو كان عند المسلمين ان من هجاه من معاهد
 ثم اسلم عصم دمه لكان نوفل وغيره من المسلمين علماء ذلك وقالوا له كما قالوا لكعب بن
 زهير ونحوه من هجاه وهو حربي انه لا يقتل من جاءه مسلما الا ترى انهم لم يظهروه
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عفا عنه كما لم يظهروا ابن ابي سرح حتى
 عفا عنه بخلاف كعب بن زهير وابن الزبير فانها جاءه اباقتسا لثقتها بانه
 لا يمكن قتل الحربي اذا جاء مسلما او مكان ان يقتل الذمي الساب والمرتد
 الساب وان جاء مسلما وان كانا قد اسلما ثم انه في قصيدته قال •

فاني لا عرضا خرت ولا دما • هرقت ففكر عالم الحق واقصد

فجمع بين خرق العرض وسفك الدم فعلم انه مما يوجب به وان اسلم ولولا ان
 قتله كان ممكنا بعد اسلامه لم يمتنع الى هذا الانكار والاعذار يوزيد ذلك ان
 النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد دم واحد بعينه من بني بكر الناقضي العهد
 الا هذا مع انهم فعلوا تلك الافاعيل فلم ان خرق عرضه كان اعظم من
 نقض العهد بالمقاتلة والحاربة باليد وقد تقدم الحديث بدلائله وانما نهينا
 عليه هنا احالة على ماضى •

الطريقة الثالثة عشر * انه قد تقدم انه كان له صلى الله عليه وسلم ان
 يقتل من اغاظ له واذاه وكان له ان يعفو عنه فلو كان المودى له انما يقتل
 للردة لم يجز العفو عنه قبل التوبة واذا كان هذا حقا له فلا فرق فيه بين
 المسلم والذمي فانه قد اهدردم من آذاه من اهل الذمة وقد تقدم ان

الطريقة الثالثة عشر

ذلك لم يكن لمجرد نقض العهد فعلم انه كان لآذاه و اذا كان له ان يقتل من
آذاه وسبه من مسلم ومعاهد وله ان يعفو عنه علم انه بمنزلة القصاص وحد
القذف وتعزير السب كغير الانبياء من البشر و اذا كان كذلك لم يسقط
عن مسلم ولا معاهد بالتوبة كما لا تسقط هذه الحدود بالتوبة وهذه طريقة
قوية وذلك انه اذا كان صلى الله عليه وسلم قد اباح الله له ان يعفو عنه
كان المظلم في هذا الحد حقه بمنزلة سب غيره من البشر الا ان حد سابه
القتل وحد سابه غيره الجلد و اذا كان المظلم حقه وكان الامر في حياته
مفوضا الى اختياره لينال بالعفو على الدرجات تارة ويقيم بالعقوبة من
الحدود ما ينال به ايضا على الدرجات فانه صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة
ونبي المحبة وهو الضمير للقتال والذمي قد عاهده على ان لا يخرق عرضه
وهو لو اصاب لواحد من المسلمين او المعاهدين حق من دم او مال او عرض
ثم اسلم لم يسقط عنه فاولى ان لا يسقط عنه هذا واذ قد قد منا ان قتله لم يكن
لمجرد نقض العهد وانما كان لخصوص السب و اذا كان يجوز له ان يقتل هذا
السب بعد مجيئه مسلما وله ان يعفو عنه فبعد موته تعذر العفو عنه وتحضت
العقوبة حقا لله سبحانه فوجب استيفاءها على ما لا يخفى اذا القول بجواز عفو
احد عن هذا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضي الى ان يكون الامام
مخيرا بين قتل هذا واستبقائه وهو قول لم نعلم له قائلا ثم انه خلاف قواعده
الشريعة واصولها وقد تقدم فيما مضى الفرق بين حال حياته وحال ماته

الطريقة الرابعة عشر انه قد تقدم الحد يث المرفوع ان كان ثابتا من

سب نياقتل ومن سب اصحابه جلد فامر بالقتل مطلقا كما امر بالجلد مطلقا
فلم ان السب للنبي صلى الله عليه وسلم موجب بنفسه للقتل كما ان سب غيره
موجب للجلد وان ذلك عقوبة شرعية على السب وكما لا يستقط هذا الجلد
بالتوبة بعد القدرة فكذلك لا يستقط هذا القتل

الطريقة الخامسة عشر اقوال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقوالهم فمن ذلك ان ابا بكر رضى الله عنه كتب الى المهاجرين ابي ربيعة
في المرأة التي غنت بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما سبقتي فيه الامر بك
بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحد وذفن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد
او معاهد فهو محارب غادر فاخبره ابو بكر انه لولا القوت لاحرمة بقتلها من
غير استتابة ولا استثناء حال توبة مع ان غالب من تقدم ليقتل على مثل هذا
يباد الى التوبة والاسلام اذ اعلم انه يدرأه عنه القتل ولم يستفصله الصديق
عن السابة هل هي مسلمة او ذمية بل ذكر ان القتل حد من سب الانبياء
وان حد هم ليس كحد غيرهم مع انه فصل في المرأة التي غنت بهجاء المسلمين
بين ان تكون مسلمة او ذمية وهذا اظهر في ان عقوبة الساب حد للنسبي
واجب عليه له ان يعفو عنها في بعض الاحوال وان يستوفيها في بعض الاحوال
كما ان عقوبة سب غيره حد له واجب على الساب وقوله فمن تعاطى ذلك
من مسلم فهو مرتد ليس فيه دلالة على قبول توبته لان الردة جنس تحتها
انواع منها ما تقبل فيه التوبة ومنها ما لا تقبل كما تقدم التنبيه على هذا ولعله
ان تكون لنا اليه عودة وانما غرضه ان يبين الاصل الذي يبيع دم هذا

الطريقة الخامسة عشر

وكذلك قوله فهو محارب غادر فاني المحارب الفادر جنس يباح دمه ثم منهم من يقتل وان اسلم كالو حارب بقطع الطريق او باستكراه مسئلة على الزنا ونحو ذلك قال تعالى المجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا الآية ثم انه لم يرفع العقوبة الا اذا تابوا قبل القدرة عليهم وقد قدمنا ان هذا محارب مفسد فدخل في هذه الآية وعن مجاهد قال اتى عمر برجل يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقتله ثم قال عمر من سب الله او سب احد امن الانبياء فاقتلوه وهذا مع ان سيرته في المرتد انه يستتاب ثلاثا ويطعم كل يوم رغيفا لعله يتوب فاذا امر بقتل هذا من غير استتابة علم ان جرمه اغلظ عنده من جرم المرتد المجرد فيكون جرم سابه من اهل العهد اغلظ من جرم من اقتصر على نقض العهد لاسيما وقدم بقتله مطلقا من غير ثنيا وكذلك المرأة التي سبت النبي صلى الله عليه وسلم فقتلها خاله بن الوليد ولم يستبها دليل على انها ليست كالمرتدة المجردة وكذلك حديث محمد بن مسلمة لما حلف ليقتل ابن يامين لما ذكر ان قتل ابن الاشرف كان غدرا وطلبه لقتله بعد ذلك مدة طويلة ولم ينكر المسلمون ذلك عليه مع انه لو قتله لمجرد الردة لكان قد عاد الى الاسلام بما اتى به بعد ذلك من الشهادتين والصلوات ولم يقتل حتى يستتاب وكذلك قول ابن عباس في الذي يرمى امهات المؤمنين انه لا توبة له نص في هذا المعنى وهذه القضايا اشد اشهرت ولم يلفنا ان احدا انكر شيئا من ذلك كما انكر عمر رضي الله عنه قتل المرتد الذي لم يستتب وكما انكر ابن عباس رضي الله عنهما

الطريقة السادسة عشر
 واجب الله لنبية صلى الله عليه وسلم حقوقاً زائدة على القلب واللسان والجوارح

تحريق الزنادقة واخباران حد هم القتل فعلم انه كان مستفيضاً بينهم ان حد
 الساب ان يقتل الاماروي عن ابن عباس من سب نيامن الانبياء فقد كذب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب فان تاب واقتل وهذا
 في سب يتضمن جحد نبوة نبي من الانبياء فانه يتضمن تكذيب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولا ريب ان من قال عن بعض الانبياء انه ليس نبي
 وسبه بناء على انه ليس نبي فهذه ردة محضة ويتعين حمل حديث ابن عباس
 على هذا او نحوه ان كان محفوظاً عنه لانه اخبر ان قاذف امهات المؤمنين
 لا نوبة له فكيف تكون حرمتهم لاجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اعظم من حرمة نبي معروف مذكور في القرآن *

الطريقة السادسة عشر * ان الله سبحانه وتعالى اوجب لنبينا صلى الله عليه
 وسلم على القلب واللسان والجوارح حقوقاً زائدة على مجرد التصديق
 بنبوته كما اوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح
 اموراً زائدة على مجرد التصديق به سبحانه وحرمة سبحانه لرسوله بما يباح
 ان يفعل مع غيره اموراً زائدة على مجرد التكذيب بنبوته * فمن ذلك *
 انه امر بالصلاة عليه والتسليم بعد ان اخبر ان الله وملائكته يصلون عليه
 والصلاة تتضمن ثناء الله عليه ودعاء الخير له وقربته منه ورحمته له والسلام
 عليه يتضمن سلامته من كل آفة فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات
 ثم انه يصلي سبحانه عشراً على من يصلي عليه مرة واحدة فضلاً للناس على
 الصلاة عليه ليسعدوا بذلك وليرحمهم الله بها * ومن ذلك * انه اخبر انه

اولى بالموءنين من انقسمهم فمن حقه ان يحب ان يورثه العطشان بالماء والجائع
 بالطعام وانه يجب ان يوقى بالانفس والا موال كما قال سبحانه ما كان
 لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
 ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فعلم ان رغبة الانسان بنفسه ان يصيبه
 ما يصيب النبي صلى الله عليه وسلم من المشقة معه حرام وقال تعالى مخاطبا
 للمؤمنين فيما اضاههم من مشقات الحصر والجهاد لقد كان لكم في رسول الله
 اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ومن
 حقه ان يكون احب الى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دل
 على ذلك قوله سبحانه قل ان كان آبلؤكم وابناؤكم واهوانكم وازواجكم
 وعشيرتكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية مع الاحاديث
 الصحيحة المشهورة كما في الصحيح من قول عمر يا رسول الله لانت احب الي
 من كل شئ الا من نفسى فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك قال
 فانت والله يا رسول الله احب الي من نفسى قال لا يا عمر وقال صلى الله
 عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
 والناس اجمعين متفق عليه ومن ذلك ان الله امر بتعزيروه وتوقيره
 فقال وتعزروه وتوقروه والتعزير لسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من
 كل مايؤذيه والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمانينة من الاجلال
 والاکرام وان يعامل من الشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل
 ما يخرج به عن حد الوقار ومن ذلك انه خصه في مخاطبة بما يليق به

فقال لا تجملوا داء الرسول بينكم كد عاء بعضكم بعضا • فنهى ان يقولوا
يا احمد او يا احمد او يا ابا القاسم ولكن يقولوا يا رسول الله يا نبي الله وكيف
لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالى اكرمهم في مخاطبته اياه بما لم يكرم به
احدا من الانبياء فلم يدعه باسمه في القرآن قط بل يقول يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها • يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين • يا ايها النبي انا احللت لك ازواجك • يا ايها النبي اتق الله •
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • يا ايها النبي اذ اطلقت النساء •
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك • يا ايها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك •
يا ايها المزمع الليل • يا ايها المدثر قم فانذر • يا ايها النبي حسبك الله • مع
انه سبحانه قد قال • وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الآية • يا آدم انبههم
باسمائهم • يانوح انه ليس من اهلك • يا ابراهيم اعرض عن هذا • يلموس اني
اصطفيتك على الناس • يا داود انا جعلناك خليفة في الارض • يا عيسى ابن مريم
اذكري نعمتي عليك وعلى والدتك • ومن ذلك • انه حرم التقدم بين يديه
بالكلام حتى يأذن • وحرم رفع الصوت فوق صوته • وان يجهر له بالكلام
كما يجهر الرجل للرجل • واخبر ان ذلك سبب حبوط العمل فهذا يدل على
انه يقتضي الكفر لان العمل لا يمحيط الاب • واخبر ان الذين يفضون اصواتهم
عند • هم الذين امتنعت قلوبهم للتقوى وان الله يغفر لهم ويرحمهم • واخبر ان
الذين ينادونه وهو في منزله لا يعقلون لكونهم رفعوا اصواتهم عليه ولكونهم
لم يصبروا حتى يخرج ولكن ازعموه الى الخروج • ومن ذلك • انه حرم على

الامة ان يؤذوه بما هو مباح ان يعامل به بعضهم بعضاً تميزاً له مثل تكاح ازواجه
من بعد فقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً . واوجب على الامة لاجله
احترام ازواجه وجملهن امهات في التحريم والاحترام فقال تعالى النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم . واما ما اوجبه من
طاعته والانقياد لامره والتأسي بفعله فهذا باب واسع لكن ذلك قد يقال هو
من لوازم الرسالة وانما الغرض هنا ان ننبه على بعض ما اوجبه الله له من
الحقوق الواجبة والمحرمات مما يزيد على لوازم الرسالة بحيث يجوز ان يبعث الله
رسولا ولا يوجب له هذه الحقوق . ومن كرامته المتعلقة بالقول انه فرق
بين اذاه واذي المؤمنين فقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً عظيمنا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً . وقد تقدم ان في هذه الآية
ما يدل على ان حملن سبه القتل كما ان حملن صب غيره الجلد . ومن ذلك
ان الله رفع له ذكره فلا يذكر الله سبحانه الا ذكر معه . ولا يصح للامة خطبة
ولا تشهد حتى يشهدوا انه عبده ورسوله واوجب ذكره في كل خطبة .
وفي الشهادتين اللتين هما اساس الاسلام . وفي الاذان الذي هو شعار
الاسلام . وفي الصلاة التي هي عماد الدين الى غير ذلك من المواضع
هذا الى خصائص له اخر يطول تعدادها واذا كان كذلك فطوبى ان سابه
ومتقصه قد ناقض الايمان به وناقض تعزير مو توقيده وناقض رفع ذكره

و ناقض الصلاة عليه والتسليم وناقض تشریفه في الدعاء والخطاب بل قابل
افضل الخلق بما لا يقابل به اشر الخلق . و يوضح ذلك ان مجرد اعراضه عن
الايمان به يبيح الدم مع عدم العهد واعراضه عن هذه الحقوق الواجبة يبيح
العقوبة فهذا بمجرد سكوته عن تشریفه وتكريمه وتعظيمه فاذا اتى بضد ذلك
من الذم والسب والانتقاص والاستخفاف فلا بد ان يوجب ذلك
زيادة على الدم والعقاب فان مقادير العقوبات على مقادير الجرائم
الا ترى ان الرجل لو قتل رجلا اعتباراً لكان عقوبته القود
وهو التسليم الى ولي المقتول فان انضم الى ذلك قتله لاختد المال مجاهرة
صار العقوبة تحتم القتل فان انضم الى ذلك اخذ المال عوقب مع
ذلك بالصلب وعوقب عند بعض العلماء ايضاً بقطع اليد والرجل حتماً
مع ان اخذ المال سرقة لا يوجب الا قطع اليد فقط وكذا لو قذف
عبداً او ذمياً او فاجراً لم يجب عليه الا التعزير فلو قذف حراً مسلماً عقيفاً
لوجب عليه الحد التام فلو قيل انه لا يجب عليه مع ذلك الا ما يجب
على من ترك الايمان به او ترك العهد الذي يبتنا وبينه لسوى بين
الساکت عن ذمه وسبه والمبالغ في ذلك وهذا غير جائز كما انه غير جائز
التسوية بين الساکت عن مدحه والصلاة عليه والمبالغ في ذلك ولزم
في ذلك ان لا يكون لخصوص سبه وذمه واذا عوقب مع انه من اعظم
الجرائم وهذا باطل قطعاً ومعلوم ان لا عقوبة فوق القتل ثم سوى
الزيادة على ذلك الاتيين قتله وتحتمه تاب او لم ينب كحد قاطع الطريق

اذ لا يعلم احدا ووجب ان يجلد لخصوص السب ثم يقتل للكفر اذا كانت
العقوبة لخصوص السب كانت حدا من الحدود وهذه مناسبة ظاهرة قد دل
على صحتها دلالات النصوص السالفة من كون السب موجبا للقتل والعلة
اذ اثبت بالنص او بالايماء لم يحتج الى اصل يقاس عليه الفرع وبهذا يظهر
انا لم نجعل لخصوص السب موجبا للقتل الا بما دل عليه من الكتاب والسنة
والاثر لا بمجرد الاستحسان والاستصلاح كما زعمه من لم يحظ بما أخذ الاحكام
على ان الاصل الذي يقاس به هذا الفرع ثابت وهو

الطريقة السابعة عشر * وذلك انا وجدنا الاصول التي دل عليها
الكتاب او السنة او اجماع الامة حكمت في المرتد وناقض العهد حكيم
فن لم يصدر منه الامجد الردة او مجرد نقض العهد ثم عاد الى الاسلام عصم
دمه كما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم
ذكر بعض ما يدل على ذلك في المرتد وهو في نقض العهد ايضا موجود بقوله
في بعض من نقض العهد ويثوب الله من بعد ذلك على من يشاء وبان
النبي صلى الله عليه وسلم قبل اسلام من بنى بكر وكانوا قد نقضوا
العهد وعدوا على خزاعة فقتلوه وقبل اسلام قريش الذين اعانوه على
قتال المسلمين حتى انتقض عهدهم بذلك ودلت سنته على ان مجرد اسلامهم
كان عاصلا لما همم وكذلك في حصرة القرظية والنضير مذكور انهم
لو اسلوا لكف عنهم وقد جاء نفر منهم مسلمين فعصموا دماءهم واما ما هم
منهم ثعلبة بن سعية واسد بن سعية واسد بن عبيد اسلوا في الليلة التي

الطريقة السابعة عشر

نزل فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبره
 مشهور ومن تغلظت ردة او تقضه بما يضر المسلمين اذ اعاد الى الاسلام
 لم تسقط عنه العقوبة مطلقا بل يقتل اذا كان جنس ما فعله موجبا للقتل
 او يعاقب بما دونه ان لم يكن كذا لك كما دل عليه قوله تعالى انما جزاء الذين
 يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الآية وكما دلت عليه سنة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة ابن ابي سرح وابن زعيم وفي قصة
 ابن خطل وقصة مقيس بن صباية وقصة العرينين وغيرهم وكما دل عليه
 الاصول المقررة فان الرجل اذا اقترن برده قطع طريقه او قتل مسلم
 او زنا او غير ذلك ثم رجع الى الاسلام اخذت منه الحدود وكذلك
 لو اقترن بنقض عهده الاضرار بالمسلمين من قطع الطريق او قتل مسلم او زنا
 بمسامة فان الحد ودستوفى منه بعد الاسلام اما الحد الذي يجب على المسلم
 لو فعل ذلك او الحد الذي كان واجبا قبل الاسلام وهذا الرجل الساب
 قد وجد منه قدر زائد على مجرد نقض العهد كما تقدمنا في الاضرار بالمسلمين
 الذي صار به اغلظ جرما من مجرد ناقض العهد او فعل ما هو اعظم من اكثر
 الامور المضرة كما تقدم فصار بمنزلة من قرن بنقض عهده اذى المسلمين
 في دم او مال او عرض واشد واذا كان كذلك فاسلامه لا يزيل عنه عقوبة
 هذا الاضرار كما دلت عليه الاصول في مثله وعقوبة هذا الاضرار قد ثبت
 انه القتل بالنهي والاسلام الطارئ لا يمنع ابتداء هذه العقوبة فان المسلم
 لو ابتداء بمثل هذا قتل قتلا لا يسقط بالتوبة كما تقدم واذا لم يمنع الاسلام

ابتداء هافان لا يمنع بقاء هاد و دواهما لى واحرى لان الدوام والبقاء اقوى
من الابداء والحدوث في الحسيات والعقليات والحكميات الا ترى ان
العدة والاحرام والردة تمنع ابتداء النكاح ولا تمنع دوامه والاسلام
يمنع ابتداء الرق ولا يمنع دوامه ويمنع ابتداء وجوب القود وحد القذف على
المسلم اذا قتل او قذف ذميا ولا يمنع دوامه عليه اذا اسلم بعد القتل والقذف
ولو فرض ان الاسلام يمنع ابتداء قتل هذا فلا يجب ان يسقط القتل باسلامه
لان الدوام اقوى من الابداء و جاز ان يكون بمنزلة القود وحد القذف
فان الاسلام يمنع ابتداء دون دوامه لا سيما والسب فيه حق لا دمي
ميت وفيه جناية متعلقة بعموم المسلمين فهو مثل القتل في المحاربة ليس حق الملعين
واذا كان كذلك وجب استيفاؤه كغيره من المحاربين المفسدين بحق
ذلك ان الذمي اذا قطع الطريق وقتل مسلما فهو يعتقد في دينه جواز قتل
المسلم واخذ ماله وانما حرمة عليه العهد الذي يبتنا وبينه كما انه يعتقد جواز
السب في دينه وانما حرمة عليه العهد وقطع الطريق قد يفعل استخلا لا وقد
يفعل استخفافا بالحرمة لغرض كما ان سب الرسول قد يفعل استخفافا بالحرمة
لغرض فهو مثله من كل وجه الا ان مفسدة ذلك في الدنيا ومفسدة
هذا في الدين وهي اعظم من مفسدة الدنيا عند المؤمنين بالله العالمين به
وبامرهم فاذا اسلم قاطع الطريق فقد تجدد منه اظهار اعتقاد تحريم دم المسلم وماله
مع جواز ان لا يني بموجب هذا الاعتقاد وكذلك اذا اسلم الساب فقد
تجدد اظهار اعتقاد تحريم عرض الرسول مع جواز ان لا يني بموجب هذا

الا اعتقاد فاذا كان هناك يجب قتله بعد اسلامه فكذلك يجب قتله
 هنا بعد اسلامه ويجب ان يقال اذا كان ذلك لا يسقط حده بالتوبة
 بعد القدرة فكذلك هذا لا يسقط حده بالتوبة بعد القدرة ومن امن
 النظر لم يسترب في ان هذا محارب مفسد كما ان قاطع الطريق محارب
 مفسد ولا يرد على هذا سب الله تعالى لان احدا من البشر لا يسه اعتقاد
 الا بما يراه تعظيما واجلا لا كزعم اهل التلبيث ان له صاحبة وولد فانهم
 يعتقدون ان هذا من تعظيمه والتقرب اليه ومن سبه لا على هذا الوجه
 فالقول فيه كالقول فيمن سب الرسول على احد القولين وهو المختار كما
 سنقره ومن فرق قال انه تعالى لا تلحقه فضاضة ولا انتقاص بذلك
 ولا يكاد احد يفعل ذلك اصلا الا ان يكون وقت غضب ونحو ذلك بخلاف
 سب الرسول فانه يسه انتقاصه واستخفافه سبا يصد عن اعتقاد وقصدا هانة
 وهو من جنس تلحقه الفضاضة ويقصد بذلك وقد يسب تشفيا وغیظا
 وربما حل منه في النفوس خبائل ونفرت عنه بذلك خلائق ولا نزول
 تقرتهم عنه باظهار التوبة كما لا نزول مفسدة الزنا وقطع الطريق ونحو
 ذلك باظهار التوبة وكما لا يزول العار الذي يلحق بالمذوف باظهار
 القاذف التوبة فكانت عقوبة الكفر يندرج فيها ما يتبعه من سب الله
 سبحانه بخلاف سب الرسول فان قيل قد تكون زيادة العقوبة على
 مجرد الناقض للعهد تحتم قتله مادام كافرا بخلاف غيره من الكافرين فان
 عقد الامان والهدنة والذمة واسترقاقهم والمن عليهم والمفاداة بهم جائز في الجملة

فاذا اتى مع حل دمه لنقض العهد لو لعدمه بالسب تعين قتله كما قررتموه
وهكذا الجواب عن المواضع التي قتل النبي صلى الله عليه وسلم فيها من
سبه او امر بقتله او امر اصحابه بذلك فانه يدل على ان الساب يقتل وان
لم يقتل من هو مثله من الكافرين وكذا لك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليهود في قصة ابن الاشرف انه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رايه
ما اغتيل ولكنه نال منا وهما نال بالشعر ولم يفعل هذا احد منكم الا كان
السيف واذا كان كذلك فيكون القتل وجب الامرين للكفر ولتغلظه
بالسب كما يجب قتل المرتد للكفر ولتغلظه بترك الدين الحق والخروج منه
فمضى زال الكفر زال الموجب للدم فلم يستقل بقاء اثر السب باحلال الدم
وتبع الكفر في الزوال كما تبعه في الحصول فانه فرع للكفر وتويع منه فاذا
زال الاصل زالت جميع فروعه وانواعه وهذا السؤال قد يمكن تقريره
في سب من يدعي الاسلام بناء على ان السب فرع للردة ونوع منها وقد
لا يمكن لانه يتجدد من هذا بعد السب ما لم يكن موجودا حال السب
بخلاف الكافر قلنا وهذا ايضا دليل على ان قتل الساب حد من الحدود
فانه قد تقدم انه يجب قتله ان كان معاهدا ولا يجوز استبقاؤه بعد السب
بامان ولا استرقاق ولو كان انما يقتل لكونه كافرا بحار بالجزا امانه واسترقاقه
والمفاد به فلما كان جزاؤه القتل علم ان قتله حد من الحدود وليس بمنزلة قتل
سائر الكفار ومن تأمل الادلة الشرعية نصوصها ومقاييسها بما ذكرناه ومما لم نذكره
ثم ظن بعد هذا ان قتل الساب لمجرد كونه كافرا غير معاهد كقتل الاسير

فليس على بصيرة من امره ولا ثقة من رأيه وليس هذا من المسالك
المحتملة بل من مسالك القطع فان من تأمل دلائل الكتاب والسنة
وما كان عليه سلف الامة وما توجه الاصول الشرعية علم قطعا ان السب
ناثرا في سفح الدم زائد على تأثير مجرد الكفر الخالي عن عهد نعم قد يقال
هو مقتول بمجموع الامرين بناء على ان كفر الساب نوع مغلظ لا يحتمل
الاستبقاء ككفر المرتد فيكون مقتولا لكفره وسبه ويكون القتل حدا
بمعنى انه يجب اقامته ثم يزول موجه بالتوبة كقتل المرتد فهذا ليس
بمساخ لكن في ما تقدم ما يضعف هذا الوجه ومع هذا فانه لا يقدح في كون
قتل الساب حدا من الحدود وجب للماني خصوص ظهور سب الرسول من المفسدة
وانما يبقى ان يقال هذا الحد هل يسقط بالاسلام ام لا فنقول جميع ما ذكرناه
من الدلائل وان دلت على وجوب قتله بعد اظهار التوبة فهي دالة على
ان قتله حد من الحدود وليس بمجرد الكفر وهي دالة على هذا بطريق القطع
لما ذكرناه من تفريق الكتاب والسنة والاجماع بين من اقنصر على الكفر
الاصلي او الطارى او نقض العهد وبين من سب الرسول من هو له لاء واذا
لم يكن القتل لمجرد الكفر لم يبق الا ان يكون حدا واذا ثبت انه يقتل لخصوص
السب لكونه حدا من الحدود لا للعموم كونه كافرا غير ذي عهد او للعموم
كونه مرتدا فيجب ان لا يسقط بالتوبة والاسلام لان الاسلام والتوبة
لا يسقطان شيئا من الحدود والواجبة قبل ذلك اذا كانت التوبة بعد الثبوت
والرفع الى الامام بالاتفاق وقد دل القرآن على ان حد قاطع الطريق

والزاني والسارق والقاذف لا يسقط بالتوبة بعد التمكن من اقامة الحد
ودلت السنة على مثل ذلك في الزاني وغيره ولم يختلف المسلمون فيما علمناه
ان المسلم اذا زنى او سرق او قطع الطريق او شرب الخمر فرفع الى السلطان
وثبت عليه الحد بيينة ثم تاب من ذلك انه يجب اقامة الحد عليه الا ان
يظن احد في ذلك خلافا شاذ لا يعتد به فهذه حد وداهه وكذلك
لو وجب عليه قصاص او حدا وقذف او عقوبة سب المسلم او معاهد ثم تاب
من ذلك لم تسقط عنه العقوبة وكذلك ايضا لم يختلفوا فيما علمناه ان
الذمي لو وجب عليه حد قطع الطريق او حد السرقة او قصاص او حد
قذف او تعزير ثم اسلم وتاب من ذلك لم تسقط عنه عقوبة ذلك وكذلك
ايضا لو زنى فانه اذا وجب عليه حد الزنا ثم اسلم لم يسقط عنه بل يقام عليه
حد الزنا عند من يقول بوجوبه قبل الاسلام ويقتل حتما عند الامام احمد
ان كان زنا انقض عهد هذه مع ان الاسلام يجب ما قبله والتوبة يجب
ما قبلها فيغفر للتائب ذنبه مع اقامة الحد عليه تطهير له وتكفيل للناس عن
مثل تلك الجريمة فتحصل باقامة الحد المصلحة العامة وهي زجر الملتزمين
للاسلام او الصغار عن مثل ذلك الفساد فانه لو لم يقم الحد عند اظهار التوبة
لم يتأت اقامة حد في الغالب فانه لا يشاء المفسد في الارض اذا اخذ ان يظهر
التوبة الا اظهرها و اوشك كل من هم بعظيمة من العظام من الاقوال والافعال
ان يرتكبها ثم اذا احيط به قال اني تائب ومعلوم ان ذلك لودره الحد الواجب
لتمطت الحدود وظهر الفساد في البر والبحر ولم يكن في شرع العقوبات

والحدود كثير مصلحة وهذا ظاهر لا خفاء به . ثم الجاني لو تاب توبة
نصوحاً فذلك نافعة فيما بينه وبين الله يغفر له ما سلف ويكون الحد تطهيراً
وتكفير السيئة وهو من تمام التوبة كما قال ما عزم بن مالك للنبي صلى الله عليه
وسلم طهرني وقد جاء تائباً وقال تعالى لما ذكر كفارة قتل الخطاء فمن
لم يستطع فاططعم ستين مسكيناً توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً . وقال تعالى
في كفارة الظهار ذلکم توعظون به . فيشتمل الحد مع التوبة على مصلحتين
عظمتين مصلحة زجر النفوس عن مثل تلك الجريمة وهي اهم المصلحتين فان
الدنيا في الحقيقة ليست دار كمال الجزاء وانما كمال الجزاء في الآخرة
وانما الغالب في العقوبات الشرعية الزجر والنكال وان كان
فيها مقاصد اخرى كما ان غالب مقصود العدة برآة الرحم وان كان فيها
مقاصد اخرى . لهذا كانت هذه المصلحة مقصودة في كل عقوبة مشروعة
والمصلحة الثانية تطهير الجاني وتكفير خطيئته ان كان له عند الله خير او عقوبة
والانتقام منه ان لم يكن كذلك وقد يكون زيادة في ثوابه ورفعة في درجاته
ونظير ذلك المصائب المقدرة في النفس والاهل والمال فانها تارة تكون
كفارة وطهوراً وتارة تكون زيادة في الثواب وعلو في الدرجات
وتارة تكون عقاباً وانتقاماً لكن اذا تاب الانسان سرافان الله يقبل توبته
سراً ويغفر له من غير احواج له الى ان يظهر ذنبه حتى يقام حده عليه
اما اذا اعلن الفساد بحيث يراه الناس ويسمعونه حتى يشهدوا به
عند السلطان او اعترف به هو عند السلطان فانه لا يطهره مع التوبة

بعد القدرة الاقامته منه عليه الا ان في التوبة اذا كان الحد لله وثبت
 باقراره خلافاً سذكروه ان شاء الله تعالى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تغافوا
 الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 لما شفع اليه في السارقة تطهر خير لها وقال من حالت شفاعته دون حد من
 حد والله فقد ضاها في امره وقال من ابتلى من هذه القاذورات بشيء
 فليستربس الله فانه من يبدلنا (١) صفحته نعم عليه كتاب الله * اذا تبين ذلك
 فنقول هذا الذي اظهر سب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسلم
 ومعاهد قد اتى بهذه المفسدة التي تضمنت مع الكفر ونقض العهد الذي
 ورسوله وانتهاك تلك الحرمات التي هي افضل حرمة المخلوقين والوقعة في
 عرض لا تساوي غيره من الاعراض والطعن في صفات الله وافعاله وفي
 دين الله وكتابه وجميع انبيائه والمؤمنين من عباده فان الطعن في واحد
 من الانبياء طعن في جميع الانبياء كما قال سبحانه وتعالى اولئك هم الكافرون
 حقوا طعن في من آمن بنبينا من الانبياء والمؤمنين المتقدمين والمتأخرين
 وقد تقدم تقرير هذا ثم هذه العظيمة صدرت ممن التزم بعقد ايمانه وامانه
 انه لا يفعل ذلك فاذا وجبت عقوبته على تلك الجريمة لخصوصها كما تقدم
 امسح ان يسقط بما يظهره من التوبة كما تقدم ايضاً ثم هنا مسلكان *
 المسلك الاول * وهو مسلك طائفة من اصحابنا وغيرهم ان يقتل حد الله
 كما يقتل لقطع الطريق ولردة وللکفر لان السب للرسول صلى الله عليه وسلم
 قد تعلق به حق الله وحق كل مؤمن من فان اذاه ليس مقصور على رسول الله

(١) من يبدلنا صفحته اي من يظهر لنا فعله الذي يخفيه ١٢ جمع

فقط كمن يسب واحدا من عرض الناس بل هو اذى لكل مؤمن كان
ويكون بل هو عند هم من ابلغ انواع الاذى ويود كل مؤمن منهم ان
يفتدى هذا العرض بنفسه واهله وعرضه وماله كما تقدم ذكره عن الصحابة
من انهم كانوا يبذلون دماءهم في صون عرضه وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يمدح من فعل ذلك سواء قتل او غلب ويسميه ناصرا لله ورسوله
ولو لم يكن السب اعظم من قتل بعض المسلمين لما جاز بذل الدم في درئه كما
لا يجوز بذل الدم في صون عرض واحد من الناس وقد قال حسان بن
ثابت يخاطب ابا سفيان بن الحارث *

هجوت محمد اقا جبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

فان ابي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وذلك انه انتهاك للحرمة التي نالوا بها سعادة الدنيا والآخرة وبها يتأهلها
كل واحد سواهم وبها يقام دين الله ويرضى الله عن عباد هو يحصل ما يحب ويتقضى
ما يفيضه كما ان قاطع الطريق وان قتل واحدا فان مفسدة قطع الطريق
نعم جميع الناس فلم يفوض الامر فيه الى ولي المقتول نعم كان الامر
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفوضا اليه فحين سبه ان احب عفا عنه
وان احب عاقبه وان كان في سبه حق لله ولجميع المؤمنين لان الله سبحانه
يجعل حقه في العقوبة تبعا لحق العبد كما ذكرناه في القصاص وحقوق
الآدميين تابعة لحق الرسول فانه اولى بهم من انفسهم ولان في ذلك
تمكينه صلى الله عليه وسلم من اخذ العقو والامر بالعرف والاعراض عن

الجاهلين الذي امره الله تعالى به في كتابه * وتمكينه من العفو والاصلاح الذي يستحق به ان يكون اجره على الله * وتمكينه من ان يدفع بالتي هي احسن السيئة كما امره الله * وتمكينه من استعطاف النفوس وتاليف القلوب على الايمان واجتماع الخلق عليه * وتمكينه من ترك الضغينة عن الايمان وما يحصل بذلك من المصلحة ينم ما يحصل باستبقاء الساب من المصلحة كما دل عليه قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لا نقصوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر * وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم نفس هذه الحكمة حيث قال اكره ان يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه * وقال فيما عاين به ابن ابي من الكرامة رجوت ان يؤمن بذلك الف من قومه فحقق الله رجاءه ولو عاقب كل من آذاه بالقتل لظهر المفلوب عتدا او وسوسة ان ذلك لما في النفس من حب الشرف والله من باب غضب الملوكة وقتلهم على ذلك ولو لم يسج له عقوبته لانتهاك العرض واستبيحت الحرمات فاضل رباط الدين وضمفت العقيدة في حرمة النجوة فحصل الله له الامرين فلما انقلب الى روضه ان الله وكرامته ولم يبق واحد مخصوص من اهل الجنة استيفاء هذه العقوبة والعفو عنها والحق فيها ثلثت الله سبحانه ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعلم كل ذي عقل ان المسلمين انما يقتلونه لحفظ الدين وحفظ حق الرسول وقاية عرضه فقط كما يقتلون قاطع الطريق لامن الطرقات من المفسدين وكما يقطعون السارق لحفظ الاموال وكما يقتلون المرندين صونا للداخلين في الدين من الخروج عنه

ولم يبق هنا يوم مقصود جزوحي كما قد كان يتوهم في زمانه ان قتل الساب كذلك
وتقرر ذلك بالسب له من المسلمين فانه قد كان له ان ينفو عنه مع انه لا يحل
للأمة الاراقة دمه فخالصه انه في حياته قد غلب في هذه الجناية حقه ليهتمكن
من الاستيفاء والعفو وبعد موته فهي جناية على الدين مطلقا ليس لها من
يمكنه العفو عنها فوجب استيفاؤها وهذا مسلك خير لمن يدبر غوره ثم هنا
تقرر ان . احدهما . ان يقال الساب من جنس المحارب المفسد وقد تقدم
في ذلك زيادة بيان ومما يؤيده انه سبحانه وتعالى قال من قتل نفسا
بغير قس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا . فعلم ان كل ماوجب القتل
حقا لله كان فسادا في الارض والا لم يبح وهذا السب قد اباح الدم فهو فساد
في الارض وهو ايضا محاربة لله ورسوله على ما لا يخفى لان المحاربة هنا والله اعلم
انما عني بها المحاربة بعد المسألة لان المحاربة الاصلية لم يدخل حكمها في هذه
الاية وسبب نزولها انما كان فعل مرئد وناقض عهد فلم انهما جميعا دخلا
فيها وهذا قد حارب بعد المسألة وافسد في الارض فتعين اقامة الحد عليه
• الثاني • ان يكون السب جناية من الجنايات الموجبة للقتل كالزنا وان
لم يكن حرا ابا كحرب قاطع الطريق فان من الفساد ما يوجب القتل وان لم يكن
حرا ابا وهذا فساد قد اوجب القتل فلا يسقط بالتوبة كثيره من انواع
الفساد اذ لا يستثنى من ذلك الا القتل للكفر الاصل او الطاري وقد قد منا
ان هذا القتل ليس هو كقتل سائر الكفار . فان قيل . فاذا كان السب حدا لله
فيجب ان يسقط بالا سلام كما يسقط حد المرتد بالا سلام وكما يسقط قتل

الكافر بالاسلام وذلك ان مجرد تسميته حدا لا يمنع سقوطه بالتوبة او بالاسلام
فان قتل المرتد حد فان الفقهاء يقولون باب حد المرتد ثم انه يسقط بالاسلام
ثم ان هذا امر لفظي لا تناطيه الاحكام وانما تناط بالمعاني وكل عقوبة لمجرم
فهي حد من حيث تزجره وتمنعه من تلك الجريمة وان لم تسم حدا لم يكن
لا ريب انه انما يقتل للكفر والسب والسب لا يمكن تجريده عن الكفر
والمحاربة حتى يفرض سابع قد وجب قتله وهو مؤمن او معاهد باق على
عهده كما يفرض مثل ذلك في الزاني والسارق والقاذف فان اولئك
وجبت عقوباتهم لتلك الجرائم وهي قبل الاسلام وبعد سواء وهذا
لما وجب عقوبته بجرم هو من فروع الكفر وانواعه فاذا زال الاصل تبعته
فمروعه فيكون الموجب للقتل انه كافر محارب وانه مؤذنه ولرسوله
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعقبة بن ابي معيط لما قال مالي اقتل من بينكم
صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفراك واقترائك على رسول الله
والعلة اذا كانت ذات وصفين زال الحكم بزوال احد هما ونحن قد نعلم
انه يتعمد قتله اذا كان ذميا كما يتعمد قتل المرتد لتغلظ كفره باذى الله ورسوله
كتغلظ كفر المرتد بترك الله بين لكن الاسلام يسقط كل حد يتعلق بالكفر
كما يسقط حد المرتد فلم الحتم هذا الحد بقاطع الطريق والزاني والسارق
ولم تلحقوه بالمرتد فهذا انكته هذا الموضع فنقول لا يسقط شيء من الحدود
بالاسلام ولا فرق بين المرتد وغيره في المعنى بل كل عقوبة وجبت لسبب
ماض او حاضر فانها تجب لوجود سببها وتعدم لعدمه فالكافر الاصل والمرتد

لم يقتل لاجل ماضى من كفره فقط واما يقتل للكفر الذى هو الآن موجود
اذا اصل بقاؤه على ما كان عليه فاذا تلبس بالالكفر فزال المباح للدم لان الدم
لا يباح بالكفر الاحال وجود الكفر اذ المقصود بقتله ان تكون كلمة الله
هى العليا وان يكون الدين كله لله فلذا انقاد لكلمة الله ودان بدين الله حصل
مقصود القتال ومطلوب الجهاد وكذلك المرتد اذ يقتل لانه تارك للدين مبدل له
فاذا هو عاد لم يبق مبدلا ولا تاركا وبذلك يحصل حفظ الدين فانه لا يترك مبدلا له
اما الزانى والسيار وقاطع الطريق فانه سواء كان مسلما او معاهدا لم يقتل لغزو او ماضى
الزنا والسب وقطع الطريق فلن هذا غير ممكن ولم يقتل لجور اعتقاد محل ذلك
اوارادته له فان الذمى لا يباح دمه بهذا الاعتقاد ولا يباح دم مسلم ولا ذمى بمجرد
الارادة فعلم ان ذلك وجب جزاء على ماضى وزجر اعما يستقبل منه ومن
غيره فمن اظهر سب الرسول من اهل الذمة او من المسلمين ثم ترك
السب وانتهى عنه فليس هو مستديرا للسب كما يستديم الكافر المرتد وغيره على كفره
بل افسد في الارض كما افسد غيره من الزناة وقاطع الطريق ونحوه فمما
تكرر مثل هذا القصد منه ومن غيره كما تخاف مثل ذلك في الزانى وقطع الطريق
لان الذم اعنى له الى ما فعله من السب ممكن منه ومن غيره من الناس فوجب
ان يعاقب جزاء بما كسب نكالا من الله لئلا يعزوه وهذا فرق ظاهر بين
قتل المرتد والكافر الاحمل وبين قتل السلب والقاطع والزانى ويانه ان السب
من جنس الجرمية للماضية لا من جنس الجرمية الدائمة لكن مبناء على ان
يوجب الحد لخصوصه لا لكونه كفرا او قد تقدم بيان ذلك بوضوح ذلك ان

قتل المرتد والكافر الاصل الا ان يتوب يزال مقسدة الكفر لان الهام
بالردة معني علم انه لا يترك حتى يقتل او يتوب لم ياتها لانه ليس له غرض في
ان يرتد ثم يعود الى الاسلام وانما غرضه في بقاءه على الكفر واستدامته
فلما الساب من المسلمين والمجاهدين فان غرضه من السب يحصل باظهاره
وينكح المسلمين بلذاه كما يحصل غرض القاطع من القتل والزاني من الزنا وسقط
حرمة الدين والرسول بذلك كما يصفى حرمة النفوس والاموال قطع
الطريق والسرقة ويؤذي عموم المسلمين اذ يفضي ضرره كما يؤذيهم
مثل ذلك من فعل القاطع والسارق ونحوهما ثم انه اذا اخذ فقد يظهر
الاسلام والتوقيف مع استبظانه العود الى مثل ذلك عند انقذرة كما يظهر
القاطع والسارق والزاني العود الى مثل هذه الجرائم عند امكان القرصة
بل وبما يمكن من هذا السب بعد اظهار الاسلام عند شياطينه ما لم يتمكن قبل
ذلك ويتنوع في انواع التقص والطعن غيظا على ما فعل به من القهر
والضغطة حتى اظهر الاسلام بخلاف من لم يظهر شيئا من ذلك حتى اسلم
فانه لا مقسدة ظهرت لنامته وبخلاف المحارب الاصل اذا قتل وقيل الاقاعيل فانه
لم يكن قد التزم الايمان على انه لا يفعل شيئا من ذلك وهذا قد كان التزم لنا
بعقد الدمة ان لا يؤذي بدني من ذلك ثم لم يف بعهدة فلا يؤمن اليمان
يلتزم بعقد الايمان ان لا يؤذي بدنا بذلك ولا يفي بعهدة وذلك لانه واجب
عليه في حربه ان يني بالهد فلا يظهر الطعن علينا في ديننا وهو عالم ان ذلك من
التزام الامور التي تعاها على ان لا يؤذيها وهو خائف من سيف

الاسلام ان خالف كما انه واجب عليه في دين الاسلام ان لا يتعرض
 للرسول بسوء وهو خائف من سيف الاسلام ان هو خالف فلم يتجدد له
 باظهار الاسلام جنس العاصم الزاجر بخلاف الحربي في ذلك وان كان
 في ضمن ذلك زجر لغيره من الناس عن الردة الا ترى انه لا يشرع الستر
 عليه ولا يستحب التعريض للشهود بترك الشهادة عليه وتجب اقامة
 الشهادة عليه عند الحاكم ولا يستحب العفو عنه قبل الرفع الى الحاكم
 وان كان قد ارتد سرا لانه متى رفع الى الحاكم استتابه فيجاء من
 النار وان لم ينب قبله فقصر عليه مدة الكفر فكان رفعه مصلحة له محضة
 بخلاف من استستر لقاذورة من القاذورات فانه لا ينبغي التعرض اليه لانه اذا رفع
 يقتل حتما وقد يتوب اذا لم يرفع فلم يكن الرفع له مصلحة محضة ولما المصلحة
 للناس فاذا لم تظهر الفاحشة لم تضرمهم ومن سب الرسول فاما يقتله لاداءه قد ولى رسوله
 والمومنين ولطعمه في دينهم فكان بمنزلة من اظهر قطع الطريق والزنا ونحوه
 المنقلب فيه جانب الردع والزجر وان تضمن مصلحة الجاني وكان قتله
 لانه اظهر الفساد في الارض وكذلك لو سب الذمي سر الم يتعرض له
 وكذلك لا ينبغي الستر عليه لان من اظهر الفساد لا يستر عليه بحال وقوله السب
 مستلزم للكفر والجواب بخلاف تلك الجرائم قلنا ليس لنا سب خال عن الكفر
 حتى تجرد العقوبة له بل العقوبة على مجموع الامر بن هذه الملازمة لانيوهن
 لهم السب فان كونه مستلزما للكفر يوجب تعاط عقوبته فاذا انفصل الكفر
 عنه فيما بعد لم يلزم ان لا يكون موجبا للعقوبة اذا كان هو في نفسه يتضمن من

المفسدة ما يوجب العقوبة والزجر كما دل عليه الكتاب والسنة والاثار والقياس ثم نقول أقصى ما يقال انه حد على كفر مغلظ فيه ضرر على المسلمين صدر عن مسلم او معاهد فمن اين لهم ان مثل هذا تقبل منه التوبة بعد القدرة فاننا قد قد منا ان التوبة انما شرعت في حق من تجردت ردة او تجردت نقضه للعهد فاما من تغلظت ردة او نقضه بكونه مضرا بالمسلمين فلا بد من عقوبته بعد التوبة وقولهم ان السب من فروع الكفر وانواعه فان عنوان الكفر يوجب ذلك فليس بضحيج وان عنوان الكفر يبيح ذلك فنقول لكن عقد الذمة حرم عليه في دينة اظهار ذلك كما حرم قتل المسلمين وسرقة اموالهم وقطع طريقهم واقتراض نساءهم وكما حرم قتالهم وان كان دينهم يبيح له ذلك كله فاذا هو آذى المسلمين بما يقتضيه الكفر المجرد عن عهد فانه يعاقب على ذلك وان زال الكفر الموجب لذلك فيقتل ويقطع ويقاقب كذلك هنا يعاقب على ما آذى به الله ورسوله والمؤمنين مما يخالف عهده وان كان دينه يبيحه وقولهم ان الزاني والسارق وقاطع الطريق قبل الاسلام وبعد سواء قلناه هو مثل الساب لانه قبل الاسلام يعتقد استحلال دماء المسلمين واموالهم واعراضهم لولا العهد الذي بينهم وبينه وبعد الاسلام انما يعتقد تحريمها لاجل الدين وكذلك انتهوا كل تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد حله لولا العهد الذي بيننا وبينه وبعد الدين انما يمنعه منه الدين ولا فرق بين ان يضر المسلمين في دينهم او دنياهم واما قولهم انما وجب قتله لاجل الامر ين فيسقط بزوال احدهما فنقول بل اجتمع فيه سببان كل

منها يوجب نوعين القتل مخالف النوع الآخر وان كان احدهما يستلزم
 الآخر فالكفر يوجب القتل للكفر الاصلى او للكفر الارتدادى وله احكام
 معروفة والسب يوجب القتل لخصوصه حتى يدرج فيه قتل الكفر و قتل
 الردة وهذا القتل هو المقلب في حق مثل هذا حتى كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم له القتل والعفو وله القتل مع امتناع القتل بالكفر والردة وله
 القتل بعد سقوط القتل بالكفر والردة كما قيله من قبل الله لا بل على ذلك اثنا
 ونظر او يبين ان في خصوص السب ما يقتضى القتل لو فرض تجرده عن
 الكفر والردة فاذا انفصل عنه في اثنا الحال فسقط موجب الكفر والردة
 لم تسقط موجب السب وقد قد منا في المسئلة الثانية دلائل على ذلك
 ثم نقول بوجوب الاجل الامرين فالقتل الواجب لكفر متعاط بالانحرار
 اذا زال لا تسقط عقوبة فاحله فوجب ان لا تسقط عقوبة فاعل هذا والعقوبة
 التى استحقها هى القتل وايضا فان الاسلام الطارىء لا يمنع ما يوجب من العقوبة
 وان كان الاسلام يمنع وجوبها ابتداء كالتقتل قودا وكجدا القذف فانه انما يجب
 بشرط كون الفاعل ذميا ولا يسقط باسلامه بعد ذلك اذا كان المقتول
 والمتذوف ذميا وايضا فان الاسلام لا يمنع قتل الساب ابتداء فان لا يمنع
 قتله واما بطريق الاولى فقولنا اجتمع سببان فزوال احدهما ممنوع بل
 الموجب لقتل هذا الميزل

المسلك الثاني ان يقتل حد النبي صلى الله عليه وسلم كما يقتل قودا وكما
 يجلد القاذف والساب لغيره من المؤمنين وقد تقدمت الدلالة على ان عقوبة

شأن النبي صلى الله عليه وسلم القتل كان عقوبة شاتم غيره الجلد وهذا اصلك
 كثير من اصحابنا وغيرهم ومن المعلوم الذي لا ريب فيه ان الرجل لو سب
 واحدا من المؤمنين اوسب واحدا من اعيان الامة وهو ميت او غائب
 لوجب على من حضره من المسلمين ان يتصروا له واذا بلغ الامر
 الى السلطان فانه يعاقب هذا الجري بما يزرغه عن اذى المؤمنين ثم ان كان
 حيا وعلم فله ان يعفو عن سابه واما ان تمذر علمه لموته او نسيه لم يجوز
 للمسلمين الامساك عن عقوبة هذا واذا رفع الى السلطان عاقبه وان اظهر
 التوبة لان هذا من الماضي والذنوب المتعلقة بحق آدمي لا يمكن قيامه بطلب
 هذا الحد وكل ما كان كذلك لم تحتج العقوبة عليه الى طلب احد ولا تسقط
 بالتوبة اذا رفع الى السلطان ولهذا قلنا ان من سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فانه يجب ان يعزروا ويؤدبوا ويقتلوا وان لم يطلب بحقهم معين لان نصر المسلمين
 واجب على كل مسلم يده ولسانه فكيف على ولي الامر وعلى هذا التقدير فنقول
 ان سب النبي صلى الله عليه وسلم كان موجبا للقتل في حياته كما تقدم تقريره
 وكان اذا علم بذلك ثولى هذا الحق فان احب استوفى وان احب عفا
 فاذا تمذر اعلامه لتبئته او موته وجب على المسلمين القيام بطلب حقه ولم يجوز
 العفو عنه لاحد من الخلق كما لا يجوز العفو عن من سب غيره من الاموات
 والغياب وقد قدمنا الدلائل على ان القتل لخصوص سبه وان التغلب فيه
 حقه حتى كان له ان يقتل من سبه او يعفو عنه كما للرجل ان يعاقب سابه
 وان يعفو عنه فان قيل هذا يبنى على مقدمتين احدهما ان قذف

الميت موجب للحد • وقد ذهب ابو بكر بن جعفر صاحب التلحال الى انه لا حد
لقذف ميت لان الحي وارثه لم يقذف وانما قذف الميت وحد القذف
لا يستوفى الا بعد المطالبة وقد عذرت منه والحد لا يورث الا بمطالبة
الميت وهي منتفية والاكثر يثبتون الحد لقذف الميت لكن من الفقهاء
من يقول انما ثبت اذا تضمن القدر في نسب الحي وهو قول الحنفية وبعض
اصحابنا وقيل عن الحنفية لا ياخذ به الا الوالد والولد ومن الفقهاء من يقول
يثبت مطلقا هل يرثه جميع الورثة او من سوى الزوجين لبقاء سبب
الارث او العصبية فقط لمشاركتهم له في عمود نسبه فيه ثلاثة اقوال في
مذهب الشافعي واحمد • الثانية • ان حد قذف الميت لا يستوفى الا بطلب
الورثة وذلك انهم لا يختلفون انه لا يستوفى الا بمطالبة الورثة او بعضهم
وهي عفا سقط عند الاكثرين فلي هذا ينبغي ان يسقط الحد لقذف النبي صلى الله
عليه وسلم لانه لا يورث ويكون كقذف من لا وارث له وهذا ليس فيه
حد قذف عند اكثر الفقهاء او يقال لا يستوفى حتى يطالب بعض الهاشميين
وبعض القرشيين • فنقول • الجواب من ثلاثة اوجه • احدها • انما نجعل
سب النبي صلى الله عليه وسلم وقذفه من حد القذف الذي لا يستوفى
حتى يطلبه المستحق فان ذلك انما هو اذا علم به وانما هو من باب السب والشتم
الذي يعلم انه حرام باطل وقد عذر علم المسبوب به كما لو رمى رجل
بعض اعيان الامة بالكفر والكذب او شهادة الزور او سبه سباصريحا فانا
لا نعلم مخالفا في ان هذا الرجل يعاقب على ذلك كما يعاقب على ما ينتهكه من

سب عليه السلام سب بجميع السبلين وطعن في دينهم

الحارم انتصار الذ لك الرجل الكريم في الامة وزجرا عن معصية الله كمن
يسب الصحابة او العلماء او الصالحين . الوجه الثاني . ان سبه سب لجميع امته
وطعن في دينهم . وهو سب لجميعهم به غصاصة وعار بخلاف سب الجماعة
الكثيرة بالزنا فانه يعلم كذب فاعله وهذا يقع في بعض النفوس ربا واذا
كان قد اذى جميع المؤمنين اذى يوجب القتل وهو حق تجب عليهم المطالبة
به من حيث وجب عليهم اقامة الدين فيكون شبيها بقذف الميت الذي فيه
قدح في سب الحى اذا طالب به وذاك يمين اقامته وبهذا يظهر الفرق بينه
وبين غيره من الاموات على قول ابى بكر فان ذلك الميت لا يتعدى ضرر
قدحه في الاصل الى غيره فاذا تعدت مطالبته امكن ان يقال لا يستوفى
حد قدحه وهنا ضرر السب في الحقيقة انما يعود الى الامة بفساد دينها وذل
عصمتها واهانة مستسكها والافال رسول صلوات الله عليه وسلامه في نفسه
لا يتضرر بذلك وبهذا يظهر الفرق بينه وبين غيره في ان حد قذف الغير انما
ثبت لورثته اول بعضهم وذلك لان العار هناك انما يلحق الميت او ورثته وهنا
العار يلحق جميع الامة لافرق في ذلك بين الهاشميين وغيرهم بل اي الامة كان
اقوى حبا لله ورسوله واشدا اتباعا له وتزيرا وتوقيرا كان حظه من هذا الاذى والضرر
اعظم وهذا ظاهر لا خفاء به واذا كان هذا اثبا لجميع الامة فانه مما يجب عليهم القيام
به ولا يجوز لهم العفو عنه بوجه من الوجوه لانه وجب لحق دينهم لا لحق دنياهم
بخلاف حد قذف غيرهم فانه وجب لحظ نفوسهم ودنياهم فلهذا ان يتركوه
وهذا يتعلق بدِينهم فالعفو عنه عفو عن حدود الله وعن انتهاك حرمة الله فظهر

الجواب عن المقدتين المذكورتين الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث فلا يصح ان يقال ان حق عرضه يختص به اهل بيته دون غيرهم كما ان ماله لا يختص به اهل بيته دون غيرهم بل اولى لان تعلق حق الامة بعرضه اعظم من تعلق حقهم بماله وحينئذ فيجب المطالبة باستيفاء حقه على كل مسلم لان ذلك من تعزيره ونصره وذلك فرض على كل مسلم وتظهير ذلك ان يقتل مسلم او معاهد نبي من الانبياء فان قتل ذلك الرجل متمعين على الامة ولا يجوز ان يجعل حق دمه الى من يكون وارثا له لو كان يورث ان احب قتل ولن احب عفا على الدية او مجاناً ولا يجوز تقاعد الامة عن قتل قاتله فان ذلك اعظم من جميع انواع الفساد ولا يجوز ان يسقط حق دمه بتوبة القاتل او اسلامه فلن المسلم والمعاهد لو ارتد او نقض العهد وقتل مسلماً لوجب عليه القود ولا يكون ماضيه الى القتل من الردة ونقض العهد مخففاً لعقوبته وما ظن احداً بخالف في مثل هذا مع ان مجرد قتل النبي ردة ونقض العهد باتفاق العلماء وعرضه كدمه فان عقوبته القتل كما ان عقوبة دمه وعرضه ممنوع من المسلم باسلامه ومن المعاهد بعهد فاذ انتهي كما جرمته وجبت عليها العقوبة لذلك •

﴿ الطريقة الثامنة عشر ﴾ وهي طريقة القاضي ابى يعلى ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يتعلق به حقان حق لله وحق لآدمي فاما حق الله فهو ظاهر وهو القدح في رسالته وكتابه ودينه واما حق الآدمي فظاهر ايضاً فانه ادخل المعرة على النبي صلى الله عليه وسلم بهذا السب واناله بذلك غصاضة

الطريقة الثامنة عشر

وعار والعقوبة اذا تعلق فيها حق الله وحق لآدمي لم يسقط بالتوبة كالحد
في المحاربة فانه يستجتم قتله ثم لو تاب قبل القدرة عليه سقط حق الله من
انحطام القتل والصلب لم يسقط حق لآدمي من القود كذلك هناه فان قيل
المغلب هنا حق الله ولهذا بعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك لم يسقط
بعفوه مقلنا وقد قال القاضي ابو يعلى في ذلك نظر على انه انما لم يسقط بعفوه
لتعلق حق الله به فهو كالعادة اذا سقط الزوج حقه منها لم يسقط لتعلق
حق الله به ولم يدل هذا على انه لاحق لآدمي فيها كذلك هنا فقد تردد
القاضي ابو يعلى في جواز عفو النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع وقطع
في موضع آخر انه كان له ان يسقط حق سبه لانه حق له وذكر في قول
الانصارى للنبي صلى الله عليه وسلم ان كان ابن عمك وقد عرض للنبي
صلى الله عليه وسلم بما يستحق العقوبة ولم يعاقبه لانه حمل قول النبي صلى الله
عليه وسلم لزبير بنه قضى له على الانصارى للقرابة وفي الرجل الذي اغلظ
لابي بكر ولم يعززه فقال القاضي التميز هنا وجب لحق آدمي وهو اقترأه على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وله ان يعفو عنه وكذلك ذكر ابن
عقيل عنه ان الحق كان للنبي صلى الله عليه وسلم وله تركه وقال ابن عقيل
قد عرض هذا للنبي صلى الله عليه وسلم بما يقتضي العقوبة والتهجم على النبي
صلى الله عليه وسلم فوجب التميز لحق الشرع دون ان يختصه في نفسه قال وقد
عززه النبي صلى الله عليه وسلم بحبس الماء عن زرعه وهو نوع ضرر وكسر
لعرضه وتأخير لحقه وعندنا ان العقوبات بالمال باقية غير منسوخة وليس

يختص التعزير بالضرب في حق كل احد وقول ابن عقيل هذا تضمن ثلاثة اشياء . احدى ها . ان هذا القول انما كان يوجب التعزير لا القتل . والثاني . ان ذلك واجب لحق الشرع ليس له ان يعقوب عنه . الثالث . انه عزره بحبس الماء والثلاثة ضعيفة جدا والصواب المقطوع به انه كان له العفو كما دل عليه الاحاديث السابقة لما ذكرناه من المعنى فيه وحينئذ فيكون ذلك مؤبدا لهذه الطريقة وقد دل على ذلك ما ذكرناه من ان النبي صلى الله عليه وسلم عاقب من سبه و آذاه في الموضع الذي سقطت فيه حقوق الله نعم صار سب النبي صلى الله عليه وسلم سبالميت وذلك لا يسقط بالتوبة البتة وعلى هذه الطريقة فالفرق بين سب الله وسب رسوله ظاهر فان هناك الحق لله خاصة كالزنا والسرقه وشرب الخمر وهما الحق لها فلا يسقط حق الآدمي بالتوبة كالقتل في المحاربة .

❀ الطريقة التاسعة عشر ❀ اتفق ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد من المسلمين قتل ابن ابي سرح وقد جاء مسلما تابوا وندردم انس بن زعيم الى ان غفا عنه بعد الشقاغة واعرض عن ابي سقيان بن الخمارث وعبد الله بن ابي امية وقد جاء مسلمين مهاجرين وازاق دماء من سبه من النساء من غير قتال وهن متقادات مستسلات وقد كان هؤلاء حريين لم يلبثوا ترك سبه ولا عاقده ونا على ذلك فالذي عقد الايمان او الامان على ترك سبه اذا جاء تابا يريد الاسلام ويرغب فيه اما ان يجب قبول الاسلام منه والكف عنه او لا يجب فان قيل يجب فهو خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الطريقة التاسعة عشر

وان قيل لا يجب فهو دليل على انه اذا جاء ليتوب ويسلم جاز قتله وكل من
 جاز قتله وقد جاء مسلماً تابع علمائنا به قد جاء كذلك جاز قتله وان اظهر
 الاسلام والتوبة لانعلم بينهما فراعند احد من الفقهاء في جواز القتل فان
 اظهار ارادة الاسلام هي اول الدخول فيه كما ان التكلم بالشهادتين هو اول
 الالتزام له ولا يصح الاسلام الا من يجب قبوله منه فاذا اظهر انه يريد
 فقد بذل ما يجب قبوله فيجب قبوله كما لو آذاه * وهناك حكمة حسنة * وهي ان
 ابن ابي امية و اياسفان لم يزا الا كافرين وليس في القصة بيان انه اراد قتلها
 بعد مجيئها وانما فيها الاعراض عنهمو ذلك عقوبة من النبي صلى الله عليه وسلم
 واما حديث ابن ابي سرح فهو نص في اباحة دمه بعد مجيئه لطلب البيعة وذلك
 لان ابن ابي سرح كان مسلماً فارتد واقتري على النبي صلى الله عليه وسلم
 وانه كان يتم له القرآن ويلقنه ما يكتبه من الوحي فهو ممن ارتد بسب النبي
 صلى الله عليه وسلم ومن ارتد بسبه فقد كان له ان يقتله من غير استئابة
 وكان له ان يعفو عنه وبعد موته تعين قتله * وحديث ابن زعيم فانه اسلم قبل ان
 يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع بقاء دمه مندورا مباحا الى ان عفا عنه
 النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان روجع في ذلك وكذلك النسوة اللاتي
 امر بقتلن انما وجهه والله اعلم انهن كن قد سببنه بعد المعاهدة فانتقض
 عهدهن فقتلن اثنتان والثالثة لم يعصم دما حتى استؤ من لها بعد ايام ولو كان
 دما معصوما بالاسلام لم يحتج الى الامان وهذه الطريقة مبناها على ان من
 جاز قتله بعد ان اظهر انه جاء ليسلم جاز قتله بعد ان اسلم فان لم يعصم

د منه الاعفو و امان لم يكن الاسلام هو العاصم له منه وان كان قد تقدم ذكر هذا لكن ذكرناه لخصوص هذا المأخذ

الطريقة الموقفة عشرين * ان الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مطلقة بقتل سابه لم يؤمر فيها بالاستتابه ولم يستثن فيها من اسلم كما هي مطلقة عنهم في قتل الزاني المحصن ولو كان يستثنى منها حال دون حال لوجب بيان ذلك فان سب النبي صلى الله عليه وسلم قد وقع منه وهو الذي علق القتل عليه ولم يبلغنا حديث ولا اثر يفارض ذلك وهذا بخلاف قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه فان المبدل للدين هو المستمر على التبدل دون من عاد وكذلك قوله التارك له دينه المفارق للجماعة فان من عاد فيه لم يجز ان يقال هو تارك لدينه ولا مفارق للجماعة وهذا المسلم او المعاهد اذا سب الرسول ثم تاب لم يمكن ان يقال ليس بساب للرسول او لم يسب الرسول فان هذا الوصف واقع عليه تاب او لم يتب كما يقع على الزاني والسارق والقاذف وغيرهم *

الطريقة الحادية والعشرون * انا قد قررنا ان المسلم اذا سب الرسول يقتل وان تاب بما ذكرناه من النص والنظر والذمي كذلك فان اكثر ما يفرق به اما كون المسلم تبين بذ لك انه متناق او انه مرتد وقد وجب عليه حد من الحد ودينه في منه ونحو ذلك وهذا المعنى موجود في الذمي فان اظهاره للاسلام بمنزلة اظهاره للذمة فاذا لم يكن صادقا في عهده و امانه لم يعلم انه صادق في اسلامه و ايمانه وهو معاهد قد وجب عليه حد من

الطريقة الموقفة عشرين

الطريقة الحادية والعشرون

الحدود فيستوفي منه كسائر الحدود وقول من يقول قتل المسلم اولى
يعارضه قول من يقول قتل الذي اولى وذلك ان الذي دمه اخف حرمة
والقتل اذا وجب عليه في حال الذمة لسب لم يسقط عنه بالاسلام . بين
ذلك انه لا يبيح دمه الاظهار السب و صريحه بخلاف المسلم فان دمه محقون
وقد يجوز انه غلط بالسب فاذا حقق الاسلام والثوبة من السب ثبت العاصم
مع ضعف المييح والذي المييح محقق والعاصم لا يرفع ما وجب فيكون
اقوى من هذا الوجه الا ترى ان المسلم لو كان منافقا لم يقتصر على السب فقط
بل لا بد ان يظهر منه كلمات مكفرة غير ذلك بخلاف الذي فانه لا يطلب
على كفره دليل وانما يطلب على محاربه و افساده والسب من اظهر
الادلة على ذلك كما تقدم .

☆ الطريقة الثانية والعشرون ☆ انه سب لخلق لم يعلم عقوه فلا يسقط
بالاسلام كسب سائر المؤمنين واولى فان الذي لو سب مسلماً او معاهدا
ثم اسلم لعوقب على ذلك بما كان يعاقب به قبل ان يسلم فكذلك اذا سب
الرسول واولى وكذلك يقال في المسلم اذا سبه تحقيق ذلك ان القاذف والشاتم
اذا قذف اسانافر فمه الى السلطان فتأب كان له ان يستوفي منه الحد وهذا
الحد انما وجب لما الحق به من العار والغضاضة فان الزنا امر يستغنى منه فقذف
المرء به يوجب تصديق كثير من الناس به وهو من الكبائر التي لا يساويها
غيرها في العار والمنقصة اذا تحقق ولا يشبهه غيره في حقوق العار اذا لم يتحقق
فانه اذا قذف بقتل كان الحق لا ولياء المقتول ولا يكاد يخلو غالبا من ظهور

كذب الرامي به او براءة المرمى به من الحق ببراء اهل الحق او بالصلح
او بغير ذلك على وجه لا يبق عليه عار وكذا الرمي بالكفر فان ما يظهره
من الاسلام يكذب هذا الرامي به فلا يضر الا صاحبه ورمي الرسول صلى الله
عليه وسلم بالعظائم يوجب الحاق العار به والغضاضة لانه باي شيء رماه من
السب كان متضمنا للظعن في النبوة وهي وصف خفي فقد يورث كلامه اثر في
بعض النفوس فتوبته بعد اخذه قد يقال انما صدرت عن خوف وثقة
فلا يرتفع العار والغضاضة الذي الحق كما لا يرتفع العار الذي يلحق
بالمقذوف باظهار القاذف التوبة ولذلك كانت توبته توجب زوال الفسق عنه
وفاقا وتوجب قبول شهادته عند اكثر الفقهاء ولا يسقط الحد الذي
للمقذوف فكذلك شاتم الرسول فان قيل ما اظهره الله لنبيه من الآيات
والبراهين المحققة لصدقه في نبوته تزيل عار هذا السب وتبين انه مبرأ
بخلاف المقذوف بالزنا قيل فيجب على هذا ان لو قذفه احد بالزنا
في حياته ان لا يجب عليه حد قذف وهذا ساقط وكان يجب على هذا ان
لا يباين يسبه ويهجوه بل يكون من يخرج عن الدين والعهد بهذا وبغيره
على حد واحد وهو خلاف الكتاب والسنة وما كان عليه السابقون ويجب
اذا قذف رجل سفيه معروف بالسفه والفرية من هو مشهور عند الخاصة
والعامة بالعفة مشهود له بذلك ان لا يحد وهذا كله فاسد وذلك لان مثل
هذا السب والقذف لا يخاف من تأثيره في قلوب اولى الالباب وانما يخاف من
تأثيره في عقول ضعيفة وقلوب مريضة ثم سمع العالم بكذبه له من غير

تكثير يصغر الحرمه عنده وورجما طريق له شبهة وشك خان القلوب سريعة
التقلب وكما ان حد القذف شرع صون للعرض من التلطيخ بهذه القاذورات
وستر الفاحشة وكتما لما فشرع ما يصون عرض الرسول من التلطيخ بما قد ثبت
انه برئ منه اولى وستر الكلمات التي اوذى بها في تيل منه فيها اولى لما في
ذكرها من تسهيل الاجتراء عليه الا ان حد هذا السب والقذف القتل لعظم
موقعه وقبح تأثيره فانه لو لم يؤثر الاتحقير الحرمته او فساد قلب واحد او القاء
شبهة في قلب كان بعض ذلك يوجب القتل بخلاف عرض الواحد من
الناس فانه لا يخاف منه مثل هذا وسيجيء الجواب عما يتوهم فرقا بين سب
النبي صلى الله عليه وسلم وسب غيره في سقوط حده بالتوبة دون حده غيره
الطريقة الثالثة والعشرون ان قتل الذمي اذا سب اما ان يكون جائزا
غير واجب او يكون واجبا والاول باطل بما قد مناه من الدلائل في المسئلة
الثانية وبيننا انه قتل واجب واذا كان واجبا فكل قتل يجب على الذمي بل كل
عقوبة وجبت على الذمي بقدر رز الله على الكفر فانها لا تسقط بالاسلام
اصلا جامعا وقياسا جليا فانه يجب قتله بالزنا والقتل في قطع الطريق وقتل
المسلم او الذمي ولا يستقط الاسلام قتلا واجبا وبهذا يظهر الفرق بين قتله
وقتل الحربى الاصل او الناقض المحض فان القتل هناك ليس واجبا عينا
وبه يظهر الفرق بين هذا وبين سقوط الجزية عنه بالاسلام عند اكثر
الفقهاء غير الشافعى فان الجزية عند بعضهم عقوبة للقيام على الكفر وعند
بعضهم عوض عن حق الدماء وقد يقال اجرة سكنى الدار من لا يملك السكنى

الطريقة الثالثة والعشرون

فليست عقوبة وجبت بقدر زائد على الكفر .

الطريقة الرابعة والعشرون * انه قتل لسبب ماض فلم يسقط بالتوبة والاسلام كالقتل للزنا وقطع الطريق وعكسه القتل لسبب حاضر وهو القتل لكفر قد يم باق او محدث جديد باق اعني الكفر الاصل والطارى وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لكبب بن الاشرف فانه قد اذى الله ورسوله فامر بقتله لا ذى ماض ولم يقل فانه يؤذى الله ورسوله وكذلك ماتقد من الآثار فيها دلالة على ان السب او جب القتل والسب كلام لا يدمو ويبقى بل هو كالأفعال المنصرفة من القتل والزنا وما كان هكذا فالحكم فيه عقوبة فاعله مطلقا بخلاف القتل للردة وللکفر الاصل فانه انما يقتل لانه حاضر موجود حين القتل لان الكفر اعتقاد والاعتقاد يبقى في القلب وانما يظهر انه اعتقاد مما يظهر من قول ونحوه فاذا ظهر فالاصل بقاؤه فيكون هذا الاعتقاد حاصلًا في القلب وقت القتل وهذا وجه محقق ومبناه على ان قتل الساب ليس لمجرد الردة ونقض العهد فقط كغيره ممن جرد الردة وجرد نقض العهد بل بقدر زائد على ذلك وهو ما جاء به من الاذى والاضرار وهذا اصل قد تمهد على وجه لا يستريب فيه لبيب .

الطريقة الخامسة والعشرون * ان هذا قتل تعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يسقط باسلام الساب كما لو قتل نبيًا وذلك ان المسلم او المعاهد اذا قتل نبيًا ثم اسلم بعد ذلك لم يسقط عنه القتل فانه لو قتل بعض الامة لم يسقط عنه القتل باسلامه فكيف يسقط عنه اذا قتل النبي ولا يجوز ان

الطريقة الرابعة والعشرون *

الطريقة الخامسة والعشرون *

يتخير فيه خليفة بعد الاسلام بين القتل والعفو عن الدية او اكثر منها كما يتخير
 في قتل قاتل من لا ورث له لان قتل النبي اعظم انواع المحاربة والسعي في الارض
 فساد ا فان هذا حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا بلا ريب واذا كان
 من قاتل على خلاف امره محاربا له ساعيا في الارض فسادا فمن قاتله او قتله
 فهو اعظم محاربة واشد سعيا في الارض فسادا وهو من اكبر انواع الكفر
 وتقض العهد وان زعم انه لم يقتله مستحلا كما ذكره اسحاق بن راهويه
 من ان هذا اجماع من المسلمين وهو ظاهر واذا وجب قتله عينا وان اسلم
 وجب قتل سابه ايضا وان اسلم لان كلاهما اذى له يوجب القتل لا مجرد كونه
 ردة او تقض عهد ولا تمثيلا له بقتل غيره اوسبه فان سب غيره لا يوجب
 القتل وقتل غيره انما فيه القود الذي يتخير فيه الوارث او السلطان بين القتل
 او اخذ الدية وللوارث ان يعفو عنه مطلقا بل لكون هذا محاربة لله
 ورسوله وسعيا في الارض فسادا ولا يعلم شيء اكثر منه فان اعظم الذنوب
 الكفر وبعده قتل النفس وهذا اقبح الكفر وقتل اعظم النفوس قد راوا من
 قال ان حد سبه يسقط بالا سلام لزمه ان يقول ان قاتله اذا اسلم يصير
 بمنزلة قاتل من لا وارث له من المسلمين لان القتل بالردة وتقض العهد
 سقط ولم يبق الا مجرد القود كما قال بعضهم ان قاذفه اذا اسلم جلد ثمانين
 او ان يقول يسقط عنه القود بالكلية كما اسقط حد قذفه وسبه بالكلية
 وقال انهم حد السب في موجب الكفر لاسيما على رأيه ان كان السب من
 كافر ذي يستحل قتله وعداوته ثم اسلم بعد ذلك واقبح بهذا من قول ما انكره

وابشعه وانه ليقشع منه الجلد الا يطل دماء الانبياء في موضع تتأردماء غيرهم
وقد جعل الله عامة ما احصاب بنى اسرائيل من الذلة والمسكنة والغضب
حتى سفك منهم من الدماء ماشاء الله ونهبت الاموال وزال الملك عنهم
وسيت الذرية وصاروا تحت ايدى غيرهم الى يوم القيامة انما هو بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق وكل من قتل نبيا فهذا حاله
وانما هذا بقوله وان تكثروا ايمانهم من بعد عهدكم وطفنوا في دينكم عطف
خاص على علم واذا كان هذا باطل فنظيره باطل مثله فان اذى النبي امان
يندرج في عموم الكفر والنقض او يسوى بينه وبين اذى غيره فيما سوى
ذلك لو يوجب القتل لخصوصه فاذا بطل القسمان الاولان تعين الثالث
ومتى اوجب لخصوصه فلا ريب انه يوجب مطلقا نواعلم ان منشأ التشبيه في هذه
المسئلة القياس الفا سد وهو التسوية في الجنس بين المتباينين ثانيا لا يكاد
يجمعهما جامع وهو التسوية بين النبي وغيره في الدم او في العرض اذا فرض
عود المنتهك الى الاسلام وهو كما يعلم بطلانه ضرورة ويقشع الجلد من التقوه به فان
من قتله الردة او للنقض فقط ولم يجعل لخصوص كونه اذى له اثر او انما المؤثر
عنده عموم وحذف الكفر اما ان يهدر لخصوص الاذى او يسوى فيه بينه
وبين غيره زعماء منه ان جمله كفر او نقضا هو غاية التعظيم وهذا كلام
من لم ير للرسول حقا يزيد على مجرد تصديقه في الرسالة وسوى بينه وبين
سائر المؤمنين فيما سوى هذا الحق وهذا كلام خبيث يصدر عن قلة فقه ثم يخرج
الى شعبة نفاق ثم يخاف ان يخرج الى النفاق الا كبروا انه خلقي به ومن

قال هذا القول من الفقهاء لا يرتضى ان يلتزم مثل هذا المذمور ولا يفوه به فان الرسول اعظم في صدورهم من ان يقولوا فيه مثل هذا لكن هذا لازم قولهم لا وما لا محيد عنه وكفى بقول فسادا ان يكون هذا حقيقته بعد تحريره والافمن تصور ان له حقوقا كثيرة عظيمة مضافة الى الايمان به وهي زيادة في الايمان به كيف يجوز ان يهدر اذاه اذ افرض عرياً عن الكفر اويسوى بينه وبين غيره ارايت لو ان رجلا سب اباؤه واذا كانت عقوبته المشروعة مثل عقوبة من سب غيره ام يكون اشد لما قابل الحقوق بالعقوق وقد قال سبحانه وتعالى فلا تغفل لمالوف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة الآية • وفي مراسيل ابي داود عن ابن المسيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضرب اباؤه فاقتلوه • وبالجملة فلا ينبغي على لبيب ان حقوق الوالدين لما كانت اعظم كان النكال على اذاهما باللسان وغيره اشد مع انه ليس كفر اذ كان قد اوجب له من الحقوق ما يزيد على التصديق وحرم من انواع اذاه ما لا يستلزم التكذيب فلا بد لتلك الخصائص من عقوبات على الفعل وتركه ومما هو كالا لجامع من المحققين امتناع ان يسوى بينه وبين غيره في العقوبة على خصوص اذاه وهو ظاهر لم يبق الا ان يكون القتل جزاء ما قوبل به من حقوقه بالعقوق جزاء وفاقا وانه لقليل له ولعذاب الآخرة اشد وقد لعن الله مؤذيه في الدنيا والآخرة واعد له عذاباً مهيناً •

في الطريقة السادسة والعشرون • انا قد قدمنا من السنة واقوال الصحابة

ما دل على قتل من آذاه بالتزويج بنسائه والتعرض بهذا الباب لحرمة في حياته أو بعد موته وإن قتله لم يكن حسد الزنا من وطى ذوات المحارم وغيرهن بل لما في ذلك من آذاه فاما أن يجعل هذا الفعل كفرا أو لا يجعل فإن لم يجعل كفرا فقد ثبت قتل من آذاه مع تجرده عن الكفر وهو المقصود فالأذى بالسب ونحوه أغلظ وإن جعل كفرا فلو فرض أنه تاب منه لم يجز أن يقال يسقط القتل عنه لأنه يستلزم أن يكون من الأفعال ما يوجب القتل ويسقط بالتوبة بعد القدرة وثبوته عند الإمام وهذا لا عهد لنا به في الشريعة ولا يجوز إثبات ما لا نظير له إلا بنص وهو لم يرد سمح فإن أظهر التوبة باللسان من فعل تشبيه النفوس سهل على ذي الغرض إذا أخذ فيسقط مثل هذا الحد بهذا وإذا لم يسقط القتل الذي أوجبه هذا الأذى عنه فكذلك القتل الذي أوجبه أذى اللسان وأولى لأن القرآن قد غلظ هذا على ذلك والتقدير أن كلاهما كفر فإذا لم يسقط قتل من أتى بالآذى فإن لا يسقط قتل من أتى بالآذى أولى.

الطريقة السابعة والعشرون

الطريقة السابعة والعشرون * أنه سبحانه تعالى قال إن شئت لك هو الأبر * فآخبر سبحانه أن شأته هو الأبر والبر الأبر القطع يقال بتر يتر بترًا وسبب تبار إذا كان قاطعًا ما ضاها منه في الاشتقاق الأكبر بتره بترًا إذا أهانك والبرار الهلاك والخسران وبين سبحانه أنه هو الأبر بصيغة الحضرة والتوكيد لأنهم قالوا إن محمدًا ينقطع ذكره لأنه لا ولد له فيبين الله أن الذي يشناه هو الأبر لا هو والشأن منه ما هو باطن في القلب لم يظهر ومنه ما يظهر على

اللسان وهو اعظم الشنان واشده وكل جرم استحق فاعله عقوبة من الله
 اذا اظهر ذلك الجرم عندنا وجب ان نعاينه ونقيم عليه حد الله فيجب
 ان نبت من اظهر شنانه وابدى عداوته واذا كان ذلك واجبا وجب
 قتله وان اظهر التوبة بعد القدرة والامانة نلتها شاني بايد بنافي غالب الامر
 لانه لا يشاء شاني ان يظهر شنانه ثم يظهر المتاب بعد روية السيف الافل
 فان ذلك سهل على من يخاف السيف تحقيق ذلك انه سبحانه رتب الانتار
 على شنانه والاسم المشتق المناسب اذا علق به حكم كان ذلك دليلا على ان
 المشتق منه علة لذلك الحكم فيجب ان يكون شنانه هو الموجب لانتاره وذلك
 اخص مما يضمنه الشنان من الكفر المحض او نقض العهد والانتار يقتضى
 وجوب قتله بل يقتضى اقطاع العين والارث فلو جاز استحياءه بعد اظهار
 الشنان لكان في ذلك ابقاء لعينه واثره واذا اقتضى الشنان قطع عينه واثره
 كان كسائر الاسباب الموجبة لقتل الشخص وليس شيء يوجب قتل الذمى
 الا هو موجب لقتله بعد الاسلام اذا كفر المحض مجوز للقتل لا موجب له
 على الاطلاق وهذا لان الله سبحانه لما رفع ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
 فلا يذكر الا ذكره معه ورفع ذكر من اتبعه الى يوم القيامة حتى انه يبق
 ذكر من بلغ عنه ولو حده بشا وان كان غير قتيه قطع اثر من شناه من
 المنافقين واخوانهم من اهل الكتاب وغيرهم فلا يبق له ذكر حميد وان بقيت
 اعيانهم وقاما اذا لم يظهر الشنان فاذا اظهره محقت اعيانهم واثارهم
 تقدروا او تشريفا فلما سبق من اظهر شنانه بوجه مالم يكن مبتورا اذا البتر

يقتضى قطعه ومحقه من جميع الجوانب والجهات فلو كان له وجه الى البقاء
 لم يكن مبتورا * يوضع ذلك ان العقوبات التي شرعها الله نكالا مثل قطع
 السارق ونحوه لا تسقط باظهار التوبة اذا النكال لا يحصل بذلك فاشرع
 لقطع صاحبه وبتره ومحقه كيف يسقط بعد الاخذ فان هذا اللفظ يشعر
 بان المقصود اصطلام صاحبه واستيصاله واجتياحه وقطع شأنه وما كان
 بهذه المثابة كان عما يسقط عقوبته ابعد من كل احده هذا بين لمن تأمله
 والله اعلم * والجواب عن حججه * اما قولهم هو مرد فيستتاب كسائر
 المرتدين * فالجواب ان هذا مرد بمعنى انه تكلم بكلمة صار بها كافرا حلال
 الدم مع جواز ان يكون مصداقا للرسول معترفا له بنبوته لكن موجب
 التصديق توفيره في الكلام فاذا انتقصه في كلامه ارتفع حكم التصديق
 وصار بمنزلة اعتراف ابليس لله بالربوبية فانه موجب للخضوع له فلما استكبر
 عن امره بطل حكم ذلك الاعتراف فالايان باؤه وبرسوله قول وعمل
 اعنى بالعمل ما يتبعث عن القول والاعتقاد من التعظيم والاجلال فاذا عمل
 ضد ذلك من الاستكبار والاستخفاف صار كافرا وكذا كان قتل النبي
 كافرا باتفاق العلماء فالمرتد كل من اتى بعد الاسلام من القول او العمل بما يناقض
 الاسلام بحيث لا يجتمع معه واذا كان كذلك فليس كل من وقع عليه
 اسم المرتد محقق دمه بالاسلام فان ذلك لم يثبت بلفظ عام عن النبي صلى الله
 عليه وسلم ولا عن اصحابه وانما جاء عنه وعن اصحابه في ناس مخصوصين انهم
 استتابوهم او امروا باستتابتهم ثم انهم امروا بقتل السباب وقتلوه من غير استتابة *

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قتل العربيين من غير استئابة وانه
لهدردم ابن خطل ومقيس بن حنابة وابن ابي سرح من غير استئابة
فقتل منهم اثنان واراد من اصحابه ان يقتلوا الثالث بعد ان جاء نائباه فذه
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدون وسائر الصحابة
تبيين لك ان من المرتدين من يقتل ولا يستأب ولا تقبل توبته
ومنهم من يستأب وتقبل توبته فمن لم يوجد منه الا مجرد تبدل الدين
وتركه وهو مظهر لذلك فاذا تاب قبلت توبته كالحارث بن سويد واصحابه
والذين ارتدوا في عهد الصديق رضي الله عنه ومن كان مع رده قد اصاب
ما يبيع الدم من قتل مسلم وقطع الطريق وسب الرسول والافتراء عليهم نحو ذلك
وهو في دار الاسلام غير مجتمع بقشة فانه اذا اسلم يؤخذ بذلك الموجب
لدم فيقتل للسب وقطع الطريق مع قبول اسلامه هذه طريقة من يقتله
لخصوص السب وكونه حدا من الحدود او حقا للرسول فانه يقول الردة
بوعان ردة مجردة وردة مغلظة والتوبة اتمام مشروعة في الردة المجردة
فقط دون الردة المغلظة وهذه ردة مغلظة وقد تقدم تقرير ذلك في
الادلة ثم الكلمة الوجيزة في الجواب ان يقال جعل الردة جنسها واحدا تقبل
توبة اصحابه ممنوع فلا بد له من دليل ولا نص في المسئلة والقياس متعذر
لوجود الفرق ومن يقتله لالة السب على الزندقة فانه يقول هذا الميثب
اذ لا دليل يدل على صحة التوبة كما تقدم بهذا حصل الجواب عن احتجاجهم
بقول الصديق وتقدم الجواب عن قول ابن عباس واما استئابة الاعمي

ام ولد . فانه لم يكن سلطانا ولم تكن اقامة الحدود واجبة عليه وانما النظر
 في جواز اقامته للحدو مثل هذا لا ريب انه يجوز له ان ينهى الساب ويستتبه
 فانه ليس عليه ان يقيم الحد ولا يمكنه ان يشهد به عند السلطان وحده . فانه
 لا ينفع ونظيره في ذلك من كان يسمع من المسلمين كلمات من المنافقين توجب
 الكفر فتارة يتقلها الى النبي صلى الله عليه وسلم وتارة ينهى صاحبها ويخوفه
 ويستتبه وهو بمثابة من ينهى من يعلم منه الزنا او السرقة او قطع الطريق
 عن فعله لعله يتوب قبل ان يرفع الى سلطان ولورفع قبل التوبة لم يسقط
 حده . بالتوبة بعد ذلك . واما الجعة الثانية . فالجواب عنهما من وجوه
 . احدها انه مقتول بالكفر بعد الاسلام . وقولهم كل من كفر بعد اسلامه
 فان توبته تقبل . قلنا . هذا ممنوع والآية انما دلت على قبول توبة من كفر بعد
 ايمانه اذا لم يزد كفره اما من كفر وزاد على الكفر فلم تدل الآية على قبول
 توبته بل قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قد يتمسك به من
 خالف ذلك على انه انما استثنى من تاب واصح وهذا لا يكون فيمن تاب بعد
 اخذه . وانما استفدنا سقوط القتل عن التائب بمجرد توبته من السنة وهي انما
 دلت على من جرد الردة مثل الحارث بن سويد ودلت على ان من غلظها
 كابن ابي سرح يجوز قتله بعد التوبة والاسلام . الوجه الثاني . انه
 مقتول لكونه كفر بعد اسلامه ولخصوص السب كما تقدم تقريره . فاندرج
 في عموم الحديث مع كون السب مغلظا لجرمه ومؤكدا لقتله . الوجه الثالث .
 انه عام وانه قد خص منه نارك الصلاة وغيرها من الفرائض عند من يقتله

ولا يكفره وخص منه قتل الباغي وقتل الصائل بالسنة والاجماع فلو قيل
ان السب موجب للقتل بالادلة التي ذكرناها وهي اخص من هذا الحديث
لكان كلاما صحيحا وامان يمتنع بهذا الحديث في الذي اذا سب ثم اسلم
فيقال له هذا واجب قتله قبل الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم لما يريد
اباحة الدم بعد حقه بالاسلام ولم يتعرض لمن وجب قتله ثم اسلم اي شيء
حكمه ولا يجوز ان يحمل الحديث عليه فانه اذا حمل على حل الدم
بالاسباب الموجودة قبل الاسلام وبعده لزم من ذلك ان يكون
الحربي اذا قتل اوزني ثم شهد شهادتي الحق ان يقتل بذلك القتل
والزنا لشمول الحديث على هذا التقدير وهو باطل قطعا ولا يجوز ان
يحمل على ان كل من اسلم لا يحمل دمه الا باحدى الثلاث ان صدر عنه بعد
ذلك لانه يلزمه ان لا يقتل الذي يقتل اوزنا صدر عنه قبل الاسلام فعلم
ان المراد ان المسلم الذي تكلم بالشهادتين يصم دمه لا يبيحه بعد هذا الاحدى
الثلاث ثم لو اندرج هذا في العموم كان مخصوصا بما ذكرناه من ان قتله حد
من الحدود وذلك ان كل من اسلم فان الاسلام يصم دمه فلا يباح بعد
ذلك الا باحدى الثلاث وقد يخلف الحكم عن هذا المقتضى لما منع من
ثبوت حد قصاص اوزنا او تقض عهده فيه ضرر وغير ذلك ومثل هذا
كثير في العمومات واما الآية على الوجهين الاولين فنقول - اما بدل على
من كفر بعد ايمانه ثم تاب واصلح فان الله غفور رحيم - ونحن نقول بموجب ذلك
امان ضم الى الكفر انتهاك عرض الرسول والاقتراء عليه او قتله او قتل

واحد من المسلمين وانتك عرضه فلا تدل الآية على سقوط العقوبة من هذا على ذلك والدليل على ذلك قوله سبحانه الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان التوبة عائدة الى الذنب المذكور والذنب المذكور هو الكفر بعد الايمان وهذا اتي بزيادة على الكفر لوجب عقوبة مخصوصها كما تقدم والآية لم تعرض للتوبة من غير الكفر ومن قال هو زنديق قال انا لا اعلم ان هذا تاب ثم ان الآية انما استثنى فيهم من تاب واصلح وهذا الذي رفع الي لم يصلح وانا لا اؤخر العقوبة الواجبة عليه الا ان يظهر صلاحه نعم الآية قد تعم من فعل ذلك ثم تاب واصلح قبل ان يرفع الى الامام وهذا قد يقول كثير من الفقهاء بسقوط العقوبة على ان الآية التي بعد هاقد شر باب المرتد قسمان قسم تقبل توبته وهو من كفر فقط وقسم لا تقبل توبته وهو من كفر ثم ازداد كفرا قال الله سبحانه وتعالى ان للذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وهذه الآية وان كان قد تاولها اقوام على من ازداد كفرا الى ان عاين الموت فقد يستدل بعمومها على هذه المسئلة فقال من كفر بعد ايمانه وازداد كفرا بسبب الرسول ونحوه لم تقبل توبته خصوصا من استمر به ازدياد الكفر الى ان ثبت عليه الحد واراد السلطان قتله فهذا قد يقال انه ازداد كفرا الى ان رأى اسباب الموت وقد يقال فيه فليار اوابا سنأخا لولا آتنا بالله وحده الى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا ولما قوله سبحانه وتعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وخافه يغفر لهم ما قد سلف من الآثام وامان الحدود الواجبة على مسلم مرتد

او معاهد فانه يجب استيفاؤها بلا تردد على ان سياق الكلام يدل انها في الحربي
ثم نقول الانتهاء انما هو الترك قبل القدرة كما في قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض الى قوله ايناثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فمن
لم يتب حتى اخذ فلم ينته ويقال ايضا انما تدل الآية على انه يغفر لحد وهذا
مسلم وليس كل من غفر له سقطت العقوبة عنه في الدنيا فان الزاني او السارق لو تاب
توبة نصوحا غفر الله له ولا بد من اقامة الحدود عليه وقوله عليه السلام الاسلام
يجب ما قبله كقوله التوبة تجب ما قبلها ومعلوم ان التوبة بعد القدرة لا تسقط
الحد كما دل عليه القرآن وذلك ان الحديث خرج جوابا لعمر بن العاص
لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بعلك على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي فقال يا عمرو
اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان التوبة تهدم ما كان قبلها وان الهجرة
تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله فلم يهدم ما كان قبله ان الله
يهدم الآثام والذنوب التي سأل عمرو مغفرتها ولم ينجر للحدود ذكر وهي لا تسقط
بهذه الاشياء بالاتفاق وقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث ابن ابي سرح
ان ذنبه سقط بالاسلام وان القتل انما سقط عنه بعفو النبي صلى الله
عليه وسلم كما تقدم ولو فرض انه عام فلا خلاف ان الحدود لا تسقط
عن الذمي باسلامه وهذا منها كما تقدم واما قوله سبحانه وتعالى ان نعف عن
طائفة منكم نعذب طائفة الجواب عنها من وجوه احدها انه ليس في الآية
دليل على ان هذه الآية نزلت فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم وشتمه وانما فيها
انها نزلت في المنافقين وليس كل منافق يسبه ويشتمه فان الذي يشتمه من

اعظم المنافقين وافصحهم نفاقا وقد يوافق الرجل بان لا يعتقد التبو فهو هو
لا يشتمه كحال كثير من الكفار ولوان كل منافق بمنزلة من شتمه
لكان كل مرند شامتا ولا سمحالت هذه المسئلة وليس الامر كذلك فان الشتم
قد رزاند على النفاق والكفر على ما لا يعنى وقد كان من هو كافر من يحبه ويوده
ويصطنع اليه المعروف خلق كثير وكان ممن يكف عنه اذاه من الكفار خلق كثير
اكثر من اولئك وكان ممن يحاربه ولا يشتمه خلق آخرون بل الآية تدل على انها
نزلت فى منافقين غير الذين يؤذونه فانه سبحانه وتعالى قال ومنهم الذين
يؤذون النبي الى قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى
قلوبهم قل استهزءوا ان الله يخرج ما تحذرون ولئن سألهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تحذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم ان نغف عن طائفة منكم نغذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
فلبس فى هذا ذكر سب وانما فيه ذكر استهزاء بالدين ما لا يتضمن سبا
ولا شتما للرسول وفي هذا الوجه نظر كما تقدم فى سب نزولها الا ان يقال
تلك الكلمات ليست من السب المختلف فيه وهذا ليس بجيد الوجه الثاني
انهم قد ذكروا ان المغف عنه هو الذى استمع اذاهم ولم يتكلم وهو مخشى من
حمير هو الذى تيب عليه واما الذين تكلموا بالاذى فلم يغف عن احد منهم
يمحق هذا ان الغفو المطلق انما هو ترك المواخذة بالذنب وان لم تيب صاحبه
كقوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استلزم الشيطان
بعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم والكفر لا يعنى عنه فلم ان الطائفة

المغفوع عنها كانت عاصية لا كافرة اما بسباع الكفر دون انكاره والجلوس
مع الذين يخوضون في آيات الله او بكلام هو ذنب وليس هو كفر او غير
ذلك وعلى هذا فتكون الآية دالة على انه لا بد من تعذيب اولئك المستهزئين
وهو دليل على انه لا توبة لهم لانه من اخبر الله بانه يعذب وهو معين امتنع
ان يتوب توبة تمنع العذاب فيصلح ان يجعل هذا دليلا في المسئلة الوجه الثالث
انه سبحانه وتعالى اخبر انه لا بد ان تعذب طائفة من هؤلاء ان عني عن طائفة
وهذا يدل على ان العذاب واقع بهم لا محالة وليس فيه ما يدل على وقوع المغفوع
لان المغفوع معلق بحرف الشرط فهو محتمل واما العذاب فهو واقع بتقدير وقوع
المغفوع وهو بتقدير عدمه او وقع فعلم انه لا بد من التعذيب اما عاما او خاصا لهم ولو كانت
توبتهم كلهم مرجوة صحيحة لم يكن كذلك لانهم اذا تابوا لم يعذبوا واذا
ثبت انهم لا بد ان يعذبهم الله لم يميز القول يجوز قبول التوبة منهم وانه
يحرم تعذيبهم اذا اظهروها وسواء اراد بالتعذيب بعذاب من عنده او بايدي
المؤمنين لانه سبحانه وتعالى امر نبيه فيما بعد بمجاهد الكفار والمنافقين فكان
من اظهره عذب بايدي المؤمنين ومن كتبه عذبه الله بعذاب من عنده
وفي الجملة فليس في الآية دليل على ان المغفوع واقع وهذا كاف هنا
الوجه الرابع انه ان كان في هذه الآية دليل على قبول توبتهم فهو حق وتكون
هذه التوبة اذا تابوا قبل ان يثبت النفاق عند السلطان كما بين ذلك قوله
تعالى لان لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الايتين فانهاد ليل
على ان من لم ينته حتى اخذ فانه يقتل وعلى هذا فلعله والله اعلم عني ان يعف

عن طائفة منكم وهم الذين اسروا النفاق حتى تابوا منه ثم ذنب طائفة وهم
الذين اظهروا حتى اخذوا فتكون دالة على وجوب تعذيب من اظهره •
• الوجه الخامس • ان هذه الآية تضمنت ان العفو عن المنافق اذا اظهر النفاق
وتاب او لم يتب فذلك منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين كما
اسلفنا • وبيناه ويؤيد • انه قال ان يعف ولم يبت وسبب النزول يؤيد ان
النفاق ثبت عليهم ولم يعاقبهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك كان في غزوة
تبوك قبل ان تنزل براءة وفي عقوبات سورة براءة فامر فيها ببند اليهود
الى المشركين وجهاد الكفار والمنافقين • فالجواب • عما احتج به مناهم وجوه
• احدها • انه سبحانه وتعالى انما ذكر انهم قالوا كلمة الكفر وهموا بالمرتدوا
وليس في هذا ذكر للسب والكفر اعم من السب ولا يلزم من ثبوت الاعم
ثبوت الاخص لكن فيما ذكر من سبب نزولها ما يدل على انها نزلت فبين سب
فيبطل هذا • الوجه الثاني • انه سبحانه وتعالى انما عرض التوبة على الذين
يحلِفون بالله ما قالوا وهذا حال من انكر ان يكون تكلم بكفر وحلف على
انكاره فاعلم الله نبيه انه كاذب في يمينه وهذا كان شأن كثير من يباغ
النبي صلى الله عليه وسلم عنه الكلمة من النفاق ولا تقوم عليه به يمينه ومثل
هذا لا يقام عليه حد اذ لم يثبت عليه في الظاهر شيء والنبي صلى الله عليه وسلم
انما يحكم في الحدود ونحوها بالظاهر والذي ذكره في سبب نزولها من الوقائع كلها انما
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بما قالوه بخبر واحد ما حذيفة او عامر بن قيس
او زيد بن ارقم او غيره هو لا • وانه اوحى اليه بما لم يرو في بعض التفسير ان المحكي عنه

هذه الكلمة الجلاس بن سويد اعترف بانه قالها وتاب من ذلك من غير بينة قامت
عليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه . وهذا كله دلالة واضحة
على ان التوبة من مثل هذا مقبولة وهو توبة من ثبت عليه تقاؤه وهذا اخلاف
فيه اذا تلب فيما بينه وبين الله سرا كما نافق سرا انه تقبل توبته ولو جاء مظهرا
لنفاقه المتقدم ولتوبته منه من غير ان تقوم عليه بينة بالنفاق قبلت توبته
ايضا على القول المختار كما تقبل توبة من جاء مظهرا للتوبة من زنا او سرقة
ولم يثبت عليه على الصحيح واولى من ذلك وامان ثبت تقاؤه بالبينة فيليس
في الآية ولا فيما ذكر من سبب نزولها ما يدل على قبول توبته بل وليس
في نفس الآية ما يدل على ظهور التوبة بل يجوز ان يحمل على توبته فيما بينه
وبين الله فان ذلك نافع وفاقا وان اقيم عليه الحد كما قال تعالى والذين
اذنخلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
الذنوب الا الله - وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يمح الله غفورا رحيا - وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تنظوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا - وقال تعالى الم يعلموا ان
الله هو يقبل التوبة عن عباده . وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب . الى غير
ذلك من الآيات مع ان هذا لا يوجب ان يسقط الحد الواجب بالبينة عن
اتى بفاحشة موجبة للحد او ظلم نفسه بشرب او سرقة فلو قال من لم يسقط
الحد عن المنافق سواء ثبت تقاؤه بينة او اقرار ليس في الآية ما يدل على
سقوط الحد عنه لكان لقوله مساغ . الوجه الثالث * انه قال سبحانه وتعالى

جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم الى قوله يحلفون بالله ما قالوا الاية
وهذا تقرير لجهادهم وبيان لحكمته واظهار لحالهم المقتضى لجهادهم فان ذكر
الوصف المناسب بعد الحكم يدل على انه علة له وقوله يحلفون بالله ما قالوا
وصف لهم وهو مناسب لجهادهم فان كونهم يكذبون في ايمانهم ويظهرون
الايمان ويبتغون الكفر موجب للاغلاظ عليهم بحيث لا يقبل منهم
ولا يصدقون فيما يظهرونه من الايمان بل ينهرون ويرد ذلك عليهم
وهذا كله دليل على انه لا يقبل ما يظهروه من التوبة بعد اخذه اذ لا فرق
بين كذبه فيما يخبره عن الماضي انه لم يكفر وفيما يخبره من الحاضر انه
ليس بكافر فاذا بين سبحانه وتعالى من حالهم ما يوجب ان لا يصدقون ووجب
ان لا يصدق في اخباره انه ليس بكافر بعد ثبوت كفره بل يجري عليه حكم
قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لكن بشرط ان يظهر كذبه
فيها فاما بدون ذلك فانما لم تؤمر ان تنقب عن قلوب الناس ولا تنشق بطونهم وعلى
هذا فقوله تعالى فان تبوءوا بك خيرا لهم اي قبل ظهور النفاق وقبام البينة به عند
الحاكم حتى يكون للجهد موضع وللتوبة والافقوبل التوبة الظاهرة في كل وقت
يمنع الجهاد لهم بالكلية الوجه الرابع انه سبحانه وتعالى قال بعد ذلك وان يتولوا
يعذبهم الله عذابا باليا في الدنيا والآخرة وفسر ذلك في قوله تعالى ونحن
نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايد بنا وهذا يدل على ان
هذه التوبة قبل ان تتمكن من تعذبهم بايد يتالان من تولى عن التوبة حتى
اظهر النفاق وشهد عليه به واخذ فقد تولى عن التوبة التي عرضها الله عليه فيجب ان

يعذب به عذابا اليا في الدنيا والقتل عذاب اليم فيصلح ان يعذب به لان المتولى ابعد
احواله ان يكون ترك التوبة الى ان لا يتركه الناس لانه لو كان المراد به تركهم الى الموت
لم يعذب في الدنيا لان عذاب الدنيا قد فات فلا بد ان يكون التولى ترك التوبة وبينه
وبين الموت مهل يعذب به الله فيه كما ذكره سبحانه فمن تاب بعد الاخذ ليعذب
فهو ممن لم يتب قبل ذلك بل تولى فيستحق ان يعذب به الله عذابا اليا في الدنيا
والآخرة ومن تأمل هذه الآية والتي قبلها وجد هاد التين على ان التوبة
بعد اخذه لا ترفع عذاب الله عنه * واما كون هذه التوبة مقبولة فيما
بينه وبين الله وان تضمنت التوبة من عرض الرسول * فنقول او لا وان
كان حق هذا الجواب ان يؤخر الى المقدمة الثانية * هذا القدر لا يمنع اقامة
الحد عليه اذ ارفع اليانثم اظهر التوبة بعد ذلك كما ان الزاني والشارب وقاطع
الطريق اذا تاب فيما بينه وبين الله قبل ان يرفع اليان قبل الله توبته واذا
اطلعا عليه ثم تاب فلا بد من اقامة الحد عليه ويكون ذلك من تمام توبته
وجميع الجرائم من هذا الباب * وقد يقال ان المنتهك لا عرض الناس اذا استغفر
لهم ودعاهم قبل ان يعلموا بذلك رجي ان يغفر الله له على ما في ذلك من الخلاف
المشهور ولو ثبت ذلك عند السلطان ثم اظهر التوبة لم تسقط عقوبته وذلك
ان الله سبحانه لا بد ان يجعل للذنوب طريقا الى التوبة فاذا كان عليه تبعات
للخلق فعليه ان يخرج منها جهده ويعوضهم عنها ما يمكنه ورحمة الله من وراه
ذلك * ثم ذلك لا يمنع ان نقيم عليه الحد اذا ظهرنا عليه ونحن انما نتكلم في التوبة
المسقط للحد والعقوبة لافي التوبة الماحية للذنوب ثم نقول ثانيا ان كان ما اتاه

من السب قد صدر عن اعتقاد بوجبه فهو بمنزلة ما يصد من سائر المرتدين
و ناقض العهد من سفك دماء المسلمين واخذ اموالهم وانتهاك اعراضهم
فانهم يعتقدون في المسلمين اعتقادا بوجوب اباحة ذلك ثم اذا تابوا توبة نصوحا
من ذلك الاعتقاد غفر لهم موجهه المنعلق بحق الله وحق العباد كما يغفر للكافر
الحربي موجب اعتقاده اذا تاب منه مع ان المرتد او الناقض متى فعل شيئا
من ذلك قبل الامتناع اقيم عليه حده وان عاد الى الاسلام سواء كان لله
اولادى فيجد على الزنا والشرب وقطع الطريق وان كان في زمن الردة
ونقض العهد يعتقد حل ذلك الفرج لكونه وطئه بملك المين اذا قهر مسئلة
على نفسها يعتقد حل دماء المسلمين و اموالهم كما يؤخذ منه القود و حد
الغذف وان كان يعتقد حلها و يضمن ما تلفه من الاموال وان اعتقد حلها
والحربي الاصل لا يؤخذ بشيء من ذلك بعد الاسلام فكان الفرق ان ذاك
كان ملتزما بليمانه و امانه ان لا يفعل شيئا من ذلك فاذا فعله لم يعذر بفعله بخلاف
الحربي الاصل ولان في اقامة هذه الحدود عليه زجراله عن فعل هذه
الموبات كما فينازجر للمسلم المقيم على اسلامه بخلاف الحربي الاصل فان
ذلك لا يزجره بل هو منفرد به عن الاسلام ولان الحربي الاصل ممتنع و هذان
ممكنان و كذلك قد نص الامام احمد على ان الحربي اذا زني بعد الاسراقيم
عليه الحد لانه صار في ايدينا كما ان الصحيح عنه وعن اكثر اهل العلم ان المرتد
اذا امتنع لم تقم عليه الحدود لانه صار بمنزلة الحربي اذا المنع بفعل هذه الاشياء
باعتماد وقوة من غير زاجر له في اقامة الحد ود عليهم بعد التوبة تغير واغلاق

لباب التوبة عليهم وهو بمنزلة تضحين اهل الحرب سواء وليس هذا موضع
استقصاء هذا وانما ينهنا عليه و اذا كان هذا هنا هكذا فالمراد والناقض اذا
آذيا الله ورسوله ثم تابا من ذلك بعد القدرة توبة نصوحا كما تاب عن لهما
اذا حاربوا باليد في قطع الطريق او زناوا تابا بعد اخذها وثبوت الحد عليها
ولا فرق بينهما وذلك لان الناقض للعهد قد كان عهدا يحرم عليه هذه
الامور في دينه وان كان دينه المجرى عن عهد يبيحها له وكذلك المرتد
قد كان يعتقد ان هذه الامور محرمة فاعتقدها باحتمال الم يتصل به قوة
ومنعة ليس عذرا له في ان يفعلها لما كان ملتزما له من الدين الحق ولما هو به
من الضعف ولما في سقوط الحد عنه من الفساد وان كان السب صادرا عن
غير اعتقاد بل سبه مع اعتقاد نبوته او سبه باكبر مما يوجب اعتقاده او بغير
ما يوجب اعتقاده فهذا من اعظم الناس كفرا بمنزلة البليس وهو من نوع
العناد والسفه وهو بمنزلة من شتم بعض المسلمين او قتلهم وهو يعتقد ان دماءهم
واعراضهم حرام وقد اختلف الناس في سقوط حد المشتوم بتوبة الشاتم
قبل العلم به سواء كان نبيا او غيره فمن اعتقد ان التوبة لا تسقط حق
الآدمي له ان يمنع هنا ان توبة الشاتم في الباطن صحيحة على الاطلاق وله
ان يقول ان للنبي صلى الله عليه وسلم ان يطالب هذا بشتمه مع علمه بانه
حرام كسائر المؤمنين لهم ان يطالبوا شاتمهم وسابهم بل ذلك اولى وهذا
القول قوي في القياس وكثير من الظواهر يدل عليه ومن قال هذا
من باب السب والغيبة ونحوهما مما يتعلق باعراض الناس وقد فات الاستحلال

فليات للشتم من الدعاء والاستغفار بما يزن حق عرضه ليكون ما يأخذه
المظلوم من حسنات هذا بقدر ما دأب عليه واستغفر فيسلم له سائر عمله فكذلك
من صدرت منه كلمة سب أو شتم فليكثر من الصلاة والتسليم ويقابلها بضدها
فمن قال ان ذلك يوجب قبول التوبة ظاهراً وباطناً ادخله في قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات ❀ واتبع السيئة الحسنة تمحها ❀ ومن قال لا بد من
القصاص قال قد أعد له من الحسنات ما يقوم بالقصاص وليس لنا غرض
في تقرير واحد من القوانين هنا وإنما الغرض ان الحد لا يسقط بالتوبة لانه
ان كان عن اعتقاد فالتوبة منه صحيحة مسقطه لحق الرسول في الآخرة
وهي لا تسقط الحد عنه في الدنيا كما تقدم وان كانت عن غير اعتقاد ففي
مقووط حق الرسول بالتوبة خلاف فان قيل ❀ لا يسقط فلا كلام ❀ وان
قيل ❀ يسقط الحق ولم يسقط الحد كتوبة الاول واولى فاصله ان الكلام
في مقامين ❀ احدهما ❀ ان هذه التوبة اذا كانت صحيحة نصوحاً فيما بينه
وبين الله هل يسقط معها حق المخلوق وفيه تفصيل وخلاف ❀ فان قيل
لم يسقط فلا كلام ❀ وان قيل يسقط فسقوط حقه بالتوبة كسقوط حق الله
بالتوبة فتكون كالتوبة من سائر انواع الفساد وتلك التوبة اذا كانت
بعد القدرة لم تسقط شيئاً من الحدود وان كانت تجب الاثم في الباطن
وحقيقة هذا الكلام ان قتل الساب ليس لجرد الردة ومجرد عدم
العهد حتى تقبل توبته كغيره بل لردة مغلظة ونقض مغلظ بالضرر
ومثله لا يسقط موجه بالتوبة لانه من محاربة الله ورسوله والسعي في الارض

فساد او هو من جنس الزنا او السرقة او هو من جنس القتل والقذف فهذا حقيقة
 الجواب وبه يتبين الحلال فيما ذكر من الحجة ثم نبينه مفصلاً فنقول اما قولهم
 ان ما جاء به من الايمان به ماح لما اتى به من هتك عرضه فنقول ان كان
 السب مجرد موجب اعتقاد فالتوبة من الاعتقاد توبة من موجهه واما من زاد
 على موجب الاعتقاد اوتى بضده وهم اكثر السابين فقد لا يسلم ان ما اتى به
 من التوبة ماح الا بعد عفو بل يقال له المطالبة وان سلم ذلك فهو كالقسم
 الاول وهذا القدر لا يسقط الحدود كما تقدم غير مصرة واما قولهم حقوق
 الانبياء من حيث النبوة تابعة لحق الله في الوجوب فتبطل في السقوط
 فنقول هذا مسلم ان كان السب موجب اعتقاد والافيه الخلاف واما
 حقوق الله فلا فرق في باب التوبة بين ما موجهه اعتقاد او غير اعتقاد فان
 التائب من اعتقاد الكفر وموجباته والتائب من الزنا سواء ومن لم يسو بينهما
 قال ليست اعظم من حق الله اذا لم يسقط في الباطن بسقوطه ولكن
 الامر الى مستحقها ان شاء جزى وان شاء عفا ولم يعلم بعد ما يختاره الله سبحانه
 وقد علمنا انه يفر لكل من تاب وايضاً فان مستحقها من جنس لحقهم المضرة
 والمرة بهذا ويتألمون به فاجعل الامر اليهم والله سبحانه وتعالى انما حقه
 راجع الى مصلحة المكلف خاصة فانه لا يتنفع بالطاعة ولا يستضر بالمعصية
 فاذا عاود المكلف الخير فقد حصل ما اراده ربه منه فلما كان الانبياء
 عليهم السلام فيهم نعت البشر ولم نعت النبوة صار حقهم له نعت حق الله
 ونعت حق سائر العباد والمهاجرين حقهم مندرج في حق الله اذا صد رعن

اعتقاد فانهم لما وجب الايمان بنبوته صار كالايان بوحدانية الله فاذا لم يعتقد معتقد بنوهم كان كافرا كما اذا لم يقر بوحدانية الله وصار الكفر بذلك كفرا برسالات الله ودنه وغير ذلك فاذا كان السب موجبا بذال الاعتقاد فقط مثل نفي الرسالة او النبوة او نحو ذلك وتاب منه توبة نصوحا قبلت توبته كتوبة المثلث واذا زاد على ذلك مثل قدح في نسب او وصف بمساوى اخلاق او قاحشة او غير ذلك مما يعلم هو انه باطل او لا يعتقد صحته او كان مخالفا للاعتقاد مثل ان يحسد او يتكبر او يغضب لغوات غرض او حصول مكروه مع اعتقاد النبوة فيسب فهذا اذا تاب لم يتجدد له اعتقاد ازال موجب السب انما غيريته وقصده وهو قد آذاه فهذا السب اذا لم يتألم به البشر ولم يكن معذورا بعدم اعتقاد النبوة فهو لحق الله من حيث جنى على النبوة التي هي السب الذي بين الله وبين خلقه فوجب قتله وهو كحق البشر من حيث انه آذى آدميا يعتقد انه لا يحصل اذاه فلذلك كان له ان يطالبه بحقوق اذاه وان ياخذ من حسناته بقدر اذاه وليست له حنة تزن ذلك الا ما يصاد السب من الصلاة والتسليم ونحوهما وبهذا يظهر ان التوبة من سب صدر من غير اعتقاد من الحقوق التي تجب للبشر ثم هو حق يتعلق بالنبوة لاحالة فهذا قول هذا القائل وان كنا لم نرجع واحدا من القوانين ثم اذا كانت حقوقهم تابعة لحق الله فمن الذي يقول ان حقوق الله تسقط عن المرتد وناقض العهد بالتوبة فاننا قد بينا ان هو لا تقام عليهم حدود الله بعد التوبة وانما تسقط بالتوبة عقوبة الردة المجردة والنقض المجرد

وهذا

وهذا ليس كذلك واما قوله ان الرسول يدعو الناس الى الايمان به وينبئهم
ان الايمان بمحو الكفر فيكون قد عفا لمن كفر عن حقه . فنقول . هذا جيد اذا
كان السب موجب الاعتقاد فقط لانه هو الذي اقتضاه ودعاه الى الايمان به فانه
من ازال اعتقاد الكفر به باعتقاد الايمان به زال موجب امانه زاد على ذلك
وسبه بعد ان آمن به لو عاهده فلم يلتزم ان يعفو عنه وقد كان له ان يعفو
وله ان لا يعفو والتقدير المذكور في السؤال انما يدل على سب اوجبه الاعتقاد
ثم زال باعتقاد الايمان لانه هو الذي كان يدعو اليه الكفر وقد زال بالايمان
واعلمنا سوى ذلك فلا فرق بينه وبين سب سائر الناس من هذه الجهة وذلك
ان الساب ان كان حريا فلا فرق بين سبه للرسول او لواحد من الناس
من هذه الجهة وان كان مسلما او ذميا فاذا سب الرسول سب الا يوجبه اعتقاده
غره كما لو سب غيره من الناس فان تجدد الاسلام منه كتجدد التوبة منه بزعه
عن هذا الفعل وينهاه عنه وان لم يرفع موجب امانه فان موجب هذا السب لم يكن
الكفر به اذ كلامنا في سب لا يوجبه الكفرة مثل فريه عليه يعلم انها فرية
ونحو ذلك لكن اذا سلم الساب فقد عظم في قلبه عظمة تمنعه ان يفترى
عليه كما انه اذا تاب من سب المسلم عظم الذنب في قلبه عظمة تمنعه من مواقفته
وجاز ان لا يكون هذا الاسلام وازعنا لكون موجب السب كان شيئا غير
الكفر وقد يضعف هذا الاسلام عن دفعه كما يضعف هذه التوبة عن موجب
الاذى و فرق بين ارتفاع الامر بارتفاع سببه او بوجود دضده فان
ما اوجبه الاعتقاد اذا زال الاعتقاد زال سببه فلم ينش عوده الا بعد السب

وما لم يوجبه الاعتقاد من القرية ونحوها على النبي صلى الله عليه وسلم
 وغيره يرفعها الاسلام والتوبة رفع الضد للضد اذ قبح هذا الامر وسوء
 عاقبته والعزم الجازم على فعل ضده وتركه بنا في وقوعه لكن لو ضعف
 هذا الدافع عن مقاومة السب المتقضي عمل عمله فهذا يبين انه لا فرق
 في الحقيقة بين ان يتوب من سب يوجبه مجرد الكفر بالايمان به الموجب
 لعدم ذلك السب وبين ان يتوب من سب مسلم بالتوبة الموجبة لعدم ذلك
 السب واعتبر هذا برجل له غرض في امر فزجر عنه وقيل له هذا قد حرمه
 النبي صلى الله عليه وسلم فلا سبيل اليه فحمله فرط الشهوة وقوة الغضب
 لقوات المطلوب على ايماء لعن وقبح فيما بينه وبين الله مع انه لا يشك في
 النبوة ثم انه جدد اسلامه وتاب وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
 ولم يزل باكباً من كلته ورجل اراد ان ياخذ مال مسلم بغير حق فتنبه
 منه فلعن وقبح سرائم انه تاب من هذا واستغفر لذلك الرجل ولم يزل
 بخائفاً من كلته ليست توبة هذا من كلته كتوبة هذا من كلته وان كانت
 توبة هذا يجب ان تكون اعظم لمعظم كلته لكن نسبة هذا مالي هذه كنسبة
 هذه الى هذه بخلاف من انما يلعن ويقبح من يعتقد كذا باثم تبيين
 له انه كان ضالاً في ذلك الاعتقاد وكان في مهواة التلف فتألم ورجع
 من ذلك الاعتقاد توبة مثله فانيه يندرج فيه جميع ما لوجهه وما يقر
 هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ابلغه سبم تد او بما هد
 مثل ان ينفو عنه بعد الاسلام ودلت سيرته على جواز قتله بعد اسلامه

وتوبته ولو كان مجرد التوبة يغفر لم بهما في ضمنهما مغفرة تسقط الحد لم يجر ذلك فعلم انه كان يملك العقوبة على من سبه بعد التوبة كما يملكها غيره من المؤمنين فهذا الكلام في كون توبة الساب فيايبه وبين الله هل تسقط حق الرسول ام لا وبكل حال سواء امقطت ام لم تسقط لا يقتضي ذلك ان اظهاره مسقط للحد الان يقال هو مقتول لحض الردة او محض نقض العهد فان توبة المرئد مقبولة واسلام من مجرد نقض العهد مقبول مسقط للقتل وقد قد منافي ماضي بالادلة القاطعة ان هذا مقتول لردة مغلفة ونقض مغلظ بمنزلة من حارب وسعى في الارض فسادا ثم من قال يقتل حقلا دمي قال العقوبة اذا تعلقت بها حقان حق الله وحق لآدمي ثم تاب سقط حق الله وبقى حق الآدمي من القود وهذا النائب اذا تاب سقط حق الله وبقى حق الآدمي ومن قال يقتل حد الله قال هو بمنزلة المحارب وقد يسوى بين من سب الله وبين من سب الرسول على ما سيأتي ان شاء الله تعالى وهو قولهم في المقدمة الثانية اذا ظهر التوبة وجب ان تقبلها منه فقلنا هذا مبني على ان هذه التوبة مقبولة مطلقا وقد تقدم الكلام فيه ثم الجواب هنا من وجهين احدهما القول بموجب ذلك فانا نقبل منه هذه التوبة ونحكم بصحة اسلامه كما نقبل توبة القاذف ونحكم بعد الله وتقبل توبة السارق وغيرهم لكن الكلام في سقوط القتل عنه ومن تاب بعد القدرة لم يسقط عنه شيء من الحد ودالواجة بقدر زائد على الردة او النقض ومن تاب قبلها لم تسقط عنه حقوق العباد إذ قبلنا توبته ان يظهر بالقلم الحد عليه كسائر هؤلاء وذلك اننا نحن لا تنازع

في صحة توبته ومغفرة الله لمطلقا فان ذلك الى الله وانما الكلام في هل هذه
التوبة مسقطه للحد عنه وليس في الحديث ما يدل على ذلك فاننا قد قبل
اسلامه وتوبته وتقيم عليه الحد تطهيرا له وهذا جواب من يقتله حدا محضا
مع الحكم بصحة اسلامه الثاني ان هذا الحديث في قبول الظاهر اذا لم يثبت
خلافه بطريق شرعي وهناك ثبت خلافه وهذا جواب من يقتله لزندقته
وقد يجب به من يقتل الذمي ايضا بناء على انه زنديق في حال العهد
فلا يوثق باسلامه واما اسلام الحربي والمرد ونحوهما عند معاينة القتل
فانما جاز لاننا لما قاتلهم لان يسلموا ولا طريق الى الاسلام الا ما يقولونه
السننهم فوجب قبول ذلك منهم وان كانوا في الباطن كاذبين والا لوجب
قتل كل كافر اسلم او لم يسلم ولا تكون المقاتلة حتى يسلموا بل يكون القتال
دائما هذا باطل ثم انه قد يسلم الآن كارهاتم ان الله يجب اليه الايمان
وبزينة في قلبه كذلك اكثر من يسلم كرهته في المال ونحوه اوله بته
من السيف ونحوه ولا دليل يدل على فساد الاسلام الا كونه مكرها عليه بحق
وهذا لا يلتفت اليه واما هنا فلما قتلته لما مضى من جرمه من السب كما تقتل
الذمي لقتله النفس او لزنائه بمسلة وكما تقتل المرد لقتله مسلما لقطع الطريق
كما تقدم تقريره فليس مقصودنا بآراء قتله ان يسلم ولا تجب مقاتلته على
ان يسلم بل نحن نقتله جزاء له على ما اذناو نكال لا مثاله عن مثل هذه الجريمة
فاذا اسلم فان صححنا اسلامه لم يمنع ذلك وجوب قتله كالحارب المرتد
او الناقض اذا اسلم بعد القدرة وقد قتل فانه يقتل وفاقا فيما علمناه وان حكم

بصحته اسلامه وان لم يصح اسلامه فالفرق بينه وبين الحربي والمرتد من
 وجهين ❦ احدهما ان الحربي والمرتد لم يتقدم منه ما دل على ان باطنه بخلاف
 ظاهره بل اظهره الرد لما ارتد دليلا على ان ما يظهره من الاسلام صحيح
 وهذا ما زال مظهر الاسلام وقد اظهر ما دل على فساد عقده فلم يوثق
 بما يظهره من الاسلام بعد ذلك وكذلك ناقض العهد ناعلى ان
 لا يسب وقد سب فثبتت جنايته وغدره فاذا اظهر الاسلام بعد ان اخذ
 ليقتل كان اولي ان يحجون ويفد رفاته كان ممنوعا من اظهار السب فقط وهو
 لم يف بذلك فكيف اذا اصبح ممنوعا من اظهاره واسراره ولم يكن له عذر
 فيما فعله من السب بل كل من حرم ما عليه في دينه فاذا لم يف به صار من المنافقين
 في العهد الثاني ❦ ان الحربي او المرتد نحن نطلب منه ان يسلم فاذا اعطانا
 ما اردناه بحسب قدرته وجب قبوله منه والحكم بصحته والسب لا يطلب
 منه الا القتل عينا فاذا اسلم ظهر انما اسلم ليدرا عن نفسه القتل الواجب
 عليه كما اذا تاب المحارب بعد القدرة عليه او اسلم او تاب سائر الحياة
 بعد اخذهم فلا يكون الظاهر صحة هذا الاسلام فلا يسقط ما وجب من
 الحد قبله وحقيقة الامر ان الحربي او المرتد يقتل لكفره حاضر ويقاتل ليسلمه
 فلا يمكن ان يظهر وهو مقاتل او ما خوذ الاسلام الا مكرها فوجب قبوله
 منه اذ لا يمكن بذله الا هكذا وهذا السب والناقض لم يقتل لمقامه على
 الكفر او كونه بمنزلة سائر الكفار غير المعاهدين لما ذكرناه من الادلة الدالة
 على ان السب موثر في قتله ويكون قد بذل التوبة التي لم تطلب منه في حال

الاخذ للعقوبة فلا تقبل منه وعلى هذين المأخذين ينبنى الحكم بصحة
اسلام هذا الساب في هذه الحال مع القول بوجوب قتله احد هاهنا لا يحكم
بصحة اسلامه وهو مقتضى قول ابن القاسم وغيره من المالكية والثاني
يحكم بصحة اسلامه وعليه يدل كلام الامام احمد واصحابه في الذي مع
اوجوب اقامة الحد واما المسلم اذا سب ثم قتل بعد ان اسلم فمن قال يقتل
عقوبة على السب لكونه حق ادمي او حدا محضاً قال بصحة هذا الاسلام وقوله
وهذا قول كثير من اصحابنا وغيرهم وقول من قال يقتل من اصحاب الشافعي
وكذلك من قال يقتل من سب الله ومن قال يقتل لانه قد اجري عليه
اذا قتل بعد اظهار الاسلام احكام الزنادقة وهو قول كثير من المالكية
وعليه يدل كلام بعض اصحابنا وعلى ذلك ينبنى الجواب عما احتج به من قبول
النبي صلى الله عليه وسلم ظاهر الاسلام من المنافقين فان الحججة اما ان تكون
في قبول ظاهر الاسلام منهم في الجملة فهذا الاحجة فيه من اربعة اوجه قد
تقدم ذكرها احد هاهنا ان الاسلام تماقبل منهم حيث لم يثبت عنهم خلافة
وكانوا ينكرون انهم تكلموا بخلافه فاما ان البيعة تقوم عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم على كفر رجل بعبته فيكف عنه فهذا لم يقع قط الا ان يكون
في مبادئ الامر والثاني انه كان في اول الامر مأموراً في مبادئ الامر
ان يدع اذ هم ويصبر عليهم لمصلحة التاليف وخشية التنفير الى ان نسخ ذلك
بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم (الثالث) انا نقول بموجبه
فقبل من هذا الاسلام وتقيم عليه حد السب كما لو اثنى حد غيره وهذا

جواب من يصحح اسلامه ويقتله خدا الفساد السب (الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستتب احد منهم ويعرضه على السيف ليتوب من مقالة صدرت منه مع ان هذا يجمع على وجوبه فان الرجل منهم اذا شهد عليه بالكفر والزندقه فاما ان يقتل عينا او يستتاب فان لم يتب والاقتل واما الاكتفاء منه بمجرد الجحود فما اعلم به قائل بل اقل ما قيل فيه انه يكتفى منهم بالنطق بالشهادتين والبري من تلك المقالة فاذا لم تكن السيرة في المنافقين كانت هكذا علم ان ترك هذا الحكم لقوات شرطه وهو اثبات النفاق او العجز عن اقامة الحد او مصلحة التاليف في حال الضعف حتى قوى الدين فتسحق ذلك وان كان الاحتجاج بقبول ظاهر الاسلام ممن سب فعنه جواب خامس وهو انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يعفو عن شتمه في حياته وليس هذا العفو لاحد من الناس بعده واما تسمية الصحابة الساب غادرا محارباً فهو بيان لحل دمه وليس كل من نقض العهد وحارب سقط القتل عنه باسلامه بدليل ما لو قتل مسلماً وقطع الطريق عليه او زنا بمسلمة بل تسميته محارباً مع كون السب فساداً يوجب دخوله في حكم الآية كما تقدم واما الله بن هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه ثم عفا عنهم فالجواب عن ذلك كله قد تقدم في المسئلة الاولى لما ذكرنا قصصهم وينا ان السب غلب فيه حق الرسول اذا علم فله ان يعفو وان ينتقم (٧) هو لا ما يدل على ان العقوبة انما سقطت عنهم مع عفو وصفح لمن تأمل احوالهم معه والفرق بينهم وبين من لم يعفه ولم يسبه وايضا فهو لا كانوا محاربين والحري لا يؤخذ بما اصابه من المسلمين

من دم او مال او عرض و المسلمو المعاهد يوخذ بذلك و قولهم الذمى يعتقد
حل السب كما يعتقد الحرى وان لم يعتقد حل الدم و المال غلط فان عقد
الذمة منهم من الظن فى ديننا ووجب عليهم الكف عن ان يسبوا نبينا كما
منعهم دماءنا و اموالنا و ابلغ فهو ان لم يعتقد تحريمه للدين فهو يعتقد تحريمه
للعهد كاعتقادنا نحن فى دماءهم و اموالهم و اعراضهم و نحن لم نعاهد هم على
ان نكف عن سب دينهم الباطل و اظهار معائبهم بل عاهدناهم على ان يظهر فى
دارنا ما شئوا ان يلتزموا جريان احكامنا عليهم و الا فاقين الصغار و اما قولهم
الذى اذ اسب فاما ان يقتل لكفره و حرا به كما يقتل الحربى الساب او يقتل
حد من الحدود و قلنا هذا تقسيم منتشر بل يقتل لكفره و حرا به بعد
الذمة و ليس من حارب بعد الذمة بمنزلة الحربى الاصل فان الذى اذ
قتل مسلما اجتمع عليه انه نقض العهد و انه وجب عليه القود فلو غشوا لى الدم
قتل لنقض العهد بهذا الفساد و كذلك سائر الامور المضرة بالمسلمين يقتل بها
الذى اذ فعلها و ليس حكمه فيها حكم الحربى الاصل اجماعا و اذ اقتل لحرا به
و فساد به بعد العهد فهو حد من الحد و دفلا تنافى بين الوصفين حتى يجعل احدهما
قسما للآخر و قد بينا بالا دلة الواضحة ان قتله ليس لمجرد كونه كافرا غير
ذى عهد بل حد او عقوبة على سب نبينا الذى اوجب عليه الذمة تركه
و الامساك عنه مع ان السب مستلزم لنقض العهد العاصم لدمه و انه يصير
بالسب محاربا غادرا و ليس هو كحد الزنا و نحوه مما لا مضرة علينا فيه و انما
اشبه الحدود به حد المحاربة و اما قولهم ليس فى السب اكثر من انتهاك العرض و هذا

القدر لا يوجب الا الجلد في الكلام عنه ثلاثة اجوبة * احدها ان هذا كلام
في رأس المسئلة فانه اذا لم يوجب الا الجلد والامور الموجبة للجلد لا تنتقض
العهد لم ينتقض العهد به كسب بعض المسلمين وقد قدمنا الدلائل التي لا تحل
مخالفتها على وجوب قتل الذمي اذا فعل ذلك وانه لا عهد له يعصم دمه مع ذلك
وبين ان انتهاك عرض عموم المسلمين يوجب الجلد واما انتهاك عرض الرسول
فانه يوجب القتل وقد صولح على الامساك على العرضين فنتي انتهاك عرض
الرسول فقد اتى بما يوجب القتل مع التزامه ان لا يفعله فوجب ان يقتل
كما لو قطع الطريق او زنى والتسوية بين عرض الرسول وعرض غيره في مقدار
العقوبة من اخس القياس والكلام في الفرق بينهما بعد تكلفا فانه
عرض قد اوجب الله على جميع الخلق ان يقابلوه من الصلاة والسلام والثناء
والمدح والمحبة والتعظيم والتعزير والتوقير والتواضع في الكلام والطاعة
للامر ورعاية الحرمه في اهل البيت والاصحاب بالاخفاء به على احد من علماء
المؤمنين * عرض به قام دين الله وكتابه وعباده المؤمنين * به وجبت الجنة
لقوم والنار لآخرين * به كانت هذه الامة خير امة اخرجت للناس * عرض
قرن الله ذكره بذكر مومنينه وبينه في كتابة واحدة وجعل يعثه يبعثه له
وطاعته طاعة لعموا اذى له الى خصائص لا تخص ولا يقدر قدرها فيليق لو لم يكن
سبه كفرا ان تجعل عقوبة منتهك هذا العرض كعقوبة منتهك عرض غيره
* ولو فرضنا * ان الله نبي يبعثه الى امة ولم يوجب على امة اخرى ان يؤمنوا
به عموموا ولا خصوصا فسبه رجل ولعنه عالما بنبوته الى اولئك افيجوز ان

يقال ان عقوبته وعقوبة من سبوا احدا من المؤمنين سواء هذا افسد من قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا قولهم الذي يعتقد حل ذلك قلنا لانسلم فان العهد الذي يئنا وبينه حرم عليه في دينه السب كما حرم عليه دماءنا واموالنا واعراضنا فهو اذا اظهر السب يدري انه قد فعل عظيمة من العظائم التي لم نصلح عليها ثم ان كان يعلم ان عقوبة ذلك عندنا القتل فيها والا فلا يجب لان مرتكب الحدود يكفيه العلم بالتحريم كمن زني او سرق او شرب او قذف او قطع الطريق فانه اذا علم تحريم ذلك عوقب بالعقوبة المشروعة وان كان يظن ان لا عقوبة على ذلك وان عقوبته دون ما هو مشروع وايضا فان دينهم لا يبيع لم السب واللعنة للنبي وان كان ديننا باطلا اكثر ما يعتقدون انه ليس بنبي او ليس عليهم اتباعه اما ان يعتقدون ان لعنته وسبه جائزة فكثير منهم او اكثرهم لا يعتقدون ذلك على ان السب نوعان احدهما ما كفروا به واعتقدوه والثاني ما لم يكفروا به فهذا الثاني لا ريب انهم لا يعتقدون حله واما قولهم صولح على ترك ذلك فاذا فعله انتقض العهد فانه اذا فعله انتقض عهده وعوقب على نفس تلك الجريمة والا كان يستوي حال من ترك العهد ولحق بدار الحرب من غير اذى لنا وحال من قتل وسرق وقطع الطريق وشم الرسول مع نقض العهد وهذا لا يجوز واما قولهم كون القتل حدا حكم شرعي يفتر الى دليل شرعي فصحيح وقد تقدمت الدالة الشرعية من الكتاب والسنة والاثار والنظر الدالة على ان نفس السب من حيث خصوصيته موجب للقتل ولم يثبت

ذلك استحصانا صرنا واستصلا حاصلا بل اثبتناه بالنصوص وآثار
 الصحابة وما دل عليه ائمة الشارع وتبيينه وبما دل عليه الكتاب
 والسنة واجماع الامة من الخصوصية لهذا السب والحرمة لهذا
 العرض التي يوجب ان لا يصونه الا القتل لاسيما اذا قوى الداعي على انتهاكه
 وخفة جرمة بحفنة عقابه وصغر في القلوب مقدار من هوا عظم العالمين
 قدرا اذا ساوى في قدر العرض زيد او عمرا وتضمنى بذكره اعداء الدين
 من كفر غادر وملتقى ما كره فيل يستريب من قلب الشريعة ظهرا لبطن ان
 محاسنها توجب حفظ هذه الحرمة التي هي اعظم جرمات المخلوقين وحرمتها
 متعلقة بجرمة رب العالمين بسفك دم واحد من الناس مع قطع النظر عن
 الكفر ولا ارتداد فانها مفسدتان اتحادهما في معنى التعداد ولنا الآن تنكلم
 في المصالح المرسلة فاننا لم ننتج اليها في هذه المسئلة لما فيها من الادلة الخاصة
 الشرعية وانما ننبه على عظم المصلحة في ذلك ببيان الحكمة الشرع لان القلوب
 الى ما فهمت حكمته اسرع اتقياد والنفوس الى ما تطامع على مصلحته اعطش
 اكبادا ثم لو لم يكن في المسئلة نص ولا اثر لكان اجتهاد الراي يقضى بان
 يجعل القتل عقوبة هذا الجرم لمخصوصه لا للعموم كونه كفرا او ردة حتى
 لو فرض تجرده عن ذلك لكان موجبا للقتل اخذ له من قاعدة العقوبات
 في الشرع فانه يجعل اعلى العقوبات في مقابلة ارفع الجنايات و اوسطها في مقابلة
 اوسطها و ادناها في مقابلة ادناها فهذه الجناية اذا انفردت تمتنع ان تجعل في
 مقابلة الاذى فتقابل بالجلد لو الحبس تسوية بينها وبين الجناية على عرض

زيد وعمر وفاته لا ينبغي على من له ادنى نظر باسباب الشرع ان هذا من افسد
انواع الاجتهاد ومثله في الفساد خلوها عن عقوبة تخصصها واما جعله في الاوسط
كما اعتقده المهاجر بن ابي امية حتى قطع يد الجارية السابعة وقلع ثبتهما فباطل
ايضا كما انكره عليه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان الجنابة جناية على
اشرف الحرمات ولانه لا مناسبة بينها وبين اوسط العقوبات من قطع
عضو من الاعضاء فتمين ان تقابل باعلى العقوبات وهو القتل ولوزنات بنا نازلة
السب وليس معانفها اثر يتبع ثم استراب مستريب في ان الواجب الحاقها باعلى
الجنایات لما عدم من بصراء الفقهاء ومثل هذه المصلحة ليست مرسله بحيث ان لا يشهد
لها الشرع بالا اعتبار فاذا فرض انه ليس لها اصل خاص تلحق به ولا بد من الحكم فيها
فيجب ان يحكم فيها بما هو اشبه بالاصول الكلية واذا لم يعمل بالمصلحة لزم العمل
بالمفسدة والله لا يحب الفساد ولا شك ان العلماء في الجملة من اصحابنا وغيرهم
قد يختلفون في هذا الضرب من المصالح اذا لم يكن فيها اثر ولا قباس
خاص والامام احمد قد يتوقف في بعض افرادها مثل قتل الجاسوس المسلم
ونحوه ان جعلت من افرادها وربما عمل بها وربما تركها اذا لم يكن معه فيها
اثر او قياس خاص ومن تأمل تضاريف الفقهاء علم انهم يضطرون الى
رعايتها اذا لم يخالف اصلا من الاصول ولم يخالف في اعتبارها الظروف
من اهل الجدل والكلام من اصحابنا وغيرهم ولو انهم خاضوا مخاض
الفقهاء لعلموا انه لا بد من اعتبارها وذوق الفقه ممن تلجج فيه شيء والكلام
على حواشيه من غير معرفة اعيان المسائل شيء آخر واهل الكلام والجدل

انما يتكلمون في القسم الثاني فيلزمون غيرهم ما لا يقدررون على التزامه
ويتكلمون في الفقه كلام من لا يعرف الا امور اكلية وعمومات احاطية
وللتفاصيل خصوص نظرو دلائل يدر كها من عرف اعيان المسائل
و اثبتناه ايضا بالقياس الخاص وهو القياس على كل من ارتد ونقض
العهد على وجه يضر المسلمين مضرة فيها العقوبة بالقتل وبيننا ان هذا اخص من
مجرد الردة ومجرد نقض العهد وان الاصول فرقت بينهما واثبتناه ايضا
بالتأني لحقن دمه وبيننا ان هذا حل دمه بما فعله والادلة العاصمة لمن اسلم
من مرتد وناقض لا تتناول له لفظا ولا معنى وقولهم القياس في الاسباب
لا يصح خلاف ما عليه الفقهاء وهو قول باطل قطعا لكن ليس هذا موضع
الاستقصاء في ذلك وقولهم معرفة نوع الحكمة وقد رها متعذر قلنا
لان سلم هذا على الاطلاق بل قد يمكن وقد ينعذر بل ربما علم قطعا لان
الفرع مشتمل على الحكمة الموجودة في الاصل وزيادة قولهم هو يخرج
السبب عن ان يكون سببا ليس كذلك فاني سبب السبب لا يمنع ان يكون
سببا والاضافة الى السبب لا يقدح في الاضافة الى سبب السبب والعلم
بها ضروري واما قولهم ليس في الجنايات الموجبة للقتل حدا ما يجوز
الحاق السبب بها قلنا بل هو باحق بالردة المقترنة بما يغلظها والنقض
المقترن بما يغلظه وان الفساد الحاصل في السبب ابلغ من الفساد الحاصل بتلك
الامور المغلظة كما تقدم بيانه بشواهد من الاصول الشرعية على ان هذا
الحكم مستغن عن اصل يقاس به بل هو اصل في نفسه كما تقدم ثم ان هذا

الكلام مقابل بما هو انور منه ياتوا بهر منه برهانا وذلك ان القول بوجوب الكف عن هذا الساب بعد الاتفاق على حل دمه قول لا دليل عليه الا قياس له على بعض المرتدين وناقض العهد مع ظهور الفرق بينهما من قاص الشيء على ما يخالفه ويفارقه كان قياسه فاسدا فان جعل هذا سببا عاهما قياسا لسبب على سبب مع ثبائنها في نوع الحكمة وقدرها ثم انه اخلاء للسبب الذي هو اعظم الجنائية على الاعراض من العقوبات ولا عهد لنا بهذا في الشرع فهو اثبات حكمه خارج عن القياس وجعل لكونه موجبا للقتل موجبا لكونه اهون من اعراض الناس في باب السقوط وهذا تعليق على العلة ضد مقتضاها وخروج عن موجب الاصول فان العقوبات لا يكون تغلظها في الوجوب سببا لتخفيفها في السقوط قط لكن ان كان جنسها مما يسقط سقطت خفيفة كانت او غليظة كحقوق الله في بعض المواضع ولم تسقط خفيفة كانت او غليظة كحقوق العباد ثم ان القول باستثابة الساب قول يخالف كتاب الله وبخالف صريح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه واصحابه والقول بان لاحق للرسول على الساب اذا اسلم الذمي او المسلم ولا عقوبة له عليه قول يخالف المعروف من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخالف اصول الشريعة ويثبت حكمه ليس له اصل ولا نظير الا ان يلحق بماليس مثاله الجواب الثاني اننا لم ندع مجرد السبب موجب للقتل وانما بينا ان كل سبب فهو محاربة ونقض للعهد بما يضر المسلمين فيقتل بمجموع الامر من السبب ونقض العهد ولا يجوز ان يقال خصوص السبب عدم التأثير فان فساد

هذا معلوم قطعاً بما ذكرناه من الأدلة القاطعة على تأثيره وإذا كان كذلك لم تثبت سبباً خارجاً عن الأسباب الممهودة وإنما هو مغلف السبب المعروف وهو الكفر كما أن قتل النفوس موجب لحل دمه ثم إن كان قد قتل في المحاربة تغاظ بجهنم القتل والابقى الأمر فيه إلى الأولياء ومعلوم أن المقتول من قطاع الطريق لا يقال فيه قتل قوداً ولا نصاصاً حتى يرتب عليه أحكام من يجب عليه القود وإنما يضاف القتل إلى خصوص جنائته وهو القتل في المحاربة كذلك هنا الموجب هو خصوص المحاربة • وقولهم • الأدلة مترددة بين كون القتل لجرد المحاربة أو لخصوص السبب • قلناه هي نصوص في أن السبب مؤثر تأثيراً زائداً على مطلق تأثير الكفر الخالي عن عهد فلا يجوز إهمال خصوصه بعد اعتبار الشرع له وإن يقال إنما المؤثر مجرد ما في ضمنه وطيه من زوال العهد ولذلك وجب قتل صاحبه عيناً من غير تحيير كما قررنا دلالاته فيما مضى وإذا كان كذلك فليس مع المخالف ما يدل على أن القتل المباح يسقط بالإسلام وإن كان هذا من فروع الكفر كما أن الذمي إذا استحل دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فانتهمكماً لا اعتقاده أنهم كفار وإن ذلك حلال لهم منهم ثم أسلم فإنه يعاقب على ذلك إما بالقتل إن كان فيها ما يوجب القتل أو بغيره ولذلك لو استحل ذلك ذمي من ذمي مثل أن يقتل نصراني يهودياً أو يأخذ ماله لا اعتقاده أن ذلك حلال له أو يقذفه أو يسبه فإنه يعاقب على ذلك عقوبة مثله وإن أسلم وكذلك لو قطع الطريق على قافلة فيهم مسلمون ومعاهدون فقتل بعض أولئك المسلمين أو المعاهد بن قتل لاجل ذلك حتماً

وانتقض عهده وان اسلم بعد ذلك وان كان هذا من فروع الكفر فهذا رجل انتقض عهده بامر يعتقد حله قبل العهد ولو فعله مسلم لم يقتل عند كثير من الفقهاء اذا كان المقتول ذميا وكل واحد من الكفر ومن القتل مؤثر في قتله وان كان عهده انما زال بهذا القتل فهذا نظير السب ثم لو اسلم هذا لم يسقط عنه القتل بل يقتل اما احدا او قصاصا سواء كان ذلك القتل مما يقتل به المسلم بان يكون المقتول مسلما ولا يقتل به بان يكون المقتول ذميا وعلى التقديرين يقتل هذا الرجل بعد اسلامه لقطعه الطريق مثلا وقتله ذلك المعاهد من غير اهل دينه وان كان انما فعل هذا مستحلا له لكفره وهو قد تاب من ذلك الكفر فنكون التوبة منه توبة من فروعيه وذلك لان هذا الفرع ليس من لوازم الكفر بل هو محرم عليه في دينه لاجل الذمة كما ان تلك الدماء والاموال محرمة عليه لاجل الذمة ومنشأ الغلط في هذه المسئلة اعتقاد ان الذي يستبيح هذا السب فان هذا غلط اذ لا فرق بالنسبة اليه بين اظهار الطعن في دين المسلمين وبين سفك دماهم واخذوا ما لهم اذ الجميع انما حرمة عليهم العهد لا الدين المجرد فكيف لم يندرج اخذه لعرض بعض الامة او لعرض واحد من غير اهل دينه من اهل الذمة في ضمن التوبة من كفره مع انه فرعه واندرج اخذه لعرض نبينا صلى الله عليه وسلم في ضمن التوبة من كفره. (الجواب الثالث) انه هب انما يقتل للكفر والحرب ف قوله الاسلام يسقط القتل الثابت للكفر والحرب بالاتفاق غلط وذلك انا انما افقنا على انه يسقط القتل الثابت للكفر والحرب الاصل فان ذلك اذا اسلم لم يؤخذ

اصاب في الجاهلية من دم او مال او عرض للمسلمين اما الحراب الطارى
 فمن الذى وافق على ان القتل الثابت بجميع انواعه يسقط بالاسلام ثم نوافق
 على ما اذا نقض العهد بالاضرر على المسلمين فيه ثم اسلم اما اذا اسلم ثم حارب
 وافسد بقطع طريق اوزنا بمساحة او قتل مسلم او طعن في الدين فهذا يقتل بكل حال
 كما دل عليه الكتاب والسنة وهو يقتل في مواضع بالاجماع كما اذا قتل في المحاربة
 وحيث لم يكن مجمعا عليه فهو كحمل النزاع والقرآن يدل على انه يقتل لانه
 انما استثنى من تاب قبل القدرة في الجملة فهذه المقدمة ممنوعة والتمييز بين انواع
 الحراب يكشف اللبس واما ما ذكره من ان الكافر والمسلم اذا سب فيما
 بينه وبين الله وقذف الانبياء ثم تاب قبل الله توبته ولم يطالبه النبي بموجب
 قذفه في الدنيا ولا في الآخرة وان الاسلام يجب قذف اليهود لمريم وابنها
 وقولهم في الانبياء والرسل فهو كما قالوا ولا ينبغي ان يستراب في مثل هذا
 وقد صرح بعض اصحابنا وغيرهم وقالوا انما الخلاف في سقوط القتل عنه امان توبته
 واسلامه فيما بينه وبين الله فقبولة فان الله يقبل التوبة عن عباده من الذنوب
 كلها وعموم الحكم في توبة المسلم والذى فاما توبة المسلم فقد تقدم القول
 فيها واما توبة الذى من ذلك فان كان ذلك السب ليس ناقضا للعهد بان
 يقوله سرافتوبته منه كتوبة الحربي من جميع ما يقوله ويفعله وتوبة الذى
 من جميع ما يقر عليه من الكفر فان هذا لم يكن ممنوعا بعقد الذمة وليس كلامنا
 فيه وبه يخرج الجواب عما ذكره فان السب الذى قامت الادلة على مغفرته
 بالاسلام ليس هو السب الذى ينتقض به عهد الذى اذا فعله وانما فرق

في الذي بين الجهر بالسب والاسرار به بخلاف المسلم لان ما يسره من
السب لا يمنع منه ايمان ولا امان. الا ترى انه لو قذف واحد من المسلمين سرا
مستحلا لذلك ثم اسلم كان كما لو قذفه وهو حربي ثم اسلم ومعلوم ان الكافر
الذي لا عهد معه يمنع من شيء متى اسلم سقط عنه جميع الذنوب تبعا للكفر
نعم لو اتى من السب بما يعتقد حراما في دينه ثم اسلم في سقوط حق السب
هنا نظر ونظيره ان يسب الانبياء بما يعتقد محرما في دينه واما ان كان السب
ناقضا للعهد فظاهره له مستحلا في الاصل وغير مستحل كقتله المسلم مستحلا
او غير مستحل فالتوبة هنا تسقط حق الله في الباطن واما اسقاطها لغير الحق
ففيه نظر والذي يقتضيه القياس انه كنبوة المسلم ان كان قد بلغ المشتوم
فلا بد من استحلاله وان لم يبلغه ففيه خلاف مشهور وذلك لانه حق
آدمي يعتقد محرما عليه وقد انتهكه فهو كما لو قتل المعاهد مسلما ثم اسلم
وتاب او اخذ له مالا سرا ثم اسلم فان اسلامه لا يسقط عنه حق آدمي
الذي كان يعتقد محرما بالعهد لظاهره ولا باطنا وهذا معنى قول من قال
من اصحابنا ان توبته فيما بينه وبين الله مقبولة فان الله يقبل التوبة من الذنوب
كلها وان الله يقبل التوبة من حقوقه مطلقا اما من حقوق العباد فان التوبة لا تبطل
حقوقهم بل امان يستوفيا صاحبهما من ظلمه او يعوضه الله عنها من فضله العظيم
وجماع هذا الامر ان التوبة من كل شيء كان يستحله في كفره تسقط حقوق الله
وحقوق العباد ظاهر او باطنا لكن السب الذي نتكلم فيه هو السب الذي
يظهره الذي وليس هذا مما كان يستحله كما لم يكن يستحل دماءنا وامننا وان

كان ذلك مما يستحله لولا العهد وقد تقدم ذكر هذا وبيننا العهد
يحرم عليه في دينه كثيرا مما كان يعتقد حلالا لولا العهد ونظيرهذا
توبة المرتد من السب الذي يعتقد صحته . واما ما لم يكن يستحله وهو
اظهار السب ففيه حق لله وحق للآدمي فتوبته تسقط فيما
بينه وبين الله حقه لكن لا يلزم ان تسقط حق الآدمي في الباطن فهذا
الكلام على قبول التوبة فيما بينه وبين الله . وحينئذ فالجواب من
وجوه (احدها) ان الموضع الذي ثبت فيه قبول توبته فيما بينه وبين الله
من حق الله وحق عباده ليس هو الموضع الذي ينتقض فيه عهده . ويقتل
وان تاب فان ادعى انه يسقط حق العباد في جميع الصبور فهذا محل منع
لما فيه من الخلاف فلا بد من اقامة الدلالة على ذلك والادلة المذكورة
لم تتناول السب الظاهر الذي ينتقض به العهد (الوجه الثاني) ان صحة
التوبة فيما بينه وبين الله لا تسقط حقوق العباد من العقوبة المشروعة
في الدنيا فان من تاب من قتل او قذف او قطع طريق او غير ذلك فيما
بينه وبين الله فان ذلك لا يسقط حقوق العباد من القود وحق القذف
وضمان المال . وهذا السب فيه حق لآدمي فان كانت التوبة يغفر له بها ذنبه
المتعلق بحق الله وحق عباده فان ذلك لا يوجب سقوط حقوق العباد
من العقوبة (الوجه الثالث) ان من يقول بقبول التوبة من ذلك
في الباطن بكل حال يقول ان توبة العبد فيما بينه وبين الله ممكنة من جميع
الذنوب حتى انه لو سب ميرا اباها من الناس موقى ثم تاب واستغفر لهم

بدل سبهم لرجي ان يغفر الله له ولا يكلف الله نفسا الا وسعها فكذلك ساب
الانبياء والرسل لو لم تقبل توبته وتغفر لته لانسد باب التوبة وقطع طريق
المغفرة والرحمة . وقد قال تعالى للمنهى عن الغيبة يحب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم . فلم . ان المغتاب
له سبيل الى التوبة بكل حال وان كان الذي اغتیب ميتا او غائبا بل اصح
الروايتين ليس عليه ان يستحله في الدنيا اذا لم يكن علم فان فساد ذلك
اكثر من صلاحه وفي الاثر كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبت . وقد قال
تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات . اما . اذا كان الرسول حيا وقد بلغه
السب فقد يقول هنا ان التوبة لا تصح حتى يستحل الرسول ويعفو الرسول
عنه كما فعل انس بن زعيم وابو سفيان بن الحارث وعبد الله بن
ابي امية وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وابن الزبيري واحمد بن
القيتين وكعب بن زهير وغيرهم كما دلت عليه السيرة لمن تدبرها
وقد قال كعب بن زهير .

نبئت ان رسول الله اوعدني • والعفو عند رسول الله مأمول
وانما يطلب العفو في شيء يجوز فيه العفو والانتقام وانما يقال اوعده اذا كان حكم
الايام باقيا بعد الاسلام والافلو كان الايام معلقا ببقائه على الكفر لم يبق ايعاد
اذا انقر هذا فصحة التوبة فيما بينه وبين الله وسقوط حق الرسول بما بدله
من الايمان به الموجب لحقوقه لا يمنع ان يقيم عليه حد الرسول اذا ثبت عند
السلطان وان اظهر التوبة بعد ذلك كالتوبة من جميع الكبائر الموجبة للعقوبات

المشروعة سواء كانت حقاً لله او حقاً لآدمي فان توبة العبد فيما بينه وبين الله
 بحسب الامكان صحيحة مع انه اذا ظهر عليه اقيم عليه الحد وقد اسلفنا ان حق
 الرسول فيه حق لله وحق لآدمي وانه من كلا الوجهين يجب استيفاؤه
 اذا رفع الى السلطان وان اظهر الجاني التوبة بعد الشهادة . واما ما ذكره
 من كون سب الرسول ليس باعظم من سب الله وان ما فيه من الشرف فلاجله
 ففي الجواب عنه طريقان (احدهما) انه لا فرق بين البابين فان سب الله
 ايضاً يقتل ولا تسقط التوبة القتل عنه اما لكونه دليلاً على الزندقة في الايمان
 والامان او لكونه ليس مجرد ردة ونقض وانما هو من باب الاستخفاف بالله
 والاستهانة ومثل هذا لا يسقط القتل عنه اذا تاب بعد الشهادة عليه كما لا يسقط
 القتل عنه اذا انتهك محارمه فان انتهك حرمة اعظم من انتهاك محارمه
 وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان ذلك . ومن قاله من اصحابنا وغيرهم ومن
 اجاب بهذا لم يورد عليه صحة اسلام النصراني ونحوه وقبول توبتهم لانه
 لا خلاف في قبول التوبة فيما بينه وبين الله وفي قبول التوبة مطلقاً اذا لم يظهر
 السب وانما الخلاف فيما اذا ظهر النصراني ما هو سب وطعن ودعاؤهم الى التوبة
 لا يمنع اقامة الحد ود عليهم اذا كانوا معاهدين كقوله سبحانه تعالى ان الذين
 فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا . وكانت فتنتهم انهم القوم في النار حتى
 كفروا او لو فعل هذا معاهد بمسلم فانه يقتل وان اسلم بالاتفاق وان كانت
 توبته فيما بينه وبين الله مقبولة . وايضاً فان مقالات الكفار التي يعتقدونها
 ليست من السب المذكور فانهم يعتقدون هذا تعظيماً لله ودينه وانما الكلام

في السب الذي هو سب عند الساب وغيره من الناس و فرق بين من يتكلم
في حقه بكلام يعتقد تعظيمه وبين من يتكلم بكلام يعلم انه استهزاء به
واستخفاف به ولهذا فرق في القتل والزنا والسرقة والشرب والقذف
ونحوهن بين المستحل لذلك المعدود وبين من يعلم التحريم وكذلك قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقوله فيما يروى
عن ربه عز وجل يؤذيني ابن آدم سب الدهر وانا الدهر يدي الامر اقلب
الليل والنهار فان من سب الدهر من الخلق لم يقصد سب الله سبحانه وانما قصد
ان يسب من فعل به ذلك الفعل مضافا له الى الدهر فيقع السب على الله لانه هو
الفاعل في الحقيقة وسواء قلنا ان الدهر اسم من اسماء الله تعالى كما قال نعيم بن
حماد او قلنا انه ليس باسم وانما قوله انا الدهر اى انا الذى افعل ما ينسبونه
الى الدهر ويوقعون السب عليه كما قاله ابو عبيدة والاكثرون ولهذا
لم يكفر من سب الدهر ولا يقتل لكن يؤذى ويعزر لسوء منطقه والسب
المذكور في قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
عدوا بغير علم قد قيل ان المسلمين كانوا اذا سبوا آلهة الكفار سب الكفار
من يامرهم بذلك والهم الذين يعبدونه معرضين عن كونه ربههم والهم
فيقع سبهم على الله لانه الهنا ومعبودنا فيكونوا سايين لموصوف وهو الله سبحانه
ولهذا قال سبحانه عدوا بغير علم وهو شبهه بسب الدهر من بعض الوجوه
وقيل كانوا يصرحون بسب الله عدوا وغلوا في الكفر قال قتادة كان المسلمون
يسبون اصنام الكفار فيسبوا الكفار الله بغير علم فانزل الله ولا تسبوا الذين

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . وقال ايضا كان المسلمون يسبون او ثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله تعالى ان يستسبوا الربهم قوما جهلة لا علم لهم بالله وذلك انه في المجاجة ان يسب الجاهل من يعظمه صراغمة لعدوه اذا كان يعظمه . ايضا كما قال بعض الحكماء

سبوا عليا كما سبوا عتيقكم . كفرا بكفروا بما نابايمان

وكما يقول بعض الجهال مقابلة الفاسد بمثله وكما قد تحمل بعض جهال المسلمين الحمية على ان يسب عيسى اذا جاهره المحاربون بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من الموجبات للقتل .

الطريقة الثانية * طريقة من فرق بين سب الله وسب رسوله . وذلك من وجوه (احدها) ان سب الله حق محض لله وذلك يسقط بالتوبة كالزنا والسرقة وشرب الخمر وسب النبي صلى الله عليه وسلم فيه حقان لله وللعبد ولا يسقط حق الآدمي بالتوبة كالقتل في المحاربة هذا فرق القاضي ابي يعلى في خلافه (الوجه الثاني) ان النبي صلى الله عليه وسلم تلحقه المعرة بالسب لانه مخلوق وهو من جنس الآدميين الذين تلحقهم المعرة والغضاضة بالسب والشتم وكذلك يثابون على سبهم ويعطيهم الله من حسنات الشاتم او من عنده عوضا على ما اصابهم من المصيبة بالشتم فمن سبه فقد انتقص حرمةه والخالق سبحانه لا تلحقه معرة ولا غضاضة بذلك فانه منزّه عن حقوق المتافع والمضار كما قال سبحانه فيما يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم يا عبادي انكم لن تباغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا

نفعي فتتفوني • وإذا كان سب النبي صلى الله عليه وسلم قد يؤثر انتقامه في النفوس وتلحقه بذلك معرة وضمير وربما كان سبياً للتفكير عنه وقلة هيئته وسقوط حرمة شرعت العقوبة على خصوص الفساد الحاصل بسبه فلا تسقط بالتوبة كالعقوبة على جميع الجرائم • وأما سب الله سبحانه فإنه يضر نفسه بمنزلة الكافر والمر تدفني تاب زال ضرر نفسه فلا يقتل وهذا الفرق ذكره طوائف من المالكية والشافعية والحنبلية • منهم القاضي عبد الوهاب بن نصر • والقاضي أبو يعلى في المجرى • وأبو علي بن البناء • وابن عقيل وغيرهم وهو يتوجه مع قولنا أن سب النبي صلى الله عليه وسلم حد لله كالزنا والسرقة يؤخذ ذلك أن القذف بالكفر أعظم من القذف بالزنا ثم لم يشرع عليه حد مقدركما شرع على الرمي بالزنا وذلك لأن المقدوف بالكفر لا يلحقه العار الذي يلحقه بالرمي بالزنا لأنه بما يظهر من الإيمان يعلم كذب القاذف وبما يظهره من التوبة تزول عنه تلك المعرة بخلاف الزنا فإنه يستسربه ولا يمكنه إظهار البراءة منه ولا نزول معرفته في عرف الناس عند إظهار التوبة فكذلك سب الرسول يلحق بالدين وأهله من المعرة ما لا يلحقهم إذا سب الله لكون المنافي لسب الله ظاهراً معلوماً لكل أحد يشترك فيه كل الناس (الوجه الثالث) أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يسب على وجه الاستخفاف به والاستهانة وللنفوس الكافرة والمنافقة إلى ذلك داع من جهة الحسد على ما آتاه الله من فضله ومن جهة المخالفة في دينه ومن جهة الإقهار تحت حكم دينه وشرعه

ومن جهة المراجعة لامته وكل مفسدة يكون اليها داع فلا بد من شرع العقوبة عليها حدا وكل ما شرعت العقوبة عليه لم يسقط بالتوبة كسائر الجرائم واما سب الله سبحانه فانه لا يقع في الغالب استغفارا واستهانة وانما يقع تدبيرا واعتقادا وليس للنفس في الغالب داع الى القاء السب الا عن اعتقاد برونه تعظيما وتعجبا او اذا كان كذلك لم يحتاج خصوص السب الى شرع زاجر بل هو نوع من الكفر فيقتل الانسان عليه كرده وكفره الا ان يتوب وهذا الوجه من نخط الذي قبله والفرق بينهما ان ذلك يان لان مفسدة السب لا تزول باظهار التوبة بخلاف مفسدة سب الله تعالى . والثاني . يان لان سب الرسول اليه داع طبعي فيشرع الزجر عليه لخصوصه كسب الخمر وسب الله تعالى ليس اليه داع طبعي فلا يحتاج لخصوصه الى زجر آخر كسب البول واكل الميتة والدم (الوجه الرابع) ان سب النبي صلى الله عليه وسلم حد وجب لسب آدمي ميت لم يعلم انه عفا عنه وذلك لا يسقط بالتوبة بخلاف سب الله تعالى فانه قد علم انه قد عفا عنه منه اذا تاب وذلك ان سب الرسول متردد في سقوط حده بالتوبة بين سب الله وسب سائر الادميين فيجب الحاقه باشبه الاصلين به ومعلوم ان سب الادمي انما لا تسقط عقوبته بالتوبة لان حقوق الادميين لا تسقط بالتوبة لانهم ينتفعون باستيفاء حقوقهم ولا ينتفعون بتوبة التائب فاذا تاب من اللادمي عليه حق قصاص او قذف فان له ان ياخذه منه لينتفع به تشفيا ودرك ثار وصيانة عرض وحق الله قد علم سقوطه بالتوبة لانه سبحانه انما

اوجب الحقوق لينتفع بها العباد فاذا رجعو الى ما ينفعهم حصل مقصود الايجاب
و حينئذ فلا ريب ان حرمة الرسول الحقت بحرمة الله من جهة التخليط لان
الطعن فيه طعن في دين الله و كتابه و هو من الخلق الذين لا تسقط حقوقهم
بالتوبة لانهم ينتفعون باستيفاء الحقوق ممن هي عليه و قد ذكرنا ما دل على
ذلك من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له ان يعاقب من آذاه وان
جاءه نائبا و هو صلى الله عليه وسلم كما انه بلغ الرسالة لينتفع بها العباد فاذا
تابوا و رجعوا الى ما امرهم به فقد حصل مقصوده فهو ايضا تام باذاهم له فله
ان يعاقب من آذاه تحصيل المصلحة لنفسه كما انه يأكل ويشرب فان تمكين البشر
من استيفاء حقه ممن يبغي عليه من جملة مصالح الانسان ولولا ذلك لما تمت النفوس غما
ثم اليه الخيرة في العفو و الانتقام فقد ترجع عند مصلحة الانتقام فيكون
فاعلا لامر مباح و حظ جائز كما انه يتزوج النساء و قد يترجع العفو و الانبياء
عليهم السلام منهم من كان قد يترجع عند احيانا الانتقام و يشدد الله
قلوبهم فيه حتى تكون اشد من الصخر كروح و موسى و منهم من كان
يترجع عنده العفو فيلين الله قلوبهم فيه حتى تكون الين من اللين كابراهيم
و عيسى فاذا تعذر عفو عن حقه تعين استيفاؤه و الا لزم اهدا رحقه
بالكلية و قولهم اذا سقط المتبوع بالاسلام فالتابع اولى قلنا هو تابع من
حيث تغلظت عقوبته لا من حيث ان له حقافي الاستيفاء لا يجبر بالتوبة
• قولهم ساء الواحد من الناس لا يختلف حاله بين ما قبل الاسلام و بعد
بمخلاف ساء الرسول • عنه جوابان (احدهما) المنع فان سب الذمى للمسلم

جائز عنده لانه يعتقد كفره وضلاله وانما يجرمه عنده العهد الذي يتناو بينه
فلا فرق بينها وان فرض الكلام في سب خارج عن الدين مثل الرمي بالزنا
والافتراء عليه ونحو ذلك فلا فرق في ذلك بين سب الرسول وسب الواحد
من اهل الذمة ولا ريب ان الكافر اذا اسلم صار اخا للمسلمين يؤذيه ما يؤذيهم
وصار معتقدا لحرمة اعراضهم وزال الميخ لا انتهاك اعراضهم ومع ذلك لا يسقط
حق المشتوم باسلامه وقد تقدم هذا الوجه غير مرة (الثاني) ان شاتم الواحد
من الناس لو تاب واظهر براءة المشتوم واثنى عليه ودعا له بعد رفعه الى
السلطان كان له ان يستوفي حده مع ذلك فلا فرق بينه وبين شاتم الرسول
اذا اظهر اعتقاد رسالته وعلوم منزله وسبب ذلك ان اظهار مثل هذه التوبة
لا يزيل ملحق المشتوم من الغضاضة والمعرفة بل قد يحمل ذلك على خوف
العقوبة ويبقى آثار السب الاول جارحة فان لم يمكن المشتوم من اخذ
حقه بكل حال لم يندمل جرحه فلولهم القتل حق الرسالة واما البشرية فانما
لها حقوق البشرية والتوبة تقطع حق الرسالة قلنا لانسلم ذلك بل هو من
حيث هو بشر مفضل في بشريته على الآدميين تفضيلا يوجب قتل سابه
ولو كان القتل انما وجب لكونه قد حافى النبوة لكان مثل غيره من انواع
الكفر ولم يكن خصوص السب موجبا للقتل وقد قد منامن الابدلة ما يدل
على ان خصوص السب موجب للقتل وانه ليس بمنزلة سائر انواع الكفر من
سوى بين الساب للرسول وبين المعرض عن تصديقه فقط في العقوبة فقد
بخالف الكتاب والسنة الظاهرة والاجماع الماضي وخالف المعقول وسوى

بين الشئيين المتباينين وكون القاذف له لم يجب عليه مع القتل جلد ثمانين
 اوضح دليل على ان القتل عقوبة لخصوص السب والا كان قد اجتمع حقان
 لله وهو تكذيب رسوله فيوجب القتل وحق لرسوله وهو سبه فيوجب الجلد
 على هذا الرأي فكان ينبغي قبل التوبة على هذا ان يجتمع عليه الحدان
 كالوارد وقذف مسلما وبعد التوبة يستوفى منه حد القذف فكان اتمال النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعاقب من سبه وجاء تائبا بالجلد فقط كما انه
 ليس للامام ان يعاقب قاطع الطريق اذا جاء تائبا الا بالقود ونحوه مما هو خالص
 حق الادمي ولو سلمنا ان القتل حق الرسالة فقط فهو ردة مغلظة بما فيه ضرر
 او نقض مغلظ بما فيه ضرر كما لو اقترن بالنقض حراب وفساد بالقتل من قطع
 طريق وزنا بمسلمة وغير ذلك فان القتل هنا حق لله ومع هذا لم يسقط بالتوبة
 والاسلام وهذا المأخذ متحقق سواء قلنا ان سب الله يقتل بعد التوبة
 او لا يقتل كما تقدم تقريره . قولهم . اذا اسلم سقط القتل المتعلق بالرسالة
 قلنا . هذا ممنوع اما اذا سبوا بينه وبين سب الله فظاهر وان فرقنا فان هذا
 شبه من باب فعل المحارب لله ورسوله الساعي في الارض فسادا والحاجة
 داعية الى ردع امثاله كما تقدم وان سلمنا سقوط الحق المتعلق بالكفر بالرسالة
 لكن لم يسقط الحق المتعلق بشتم الرسول وسبه فان هذه جناية زائدة على
 نفس الرسول مع التزام تركها فان الذي يلتزم لنا ان لا يظهر السب وليس
 ملتزما لنا ان لا يكفر به فكيف يحمل ما التزم تركه من جنس ما اقر رنا عليه
 وجماع الامر ان هذه الجناية على الرسالة له نقض يتضمن حرابا وفسادا

اوردة تضمنت فسادا وحرابا وسقوط القتل عن مثل هذا ممنوع كما تقدم
 قولهم حق البشرية انهم في حق الرسالة وحق الآدمي انهم في حق
 الله قلنا هذه دعوى محضة ولو كان كذلك لما جاز للنبي صلى الله عليه
 وسلم العفو عن سبه ولا جاز عقوبته بعد مجئته تأبوا لا احتج بخصوص السب
 ان يرد بذلك العقوبة لعلم كل احد ان سب الرسول اغلط من الكفر به
 فلما جاءت الاحاديث والآثار في خصوص سب الرسول بالقتل علم ان ذلك
 خاصة في السب وان اندرج في عموم الكفر وايضا حق العبد لا ينمى في
 حق الله قط نعم العكس موجود كما تدرج عقوبة القاتل والقاذف على عصيانه
 لله في القود وحد القذف اما ان يندرج حق العبد في حق الله فباطل فان من
 جنى جنابة واحدة تعلق بها حقان لله ولا آدمي ثم سقط حق الله لم يسقط حق
 الآدمي سواء كان من جنس او جنسين كما لو جنى جنابات متفرقة كن قتل في قطع
 الطريق فانه اذا سقط عنه نعم القتل لم يسقط عنه القتل ولو سرق مرة ثم سقط عنه
 القطع لم يسقط عنه الغرم باجماع المسلمين حتى عند من قال ان القطع وانعم
 لا يجتمعان نعم اذا جنى جنابة واحدة فيها حقان لله ولا آدمي فان كان موجب
 الحقتين من جنس واحد تداخلا وان كانا من جنسين ففي التداخل خلاف
 معروف مثال الاول قتل المحارب فانه يوجب القتل حق الله وللآدمي
 والقتل لا يتعدد فتي قتل لم يبق للآدمي حق في تركته من الديته وان كان له
 ان ياخذ الديته اذا قتل عدة مقتولين فيقتل بعضهم عند الشافعي واحمد
 وغيرهما اما ان قلنا ان موجب العمد القود عينها ظاهر وان قلنا ان موجب

أخذ شيئين فلماذا ذلك حيث يمكن العفو وهنا لا يمكن العفو وصار موجه القود
عيناوولي استيفائه الامام لان ولايته اعم * ومثال الثاني اخذ المال سرقة
واتلافه فانه موجب للقطع حد الله وموجب الغرم حق لآدمي ولهذا قال
الكوفيون ان حق الآدمي يدخل في القطع فلا يجب * وقال الاكثرون
بل يغرم للآدمي ماله وان قطعت يده واما اذا جنى جنایات متفرقة لكل
جناية حد ان كانت لله وهي من جنس واحد تدخلت بالاتفاق وان
كانت من اجناس وفيها القتل تدخلت عند الجمهور ولم تدخل عند الشافعي
وان كانت لآدمي لم تدخل عند الجمهور وعند مالك تدخل في القتل
الاحد القذف فهنا هذا الشاتم الساب لاريب انه يتعلق بسبه حق لله وحق
لآدمي ونحن نقول ان موجب كل منهما القتل ومن هنا عزا اما ان يقول
اندرج حق الآدمي في حق الله او موجه الجلد فاذا قتل فلا كلام الا عند من
يقول ان موجه الجلد فانه يجب ان يخرج على الخلاف واما اذا اسقط
حق الله بالتوبة فكيف يسقط حق العبد فانا لانحفظ لهذا نظيرا بل النظائر
تخالفه كما ذكرناه والسنة تدل على خلافه واثبت حكم بلا اصل ولا نظير
غير جائز بل مخالفته للاصول دليل على بطلانه * وايضا فهب ان هذا حد
محض لله لكن لم يقال انه يسقط بالتوبة وقد قدمنا ان الردة وتقضى العهد نوعان
مجرد ومغلظ فماتعلظ منه بما يضر المسلمين يجب قتل صاحبه بكل حال وان
تاب وبيننا ان السب من هذا النوع * وايضا فاقضى ما يقال ان يلحق هذا
السب بسب الله وفيه من الخلاف ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى واما ما ذكر

من الفرق بين سب المسلم وسب الكافر فهو وان كان له توجه كمال التسوية بينهما في السقوط لوجه ايضا فانه معارض بما يدل على ان الكافر اولى بالقتل بكل حال من المسلم وذلك ان الكافر قد ثبت المييع لدمه وهو الكفر وانما عصمه العهد واظهاره السب لا ريب انه محاربة لله ورسوله وافساد في الارض ونكابة في المسلمين فقد تحقق الفساد من جهته واظهاره التوبة بعد القدرة عليه لا يوثق بها كتوبة غيره من المحاربين لله ورسوله الساعين في الارض فسادا بخلاف من علم منه الاسلام وصدرت منه الكلمة من السب مع امكان انهما لم تصدر عن اعتقاد بل خرجت سفها او غلطا فاذا عاد الى الاسلام مع انه لم يزل يتدين به لم يعلم منه خلافه كان اولى لقبول توبته لان ذنبه اصغر وتوبته اقرب الى الصحة ثم انه يجاب عنه بان اظهار المسلم تجديدا لاسلام بمنزلة اظهار الذي الاسلام لان الذي كان يزعه عن اظهار سبه ما اظهره من الامان كما يزعم المسلم ما اظهره من عقد الايمان فاذا كان المسلم الآن انما يظهر عقد ايمان قد ظهر ما يدل على فساده فكذلك الذي انما يظهر عقد ايمان قد ظهر ما يدل على فساده فان من يتهم في امانه يتهم في ايمانه ويكون منافقا في الايمان كما كان منافقا في الايمان بل ربما كان حال هذا الذي تاب بعد معاينة السيف اشد على المسلمين من حاله قبل التوبة فانه كان في ذلة الكفر والآن فانه قد يشرك المسلمين في ظاهرها العزم ما ظهر من ثقافته وخبثه الذي لم يظهر ما يدل على زواله على ان في تعليل سبه بالزندقة نظرافات السب امر ظاهرا اظهره ولم يظهر منه ما يدل

على استبطانه اياه قبل ذلك ومن الجائز ان يكون قد حدث له ماوجب
الردة نعم ان كان من تكرر ذلك منه اوله دلالات على سوء العقيدة
فهنا الزندقة ظاهرة لكن يقال نحن نقتله للامرين لكونه زنديقا لكونه
سابا كما يقتل الذمي لكونه كافرا غير ذي عهد ولكونه سابا فان الفرق بين
المسلم والذمي في الزندقة لا يمنع اجتماعهما في علة اخرى تقتضي كون السب
موجبا للقتل وان احدث الساب اعتقاد اصحيا بعد ذلك بل قد يقال ان السب
اذا كان موجبا للقتل قتل صاحبه وان كان صحيح الاعتقاد في الباطن في حال سبه
كسبه لله تعالى وكالتذف في ايجابه للجلد وكسب جميع البشر واما الفرق الثاني
الذي مبناه على ان السب يوجب قتل المسلم حد الان مفسدته لا تزول بسقوطه
بتجديد الاسلام بخلاف سب الكافره فمضمونه انما يخص لاهل الذمة في اظهار
السب اذا اظهر وابعده الاسلام وثا ذن لهم ان يشتموا ثم بعد ذلك يسلمون وما هذا
الا بامثاله ان يقال علم الذمي بانه اذا اذني بمسلمة او قطع الطريق اخذ قتل
الا ان يسلم يزعه عن هذه المفاسد الا ان يكون ممن يريد الاسلام واذا
اسلم فالاسلام يجب ما كان قبله ومعلوم ان معنى هذا ان الذمي يحتمل منه
ما يقوله ويفعله من انواع المحاربة والفساد اذا قصد ان يسلم بعده واسلم ومعلوم
ان هذا غير جائز فان الكلمة الواحدة من سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تحتمل باسلام الوف من الكفار ولا ان يظهر دين الله ظهورا يمنع
احدا ان ينطق فيه بطعن احب الى الله ورسوله من ان يدخل فيه اقوام
وهو منتهم مستهان وكثير ممن يسب الانبياء من اهل الذمة قد يكون زنديقا

لا يبالى الى اى دين انتسب فلا يبالى ان يتال فرضه من السب ثم يظهر الاسلام كالمناقى سواء ثم هذا يوجب الطمع منهم فى عرضه فانه مادام العدو يرجوان يستبقى ولو بوجه لم يزع ذلك عن اظهار مقصوده فى وقت ما ثم ان ثبت ذلك عليه ورفع الى السلطان وامر بقتله اظهر الاسلام والا فقد حصل غرضه وكل فساد قصدازالله بالكلية لم يجعل لفاعله سبيل الى استبقائه بعد الاخذ كالزناو السرقة وقطع الطريق فان كان مقصود الشارع من تطهير الدار من ظهور كلمة الكفر والظن فى الدين ابلغ من مقصوده من تطهيرها من وجود هذه القبائح ابتغى ان يكون تحتم عقوبة من فعل ذلك ابلغ من تحتم عقوبة هؤلاء * ووقع هذا الجواب ان تعلم ان ظهور الظن فى الدين من سب الرسول ونحوه فساد عريض وراء مجرد الكفر فلا يكون حصول الاسلام ماحيا لذلك الفساد * واما الفرق الثالث قولهم ان الكافر لم يلتزم تحريم السب * فباطل فانه لافرق بين اظهاره لسب النبى صلى الله عليه وسلم وبين اظهاره لسب احاد من المسلمين وبين سفك دماهم واخذ اموالهم فانه لولا العهد لم يكن فرق عنده يتنا وبين سائر من يخالفه فى دينه من المحاربين ومعلوم انه يستحل ذلك كله منهم ثم انه بالعهد صار ذلك محرما عليه فى دينه من اجل العهد فاذا فعل شيئا من ذلك اقيم عليه حده وان اسلم سواء انتقض عهده بما يفعله او لم ينتقض فتارة يجب عليه الحد مع بقاء العهد كما لو سرق او قذف مسلما وتارة ينتقض عهده ولا حد عليه فيصير بمنزلة المحاربين وتارة يجب عليه الحد وينتقض عهده كما اذا سب الرسول

او زنى بمسلمة او قطع الطريق على المسلمين فهذا يقتل وان اسلم وعقوبة هذا النوع من الجنايات القتل حتما كمعقوبة القاتل في المحاربة من المسلمين جزاءه على ما فعل من الفساد الذى التزم بعقد الايمان ان لا يفعله مع كونه مثل ذلك الفساد موجبا للقتل ونكالا لامثاله عن فعل مثل هذا اذا علموا انه لا يترك صاحبه حتى يقتل فهذا هو الجواب عما ذكر من الحجج للخالف مع ان فيما تقدم من كلامنا ما يغني عن الجواب لمن نيينت له المآخذ والله سبحانه وتعالى اعلم *

فصل

في مواضع التوبة وذلك مبنى على التوبة من سائر الجرائم فنقول لاختلاف علماء ان قاطع الطريق اذا تاب قبل القدرة عليه سقط عنه ما كان حد الله من نحتم القتل والصلب والنفي وقطع الرجل وكذلك قطع اليد عند عامة العلماء الا في وجه لاصحاب الشافعي وقد نص الله على ذلك بقوله الا الذين تابوا من قبل ان يتقدر واعليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ومعنى القدرة عليهم امكان الحد عليهم لثبوته بالبينه او بالاقرار وكونهم في قبضة المسلمين فاذا تابوا قبل ان يؤخذوا سقط ذلك عنهم واما من لم يوجد منه الا مجرد الردة وقد اظهر هافذ لك ايضا تقبل توبته عند العامة الا ما يروى عن الحسن ومن قيل انه وافقه واما القاتل والقاذف فلا اعلم مخالفا ان توبتهم لا تسقط عنهم حق الادمى بمعنى انه اذا اطلب بالقيود وحدث القذف فله ذلك وان كانوا قد تابوا قبل ذلك واما الزاني والسارق والشارب فقد اطلق بعض

فصل في مواضع التوبة المقبولة او غيرها

اصحابنا اذا تاب قبل ان يقام عليه الحد فهل يسقط عنه الحد على روايتين
 اصحهما . انه يسقط عنه الحد بمجرد التوبة ولا يعتبر مع ذلك اصلاح العمل .
 والثانية . لا يسقط ويكون من توبته تطهيره بالحد . وقيد بعضهم اذا تاب
 قبل ثبوت حده عند الامم وليس بين الكلامين خلاف في المعنى فانه
 لا خلاف انه لا يسقط في الموضع الذي لا يسقط حد المحارب بتوبته . وان
 اختلفت عباراتهم هل ذلك لعدم الحكم بصحة التوبة أولا فضاء منقوط
 الحد الى المفسدة . فقال القاضي ابو بلى وغيره وهو من اطلق الروايتين
 التوبة غير محكوم بصحتها بعد قدرة الامام عليه لجواز ان يكون اظهرها
 تقيه من الامام والخوف من عقوبته . قال ولهذا نقول في توبة الزاني
 والسارق والشارب لا يحكم بصحتها بعد علم الامام بمحدهم وثوبته عنده
 وانما يحكم بصحتها قبل ذلك قال وقد ذكره ابو بكر في (الشافي) فقال اذا تاب
 يعني الزاني بعد ان قدر عليه فمن توبته ان يطهر بالرجم او الجلد . واذا تاب
 قبل ان يقدر عليه قبلت توبته فماخذ القاضي ان نفس التوبة المحكوم بصحتها
 مستقط للعد في كل موضع فلم يخرج الى التقييد هو ومن سلك طريقته من
 اصحابه مثل الشريف ابى جعفر و ابى الخطاب وماخذ ابى بكر وغيره الفرق
 بين ما قبل القدرة وبعد هاهنا في الجميع مع صحة التوبة بعد القدرة ويكون
 الحد من تمام التوبة فلماذا قيدوا فلا فرق في الحكم بين القولين والتقييد
 بذلك موجود في كلام الامام احمد نقل عنه ابو الحارث في سارق جاء ثابا
 ومعه السرقة فردها قبل ان يقدر عليه قال لم يقطع وقال قال الشعبي ليس على

تائب قطع وكذلك نقل حنبل ومهنا في السارق اذا جاء الى الامام تائباً
يدرا عنه القطع ✽ ونقل عنه الميموني في الرجل اذا اعترف بالزنا رجع
مرات ثم تاب قبل ان يقام عليه الحد انه تقبل توبته فلا يقام
عليه الحد وذكر قصة ما عزا لوجود مس الحجر فهرب قال النبي صلى الله
عليه وسلم فهلا تركتموه ✽ قال الميموني وناظرته في مجلس آخر ✽ قال اذا
رجع عما قرب به لم يرجع قلت فان تاب قال من توبته ان يطهر بالرجم قال وداريني
وبينه الكلام غير مرة انه اذا رجع لم يقيم عليه وان تاب فمن توبته ان يطهر
بالجلد ✽ قال القاضي والمذهب الصحيح انه يسقط بالتوبة كما نقل ابو الحارث
وحنبل ومهنا فيلخص من هذا انه اذا اظهر التوبة بعد ان ثبت عليه الحد عند
الامام بالبينه لم يسقط عنه الحد ✽ واما ان تاب قبل ان يقدر عليه بان يتوب
قبل اخذه وبعد اقراره الذي له ان يرجع عنه ففيه روايتان ✽ وقد صرح
بذلك غير واحد من ائمة المذهب منهم الشيخ ابو عبد الله بن حامد قال فاما
الزنا فانه لا خلاف انه فيما بينه وبين الله يصح توبته منه ✽ فاما اذا تاب الزاني
وقد رفع الى الامام فقول واحد لا يسقط الحد ✽ فاما ان تاب بحضور
الامام فانه ينظر فان كان باقراره ففيه روايتان وان كان ذلك بينه فقول
واحد لا يسقط لانه اذا قامت للبينه عليه بالزنا فقد وجب القضاء بالبينه والاقرار
بخلاف البينة لانه اذا رجع عن اقراره قبل منه ✽ وقال ✽ في السرقة لا خلاف
ان الحق الذي لله يسقط بالتوبة سواء تاب قبل القطع او بعده ولنا الخلاف
فحين تاب قبل اقامة الحد فان كان ذلك قبل ان يرفع الى الامام سقط الحد

سواء رفع الى الامام او لم يرفع . واما اذا تاب بعد ان رفع الى الامام فلا يسقط
الحد عنه لانه حق يتعلق بالامام فلا يجوز تركه . قال وكذلك المحارب اذا
تاب من حق الله وقد قدمنا ان اذا قلنا يسقط الحد عن غير قطاع الطريق بالتوبة
فانه يكفي مجرد التوبة وهذا هو المشهور من المذهب كما يكفي ذلك في قطاع
الطريق . وفيه وجه ثان انه لا بد من اصلاح العمل مع التوبة وعلى هذا فقد
قبل يعتبر مضي مدة يعتبر بها صدق توبته وصلاح نيته وليست مقدرة
بمدة معلومة لان التوقيت يفترق الى توقيف ويخرج ان يعتبر مضي سنة كما
نص عليه الامام احمد في توبة الداعي الى البدعة انه يتعين فيه مضي سنة
اتباعا لما ربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه في قضية ضبيع بن عسل فانه
تاب عنه . ثم نقاه الى البصرة وامر المسلمين بهجره فلما حال الحول ولم يظهر
منه الا خيرا امر المسلمين بكلامه . وهذه قضية مشهورة بين الصحابة .
. هذه طريقة اكثر اصحابنا وظاهر طريقة ابى بكر انه يفرق بين التوبة قبل
ان يقر بان ينجي تائبا وبين ان يقر ثم يتوب لان احمد رضى الله عنه انما سقط
الحد عن جاء تائبا فاما اذا اقر ثم تاب فقد رجع احمد عن القول بسقوط الحد
وللشافعي ايضا في سقوط سائر الحدود غير حد المحارب بالتوبة قولان اصحهما
انه يسقط لكن حد المحارب يسقط باظهار التوبة قبل القدرة وحد غيره
لا يسقط بالتوبة حتى يقترن بها الاصلاح في زمن يوثق بتوبته وقبل مدة
ذلك سنة . هكذا ذكر العراقيون من اصحابه . وذكر بعض الخراسانيين
ان في توبة المحارب وغيره بعد الظفر قولين اذا اقترن بها الاصلاح

تائب قطع وكذلك نقل حنبل ومهنا في السارق اذا جاء الى الامام تائباً
يدرا عنه القطع ✽ ونقل عنه الميوني في الرجل اذا اعترف بالزنا اربع
مرات ثم تاب قبل ان يقام عليه الحد انه تقبل توبته فلا يقام
عليه الحد وذكر قصة ما عزا لوجود مس الحجر فهرب قال النبي صلى الله
عليه وسلم فهلا تركتموه ✽ قال الميوني وناظرته في مجلس آخر ✽ قال اذا
رجع عما قرب به لم يرجع قلت فان تاب قال من توبته ان يطهر بالرجم قال وداريني
وبينه الكلام غير مرة انه اذا رجع لم يقر عليه وان تاب فمن توبته ان يطهر
بالجلد ✽ قال القاضي والمذهب الصحيح انه يسقط بالتوبة كما نقل ابو الحارث
وحنبل ومهنا فيلخص من هذا انه اذا ظهر التوبة بعد ان ثبت عليه الحد عند
الامام بالبينه لم يسقط عنه الحد ✽ واما ان تاب قبل ان يقدر عليه بان يتوب
قبل اخذه وبعد اقراره الذي له ان يرجع عنه ففيه روايتان ✽ وقد صرح
بذلك غيره واحد من ائمة المذهب منهم الشيخ ابو عبد الله بن حامد قال فاما
الزنا فانه لا خلاف انه فيما بينه وبين الله نصح توبته منه فقام اذا تاب الزاني
وقد رفع الى الامام فقول واحد لا يسقط الحد ✽ فاما ان تاب بحضرة
الامام فانه ينظر فان كان باقراره ففيه روايتان وان كان ذلك بينه فقول
واحد لا يسقط لانه اذا قامت للبينه عليه بالزنا فقد وجب القضاء بالبينه والاقرار
بخلاف البينة لانه اذا رجع عن اقراره قبل منه ✽ وقال ✽ في السرقة لا خلاف
ان الحق الذي لا يسقط بالتوبة سواء تاب قبل القطع او بعده ولنا الخلاف
فحين تاب قبل اقامة الحد فان كان ذلك قبل ان يرفع الى الامام سقط الحد

سواء رفع الى الامام ولم يرفع . واما اذا تاب بعد ان رفع الى الامام فلا يسقط
الحد عنه لانه حق يتعلق بالامام فلا يجوز تركه . قال وكذلك المحارب اذا
تاب من حق الله وقد قدمنا اننا اذا قلنا يسقط الحد عن غير قطاع الطريق بالتوبة
فانه يكفي مجرد التوبة وهذا هو المشهور من المذهب كما يكفي ذلك في قطاع
الطريق وفيه وجه ثان انه لا بد من اصلاح العمل مع التوبة وعلى هذا فقد
قبل يعتبر مضي مدة يعتبر بها صدق توبته وصلاح نيته وليست مقدرة
بمدة معلومة لان التوقيت يفقر الى توقيف ويتخرج ان يعتبر مضي سنة كما
نص عليه الامام احمد في توبة الداعي الى البدعة انه يتعين فيه مضي سنة
اتباعا لما مر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قضية ضبيع بن عسل فانه
تاب عنه . ثم نقاه الى البصرة وامر المسلمين بهجره فلما حال الحول ولم يظهر
منه الا خيرا امر المسلمين بكلامه . وهذه قضية مشهورة بين الصحابة .
هذه طريقة اكثر اصحابنا وظاهر طريقة ابى بكر انه يفرق بين التوبة قبل
ان يقربان ينجي تائبين ان يقر ثم يتوب لان احمد رضي الله عنه انما سقط
الحد عن جاء تائبا فاما اذا اقر ثم تاب فقد رجع احمد عن القول بسقوط الحد
وللشافعي ايضا في سقوط سائر الحدود غير حد المحارب بالتوبة قولان اصحهما
انه يسقط لكن حد المحارب يسقط باظهار التوبة قبل القدرة وحد غيره
لا يسقط بالتوبة حتى يقترن بها الاصلاح في زمن يوثق بتوبته وقبل مدة
ذلك سنة . هكذا ذكر العراقيون من اصحابه . وذكر بعض الخراسانيين
ان في توبة المحارب وغيره بعد الظفر قولين اذا اقرن بها الاصلاح

واستشكلوا ذلك فيما اذا انشأ التوبة حيث اخذ لا قامة الحدفانه لا يؤخر
حتى يصلح العمل ❀ ومذهب ابي حنيفة ومالك انه لا يسقط بالتوبة ❀ وذكر
بعضهم ان ذلك اجماعا وانما هو اجماع في التوبة بعد ثبوت الحد ❀

❀ فصل ❀

اذ تلخص ذلك فمن سب الرسول صلى الله عليه وسلم ورفع الى السلطان
وثبت ذلك عليه بالينة ثم اظهر التوبة لم يسقط عنه الحد عند من يقول
انه يقتل حداسواء تاب قبل اداء البينة او بعد اداء البينة لان هذه توبة
بعد اخذها والقدره عليه فهو كما لو تاب قاطع الطريق والزاني والسارق في
هذه الحال وكذا لو تاب بعد ان اريد رفعه الى السلطان والينة بذلك
ممكنة وهذا لا ريب فيه والذمي في ذلك كالملكي اذا قيل انه يقتل حدا كما
قررناه واما ان اقر بالسب ثم تاب او جاء تائباً عنه فذهب المالكية انه يقتل
ايضاً لانه حدى من الحد ود لا يسقط عندهم بالتوبة قبل القدرة ولا بعدها
ولهم في الزنديق اذا جاء تائباً قولاً لكن قال القاضي عياض مسئلته اقوى
لا يتصور فيها الخلاف لانه حق يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا مته بسببه
لا يسقط بالتوبة كسائر حقوق الآدميين وكذا لك بقول من يرى انه يقتله
حدا كما يقوله الجمهور ويرى ان التوبة لا تسقط الحد بجمال كاحد قولي الشافعي
واحدى الروايتين عن احمد واما على المشهور في المذهبين من ان التوبة
قبل القدرة تسقط الحد فقد ذكرنا انما ذلك في حد ود الله فاما حد ود الآدميين
من القود وحد القذف فلا تسقط بالتوبة فعلى هذا لا يسقط القتل عنه وان

تاب قبل القدرة كما لا يسقط القتل قودا عن قاطع الطريق اذا تاب قبل
القدرة لانه حق آدمي ميت فاشبه القود و حد القذف وهذا قول
القاضي ابني يعلى وغيره وهو مبني على ان قتله حق لآدمي وانه لم يعف عنه
ولا يسقط الا بالعفو وهو قول من يفرق بين من سب الله ومن سب
رسوله واما من سوى بين من سب الله ومن سب رسوله وقال ان الحدود
تسقط بالتوبة قبل القدرة فانه يسقط القتل هنا لانه حد من الحدود الواجبة
لله تعالى تاب صاحبه قبل القدرة عليه وهذا موجب قول من قال ان توبته تنفعه
فيما بينه وبين الله ويسقط عنه حق الرسول في الآخرة وبه صرح
غير واحد من اصحابنا وغيرهم لان التوبة المسقطه لحق الله وحق العبد
وجدت قبل اخذه لاقامة الحد عليه وذلك ان هذا الحد ليس له عاف
عنه فان لم تكن التوبة مسقطه له لزم ان يكون من الحد ود مالا تسقطه
توبة قبل القدرة ولا عفوه ليس لهذا نظير نعم لو كان الرسول صلى الله عليه
وسلم حيا لتوجه ان يقال لا يسقط الحد الا عفوه بكل حال واما ان اخذ
وثبت السب باقراره ثم تاب او جاء فاقرب بالسب غير مظهر للتوبة ثم تاب
فذلك مبني على جواز رجوعه عن هذا الاقرار فاذا لم يقبل رجوعه اقيم
عليه الحد بلا تردد وان قبل رجوعه واسقط الحد عمن جاء تائبا فني
سقوطه عن هذا الوجه ان المتقدمان وان اقيم الحد على من جاء تائبا فعلى
هذا اولي والقول في الذمي اذا جاء مسلما معترفا او اسلم بعد اقراره كذلك
فهذا ما يتعلق بالتوبة من السب ذكرناه احضرنا ذكره كما يسره الله

المسئلة الرابعة في بيان السب المذكور والفرق بينه وبين مجرد الكفر واستحلاله

سبحانه وتعالى وقد حان ان نذكر المسئلة الرابعة فنقول .
 المسئلة الرابعة في بيان السب المذكور والفرق بينه وبين مجرد الكفر .
 وقبل ذلك لابد من تقديم مقدمة وقد كان بليق ان نذكر في اول المسئلة
 الاولى و ذكرها هنا مناسب ايضا لينكشف سر المسئلة وذلك ان نقول
 ان سب الله اوسب رسوله كفر ظاهر او باطنا سواء كان الساب يعتقد
 ان ذلك محرم او كان مستحلاله او كان ذاهلا عن اعتقاده . هذا مذهب
 الفقهاء وسائر اهل السنة انقائلين بان الايمان قول وعمل . وقد قال
 الامام ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم الجعفي المعروف بابن راهويه
 وهو احد الائمة يعدل بالشافعي واحمد قد اجمع المسلمون ان من سب الله
 او سب رسوله صلى الله عليه وسلم او دفع شيئا مما انزل الله او قتل نبيا من
 انبياء الله انه كافر ذلك وان كان مقرا بما انزل الله وكذلك قال محمد بن
 سحنون وهو احد الائمة من اصحاب مالك وزمنه قريب من هذه الطبقة
 اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتقص له كافر والوعيد جار عليه
 بعد اب الله وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر
 وقد نص على مثل هذا غير واحد من الائمة قال احمد في رواية عبد الله
 في رجل قال لرجل يا ابن كذا وكذا اغني انت ومن خلقتك هذا مرتد
 عن الاسلام نضرب عنقه . وقال في رواية عبد الله وابي طالب من شتم النبي
 صلى الله عليه وسلم قتل وذلك انه اذا شتم فقد ارتد عن الاسلام ولا
 يشتم مسلم النبي صلى الله عليه وسلم فبين ان هذا مرتد وان المسلم لا يتصور

ان يشتم وهو مسلم وكذلك نقل عن الشافعي انه مثل عمن هزل بشي من آيات الله تعالى انه قال هو كفر واستدل بقول الله تعالى ابا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم . وكذلك قال اصحابنا وغيرهم من سب الله كفر سواء كان مازحا او جادا لهذه الآية وهذا هو الصواب المقطوع به . وقال القاضي ابو يعلى في المعتمد من سب الله او سب رسوله فانه يكفر سواء استحل سبه او لم يستحل فان قال لم يستحل ذلك لم يقبل منه في ظاهر الحكم رواية واحدة . وكان مرتدا لان الظاهر خلاف ما اخبر لانه لا غرض له في سب الله وسب رسوله الا انه غير معتقد لعبادته غير مصدق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويفارق الشارب والقاتل والسارق اذا قال انا غير مستحل لذلك انه يصدق في حكمه لان له غرض في فعل هذه الاشياء مع اعتقاد تحريمها وهو ما ينجل عن اللذة قلل واذا حكمنا بكفره فانما نحكم به في ظاهر من الحكم فاما في الباطن فان كل من صاد قافيا قال فهو مسلم . قلنا . في الزنديق لا تقبل توبته في ظاهر الحكم . وذكر القاضي عن الفقهاء ان سب النبي صلى الله عليه وسلم ان كان مستحلا كفر وان لم يكن مستحلا فسق ولم يكفر كسب الصحابة وهذا نظير ما يحكى ان بعض الفقهاء من اهل العراق افتى هارون امير المؤمنين فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلد . حتى انكر ذلك مالك ورد هذه الفتيا مالك وهو نظير ما حكاه ابو محمد بن حزم ان بعض الناس لم يكفر المستخف به . وقد ذكر القاضي عياض بعد ان رد هذه الحكاية عن بعض فقهاء العراق والخلاف الذي ذكره ابن

✽ الزنديق ✽

حزم بما نقله من الاجماع عن غير واحد وحمل الحكاية على ان او لئلك لم يكونوا
 ممن هو ثبوت بفتواه ليل الهوى به او ان الفتوى كانت في كلمة اختلف في كونها
 سبا او كانت فيمن تاب و ذكر ان الساب اذا اقر بالسب و لم يتب منه قتل كفرا
 لان قوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او هو من كلمات الاستهزاء او الذم
 فاعترافه بها وترك توبته منها دليل على استحلاله لذلك وهو كفر ايضا قال
 فهذا كفر بلا خلاف و قال في موضع آخر ان من قتله بلا استتابة فهو
 لم يره ردة وانما هو جب القتل فيه حد او انما نقول ذلك مع انكاره ما شهد عليه
 به او اظهره الا قلاع عنه والتوبة و تقتله حدا كالزندق اذا تاب قال ونجس
 وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا يقطع عليه بذلك لاقراءه بالتوحيد
 وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه ذهولا ومعضية وانه
 مقام عن ذلك نادى عليه قال وامان علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
 في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كالكذب به او تكفيره
 ونحوه فهذا امالا اشكال فيه وكذا لك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد
 به وصم عليه فهو كافر بقوله واستحلاله منك حرمة الله او حرمة نبيه وهذا
 ايضا تثبت منه بان السب يكفر به لاجل استحلاله لانه اذا لم يكن في نفسه تكذبا
 صريحا وهذا موضع لا بد من تحريره ويجب ان يعلم ان القول بان كفر الساب
 في نفس الامر انما هو لاستحلاله السب زلة منكورة وهفوة عظيمة و برحم الله
 القاضي ابا بلي قد ذكر في غير موضع ما يناقض ما قاله هنا وانما وقع من وقع
 في هذه المهواة بما نقلوه من كلام طائفة من متأخري المتكلمين وهم الجمعية

الاناث الذين ذهبوا مذهب الجهمية الاولى في ان الايمان هو مجرد التصديق
الذي في القلب وان لم يقترن به قول اللسان ولم يقتض عملا في القلب
ولافي الجوارح . وصرح القاضي ابو يلى هنا قال عقب ان ذكر ما حكيناه
عنه . وعلى هذا لو قال الكافر انا معتقد بقلبي معرفة الله وتوحيده لكني
لا آتي بالشهادتين كما لا آتي غيرهما من العبادات كسلا لم يحكم باسلامه في
الظاهر ويحكم به باطنا . قال هو قول الامام احمد من قال ان المعرفة تنفع
في القلب من غير ان يتلفظ بها فهو جهمي . محمول على احد وجهين
احدهما . انه جهمي في ظاهر الحكم . والثاني . على انه يمتنع من الشهادتين
عناد الا انه احتج احمد في ذلك بان ابليس عرف ربه بقلبه ولم يكن مؤمنا
ومعلوم ان ابليس اعتقد انه لا يلزم امثال امره تعالى لا دم . وقد ذكر
القاضي في غير موضع انه لا يكون مؤمنا حتى يصدق بلسانه مع القدرة
وبقلبه وان الايمان قول وعمل كما هو مذهب الائمة كلهم مالك وسفيان
والاوزاعي والليث والشافعي واحمد واسحاق ومن قبلهم وبعدهم من اعيان
الامة وليس الغرض هنا استيفاء الكلام في الاصل وانما الغرض البيّن على
ما يختص هذه المسئلة وذلك من وجوه (احدها) ان الحكاية المذكورة
عن الفقهاء انه ان كان مستحلا كفر والا فلا ليس لها اصل وانما نقلها القاضي
من كتاب بعض المتكلمين الذين نقلوها عن الفقهاء وهو لا نقلوا قول
الفقهاء بما ظنوه جارا على اصولهم او بما قد سمعوه من بعض المتسبين الى
الفقه ممن لا يعد قوله قولاً وقد حكينا نصوص ائمة الفقهاء وحكاية اجماعهم

ممن هو من اعلم الناس بمذاهبهم فلا يظن ظان ان في المسئلة خلافا يجعل
 المسئلة من مسائل الخلاف والاجتهاد وانما ذلك غلط لا يستطيع احد ان
 يحكي عن واحد من الفقهاء اثمة الفتوى هذا التفصيل البتة (الوجه الثاني)
 ان الكفر اذا كان هو الاستحلال فانما معناه اعتقاد ان السب حلال فانه
 لما اعتقد ان ما حرمه الله تعالى حلال كفر ولا ريب ان من اعتقد في المحرمات
 المعلوم تحريمها انها حلال كفر لكن لا فرق في ذلك بين سب النبي وبين
 قذف المؤمنين والكذب عليهم والغيبة لهم الى غير ذلك من الاقوال
 التي علم ان الله حرمها فانه من فعل شيئا من ذلك مستحلا كفر مع انه
 لا يجوز ان يقال من قذف مسلما او اغتابه كفر ويعني بذلك اذا استعمله
 (الوجه الثالث) ان اعتقاد حل السب كفر سواء اقترن به وجود السب او
 لم يقترن فاذا لا اثر للسب في التكفير وجودا وعدمه وانما المؤثر هو الاعتقاد وهو
 خلاف ما اجمع عليه العلماء (الوجه الرابع) انه اذا كان المكفر هو اعتقاد
 الحل فليس في السب ما يدل على ان الساب مستحل فيجب ان لا يكفر
 لا سيما اذا قال انا اعتقد ان هذا حرام وانما اقول غيظا وسفها وعشا
 او لعبا كما قال المتأفقون انما كنا نخوض ونلعب وكما اذا قال انما قذفت هذا
 وكذبت عليه لعبا وعشا فان قيل لا يكونون كفارا فهو خلاف
 نص القرآن وان قيل يكونون كفارا فهو تكفير بغير موجب اذا
 لم يجعل تقس السب مكفرا وقول القائل انا لا اصدق في هذا الاستقيم فان
 التكفير لا يكون بامر محتمل فاذا كان قد قال انا اعتقد ان ذلك ذنب

ومعصية وانما فعله فكيف يكفر ان لم يكن ذلك. كفر اولهذ اقال
 سبحانه وتعالى لا تعتذروا فقد كفرتم بعد ايمانكم . ولم يقل قد كذبت
 في قولكم انما كننا نخوض ونلعب فلم يكذبهم في هذا المذر كما كذبهم
 في سائر ما ظهره من النذر الذي يوجب براءتهم من الكفر لو كانوا صادقين
 بل بين انهم كفروا بعد ايمانهم بهذا الخوض واللعب واذا تبين ان مذهب
 سلف الامة ومن اتبعهم من الخلف ان هذه المقالة في نفسها كفر استحلها
 صاحبها ولم يستحلها قال ليل على ذلك جميع ما قد مناه في المسئلة الاولى من
 الدليل على كفر الساب مثل قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي وقوله تعالى
 ان الذين يؤذون الله ورسوله وقوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
 وما ذكرناه من الاحاديث والآثار فمما هو ادلة بيينة في ان نفس اذى الله
 ورسوله كفر مع قطع النظر عن اعتقاد التحريم وجوبه وعدمه افلا حاجة
 الى ان نعيد الكلام هنا بل في الحقيقة كعاد على ان الساب كافرا وانه حلال
 الدم لكفره فقد دل على هذه المسئلة اذ لو كان الكفر المبيع هو اعتقاد ان
 السب حلال لم يميز تكفيره وقلة حتى يظهر هذا الاعتقاد ظهورا تثبت بمثله
 الاعتقادات المبيحة للدماء . ومنشأ هذه الشبهة التي اوجبت هذا الوهم من
 المشككين ومن حذا حذوهم من الفقهاء انهم رأوا ان الايمان هو تصديق
 الرسول فيما اخبر به ورأوا ان اعتقاد صدقه لا ينافي السب والشتم
 بالذات كما ان اعتقاد ايجاب طاعته لا ينافي معصيته فان الانسان قد يهين
 من يعتقد وجوب اكرامه كما يترك ما يعتقد وجوب فعله ويفعل ما يعتقد

الانسان
على الله عليه وسلم لازم الايمان

وجوب تركه ثم رأوا ان الامة قد كفرت الساب فقالوا انما كفروا لان
سبه دليل على انه لم يعتقد انه حرام واعتقاد حله تكذيب للرسول فكفر
بهذا التكذيب لا بتلك الالهاته وانما الالهاته دليل على التكذيب فاذا
فرض انه في نفس الامر ليس بمكذب كان في نفس الامر مؤمنا وان
كان حكم الظاهر انما يجري عليه بما اظهره فهذا ماخذ المرجئة ومعتضد بهم
وهم الذين يقولون الايمان هو الاعتقاد والقول وغلاتهم وهم الكرامية
الذين يقولون مجرد القول وان عرى عن الاعتقاد واما الجهمية الذين
يقولون هو مجرد المعرفة والتصديق بالقلب فقط وان لم يتكلم بلسانه
فلهما ماخذ آخر وهو انه قد يقول بلسانه ما ليس في قلبه فاذا كان في قلبه
التعظيم والتوفير للرسول لم يقدح اظهار خلاف ذلك بلسانه في الباطن
كما لا ينفع المنافق اظهار خلاف ما في قلبه في الباطن * وجواب الشبهة
الاولى من وجوه (احدها) ان الايمان وان كان اصله تصديق القلب
فذلك التصديق لا بد ان يوجب حالا في القلب وعملا له وهو تعظيم
الرسول واجلاله ومحبته وذلك امر لازم كالنالم والنعيم عند الاحساس
بالمولم والمنعم كالنفرة والشهوة عند الشعور بالملائم والمنافي فاذا لم تحصل
هذه الحال والعمل في القلب لم ينفع ذلك التصديق ولم يغن شيئا
وانما يمنع حصوله اذا عارضه معارض من حسد الرسول والتكبر عليه
او الاهمال له واعتراض القلب عنه ونحو ذلك كما ان ادراك الملائم والمنافي
يوجب اللذوق والامان ان يعارضه معارض ومثي حصل المعارض كان وجود

ذلك التصديق كعدمه كما يكون وجود ذلك كعدمه بل يكون ذلك
 المعارض موجبا لعدم المتلول الذي هو حال في القلب وتوسط عدمه
 بزول التصديق الذي هو العلة فينقلع الايمان بالكلية من القلب وهذا هو
 الموجب لكفر من حسد الانبياء او تكبر عليهم او كره فراق الالف والعادة
 مع علمه بانهم صادقون وكفرهم اغلظ من كفر الجهال . الثاني . ان الايمان
 وان كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق وانما هو الاقرار والطمانية
 وذلك لان التصديق انما يعرض للخبر فقط فاما الامر فليس فيه تصديق من
 حيث هو امر وكلام الله خبر و امر فالخبر يستوجب تصديق الخبر والامر
 يستوجب الانقياد له والاستسلام وهو عمل في القلب جماعه الخضوع
 والانقياد للامر وان لم يفعل المأمور به فاذا قوبل الخبر بالتصديق والامر
 بالانقياد فقد حصل اصل الايمان في القلب وهو الطمانية والاقرار فان اشتقاقه
 من الامن الذي هو الاقرار والطمانية وذلك انما يحصل اذا استقر في القلب
 التصديق والانقياد واذا كان كذلك فالسبب اهانة واستخفاف والانقياد للامر
 اكرام واعزاز ومحال ان يهين القلب من قد انقاد له وخضع واستسلم او
 يستخف به فاذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع ان يكون فيه
 انقياد واستسلام فلا يكون فيه ايمان وهذا هو بعينه كفر ابليس فانه سمع
 امر الله فلم يكذب رسولا ولكن لم ينقد للامر ولم يخضع له واستكبر عن
 الطاعة فصار كافرا وهذا موضع زاع فيه خلق من الخلف تخيل لهم ان
 الايمان ليس في الاصل الا التصديق ثم يرون مثل ابليس وفرعون ممن لم يصدر

الاستخفاف من
 الخلق

عنه تكذيب او صد ر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من اغلظ الكفر
 فتحبرون ولو انهم هدوا لما هدى اليه السلف الصالح العلما ان الايمان قول وعمل
 اعني في الاصل قولاً في القلب وعمل في القلب فان الايمان بحسب كلام الله ورسالة
 وكلام الله ورسالة يتضمن اخباره واوامره فيصدق القلب اخباره تصديقاً يوجب
 حالاً في القلب بحسب المصدق به والتصديق هو من نوع العلم والقول وينقاد لامره
 ويستسلم وهذا الاتقياد والاستسلام هو من نوع الارادة والعمل ولا يكون
 موافقاً الا بمجموع الامرين فمتى ترك الاتقياد كان مستكبراً فصار من الكافرين
 وان كان مصداقاً للكفر اعم من التكذيب يكون تكذيباً وجهلاً ويكون
 استكباراً وظلماً لهذا لم يوصف ابليس الا بالكفر والاستكبار دون التكذيب
 ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر ابليس وكان
 كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالاً وهو الجهل . الا ترى ان نفراً من
 اليهود جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن اشياء فاخبرهم فقالوا
 شهد انك نبي ولم يتبعوه وكذلك هرقل وغيره فلم ينفعهم هذا العلم وهذا
 التصديق الا ترى ان من صدق الرسول بان ما جاء به هو رسالة الله وقد
 تضمنت خبراً وامراً فانه يحتاج الى مقام ثان وهو تصديقه خبر الله واتقياده
 لامر الله فاذا قال اشهد ان لا اله الا الله فهذا الشهادۃ تتضمن تصديق خبره
 والاتقياد لامره واشهد ان محمداً رسول الله تضمنت تصديق الرسول فيما جاء
 به من عند الله فمجموع هذه الشهادات يتم الاقرار فلما كان التصديق لا بد
 منه في كلا الشهادتين وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول ظن من ظن انه

اصل لجميع الايمان وغفل عن ان الاصل الآخر لا بد منه وهو الاتقياد والا
فقد يصدق الرسول ظهروا باطنائكم تمتع من الاتقياد للامر اذ غايته في
تصدق الرسول ان يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه وتعالى
كالبليس وهذا ما بين لك ان الاستهزاء بالله او برسوله ينافي الاتقياد له
لانه قد بلغ عن الله انه امر بطاعته فصار الاتقياد له من تصديقه في خبره فمن
لم يتقده لأمره فهو اما مكذب له او تمتع عن الاتقياد له به وكلاهما كفر صريح
ومن استخف به واستهزأ بقلبه امتنع ان يكون متقاد الامر فان الاتقياد
اجلال لو اكرام والاستخفاف اهانة واذلال وهذا عند ان تمتع حصل في
القلب احدهما اتنى الآخر فعلم ان الاستخفاف والاستهانة به ينافي الايمان
حنافاة الضد للضد (الوجه الثالث) ان العبد اذا فعل الذنب مع اعتقاد ان
الله حرمه عليه واعتقاد اتقياده لله فيما حرمه واوجبه فهذا ليس بكافر فاما
ان اعتقد ان الله لم يحرمه او انه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم
واي ان يذعن لله ويتقاد فهو اما جاحد او معاند ولهذا قالوا من عصي الله
مستكبرا كالبليس كفر بالاتفاق ومن عصي مشتبها لم يكفر عند اهل السنة
والجماعة وانما يكفره الخوارج فان العاصي المستكبر وان كان مصداقاً لله
ربه فان معانده له ومحادته تنا في هذا التصديق ويبيان هذا ان من فعل
المحرم مستحلاً لمافيه كفر بالاتفاق فانه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وكذلك
لو استحلها من غير فعل والاستحلال اعتقاد ان الله لم يحرمها وتارة بعدم
اعتقاد ان الله حرمها وهذا يكون للخلل في الايمان بالربوبية وللخلل في

بين الايمان والاستخفاف منافاة

الايان بالرسالة ويكون جحدا محضا غير مبني على مقدمة وتارة
يعلم ان الله حرمها ويعلم ان الرسول انما حرم ما حرمه الله ثم يتمتع
عن التزام هذا التحريم ويعاند المحرم فهذا اشد كفرا من قبله وقد يكون
هذا مع علمه ان من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه ثم ان هذا
الامتناع والاباء اما للخلل في اعتقاد حكمة الامر وقد رته فيعود هذا الى عدم
التصديق بصفة من صفاته وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به
تمردا او اتباعا لغرض النفس وحقيقته كفر هذا الاله يعترف الله ورسوله
بكل ما اخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك
ويغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشيئته ويقول ان الاقرار بذلك
ولا التزمه وانقض هذا الحق وانقر عنه فهذا نوع غير النوع الاول وتكفير
هذا معلوم بالا اضطرار من دين الاسلام والقرآن مملو من تكفير مثل
هذا النوع بل عقوبته اشد وفي مثله قيل اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم
لم ينفعه الله بعلمه وهو ابليس ومن سلك سبيله وهذا يظهر الفرق بين
الماضي فانه يعتقد وجوب ذلك الفعل عليه ويجب انه يفعله لكن
الشهوة والنفرة منعه من الموافقة فقد اتى من الايمان بالتصديق والخضوع
والانقياد وذلك قول وقول لكن لم يكمل العمل واما اهانة الرجل من
يعتقد وجوب كرامته كالوالدين ونحوهما فلانه لم ين من كان الانقياد له
والا كرام شرط في ايمانه واما اهان من اكرامه شرط في براه وطاعته
ونقواه وجانب الله والرسول انما كفر فيه لانه لا يكون مؤمنا حتى يصدق

تصد يقاقتضى الخضوع والانقياد حيث لم يقضه لم يكن ذلك التصديق
 ايمانا بل كان وجوده شر من عده فان من خلق له حياة وادراك ولم يرزق
 الا العذاب كان فقد تلك الحياة والادراك احب اليه من حياة ليس فيها
 الا الالم واذا كان التصديق ثمرته صلاح حاله وحصول النعم له والمنة في
 الدنيا والآخرة فلم يحصل معه الا فساد حاله والبؤس والالم في الدنيا والآخرة
 كان ان لا يوجد احب اليه من ان يوجد ههنا كلام طويل في تفصيل هذه
 الامور ومن حكم الكتاب والسنة على نفسه قولوا وفلا نور الله قلبه تبين له
 ضلال كثير من الناس ممن يتكلم برأيه في سمادة النفوس بعد الموت
 ويشقوا بها جريا على منهاج الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسل الله به
 رسله ونبذوا الكتاب وراء ظهورهم واتبعوا لما تتلوه الشياطين
 هو اما الشبهة الثانية فخواهم من ثلاثة اوجه احدها ان من تكلم بالنكذيب
 والمجدد سائر انواع الكفر من غير اكرامه على ذلك فانه يجوز ان يكون مع
 ذلك في نفس الامر مؤمنا ومن جوز هذا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
 الثاني ان الذي عليه الجماعة ان من لم يتكلم بالايمان بلسانه من غير عذر
 لم ينفعه ما في قلبه من المعرفة وان القول من القادر عليه شرط في صحة
 الايمان حتى يختلفوا في تكفير من قال ان المعرفة تنفع من غير
 عمل الجوارح وليس هذا موضع تقرير هذا وما ذكره القاضي رحمه الله
 من التاويل لكلام الامام احمد فقد ذكر هو وغيره خلاف ذلك
 في غير موضع وكذلك ما دل عليه كلام القاضي عياض فان ما لكا وسائر

الفقهاء من التابعين ومن بعدهم الا من يتسبب الى بدعة قالوا الايمان قول وعمل وبسط هذا مكان غير هذا الثالث ان من قال ان الايمان مجرد معرفة القلب من غير احتياج الى المنطق باللسان يقول لا يفتقر الايمان في نفس الامر الى القول الذي يوافق به باللسان لا يقول ان القول الذي يتنافى الايمان لا يبطله فان القول قولان قول يوافق تلك المعرفة وقول يخالفها فب ان القول الموافق لا يشترط لكن القول المخالف يتنافى فمن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامدا لماعالما بانها كلمة كفر فانه يكفر بذلك ظاهر او باطنا ولا تانجز ان يقال انه في الباطن يجوز ان يكون مؤمنا ومن قال ذلك فقد هرق من الاسلام قال سبحانه من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا عظيم غضب من الله وله عذاب عظيم ومعلوم انه لم يرد بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط لان ذلك لا يكره الرجل عليه وهو قد استثنى من اكره ولم يرد من قال واعتقد لانه استثنى المكره وهو لا يكره على العقد والقول وانما يكره على القول فقط فلم انه اراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم وانه كافر بذلك الا من اكره وهو مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا من المكرهين فانه كافر ايضا فصار من تكلم بالكفر كافر الا من اكره فقال بلسانه كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وقال تعالى في حق المستهزئين لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فين انهم كفار بالقول مع انهم لم يعتقدوا صحته وهذا باب واسع والفقهاء فيه ما تقدم من

الصديق يوجب المحبة والتعظيم وينبغي اراده فعل فيه استهانة

فصل

في سب النبي صلى الله عليه وسلم

ان التصديق بالقلب يمنع ارادة التكلم و ارادة فعل فيه استهانة واستخفاف كما انه يوجب المحبة والتعظيم واقتضاه وجود هذا وعدم هذا امر جرت به سنة الله في مخلوقاته كاقضاء ادراك الموافق للذة وادراك المخالف للآلام فاذا اعدم المعلول كانت مستلزما لعدم العلة واذا وجد الضد كان مستلزما لعدم الضد الآخر فالكلام والفعل المنضمين للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع ولعدم الاقياد والاستسلام فلذلك كان كفرا واعلم ان الايمان وان قيل هو التصديق فالقلب يصدق بالحق والقول يصدق في القلب والعمل يصدق في القول والتكذيب بالقول مستلزم للتكذيب بالقلب ورافع للتصديق الذي كان في القلب اذا عمل الجوارح يؤثر في القلب كما ان اعمال القلب يؤثر في الجوارح فانما قام به كفر تعدى حكمه الى الآخر والكلام في هذا واسع وانما نبهنا على هذه المقدمة

فصل

ثم نعود الى مقصود المسئلة فنقول قد ثبت ان كل سب وشتم يبيح الدم فهو كفر وان لم يكن كل كفر سباً ونحن نذكر عبارات العلماء في هذه المسئلة قال الامام احمد كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم او تنقصه مسلماً كان او كافراً فعليه القتل وارى ان يقتل ولا يستتاب وقال في موضع آخر كل من ذكر شيئاً يرضى به ذكر الرب سبحانه وتعالى فعليه القتل مسلماً كانت او كافراً وهذا مذهب اهل المدينة وقال اصحابنا التعريض بسب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم ردة وهو موجب للقتل كالنصر

ولا يختلف اصحابنا ان قذف ام النبي صلى الله عليه وسلم من جملة سببه
الموجب للقتل واغلاظ لان ذلك يفضي الى القذف في نسبه وفي عبارة
بعضهم اطلاق القول بان من سب ام النبي صلى الله عليه وسلم يقتل
مسلم كان او كافرا وينبغي ان يكون مرادهم بالسب هنا القذف كما صرح
به الجمهور لما فيه من سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال القاضي
عياض جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا
في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به شبهة بشيء على
طريق السب له والازراء عليه او البغض منه والعيب له فهو سائب له
والحكم فيه حكم السائب يقتل ولا تستثن فصلا من فصول هذا الباب عن
هذا المقصد ولا يمتز فيه تصريح كان او تلويحا وكذلك من لعنه او تمنى
مضرة له اودع عليه او نسب اليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم او عيبه
في جهة العززة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او غيره
بشيء مما يجرى من البلاء والحنة عليه او غمضه ببعض العوارض البشرية
الجائزة والمعهود لديه قال وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من
لدن اصحابه هلم جرا وقال ابن القاسم عن مالك من سب النبي صلى الله
عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القاسم او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل
كأنه قد فرض الله توقيره وكذلك قال مالك في رواية المدنين
عنه من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما
كان او كافرا ولا يستتاب وروى ابن وهب عن مالك من قال ان ردا

يقتل من قال ان داه صلى الله عليه وسلم وسخ و اراد به عيبه

النبي صلى الله عليه وسلم و روى برده و سخر و اراد به عيبه قتل * و روى
بعض المالكية اجماع العلماء على ان من د عالى نبي من الانبياء بالويل او بشى من
المكروه انه يقتل بلا استتابة و ذكر القاضى عياض اجوبة جماعة من فقهاء المالكية
المشاهير بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة افتى في كل قضية بعضهم (منها)
رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل
فبيح الوجه والهيئة فقال تريدون تعرفون صفته هذا المار في خلقه و لحينه
(ومنها) رجل قال النبي (صلى الله عليه وسلم) اسود (ومنها) رجل قيل له
لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا ثم قيل له ما تقول
يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقر
قالوا لان ادعاء التأويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتنان وهو غير معزر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجبت اباحة دمه (ومنها)
عشار قال ادواشك الى النبي او قال ان سألته او جهلت فقد سأل النبي وجهل
(ومنها) متفق عليه كان يستخف بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسميه في اثناء مناظرته اليتم
وخن حيدر و يزعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لا كلها واشباه
هذا قال فهذا الباب كله ماعده العلماء سبوا و نقصا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدمهم و متأخرهم وان اختلفوا في سبب حكم قتله وكذلك قال ابو حنيفة
و اصحابه فبين تنقصه او يرى منه او كذبه انه مرتد وكذلك قال اصحاب
الشافعي كل من تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيه استهانة فهو كالسب
الصريح فان الاستهانة بالنبي كره و هل يتعم قتل او يسقط بالتوبة على الوجهين

وقد نص الشافعي على هذا المعنى فقد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على ان التنقص له كفر مبيح للدم وهم في استنباطه على ما تقدم من الخلاف ولا فرق في ذلك بين ان يقصد عيبه لكن المقصود شيء آخر حصل السب تبعاله او لا يقصد شيئا من ذلك بل يهزل ويمزح او يفعل غير ذلك فهذا كله يشترك في هذا الحكم اذا كان القول نفسه سبافان الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت يهوى بهافي النار ابعد مما بين المشرق والمغرب ومن قال ما هو سب وتنقص له فقد آذى الله ورسوله وهو مأخوذ بما هو ذى به الناس من القول الذى هو فى نفسه اذى وان لم يقصد اذاهم الم تسمع الى الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب فقال الله تعالى ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * وهذا مثل من يغضب فيذكر له حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اوحكم من حكمه او يدعى الى سنته فيلعن ويقبح ونحو ذلك وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فاقسم سبحانه بنفسه انهم لا يؤمنون حتى يحكموه ثم لا يجدوا في نفوسهم حرجا من حكمه فمن شاجر غيره في حكم وحرج لذكر رسول الله صلى الله وسلمه حتى افش في منطقته فهو كافر بنص التنزيل ولا يعذر بان مقصوده رد الخصم فان الرجل لا يؤمن حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وحتى يكون الرسول احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين * ومن هذا الباب قول القائل ان هذه لقسم ما ارى بها وجه الله وقول

الاخر اعدل فانك لم تعدل وقول ذلك الانصاري ان كان ابن عمك فان
 هذا كفر محض حيث زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم انما حكم للزيرلانه
 ابن عمه ولذلك انزل الله تعالى هذه الآية واقسم انهم لا يؤمنون حتى
 لا يجدوا في انفسهم حرجا من حكمه وانما عفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم
 كما عفا عن الذي قال ان هذه تقسمه ما يريد بها وجه الله . وعن الذي قال
 اعدل فانك لم تعدل . وقد ذكرنا عن عمر رضى الله عنه انه قتل رجلا
 لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن بموافقة فكيف بمن طعن في
 حكمه . وقد ذكر طائفة من الفقهاء منهم ابن عقيل وبعض اصحاب الشافعي ان هذا
 كان عقوبته التعزير . ثم منهم من قال لم يعزره النبي صلى الله عليه وسلم لان التعزير
 واجب . ومنهم من قال عفا عنه لان الحق له . ومنهم من قال عاقبه بان
 امر الزير ان يسقى ثم يجلس الماء حتى يرجع الى الجد وهذه اقوال ردية
 ولا يستريب من تأمل في ان هذا كان يستحق القتل بعد نص القرآن ان من
 هو بمثل حاله ليس بمؤمن . فان قيل . ففي رواية صحيحة انه كان من اهل بدر
 وفي الصحيحين عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وما يدريك لعل الله
 اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . ولو كان هذا القول
 كفرا للزم ان يغفر الكفر والكفر لا يغفر ولا يقال عن بدرى انه كفر
 فيقال هذه الزيادة ذكرها ابو اليان عن شعيب ولم يذكرها اكثر الرواة
 فيمكن انها وهم كما وقع في حديث كعب وهلال بن امية انها لم يشهدا بدر
 وكذلك لم يذكره ابن اسحاق في روايته عن الزهري لكن الظاهر صحتها

فقول ليس في الحديث ان هذه القصة كانت بعد بد رفلعلها كانت قبل
 بد روسى الرجل بد ربالان عبد الله بن الزبير حدث بالقصة بعد ان صار
 الرجل بد ريافن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم
 الزبير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها التخل
 فقال الانصارى سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل
 الماء الى جارك فغضب الانصارى ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمك
 فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء
 حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله لا في احبس هذه الآية نزلت
 في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم متنق عليه
 وفي رواية للبخارى من حديث عروة قال فاستوعى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قبل ذلك قد اشار على الزبير برأى اراد فيه سعة له وللانصارى فلما احفظ (١)
 الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم وهذا يقوى ان القصة متقدمة
 قبل بد رلان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في سبل مهزوران الا على
 يسقى ثم يجس حتى يبلغ الماء الى الكمينه فلو كانت قصة الزبير بعد هذا
 القضاء لكان قد علم وجه الحكم فيه وهذا القضاء الظاهر انه متقدم من
 حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم لان الحاجة الى الحكم فيه من حين

(١) احفظ بمعنى اغضب وفي مجمع البحار مهزور وادى بنى قريظة وهوراي فزاي ١٢

قدم ولعل قصة الزبير اوجبت هذا القضاء . وايضا فان ههنا الآيات قد ذكر غير واحد ان اولها نزل لما اراد بعض المنافقين ان يحاكم يهوديا الى ابن الاشرف وهذا انما كان قبل بدر لان ابن الاشرف ذهب عقب بدر الى مكة فلما رجع قتل فلم يستقر بعد بدر بالمدينة استقر ارا يتحاكم اليه فيه وابن كانت القصة بعد بدر فان القائل لهذه الكلمة يكون قد تاب واستغفر وقد عفا له النبي صلى الله عليه وسلم عن حقه فغفر له والمضمون لاهل بدر انما هو المغفرة اما بان يستغفروا ان كان الذنب مما لا يغفر الا بالا ستغفارا ولم يكن كذلك واما بدون ان يستغفروا الا ترى ان قد امة بن مظعون وكان بدريا ثاول في خلافة عمر ماتا اول في استحلال الحرم قوله تعالى لبس على الذين آمنوا وعلوم الصالحات جناح خيا طعموا الا يتحتم اجمع رأى عمرو اهل الشورى ان يستتاب هو واصحابه فان اقرروا بالتحريم جلدوا وان لم يقرروا به كفروا ثم انه ثاب وكاد يش لعظم ذنبه في نفسه حتى ارسل اليه عمر رضى الله عنه باول غافر فعلم ان المضمون للبدريين ان خاتمهم حسنة وانهم مغفور لهم وان جاز ان يصد عنهم قبل ذلك ما عسى ان يصد رفان التوبة تجب ما قبلها واذ اثبت ان كل سب نصر بها او تعريضا موجب للقتل فالذى يجب ان يعتنى به الفرق بين السب الذى لا تقبل منه التوبة والكفر الذى تقبل منه التوبة . فنقول . هذا الحكم قد نيط في الكتاب والسنة باسم اذى الله ورسوله وفي بعض الاحاديث ذكر الشتم والسب وكذلك جاء في الفاظ الصحابة والفقهاء

السب ما يعد في العرف سباً

فصل في التفريق بين مجرد كفر النبي وبين سبه

ذكر السب والشتم والاسم اذا لم يكن له حد في اللغة كاسم الارض والسماء
والبحر والشمس والقمر ولا في الشرع كاسم الصلاة والزكاة والحج
والايمان والكفر فانه يرجع في حده الى العرف كالقبض والحرز والبيع
والرهن والتكري ونحوها فيجب ان يرجع في الاذى والسب والشتم الى
العرف فاعده اهل العرف سبوا انتقاصا لوعيا او طعنا ونحو ذلك فهو من
السب وما لم يكن كذلك فهو كفر به فيكون كفرا ليس بسب حكم
صاحبه حكم المرتدان ان كان مظهرا له والا فهو زندقه والمعتبر ان يكون
سبوا اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن سبوا اذى لغيره فعلى هذا
كل ما وقيل لغير النبي صلى الله عليه وسلم اوجب تعزيرا او حدا ابوجه من الوجوه
فانه من باب سب النبي صلى الله عليه وسلم كالقذف واللعن وغيرهما من
الصور التي تقدم التنبيه عليها ولما ما يختص بالقبح في النبوة فان لم ينضم
الاجمرد عدم التصديق بنبوته فهو كفر محض وان كان فيه استخفاف واستهانة
مع عدم التصديق فهو من السب وهنا مسائل اجتهدا في يتروك الفقهاء هل
هي من السب او من الزدة المحضة ثم ما ثبت انه ليس بسب فان استبره
صاحبه فهو زنديق حكمه حكم الزنديق والا فهو مرتد محض واستقصاء
الانواع والفرق بينها ليس هذا لموضعه .

فصل

فاما الذي فيجب التفريق بين مجرد كفره به وبين سبه فان كفره به
لا ينقض العهد ولا يبيح دم المعاهد بالاتفاق لاننا صالحناهم على هذا ولما سبه له فانه

ينقض

ينقض العهد ووجب القتل كما تقدم قال القاضي ابو يعلى عقد الامان يوجب اقرارهم على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لا على شتمهم وسبهم له وقد تقدم ان هذا الفرق ايضا معتبر في المسلم حيث قتلناه بخصوص السب وكونه موجبا للقتل حدامن الحد ود بحيث لا يسقط بالتوبة وان صحت واما حيث قتلناه لد لاله على الزندقه او لجرده كونه مرتد افلا فرق حينئذ بين مجرد الكفر وبين ما يضمنه من الانواع فنقول والآثار عن الصحابة والتابعين والفقهاء مثل مالك واحمد وسائر الفقهاء القائلين بذلك كلها مطلقة في شتم النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او معاهد فانه يقتل ولم يفصلوا بين شتم وشتم ولا بين ان يكرر الشتم اولا يكرره او يظهره اولا يظهره واعنى بقولى لا يظهره ان لا يتكلم به في ملائ من المسلمين والا فالحد لا يقام عليه حتى يشهد مسلمان انها سمعاه يشتمه او حتى يقر بالشتم وكونه يشتمه بحيث يسمعه المسلمون اظهار له اللهم الا ان يفرض انه شتمه في بيته خاليا فسمعه جيرانه المسلمون او من استرق السمع منهم قال مالك واحمد كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم او تنقصه مسلما كان او كافرا فانه يقتل ولا يستتاب فنصاعلى ان الكافر يجب قتله بتنقصه له كما يقتل بشتمه وكما يقتل المسلم بذلك وكذلك اطلق سائر اصحابنا ان سب النبي صلى الله عليه وسلم من الذمى يوجب القتل وذكر القاضي وابن عقيل وغيرهما ان ما يبطل الايمان فانه يبطل الامان اذا اظهره فان الاسلام او كبد من عقد الذمة فاذا كان من الكلام ما يبطل حق الاسلام فان يبطل حق الذمة اولى مع الفرق بينهما من وجه آخر فان المسلم اذا سب

الرسول ذل على سوء اعتقاده . في رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلذلك كفر والذى قد علم ان اعتقاده ذلك واقربنا على اعتقاده .
وانما اخذ عليه كتمه وان لا يظهره فبني تفاوت ما بين الاظهار والاضمار .
قال ابن عقيل فكما اخذ على المسلم ان لا يعتقد ذلك اخذ على الله
ان لا يظهره فاعطاه هذا كاضمار ذلك واضماره لا ضرر على
الاسلام ولا اضرار فيه وفي اظهاره ضرر وازراء على الاسلام ولهذا
ما بطن من الجرائم لا يتبعها في حق المسلم ولو اظهرها فافتنا عليهم حد الله . وطرده
القاضي وابن عقيل هذا القياس في كل ما ينقص الايمان من الكلام مثل
التثنية والتثليث كقول النصارى ان الله ثالث ثلاثة ونحو ذلك ان الذي
متى اظهر ما يعلمه من دينه من الشرك نقض العهد كما انه ان اظهر ما يعلمه بقوله
في نبينا صلى الله عليه وسلم نقض العهد قال القاضي وقد نص احمد على ذلك فقال
في رواية حنبل كل من ذكر شيئا يعرض به الرب فعليه القتل مسلما كان كافرا
وهذا مذهب اهل المدينة . وقال جعفر بن محمد سمعت ابا عبد الله يسأل
عن يهودى مر بموذن وهو يوذن فقال له كذبت فقال يقتل لانه شتم
فقد نص على قتل من كذب الموذن في كلمات الاذان وهي قول الله اكبر
او اشهد ان لا اله الا الله او اشهد ان محمدا رسول الله وقد ذكرها الحلال والقاضي
في سب الله بناء على انه كذب به فيما يتعلق بذكر الرب سبحانه والاشبه انه
عام في تكذيبه فيما يتعلق بذكر الرب وذكر الرسول بل هو في هذا الاولى
لان اليهودى لا يكذب من قال لا اله الا الله ولا من قال الله اكبر وانما

يكذب من قال ان محمدا رسول الله وهذا قول جمهور المالكين قالوا انه يقتل
بكل سب سواء كانوا يستحلونه او لا يستحلونه لانهم وان استحلوه فانالم نعظمهم
العهد على اظهاره وكما لا يحسن الاسلام من سبه كذ لك لا تحسن منه الذمة
وهو قول ابي مصعب وطائفة من المدنيين • قال ابو مصعب في نصراني قال
والذي اصطفى عيسى على محمد اختلف العلماء فيه فضر به حتى قتله او عاش
يوما و ليلة و امرت من جرير جلده و طرح على من بلة فاكلته الكلاب
• وقال ابو مصعب في نصراني قال عيسى خلق محمد ا قال يقتل و ا فتى
سلف الاندلسيين يقتل نصرانية استهلت بنفى الربوية و بنوة عيسى لله
وقال ابن القاسم فيمن سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه
قرآن و انما هو شئ يقول و نحو هذا فيقتل و ان قال ان محمدا لم يرسل
اليان و انما ارسل اليكم و انما بينا موسى او عيسى و نحو هذا لاشئ عليهم لان الله
اقرهم على مثله • قال ابن القاسم و اذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما
دينكم دين الحمير و نحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهدان محمدا
رسول الله فقال كذ لك يعظكم الله في هذا الادب الموجه والسجن الطويل
و هذا قول محمد بن سحنون و ذكره عن أبيه و لم قول آخر فيما اذا سبه
بالوجه الذي به كفروا انه لا يقتل • قال سحنون عن ابن القاسم من شتم
الانبياء من اليهود و النصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا
ان يسلم • و قال سحنون في اليهودي يقول للمؤذن اذا شهد كذبت بعاقب
العقوبة الموجهة مع السجن الطويل • و قد تقدم نص الامام احمد في مثل

هذه الصورة على القتل لانه شتم • وكذلك اختلف اصحاب الشافعي في السب الذي ينتقض به عهد الذمي ويقتل به اذا قلنا بذلك على وجهين • احدهما • ينتقض بمطلق السب لبيناو القدح في ديننا اذا اظهروه وان كانوا يعتقدون ذلك ديناً وهذا قول اكثرهم • والثاني • انهم ان ذكروه بما يعتقدونه فيه ديناً من انه ليس برسول والقرآن ليس بكلام الله فهو كاظهارهم قولهم في المسيح ومعتقدهم في التثليث قالوا وهذا لا ينتقض العهد بلائرد بل يعزرون على اظهاره • واما ما ذكروه بالا يعتقدونه ديناً كالطعن في نسبه فهو الذي قيل فيه ينتقض العهد وهذا اختبار الصيد لا في وابي المعالي وغيرهما • وحجة من فرق بين ما يعتقدونه فيه ديناً وما لا يعتقدونه كما اختاروه بعض المالكية وبعض الشافعية انهم قد اقرؤا على دينهم الذي يعتقدونه لكن منعوا من اظهاره فاذا اظهروه كان كما لو اظهروا سائر المناكير التي هي من دينهم كالخمر والخنزير والصليب ورفع الصوت بكتابهم ونحو ذلك وهذا انما يستحقون عليه العقوبة والنكال بمادون القتل • يؤيد ذلك ان اظهار معتقدهم في الرسول ليس باعظم من اظهار معتقدهم في الله وقد علم هو • لاه ان اظهار معتقدهم لا يوجب القتل واستبعدوا ان ينتقض عهدهم باظهار معتقدهم اذ لم يكن مذكورا في الشرط وهذا بخلاف ما اذا سبوه بما لا يعتقدونه ديناً فانهم نقرهم على ذلك ظاهراً ولا باطناً وليس هو من دينهم فصار بمنزلة الزنا والسرقة وقطع الطريق وهذا القول مقارب لقول الكوفيين وقد ظن من سلكه انه خاص بذلك من سوء الحظ وليس الامر كما اعتقده

فان الادلة التي ذكرناها من الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار كلها تدل على السب بما يعتقد فيه ديناً وما لا يعتقد فيه ديناً وان مطلق السب موجب للقتل ومن تأمل كل دليل بانفراده لم يخف عليه انها جميعاً تدل على السب المعتقد ديناً كما تدل على السب الذي لا يعتقد ديناً ومنها ما هو نص في السب الذي يعتقد ديناً بل اكثرها كذلك فان الذين كانوا يهجونه من الكفار الذين اهدروا دماءهم لم يكونوا يهجونه الا بما يعتقدونه ديناً مثل نسبته الى الكذب والسحر واذم دينه ومن اتبعه وتغير الناس عنه الى غير ذلك من الامور فاما الطعن في نسبه او خلقه او خلقه او امانه او وفائه او صدقه في غير دعوى الرسالة فلم يكن احد يتعرض لذلك في غالب الامور ولا يتمكن من ذلك ولا يصدق احد في ذلك لا مسلم ولا كافراً لظهور كذبه وقد تقدم ذلك فلا حاجة الى اعادته ثم نقول هنا الفرق متناهية من وجوه (احدها) ان الذي لو اظهر لعنة الرسول او تقيحه او الداء عليه بالسخط وجهنم والعذاب ونحو ذلك فان قيل ليس من السب الذي ينتقض العهد كان هذا قولاً مردوداً سبحانه من لعن شخصاً وفيه لم يبق من سبه غاية وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن المؤمن من قتله ومعلوم ان هذا اشد من الطعن في خلقه وامانه او وفائه وان قيل هو سب له فقد علم ان من الكفار من يعتقد ذلك ديناً ويرى انه من قربانه كتقرب المسلم بلعن مسيلة والاسود العنسي (الوجه الثاني) انه على القول بالفرق المذكور اذا سبه

بيان الطعن في نسبه او خلقه او خلقه او امانته او وفائه او صدقه صلى الله عليه وسلم

بما لا يعتقد . دينا مثل الطعن في نسبه او خلقه او خلقه ونحو ذلك فمن اين
ينتقض عهده ويحل دمه ومعلوم انه قد اقر على ما هو اعظم من ذلك من
الطعن في دينه الذي هو اعظم من الطعن في نسبه ومن الكفر بربه الذي
هو اعظم الذنوب . ومن سب الله بقوله ان له صاحبة وولدا وانه ثالث
ثلاثة فانه لا ضرر يلحق الامة في دينها باظهار ما لا يعتقد صحته من السب الا و يلحقهم
باظهار ما كفر به اعظم من ذلك فاذا اقر على اعظم السبين ضررا فاقرار
على اذناها ضررا اولى . نعم ينهما من الفرق انه اذا طعن في نسبه او خلقه
فانه يقر لتبانه كاذب او اهل دينه يعتقدون انه كاذب آثم بخلاف السب
الذي يعتقد دينا فانه و اهل دينه متفقون على انه ليس بكاذب فيه ولا آثم
فيعود الامر الى انه قال كلمة آثم بها عند هم وعندنا لكن في حق من لا حرمة له
عنده بل مثاله عنده ان يقذف الرجل مسيلة او العنسي او يتسبه الى انه كان
اسود او انه كان دعيا او كان يسرق او كان قومه يستخفون به ونحو ذلك
من الواقعة في عرضه بغير حق ومعلوم ان هذا لا يوجب القتل ولا يوجب
الجلد ايضا فان العرض يتبع الدم فمن لم يعصم دمه لم يعصن عرضه فلو لم يجب
قتل الذمي اذا سب الرسول لكونه قد قدح في ديننا لم يجب قتله بشئ من
السب ايضا فان خطب ذلك يسير . يبين ذلك ان المسلم انما قتل اذا
سبه بالقذف ونحوه لان القدح في نسبه قدح في نبوته فاذا كنا باظهار
القدح في النبوة لاقتل الذمي فان لا نقسله باظهار القدح مما يقدر
في النبوة اولى اذا لو سائل اضعف من المقاصد وهذا البحث اذا حقق اضطر

المنازع الى احد الامرين امامو افقة من قال من اهل للرأى ان العهد لا ينقض
من السب و امامو افقة الله هافى ان العهد ينتقض بكل سب و اما الفرق بين
سبوسبى انتقاض العهد واستحلال الدم فمتهافت ثم انه اذا فرق لم يمكنه
ايجاب القتل و لا ينقض العهد بذلك اصلا و من ادعى وجوب القتل بذلك
وحده لم يمكنه ان يقيم عليه دليله الثالث هاناذا لم نقلهم باظهار ما يعتقدونه
د ينالم يمكنان نقلهم باظهار شىء من السب فانه ما من احد منهم يظهر شيئا
من ذلك الا و يمكنه ان يقول انى معتقد لذلك متدين به و ان كان ظننا
فى النسب كما يد بنون بالقدح فى عيسى و امه عليهما السلام و يقولون على
مرىم بهتان اعظميا ثم انهم فيما بينهم قد يختلفون فى اشياء من انواع السب هل
هى صحيحة عند هم او باطلة و هم قوم بهت ضالون فلا يشاؤون ان يأتوا بهتان
و نوع من الضلال الذى لا راد للقلوب منه ثم يقولون هو معتقدا الا فطوه
فحينئذ لا يقتلون حتى يثبت انهم لا يعتقدونه دينا و هذا القدر هو محل
اختلاف و بعضه لا يعلم الا من جهنهم و قول بعضهم فى بعض غير مقبول
و نحن و ان كنا نعرف اكثر عقائد هم فالتخفى صدورهم اكبر و تجد الكفر
و البدع منهم غير مستكر فهذا الفرق مفضاة الى حتم القتل بسب الرسول
و هو لعمري قول اهل الرأى و مستند هم ما ابداهم و لا و قد قد منا الجواب
عن ذلك و بينا اننا انما قررناهم على اخفاء دينهم لا على اظهار باطل قولهم و المجاهرة
بالظن فى ديننا و ان كانوا يستحلون ذلك فان المعاهدة على تركه صيرته
حراما فى دينهم كالمعاهدة على الكف عن دمانا و اموا لنا و بينا ان المجاهرة

بكلمة الكفر في دار الاسلام كالمجاهرة بضرب السيف بل اشد على ان الكفر
اعم من السب فقد يكون الرجل كافرا ولا يسب وهذا هو سر المسئلة فلا بد من
بسطه . فنقول التكلم في تمثيل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرك
صفته ذلك مما ينقل على القلب واللسان ونحن نعاظم ان تنفوه بذلك ذاكرين
لكن للاحتياج الى الكلام في حكم ذلك نحن نفرض الكلام في انواع السب
مطلقا من غير تعيين والفقيه باخذ حظه من ذلك . فنقول السب نوعان .
دعاء وخبر . اما الدعاء فمثل ان يقول القائل لغيره لعنه الله او قبحه الله
او اخزاه الله او لا رحمه الله او لا رضى الله عنه او قطع الله دابره فهذا
وامثاله سب للانبيا والغيرهم وكذلك لو قال عن نبي لا صلى الله عليه
او لا سلم او لا رفع الله ذكره او محال الله اسمه ونحو ذلك من الدعاء عليه بما
فيه ضرر عليه في الدنيا او في الدين او في الآخرة فهذا كله اذا صدر من
مسلم او معاهد فهو سب فاما المسلم فيقتل به بكل حال . واما الذي يقتل
بذلك اذا اظهره فاما ان اظهر الدعاء للنبي واطن الدعاء عليه ابطانا
يعرف من لحن القول يفهمه بعض الناس دون البعض مثل قوله السلام
عليكم اذا اخرجه مخرج التحية واظهر انه يقول السلام فقيه قولان . احدهما
انه من السب الذي يقتل به وانما كان عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن اليهود
الذين حيوه بذلك حال ضعف الاسلام بالبقاء عليه لما كان مامورا بالعفو
عنهم والصبر على اذاهم وهذا قول طائفة من المالكية والشافعية والحنبلية
مثل القاضي عبد الوهاب والقاضي ابي يعلى وابي اسحاق الشيرازي

و ابي الوفاء ابن عقيل وغيرهم ومن ذهب الى ان هذا سب من قال لم يعلم
ان هو لاء كانوا اهل عهده وهذا قول ساقط لا ناقد بينا فيما تقدم ان اليهود
الذين بالمدينة كانوا معاهدين وقال آخرون كان الحق له وله ان يعفو عنهم
فاما بعده فلا عفو والقول الثاني انه ليس من السب الذي ينقض العهد
لانهم لم يظهروا السب ولم يجهروا به وانما اظهروا التهمة والسلام لفظا وحالا
وحذفوا اللام جذفا خفيا فبطن له بعض السامعين وقد لا يفطن له
الا كثرون ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اذا سلموا فانما يقول احدهم
السام عليكم فقولوا وعليكم فجعل هذا شرعا باقيا في حياته وبعد موته حتى صارت
السنة ان يقال للذمي اذا سلم وعليكم او عليكم وكذلك باسم عليهم اليهودي
قال اتدرون ما قل انما قال السام عليكم ولو كان هذا من السب الذي
هو سب لو جب ان يشرع عقوبة اليهودي اذا سمع منه ذلك ولو بالجلد فلما
لم يشرع ذلك علم انه لا يجوز ما اخذتهم بذلك وقد اخبر الله عنهم
بقوله تعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم
لولا هذا بنا الله بما نقول حسبيهم جهنم يصلونها فبئس المصير فجعل عذاب
الآخرة حسبيهم بدل على انه لم يشرع على ذلك عذابا في الدنيا وهذا
لو انهم قد قرروا على ذلك لقالوا انما قلنا السلام وانما السمع يخطى وانتم
تتقون علينا فكانوا في هذا مثل المنافقين الذين يظهرون الاسلام
ويعرفون في لحن القول ويعرفون بسيماهم فانه لا يمكن عقوبتهم باللحن
والسيما فان موجبات العقوبات لا بد ان تكون ظاهرة الظهور الذي يشترك

فيه الناس وهذا القدر وان كان كفرا من المسلم فانما يكون نقضا للعهد اذا
 اظهره الذمى واتبائه به على هذا الوجه غاية ما يكون من الكتمان والاختفاء
 ونحن لا نناقضهم على ما يسيرونه ويخفونه من السب وغيره وهذا قول
 جماعات من العلماء من المتقدمين ومن اصحابنا والمالكين وغيرهم . ومن
 اجاز هذا القول ممن زعم ان هذا ادعاء بالسام وهو الموت على اصح القولين
 اودعاء بالسامة وملال الذهن قالوا ان الموت محتوم على الحلقة قالوا وهذا
 تعريض بالاذى لا بالسب وهذا القول ضعيف فان ادعاء على الرسول
 والمؤمنين بالموت وترك الدين من ابلغ السب كما ان الدعاء بالحياة والعافية
 والصحة والثبات على الدين من ابلغ الكرامة . النوع الثاني . الخبر فكما
 عدّه الناس شتما اوسبا او نقصافا نه يحجب به القتل كما تقدم فان الكفر ليس
 مستلزما للسب وقد يكون الرجل كافرا ليس بساب والناس يعلمون علما عاما
 ان الرجل قد يبغض الرجل ويعتقد فيه العقيدة القبيحة ولا يصبه وقد
 يضره الى ذلك مسبة وان كانت المسبة مطابقة للمعتقد فليس كلما يحتمل عقدا
 يحتمل قولاً ولا ما يحتمل ان يقال سرا يحتمل ان يقال جهرا والكلمة الواحدة
 تكون في حال سب او في حال ليست بسب فعلم ان هذا يختلف باختلاف الاقوال
 والاحوال واذا لم يكن للسب حد معروف في اللغة ولا في الشرع فالمرجع
 فيه الى عرف الناس فما كان في العرف سبا للنبي فهو الذي يجب ان تنزل
 عليه كلام الصحابة والعلماء وما لا فلا ونحن نذكر من ذلك اقساماً فنقول .
 لاشك ان اظهار التنقص والاستهانة عند المسلمين سب كالتسمية باسم

الجار والكلب او وصفه بالمسكنة والحزى والمهانة او الاخبار بانه في العذاب
وان عليه آثام الخلاق ونحو ذلك وكذلك اظهار التكذيب على وجه
الطعن في المكذب مثل وصفه بانه ساحر خادع محتمل وانه يضر من اتبعه
وان ما جاء به كله زور وباطل ونحو ذلك فان نظم ذلك شعرا كان
ابلاغ في الشتم فان الشعر يحفظ ويروى وهو الهجاء وربما يؤثر في نفوس
كثيرة مع العلم ببطلانه اكثر من تأثير البراهين فان غني به بين ملائمة
الناس فهو الذي قد تفاقم امره. وامامنا اخبر عن معتقده بغير طعن فيه مثل ان
يقول انما لست متبعه او لست مصدقه او لا احبه او لا ارضي دينه ونحو ذلك
فانما اخبر عن اعتقاده او ارادة لم يتضمن اتقاصالا لعدم التصديق والحب
قد يصدر عن الجهل والعناد والحسد والكبر وتقليد الاسلاف والفتنة الدينية
اكثر مما يصدر عن العلم بصفات النبي خلاف ما اذا قال من كان ومن هو
راى كذا وكذا ونحو ذلك واذا قال لم يكن رسولا ولا نبيا لم ينزل عليه شيء ونحو
ذلك فهو تكذيب صريح وكل تكذيب فقد تضمن نسبته الى الكذب وصفه
بانه كذاب لكن بين قوله ليس بنبي وقوله هو كذاب فرق من حيث ان
هذا انما تضمن التكذيب بواسطة علمنا انه كان يقول اني رسول الله وليس
من نقي عن غيره بعض صفاته تقيا مجردا عن نفاها عنه ناسبا له الكذب
في دعواها والمعني الواحد قد يؤدى بعبارات بعضها يعد سبا وبعضها لا يعد
سبا وقد ذكرنا ان الامام احمد نص على ان من قال للوذن كذبت فهو شاتم
وذلك لان ابتداءه بذلك للوذن معلنا بذلك بحيث يسمعه المسلمون طاعنا

في دينهم مكذب باللامه في تصديقها بالوحدانية والرسالة لا ريب انه شتم • فان قيل •
 في الحديث الصحيح الذي يرويه الرسول عن الله تبارك وتعالى انه
 قال شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما
 شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما تكذيبه اياي فقوله لن يعبدني
 كما بدأني • فقد فرق بين التكذيب والشتم فيقال قوله لن يعبدني كما بدأني
 يفارق قول اليهودي للمؤذن كذبت من وجهين • احدهما انه لم يصرح
 بنسبته الى الكذب ونحن لم نقل ان كل تكذيب شتم اذ لو قيل ذلك لكان
 كل كافر شائما وانما قيل ان الاعلان بمقابلة داعي الحق بقوله كذبت سب للامة
 وشتم لها في اعتقاد النبوة وهو سب للنبوة كما ان الذين هجوا من اتبع النبي صلى الله عليه
 وسلم على اتباعهم اياه كانوا سايين للنبي صلى الله عليه وسلم مثل شعربنت مروان وشعر
 كعب بن زهير وغيرهما • واما قول الكافرن يعيدني كما بدأني فانه نفي لمضمون خبر الله
 بمنزلة سائر انواع الكفر • الثاني • ان الكافر المكذب بالبعث لا يقول ان الله
 اخبرانه سيعيدني ولا يقول ان هذا الكلام تكذيب لله وان كان تكذيبا
 بخلاف القائل للرسول اول من صدق الرسول كذبت فانه مقربان هذا طعن
 على المكذب وعيب له وانتقاص به وهذا ظاهر وكل كلام تقدم ذكره في
 المسئلة الاولى من نظم ونحوه وعده النبي صلى الله عليه وسلم سباحتي رتب
 على قائله حكم الساب فانه سب ايضا وكذا ما كان في معناه وقد تقدم ذكر
 ذلك والكلام على اعيان الكلمات لا ينحصر وان جماع ذلك ان ما يعرف الناس
 انه سب فهو سب وقد يختلف ذلك باختلاف الاحوال والاصطلاحات

والعادات وكيفية الكلام ونحو ذلك وما اشبه فيه الامر الحق بنظيره
وشبهه والله سبحانه اعلم *

فصل

وكل ما كان من الذمي سبا ينقض عهده ويوجب قتله فان ثوبته منه لا تقبل على
ما تقدم هذا هو الذي عليه عامة اهل العلم من اصحابنا وغيرهم * وقد تقدم
عن الشيخ ابي محمد المقدسي رضي الله عنه انه قال ان الذمي اذا سب النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اسلم سقط عنه القتل وانه اذا قذفه ثم اسلم ففي سقوط القتل
عنه روايتان وينبغي ان يبنى كلامه على انه ان سبه بما يعتقده فيه ديناسقط عنه
القتل باسلامه كاللعن والتبجيل ونحوه وان سبه بما لا يعتقده فيه كالقذف
لم يسقط عنه لان ما يعتقده فيه كفر محض سقط حده بالاسلام باطنا فيجب
ان يسقط ظاهرا ايضا لان سقوط الاصل الذي هو الاعتقاد يستتبع سقوط
فروعه واما ما لا يعتقده فهو فرية يعلم هو انها فرية فهي بمنزلة سائر حقوق
الآدميين وان حمل الكلام على ظاهره في انه يستثنى القذف فقط من
بين سائر انواع السب فيمكن ان يوجه بان قذف غيره لما تغلط بان جعل
على صاحبه الحد الموقت وهو ثانون بخلاف غيره من انواع السب فان
عقوبته التعزير المفوض الى اجتهاد ذي السلطان كذا لك يفرق في حقه
بين القذف وغيره فيجعل على قاذفه الحد مطلقا وهو القتل وان اسلم ويديره
عن الساب الحد اذا تاب لكن هذا الفرق ليس بمرضى فان قذفه انما
اوجب القتل ونقض العهد لما قدح في نسبه وكان ذلك قدحا في نبوته

فضل كل ما كان من الذمي سبا ينقض عهده ويوجب قتله *

في دينهم مكذب باللامه في تصديقها بالوحدانية والرسالة لا ريب انه شتم ❦ فان قيل ❦
 ففي الحديث الصحيح الذي يرويه الرسول عن الله تبارك وتعالى انه
 قال شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما
 شتمه اياي فقله اني اتخذت ولدا واما تكذبه اياي فقله لن يعبدني
 كما بدأني ❦ فقد فرق بين التكذيب والشتم فيقال قوله لن يعبدني كما بدأني
 يفارق قول اليهودي للمؤذن كذبت من وجهين ❦ احدهما ❦ انه لم يصرح
 بنسبته الى الكذب ونحن لم نقل ان كل تكذيب شتم اذ لو قيل ذلك لكان
 كل كافر شاتما وانما قيل ان الاعلان بمقابلة داعي الحق بقوله كذبت سب للامة
 وشتم لها في اعتقاد النبوة وهو سب للنبوة كما ان الذين هجوا من اتباع النبي صلى الله عليه
 وسلم على اتباعهم اياه كانوا سابين للنبي صلى الله عليه وسلم مثل شعربنت مروان وشعر
 كعب بن زهير وغيرهما ❦ واما قول الكافر لن يعبدني كما بدأني فانه نفي لمضمون خبر الله
 بمنزلة سائر انواع الكفر ❦ الثاني ❦ ان الكافر المكذب بالبعث لا يقول ان الله
 اخبرانه سيعيدني ولا يقول ان هذا الكلام تكذيب لله وان كان تكذيبا
 بخلاف القائل للرسول اول من صدق الرسول كذبت فانه مقر بان هذا طعن
 على المكذب وعيب له وانتقاص به وهذا ظاهر وكل كلام تقدم ذكره في
 المسئلة الاولى من نظم ونحوه وعده النبي صلى الله عليه وسلم سباحتي رتب
 على قائله حكم الساب فانه سب ايضا وكذا ما كان في معناه وقد تقدم ذكر
 ذلك والكلام على اعيان الكلمات لا ينحصر وان جماع ذلك ان ما يعرف الناس
 انه سب فهو سب وقد يختلف ذلك باختلاف الاحوال والاصطلاحات

والعادات وكيفية الكلام ونحو ذلك وما اشبه فيه الامر الحق بنظيره
وشبهه والله سبحانه اعلم

فصل

وكل ما كان من الذمي سبا ينقض عهده ويوجب قتله فان ثوبته منه لا تقبل على
ما تقدم هذا هو الذي عليه عامة اهل العلم من اصحابنا وغيرهم وقد تقدم
عن الشيخ ابي محمد المقدسي رضي الله عنه انه قال ان الذمي اذا سب النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اسلم سقط عنه القتل وانه اذا قذفه ثم اسلم ففي سقوط القتل
عنه روايتان وينبغي ان يبنى كلامه على انه ان سبه بما يعتقده فيه ديناً سقط عنه
القتل باسلامه كاللعن والتقيح ونحوه وان سبه بما لا يعتقده فيه كالقذف
لم يسقط عنه لان ما يعتقده فيه كفر محض سقط حده بالاسلام باطنا فيجب
ان يسقط ظاهراً ايضاً لان سقوط الاصل الذي هو الاعتراف يستتبع سقوط
فروعه واما ما لا يعتقده فهو فرية يعلم هو انها فرية فهي بمنزلة سائر حقوق
الآدميين وان حمل الكلام على ظاهره في انه يستثنى القذف فقط من
بين سائر انواع السب فيمكن ان يوجه بان قذف غيره لما نغلظ بان جعل
على صاحبه الحد الموقت وهو ثمانون بخلاف غيره من انواع السب فان
عقوبته التعزير المفوض الى اجتهاد ذي السلطان كذلك يفرق في حقه
بين القذف وغيره فيجعل على قاذفه الحد مطلقاً وهو القتل وان اسلم ويده
عن الساب الحد اذا تاب لكن هذا الفرق ليس بمرضى فان قذفه انما
اوجب القتل ونقض العهد لما قدح في نسبه وكان ذلك قد حا في نبوته

فضل كل ما كان من الذمي سبا ينقض عهده ويوجب قتله

وهذا معنى يستوى فيه السب بالقذف وبغيره من انواع الاكاذيب بل قد يوصف من الافعال او الاقوال المنكرة بما يلحق بالوصف شيئا وخصاصة اعظم من هذا وانما فرق في حق غيره بين القذف وغيره لانه لا يمكن تكذيب القاذف به كما يمكن تكذيب غيره فصار العار به اشد * وهنا كلمات السب القادحة في النبوة سواء في العلم بطلانها ظهورا وخفاء فان العلم بكذب القاذف كالعلم بكذب الناسب له الى منكر من القول وزور لا فرق بينهما وبالجملة فالمتصوص عن الامام احمد وعامة اصحابه وسائر اهل العلم انه لا فرق في هذا الباب بين السب بالقذف وغيره بل من قال انه ينقض عهد موثقه قتله لم يفرق بين القذف وغيره ومن قال يسقط عنه القتل باسلامه لم يفرق بين القذف وغيره ومن فرق من الفقهاء بين ما يعتقد وما لا يعتقد فانما فرق في انتقاض العهد لا في سقوط القتل عنه بالاسلام لكن هو يصلح ان يكون معاضد القول الشيخ ابي محمد لانه فرق بين التويعين في الجملة واما الامام احمد وسائر العلماء المتقدمين فانما خلا فهم في السب مطلقا وليس في شيء من كلام الامام احمد رضي الله عنه تعرض للقذف لخصوصه وانما ذكره اصحابه في القذف لانهم تكلموا في احكام القذف مطلقا فذكروا هذا النوع من القذف انه موجب للقتل وانه لا يسقط القتل بالتوبة لنص الامام علي ان السب الذي هو اعم من القذف موجب للقتل لا يستتاب صاحبه * ثم منهم من ذكر المسئلة بلفظ السب كما هي في لفظ احمد وغيره ومنهم من ذكرها بلفظ القذف لان

الباب باب القذف فكان ذكرها بالاسم الخاص اظهر تأثيرا في الفرق بين هذا القذف وغيره ثم علل الجميع وادلتهم نعم انواع السب بل هي في غير القذف انص منها في القذف وانما تدل على القذف بطريق العموم او بطريق القياس والدليل هو ان ما ذكره الجمهور من التسوية كما تقدم ذكره نفيًا واثباتًا ولا حاجة الى الاطّباب هنا فان من سلم ان جميع انواع السب من القذف وغيره ينقض العهد ووجب القتل ثم فرق بين بعضها وبعض في السقوط بالاسلام فقد ابعد جدا لان السب لو كان بمنزلة الكفر عنده لم ينقض العهد ولو جب قتل الذمي واذا لم يكن بمنزلة الكفر فاسلامه امان يسقط الكفر فقط او يسقط الكفر وغيره من الجناية على عرض الرسول فاما اسقاطه لبعض الجنایات دون بعض مع استوائها في مقدار العقوبة فلا يبين له وجه محقق والاحتجاج بان الاسلام يسقط عقوبة من سب الله فاسقاطه عقوبة من سب النبي اولى ان صح فانما يدل على ان الاسلام يسقط عقوبة الساب مطلقا قذفا كان السب او غير قذف ونحن في هذا المقام لا نتكلم الا في التسوية بين انواع السب لا في صحة هذه الحجة وفسادها اذ قد تقدم التنبيه على ضعفها وذلك لان سب النبي ان جعل بمنزلة سب الله مطلقا وقيل بالسقوط في الاصل فيجب ان يقال بالسقوط في الفرع وان جعل بمنزلة سب الخلق او جعل موجبا للقتل حد الله او سوى بين السيين في عدم السقوط ونحو ذلك من المآخذ التي تقدم ذكرها فلا فرق في هذا الباب بين القذف وغيره في السقوط بالاسلام فان الذمي لو قذف مسلما

او ذميا او شتمه بغير القذف ثم اسلم لم يسقط عنه التعزير المستحق بالسب كما لا يسقط الحد المستحق بالقذف فعلم انها سواء في الثبوت والسقوط وانما يختلفان في مقدار العقوبة بالنسبة الى غير النبي اما بالنسبة الى النبي فعقوبتها سواء فلا فرق بينها بالنسبة اليه البته واذ قد ذكرنا حكم الساب للرسول صلى الله عليه وسلم فنردفه بما هو من جنسه مما قد تقدم في الادلة المذكورة باصل حكمه فان ذلك من تمام الكلام في هذه المسئلة على ما لا يخفى ونفصله فصولا

فصل

فيمين سب الله تعالى فان كان مسلما وجب قتله بالاجماع لانه بذلك كافر مرتد واسوأ من الكافر فان الكافر يعظم الرب ويعتقد ان ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له ثم اختلف اصحابنا وغيرهم في قبول توبته بمعنى انه هل يستتاب كالمرتد ويسقط عنه القتل اذا اظهر التوبة من ذلك بعد رفعه الى السلطان وثبوت الحد عليه على قولين احدهما انه بمنزلة ساب الرسول فيه الروايتان في ساب الرسول هذه طريقة ابي الخطاب واكثر من احتذى حذوه من المتأخرين وهو الذي يدل عليه كلام الامام احمد حيث قال كل من ذكر شيئا يعرض بذلك للرب تبارك وتعالى فعليه القتل مسلما كان او كافرا وهذا مذهب اهل المدينة فاطلق وجوب القتل عليه ولم يذكر استتابته وذكر انه قول اهل المدينة ومن وجب عليه القتل يسقط بالتوبة وقول اهل المدينة المشهور انه لا يسقط القتل بتوبته ولو لم يرد هذا لم يخصه باهل المدينة فان الناس

سب الله تعالى

يجمعون على ان من سب الله تعالى من المسلمين يقتل وانما اختلفوا في توبته
 فلما اخذ بقول اهل المدينة في المسلم كما اخذ بقوله في الذمي علم انه قصد
 محل الخلاف باظهار التوبة بعد القدرة عليه كما ذكرناه في ساب الرسول
 واما الرواية الثانية فان عبد الله قال سئل ابي عن رجل قال يا ابن
 كذا او كذا انت ومن خلقك قال ابي هذا امر تدع عن الاسلام . قلت .
 لا بي تضرب عنقه قال نعم تضرب عنقه فجعله من المرتد . والرواية الاولى
 قول الليث بن سعد وقول مالك وروى ابن القاسم عنه قال من سب الله
 تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده
 الى دين دانه و اظهره فيشتاب وان لم يظهره لم يستتب وهذا قول
 ابن القاسم ومطرف وعبد الملك وجاهير المالكية والثاني انه يستتاب
 وتقبل توبته بمنزلة المرتد المحض وهذا قول القاضي ابي يعلى والشريرف
 ابي جعفر و ابي علي بن البناء وابن عقيل مع قوله ان من سب الرسول
 لا يستتاب وهذا قول طائفة من المدنيين منهم محمد بن مسلمة والحزومي
 وابن ابي حازم قالوا لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذا لك اليهودي
 والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة
 وذلك كله كالردة وهو الذي ذكره العراقيون من المالكية وكذلك
 ذكر اصحاب الشافعي رضي الله عنه قالوا سب الله ردة فاذا تاب قبلت
 توبته وفرقوا بينه وبين سب الرسول على احد الوجهين وهذا مذهب الامام
 ابي حنيفة ايضا . واما من استتاب الساب لله ولرسوله فما خذه ان ذلك

من انواع الردة ومن فرق بين سب الله وسب الرسول قالوا سب الله تعالى كفر محض وهو حق لله وتوبة من لم يصد رمنه الا مجرد الكفر الاصلى والطارئ مقبولة مسقط للقتل بالاجماع ويدل على ذلك ان النصارى يسبون الله بقولهم هو ثالث ثلاثة ويقولهم ان له ولدا كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما شتمه اياى فقله ان لى ولدا وانا الاحد الصمد وقال سبحانه لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الى قوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه وهو سبحانه قد علم منه انه يسقط حقه عن التائب فان الرجل لو اتى من الكفر والمعاصى بلاء الارض ثم تاب تاب الله عليه وهو سبحانه لا تلحقه بالسب غضاضة ولا معرة وانما يعود ضرر السب على فائله وحرمة في قلوب العباد اعظم من ان يهتكها جرأة الساب وبهذا يظهر الفرق بينه وبين الرسول فان السب هناك قد تعاقب به حق آدمى والعقوبة الواجبة لآدمى لا تسقط بالتوبة والرسول تلحقه المعرة والغضاضة بالسب فلا يقوم حرمة ولا تثبت في القلوب مكانته الا باصطلام ما به لما ان هجومه وشتمه ينقص من حرمة عند كثير من الناس ويقدر في مكانه في قلوب كثيرة فان لم يحفظ هذا الحى بمقوبة المنتهك والا فاضى الامر الى الفساد وهذا الفرق يتوجه بالنظر الى ان حد سب الرسول حق لآدمى كما يذكره كثير من الاصحاب والنظر الى انه حق لله ايضا فان ما انتهكه من حرمة الله لا يجبر الا باقامة الحد فاشبه الزاني

الفرق بين سب الله تعالى وسب النبي صلى الله عليه وسلم

والسارق والشارب اذا تابوا بعد القدرة عليهم وايضا فان سب الله ليس له داع عقلي في الغالب واكثر ما هو سب في نفس الامر انما يصدر عن اعتقاد وتدوين يراد به التعميم لا السب ولا يقصد الساب حقيقة الا هانة لعلمه ان ذلك لا يؤثر بخلاف سب الرسول فانه في الغالب انما يقصد به الا هانة والاستخفاف والدواعي الى ذلك متوفرة من كل كاف ومناقق فصار من جنس الجرائم التي تدعو اليها الطباع فان حدودها لا تسقط بالتوبة بخلاف الجرائم التي لا داعي اليها وتكنه هذا الفرق ان خصوص سب الله تعالى ليس اليه داع غالب الاوقات فيندرج في عموم الكفر بخلاف سب الرسول فان خصوصه دواعي متوفرة فناسب ان يشرع لخصوصه حد والحد المشروع لخصوصه لا يسقط بالتوبة كسائر الحدود فلما اشتمل سب الرسول على خصائص من جهة توفر الدواعي اليه وحرص اعداء الله عليه وان الحرمة تنتهك به انتهاك الحرمات بانتهائها وان فيه حقا لمخلوق تحتمت عقوبته لالانه اغلظ اثما من سب الله بل لان مفسدته لا تقسم الا بتحتم القتل الا ترى انه لا ريب ان الكفر والردة اعظم اثما من الزنا والسرقه وقطع الطريق وشرب الخمر ثم الكافر والمرئ اذا تابا بعد القدرة عليها سقطت عقوبتهما ولو تاب اولئك الفاسق بعد القدرة لم تسقط عقوبتهم مع ان الكفر اعظم من الفسق ولم يدل ذلك على ان الفاسق اعظم اثما من الكافر فمن اخذ تحتم العقوبة وسقوطها من كبر الذنب وصغره فقد نأى عن مسالك الفقه والحكمة وبوضح ذلك ان اناشر الكفار بالذمة على اعظم الذنوب ولا نفر واحد منهم

ولا من غيرهم على زنا ولا سرقة ولا كبير من المعاصي الموجبة للحدود
وقد عاقب الله قوم لو طمن العقوبة بما لم يعاقبه بشرا في زمنهم لاجل الفاحشة
والارض مملوءة من المشركين وهم في عافية وقد دفن رجل قتل رجلا على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرات والارض تلفظه في كل ذلك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله اراكم
هذا العتبروا ولهذا يعاقب الفاسق الملى من الهجر والاعراض والجلد وغير
ذلك بما لا يعاقب به الكافر الذي مع ان ذلك احسن حالا عند الله وعندنا
من الكافر فقد رأيت العقوبات المقدورة المشروعة تتحم حيث تؤخر
عقوبة ما هو اشد منها وسبب ذلك ان الدنيا في الاصل ليست دار الجزاء
وانما الجزاء يوم الدين يجزى الله العباد باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر لكن
ينزل الله سبحانه من العقاب وبشرع من الحدود بمقدار ما يزر النور
عما فيه فساد عام لا يخص فاعله او ما يطره الفاعل من خطيئته او لتعاطي الجرم
او لما يشاء سبحانه فالخطيئة اذا خيف ان يتعدى ضررها فاعلاها لم تحسم مادتها
الا بعقوبة فاعلاها فلما كان الكفر والردة اذا قبلت التوبة منه بعد القدرة
لم تترتب على ذلك مفسدة تعدى التائب وجب قبول التوبة لان احدا
لا يريد ان يكفر او يرتد ثم اذا اخذ اظهر التوبة لعله ان ذلك لا يحصل مقصوده
بخلاف اهل الفسوق فانه اذا سقطت العقوبة عنهم بالتوبة كان ذلك فتحا للباب
الفسوق فان الرجل يعمل ما شتهى ثم اذا اخذ قال اني تائب وقد حصل مقصوده
من الشهوة التي اقتضاها فكذلك سب الله هو اعظم من سب الرسول لكن

لا يخاف ان النفوس تسرع الى ذلك اذا استتيب فاعله و عرض على السيف
فانه لا يصدر غالبا الا عن اعتقاد وليس للخلق اعتقاد بمعهم على اظهار السب
لله تعالى واكثر ما يكون ضجرا او برما وسفها وروعة السيف والاستتابة
نكف عن ذلك بخلاف اظهار سب الرسول فان هناك دواع متعددة
تبث عليه متى علم صاحبها انه اذا اظهر التوبة كف عنه لمزعه ذلك عن
مقصوده • وما يدل على الفرق من جهة السنة ان المشركين كانوا يسبون الله
بانواع السب ثم لم يتوقف النبي صلى الله عليه وسلم في قبول اسلام احد منهم
ولا عهد بقتل واحد منهم بعينه وقد توقف في قبول توبة من سبه مثل
ابن سفيان وابن ابي امية وعهد بقتل من كان يسبه من الرجال والنساء مثل
الحويرث بن نفيد والقيتين وجارية لبي عبد المطلب ومثل الرجال والنساء
الذين امر بقتلهم بعد الهجرة وقد تقدم الكلام على تحقيق الفرق عند من
يقول به بما هو ايسر من هذا في المسئلة الثالثة • وامان قال لا تقبل توبة من
سب الله سبحانه وتعالى كما لا تقبل توبة من سب الرسول فوجه ما تقدم
عن عمر رضي الله تعالى عنه من التسوية بين سب الله وسب الانبياء في ايجاب القتل
ولم يلزم بالاستتابة مع شهرة مذهبه في استتابة المرتد لكن قد ذكرنا عن ابن
عباس رضي الله عنه انه لا يستتاب لانه كذب النبي صلى الله عليه وسلم فيعمل
ذلك على السب الذي يتدين به • وايضا فان السب ذنب منفرد عن الكفر
الذي يطابق الاعتقاد فان الكافر يتدين بكفروه ويقول انه حق ويدعو
اليه وله عليه موافقون وليس من الكفار من يتدين بما يعتقد استغنافا

واستهزاء وسب الله وان كان في الحقيقة سبا كما انهم لا يقولون انهم ضلال
 جهال معذبون اعداء الله وان كانوا كاذباً لك واما الساب فانه مظهر للتنقيص
 والاستخفاف والاستهانة بالله متتهك لجرمته انتها كما يعلم هومن نفسه انه متتهك
 مستخف مستهزئ ويعلم من نفسه انه قد قال عظيماً وان السموات والارض
 تكاد تنفطر من مقالته وتخر الجبال وان ذلك اعظم من كل كفر وهو يعلم
 ان ذلك كذالك ولو قال بلسانه اني كنت لا اعتقد وجود الصانع ولا عظيته
 والآن قد رجعت عن ذلك علمنا انه كاذب فالب فطرة الخلايق كلها
 مجبولة على الاعتراف بوجود الصانع وتعليه فلا شبهة تدعو الى هذا
 السب ولا شهوة له في ذلك بل هو مجرد سخريه واستهزاء واستهانة وتعمد
 على رب العالمين ثبث عن نفس شيطانية مملئة من الغضب او من سفه
 لا وفار الله عنده كصد ورفطع الطريق والزنا عن الغضب والشهوة واذا
 كان كذالك وجب ان يكون للسب عقوبة تخصه حد امن الحدود وحينئذ
 فلا تسقط تلك العقوبة باظهار التوبة كسائر الحدود وما يبين ان السب
 قد رزأ على الكفر قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
 فيسبوا الله عدواً بغير علم ومن المعلوم انهم كانوا مشركين مكذبين
 معادين لرسوله ثم نهى المسلمون ان يفعلوا ما يكون ذريعة الى سبهم الله
 فعلم ان سب الله اعظم عنده من ان يشرك به ويكذب رسوله ويعدى
 فلا بد له من عقوبة تخصه لما انتهكه من جرمة الله كسائر الجرمات
 التي تنهكها بالفعل ولولى فلا يجوز ان يعاقب على ذلك بدون القتل

لان ذلك اعظم الجرائم فلا يقابل الا بالبلغ العقوبات ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الى آخرها فانها تدل على قتل من يؤذي الله كما تدل على قتل من يؤذي رسوله والا ذى المطلق انما هو باللسان وقد تقدم تقرير هذا • وايضاً فان اسقاط القتل عنه باظهار التوبة لا يرفع مفسدة السب لله تعالى فانه لا يشاء شأى ان يفعل ذلك ثم اذا اخذ اظهر التوبة الا فعل كافي سائر الجرائم الفعلية • وايضاً فانه لم ينتقل الى دين يريد المقام حتى يكون الانتقال عنه تركاً له وانما فعل جريمة لا تستدام بل هي مثل الافعال الموجبة للعقوبات فتكون العقوبة على نفس تلك الجريمة الماضية ومثل هذا لا يستتاب عند من عاقب على ذنب مستمر من كفر او ردة • وايضاً فان استتابة هذا توجب ان لا يقام حد على سب الله فاننا نعلم ان ليس احد من الناس مصر اعلى السب لله الذي يرى انه سب فان ذلك لا يدعوا اليه عقل ولا طبع وكل ما افضى الى تعطيل الحد ود بالكلية كان باطلاً ولما كان استتابة الفساق بالافعال يفضى الى تعطيل الحد ود لم يشرع مع ان اجد هم قد لا يتوب من ذلك لما يدعوه اليه طبعه وكذلك المستتاب من سب الرسول قد لا يتوب لما يستغله من سبه فاستتابة الساب لله الذي يسارع الى اظهار التوبة منه كل اجد اولى ان لا يشرع اذا تضمن تعطيل الحد و اوجب ان تفيض الافواه بهتك حرمة اسم الله والاستهزاء به وهذا كلام قبيح لكن يعارضه ان ما كان بهذه المثابة لا يحتاج الى تحقيق اقامة الحد ويكفي تعريض قائله للقتل حتى يتوب ولم ينصر الا اول ان

يقول تحقيق اقامة الحد على الساب في ليس لجرد زجر الطباع عما تهاوا به بل
تعظيماً لله واجلالاً لذكركم واعلاء لملكته وضبطاً للنفس ان تتسرع الى
الاستهانة بجنابة وتقييد اللسان ان تنفوه بالانتقام من خلقه . وايضاً
فان حد سب المخلوق وقذفه لا يسقط باظهار التوبة بخد سب الخالق اولى
. وايضاً فحد الافعال الموجبة للمعقوبة لا تسقط باظهار التوبة فكذلك حد
الاقوال بل شان الاقوال وتأثيرها اعظم . وجماع الامر ان كل عقوبة وجبت
جزاء وتكال على فعل او قول ماض فانها لا تسقط اذا اظهرت التوبة بعد
الرفع الى السلطان فسب الله اولى بذلك ولا ينتقض هذا بتوبة الكافر والمرتد
لان للمعقوبة هنا انما هي على الاعتقاد الحاضر في الحال المستصعب من الماضي
فلا يحصل نقضاً لوجهين . . احدهما . ان عقوبة الساب لله ليست كذنب
استصعبه واستند امه فانه بعد انقضاء السب لم يستصعبه ولم يسندمه وعقوبة
الكافر والمرتد انما هي الكفر للذي هو مصر عليه مقيم على اعتقاده . والثاني .
ان الكافر انما يعاقب على اعتقاده هو الآن في قلبه وقوله وعمله دليل على ذلك
الاعتقاد حتى لو فرض انا علمنا ان كلمة الكفر التي قالها خرجت من غير اعتقاد
لموجبها لم تكفره بان يكون جاهلاً بمعناها او مخطئاً قد غلط و سبق لسانه اليها
مع قصد خلافها ونحو ذلك والساب انما يعاقب على انتهاكه لحرمة الله واستخفافه
بحقه فيقتل وان علمنا انه لا يستحسن السب لله ولا يعتقد به ديناذا ليس احد من
البشر يدبر بذلك ولا ينتقض هذا ايضا بتارك الصلاة والزكاة ونحوهما فانهم
انما يعاقبون على دواهم التارك لهذه الفرائض فاذا فعلوا هازال التارك وان شئت

ان نقول الله الكافر والمرتد وتاركوا الفرائض يعاقبون على عدم الايمان
والفرائض اعنى على دوام هذا العدم فاذا وجد الايمان والفرائض
امتنعت العقوبة لانتقطاع العدم وهؤلاء يعاقبون على وجود الاقوال
والافعال الكثيرة لاعلى دوام وجودها فاذا وجدت مرة لم يرتفع ذلك
بالترك بعد ذلك وبالجملة فهذا القول له توجه وقوة وقد تقدم ان الردة
نوعان مجردة ومغلظة وبسطنا هذا القول فيما تقدم في المسئلة الثالثة
ولاخلاف في قبول التوبة فيما بينه وبين الله سبحانه وسقوط الاثم بالتوبة
النصوح ومن الناس من سلك في سب الله تعالى مسلكا آخر وهو انه جعله
من باب الزندق كاحد المسلمين الذين ذكرناهم في سب الرسول لان
وجود السب منه مع اظهاره للاسلام دليل على خبث سريرته لكن هذا
ضعيف فان الكلام هنا انه في سب لا يتدين به فاما السب الذى يتدين به
كالتثليث ودعوى الصاحبة والولد فخكه حكم انواع الكفر وكذلك
المقاتلات المكفرة مثل مقالة الجهمية والقدرية وغيرهم من صنوف البدع
واذا قبلنا توبة من سب الله سبحانه فانه يؤدب اذ باوجعا حتى يردعه
هن العود الى مثل ذلك هكذا ذكره بعض اصحابنا وهو قول اصحاب
مالك في كل مرتد .

فصل

وان كان الساب لله ذمها فهو كما لو سب الرسول وقد تقدم نص الامام
احمد على ان من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب سبحانه فانه يقتل سواء كان

فصل في بيان الساب لله اذا كان ذميا

مسلم او كافرا وكذا لك اصحابنا قالوا من ذكر الله او كتابه اوديته اورسوله
بسوء فمجلوا الحكم فيه واحدا وقالوا الخلاف في ذكر الله وفي ذكر النبي
سواء وكذا لك مذهب مالك واصحابه وكذا لك اصحاب الشافعي ذكروا لمن
سب الله اورسوله او كتابه من اهل الذمة حكما واحدا لكن هنا مسئلتان احدهما
ان سب الله تعالى على قسمين (احدهما) ان يسبه بما لا يتدين به مما هو استعانة
عند المتكلم وغيره مثل اللعن والتعجيل ونحوه فهذا هو السب الذي لا ريب
فيه (والثاني) ان يكون مما يتدين به ويعتقده تعظيما ولا يراه سبا
ولا انتقاصا مثل قول النصراني ان له ولدا او صاحبة ونحوه فهذا مما اختلف
فيه اذا اظهره الذي فقال القاضي وابن عقيل من اصحابنا ينتقض به العهد
كما ينتقض اذا اظهره واعتقادهم في النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتضى
ما ذكره الشريف ابو جعفر وابو الخطاب وغيرهما فانهم ذكروا ان ما ينتقض
الايمان ينتقض الذمة ويحكي هذا عن طائفة من المالكية ووجه ذلك
انما عهدناهم على ان لا يظهر واشياء من الكفر وان كانوا يعتقدونه فتي اظهروا
مثل ذلك فقد آذوا الله ورسوله والمؤمنين بذلك وخالفوا العهد
فينتقض العهد بذلك كسب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم عن عمر
رضي الله عنه انه قال للنصراني الذي كذب بالقدر لان عدت الى مثل
ذلك لا ضربين عنقك وقد تقدم ما تقر بذلك وهو المنصوص عن مالك ان
من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به قتل
ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم تطوعا فلم يجعل ما يتدين به الذي

سبا وهذا قول عامة المالكية وهو مذهب الشافعي ذكره أصحابه وهو
منصوصه قال في (الام) في تحديد الامام ما يأخذ من اهل الذمة وعلى
ان لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بما هو اهل ولا يطنوا
في دين الاسلام ولا يعيبوا من حكمه شيئا فان فعلوه فلا ذمة لهم ويأخذ
عليهم ان لا يسموا المسلمين شركهم وقولهم في عزير وعيسى فان وجدوهم
فعلوا بعد التقدم في عزير وعيسى اليهم عاقبهم على ذلك عقوبة لا يبلغ بها
حد الا انهم قد اذن باقرارهم على دينهم مع علم ما يقولون وهذا ظاهر
كلام الامام احمد لانه سئل عن يهودي مر بموذن فقال له كذبت فقال
يقتل لانه شتم فعلل قتله بانه شتم فعلم ان ما يظهره من دينه الذي ليس
بشتم ليس كذلك قال رضي الله عنه من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب
تعالى فعليه القتل مسلما كان او كافرا وهذا مذهب اهل المدينة وانما
مذهب اهل المدينة فيما هو سب عند القائل وذلك ان هذا القسم ليس
من باب السب والاشتم الذي يلحق بسب الله وسب النبي صلى الله عليه
وسلم لان الكافر لا يقول هذا طعنوا لاعبائهم لا يعتقدون تعظيما واجلا لا
وليس هو ولا احد من الخلق يتدين بسب الله تعالى بخلاف ما يقال في حق
النبي صلى الله عليه وسلم من السوء فانه لا يقال الا طعنوا وعيبوا ذلك ان
الكافر يتدين بكثير من تعظيم الله وليس يتدين بشيء من تعظيم الرسول
الا ترى انه اذا قال محمد (صلى الله عليه وسلم) ساحرا وشاعرا فهو
يقول ان هذا نقص وعيب واذا قال ان المسيح او عزير ابن الله فليس

يقول ان هذا عيب ونقص وان كان هذا عيباً ونقصاً في الحقيقة وافرقة
 بين قول يقصد به قائله العيب والنقص وقول لا يقصد به ذلك ولا يجوز
 ان يجعل قولهم في الله كقولهم في الرسول بحيث يجعل الجميع نقضاً للعهد
 اذ يفرق في الجميع بين ما يعتقدونه وبين ما لا يعتقدونه لا في قولهم
 في الرسول كله طعن في الدين وعضاضة على الاسلام واظهار لعداوة
 المسلمين يقصدون به عيب الرسول ونقصه وليس مجرد قولهم الذي
 يعتقدونه في الله مما يقصدون به عيب الله ونقصه . الا ترى ان قریشا
 كانت تقار النبي صلى الله عليه وسلم على ما كان يقوله من التوحيد
 وعبادة الله وحده ولا يقارونه على عيب المهتم والطعن في دينهم وذم
 آباءهم وقد نهى الله المسلمين ان يسبوا الاوثان لئلا يسبوا المشركون الله مع
 كونهم لم يزلوا على الشرك فعلم ان محذور سب الله اغلظ من محذور
 الكفر به فلا يجعل حكمها واحداً . المسئلة الثانية (١) في استنباط هذا
 الذي من هذا او قبول توبته اما القاضي وجهور اصحابه مثل الشريف
 وابن البناء وابن عقيل ومن تبعهم فانهم يقبلون توبته ويسقطون عنه القتل بها
 وهذا ظاهر على اصلهم فانهم يقبلون توبة المسلم اذ سب الله فتوبة الذي اولى
 وهذا هو المعروف من مذهب الشافعي وعليه بدل عموم كلامه حيث قال في شروط
 اهل الذمة وعلى ان احداً منكم ان ذكر محمداً صلى الله عليه وسلم او كتاب الله
 ودينه بما لا ينبغي فقد برئت منه ذمة الله ثم قال وايهم قال او فعل شيئاً مما
 وصفته نقضاً للعهد واسلم لم يقتل اذا كان قولاً الا انه لم يصرح بالسب لله فقد

(١) اي من المسائل المذكورتين في ابتداء هذا الفصل ١٢ المصحح يكون

يكون عني اذا ذكر واما يعتقدونه و كذلك قال ابن القاسم وغيره من
 المالكية انه يقتل الا ان يسلم وقال ابن مسلة وابن ابي حازم والمخزومي انه
 لا يقتل حتى يستتاب فان تاب والاقبل والمنصوص عن مالك انه يقتل ولا
 يستتاب كما تقدم وهذا معنى قول احمد رضي الله عنه في احدي الروايتين
 قال في رواية حنبل من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب فقبله القتل
 مسلما كان او كافرا وهذا مذموم اهل المدينة وظاهر هذه العبارة ان القتل
 لا يسقط عنه بالتوبة كما لا يسقط القتل عن المسلم بالتوبة فانه قال مثل هذه
 العبارة في شتم النبي صلى الله عليه وسلم في رواية حنبل ايضا قال كل من
 شتم النبي صلى الله عليه وسلم مسلما كان او كافرا فقبله القتل وكان حنبل
 يعرض عليه مسائل المدنيين ويسأله عنها ثم ان اصحابنا فسر واقلوه في شتم
 النبي صلى الله عليه وسلم بانه لا يسقط عنه القتل بالتوبة مطلقا وقد تقدم
 توجيه ذلك وهذا مثله وهذا ظاهر اذا قلنا ان المسلم الذي يسب الله لا يسقط
 عنه القتل بالتوبة لان المأخذ عندنا ليس هو الزندقة فانه لو اظهر كفره غير
 السب استتبه وانما المأخذ ان يقتل عقوبة على ذلك وحده عليه مع كونه
 كافرا كما يقتل لسائر الافعال ويظهر الحكم في المسئلة بان يرتب هذا السب
 ثلاث مراتب المرتبة الاولى ان من شان الرب بما يتدين به وليس فيه
 سب لدن الاسلام الا انه سب عند الله تعالى مثل قول النصاري في عيسى
 ونحو ذلك فقد قال الله تعالى فيما يرويه عنه رسوله شتمني ابن آدم وما ينبغي
 له ذلك ثم قال واما شتمه اي اي فقله اني اتخذت ولدا وانا الا احد الصمد

الذي لم الد ولم اولده فهذا القسم حكمه حكم سائر انواع الكفر سميت شتيا
او لم تسم وقد ذكرنا الخلاف في انتقاض العهد باظهار مثل هذا واذا قيل
بانتقاض العهد به فسقوط القتل عنه بالا سلام متوجه وهو في الجملة قول
الجمهور . المرتبة الثانية . ان يذكر ما يتدين به وهو سب له بين المسلمين ووطن
عليهم كقول اليهودي للمؤذن كذبت وكرد النصراني على عمر رضي الله
عنه وكالوعاب شيثا من احكام الله او كتابه ونحو ذلك فهذا حكمه حكم
سب الرسول في انتقاض العهد به وهذا القسم هو الذي عناه الفقهاء في
نواقض العهد حيث قالوا اذا ذكر الله او كتابه او رسوله او دينه بسوء
ولذلك اقتصر كثير منهم على قوله او ذكر كتاب الله او دينه او رسوله
بسوء واما سقوط القتل عنه بالا سلام فهو كسب الرسول الا ان في ذلك حقا
لا دمي فمن سلك ذلك المسلك في سب الرسول فرق بينه وبين هذا وهي
طريقة القاضي واكثر اصحابه ومن قتله لما في ذلك من الجناية على الاسلام
وانه محارب لله ورسوله فانه يقتل بكل حال وهو مقتضى اكثر الادلة التي
تقدم ذكرها . المرتبة الثالثة . ان يسبه بما لا يتدين به بل هو محرم في دينه
كما هو محرم في دين الله تعالى كاللعن والتقييح ونحو ذلك فهذا النوع لا يظهر
بينه وبين سب المسلم فرق بل ربما كان فيه اشد لانه يعتقد تحريم مثل هذا
الكلام في دينه كما يعتقد المسلمون تحريمه وقد عاهدناه على ان نقيم عليه
الحد فيما يعتقد تحريمه فاسلامه لم يجد له اعتقاد التحريم بل هو فيه كالدعي
اذا زني او قتل او سرق ثم اسلم سواء ثم هو مع ذلك مما يؤذي المسلمين

كسب الرسول بل هو اشد فاذا قلنا لا تقبل توبة المسلم من سب الله فاولى
نقول لا تقبل توبة الذمي اولى بخلاف الرسول فانه يتدين بتقبيح من
يعتقد كذبه ولا يتدين بتقبيح خالقه الذي يقرانه خالقه وقد يكون من هذا
الوجه اولى بان لا يسقط عنه القتل بمن سب الرسول ولهذا لم يذكر عن مالك
نفسه واهل استثناء فبين سب الله تعالى كما ذكر عنها الاستثناء لمن سب
الرسول وان كان كثير من اصحابها يرون الامر بالعكس وانما قصد اهل الضرب
من السب ولهذا اقرنا بين المسلم والكافر فلا بد ان يكون سباً منها واشبه شيء
بهذا الضرب من الافعال زناه بمسامة فانه محر في دينه مضر بالمسلمين فاذا
اسلم لم يسقط عنه بل اما ان يقتل او يحد الزنا كذلك سب الله تعالى حتى
لو فرض ان هذا الكلام لا ينقض العهد لوجب ان يقام عليه حده لان كل امر
يعتقده محر ما فانا نقيم عليه فيه حد الله الذي شرعه في دين الاسلام وان لم يعلم
بما خذ في كتابه مع ان الاغلب على القلب ان اهل الملل كلهم يقتلون على مثل
هذا الكلام كما ان حده في دين الله القتل الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما اقام على الزاني منهم حد الزنا قال اللهم اني اول من احى امرئ اذا ماتوه ومعلوم
ان ذلك الزاني منهم لم يكن يسقط عنه لو اسلم فاقامة الحد على من سب الرب
تبارك وتعالى سباً هو سب في دين الله ودينهم عظيم عند الله وعندهم اولى ان يحى
فيه امر الله ويقام عليه حده وهذا القسم قد اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة اقوال
احدها ان الذمي يستتاب منه كما يستتاب المسلم منه هذا قول طائفة من
المدنيين كما تقدم وكان هو لا لم يروه نقضاً للعهد لان ناقض العهد يقتل

كما يقتل المحارب ولا معنى لاستتابة الكافر الاصل المحارب وانما اواحدة القتل
فعلوه كالمسلم وهم يستتبون المسلم فكذلك يستتاب الذمي وعلى قول
هو لا فلا شبه ان استتابة من السب لا تحتاج الى اسلامه بل تقبل توبته مع
بقائه على دينه . القول الثاني . انه لا يستتاب لكن ان اسلم لم يقتل . وهذا
قول ابن القاسم وغيره . وهو قول الشافعي وهو احدى الروايتين عن احمد
وعلى طريقة القاضي لم يذكر فيه خلاف بناء على انه قد نقض عهده فلا يحتاج
قتله الى استتابة لكن اذا اسلم سقط عنه القتل كالحرابي . القول الثالث . انه
يقتل بكل حال وهو ظاهر كلام مالك واحمد لان قتله وجب على جرم
محرم في دين الله وفي دينه فلم يسقط عنه موجهه بالاسلام كقتوبته على
الزنا والسرقه والشرب . وهذا القول هو الذي يدل عليه اكثر الأدلة
المتقدم ذكرها .

☆ فصل ☆

السب الذي ذكرنا حكمه من المسلم هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص
والاستخفاف وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم
كاللعن والتقييح ونحوه وهو الذي دل عليه قوله تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . فهذا اعظم ما نقوه به
الالسنه فاما ما كان سببا في الحقيقة والحكم لكن من الناس من يعتقد دينا
ويراه صوابا لوجه ما يظن ان ليس فيه انتقاص ولا تعيب فهذا نوع من
الكفر حكم صاحبه اما حكم المرتد المظهر للردة او المنافق المبطن

☆ في السب ما يقصد به الانتقاص والاستخفاف

للتناق والكلام في الكلام الذي يكفر به صاحبه اولا بكفرو تفصيل الاعتقادات
وما يوجب منها الكفر او البدعة فقط او ما اختلف فيه من ذلك ليس
هذا موضعه وانما الغرض ان لا يدخل هذا في قسم السب الذي نكلنا
في استتابه صاحبه نقيبا واثباتا والله اعلم •

فصل

فان سب موصوف او مسمى باسمه وذلك يقع على الله سبحانه او بعض
رسله خصوصا وعموما لكن قد ظهر انه لم يقصد ذلك اما لا اعتقاده ان
الوصف او الاسم لا يقع عليه اولانه وان كان يعتقد وقوعه عليه لكن
ظهر انه لم يرد له لكون الاسم في الغالب لا يقصد به ذلك بل غيره فهذا القول
وشبهه حرام في الجملة يستتاب صاحبه منه ان لم يعلم انه حرام ويعز مع
العلم تعزيزا بلغا لكن لا يكفر بذلك ولا يقتل وان كان يخاف عليه الكفر
• مثال الاول • ان يسب الدهر الذي فرق بينه وبين الاجبة او الزمان
الذي احوجه الى الناس او الوقت الذي ابلاه بمعاشرة من يتكده عليه ونحو
ذلك مما يكثر الناس قوله نظما ونثرا فانه انما يقصد ان يسب من يفعل ذلك به
ثم انه يعتقد او يقول ان فاعل ذلك هو الدهر الذي هو الازمان فيسبه وفاعل
ذلك انما هو الله سبحانه فيقع السب عليه من حيث لم يعتمد المرء والى هذا
اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر يريد الامر
وقوله فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى يقول يا ابن آدم باحبه (١) الدهر وانا
الدهر يريد الامر اقلب الليل والنهار فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم

فصل في السب المعلق بالوصف

(١) هكذا في المنقول عنه وهو تصحيف تلغى او تسب ١٢

عن هذا القول وحرمة ولم يذكر كفرا ولا قتلا والقول المحرم يقتضي التعزير
 والتكيل ❦ ومثال الثاني ❦ ان يسب مسمى باسم عام يندرج فيه الانبياء
 وغيرهم لكن يظهر انه لم يقصد الانبياء من ذلك العام مثل ما نقل الكرماني
 قال سألت احمد قلت رجل اقترى على رجل فقال يا ابن كذا او كذا الى
 آدم وحواء فمظلم ذلك جد او قال نسأل الله العافية لقد اتى هذا عظيما
 وسئل عن الحد فيه فقال لم يبلغني في هذا شيء وذهب الى حد واحد وذكر
 هذا ابو بكر عبد العزيز ايضا فلم يجعل احمد رضى الله عنه بهذا القول كفرا
 مع ان هذا اللفظ يدخل فيه نوح وادريس وشيث وغيرهم من النبيين
 لان الرجل لم يدخل آدم وحواء في عمومهما وانما جعلها غاية وحدا لمن قذفه والا
 لو كانا من المقدوفين تعين قتله بلاريب ومثل هذا العموم في مثل هذا الحال
 لا يكاد يقصد به صاحبه من يدخل فيه من الانبياء فعظم الامام احمد ذلك
 لان احسن احواله ان يكون قد قذف خلقا من المؤمنين ولم يوجب الاحدا
 واحدا لان الحد هنا ثبت للعي ابتداء على اصله وهو واحد وهذا قول اكثر
 المالكية في مثل ذلك وقال سحنون واصبغ وغيرهما في رجل قال لعزيمه صلى الله
 على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه ❦ قال سحنون ليس
 هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه
 اذا كان على ما وصف من الغضب لانه انما شتم الناس وقال اصبغ وغيره
 لا يقتل انما شتم الناس وكذلك قال ابن ابي زيد فيمن قال لعن الله العرب
 ولعن الله بنى اسرائيل ولعن الله بنى آدم مذكرا انه لم يرد الانبياء وانما اراد

الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان * وذهب طائفة منهم
الحارث بن مسكين وغيره الى القتل في مسئلة المصلي ونحوها وكذا قال
ابو موسى بن مياس فبين قال لعنه الله الى آدم انه يقتل وهذه مسئلة
السكر ماني بعينها وهذا قياس احد الوجهين لاصحابنا فبين قال عصيت الله في
كل ما امرني به فان اكثر اصحابنا قالوا ليس ذلك بيمين لانه انما التزم المعصية
فهو كما لو قال محوت المصحف او شربت الخمر ان فعلت كذا ولم يظهر قصد
ارادة الكفر من هذا العموم لانه لو اراده لذكره باسمه الخاص ولم يكف
بالاسم الذي يشرکه فيه جميع المعاصي * ومنهم من قال هو يمين لان مما امره الله
به الايمان ومعصيته فيه كفروا والتزم الكفر يمينه بان قال هو يهودي
او نصراني او هو بري من الله او من الاسلام او هو يستحل الخمر والخنزير
او لا يراه الله في مكان كذا ان فعل كذا ونحوه كان يمينافي المشهور عنه
ووجه هذا القول ان اللفظ عام فلا يقبل منه دعوى الخصوص ولعل
من يختار هذا يحمل كلام الامام احمد على ان القائل كان جاهلا بآب
في النسب انبياء * ووجه الاول ان ابا بكر رضى الله عنه كتب الى المهاجر
ابن ابي امية في المرأة التي كانت تعجوا المسلمين يلومه على قطع يد هاويزكره
انه كان الواجب ان يعاقبها بالضرب مع ان الانبياء يدخلون في عموم هذا
اللفظ ولان الالفاظ العامة قد كثرت وغلب ارادة الخصوص بها فاذا
كان اللفظ لفظ سب وقذف وللانبياء ونحوهم من الخصائص والمزايا
ما يوجب ذكرهم باخص اسمائهم اذا اريد ذكرهم والغضب يحمل الانسان

على التجوز في القول والتوسع فيه كان ذلك قرائن عرفية ولقضية وحالية في انه لم يقصد دخولهم في العموم لا سيما اذا كان دخول ذلك الفرد في العموم لا يكاد يشعربه ويؤيد هذا ان يهود يا قال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الذي اصطفى موسى على العالمين فلفظه المسلم حتى اشتكاه الى النبي صلى الله عليه وسلم ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تفضيله على موسى لما فيه من انتقاص المفضول بفضله والفض منه ولو ان اليهودي اظهر القول بان موسى افضل من محمد لوجب التعزير عليه اجماعا بالقتل او بغيره كما تقدم التنبيه عليه

فصل

والحكم في سب سائر الانبياء كالحكم في سب نبينا فمن سب نبيا مسمى باسمه من الانبياء المعروفين المذكورين في القرآن او موصوفا بالنبوة مثل ان يذكر في حديث ان نبيا فعل كذا او قال كذا فيسب ذلك القائل او الفاعل مع العلم بانه نبي وان لم يعلم من هو او يسب نوع الانبياء على الاطلاق فالحكم في هذا كما تقدم لان الايمان بهم واجب عموما وواجب الايمان خصوصا بمن قصه الله علينا في كتابه وسبهم كفر وردة ان كان من مسلم ومحاربة ان كان من ذمي وقد تقدم في الادلة الماضية ما يدل على ذلك بعمومه لفظا او معنى وما علم احد افرق بينهما وان كان اكثر كلام الفقهاء اثما فيه ذكر من سب نبينا فاثما ذلك ليسس الحاجة اليه وانه وجب التصديق له والطاعة له جملة وتفصيلا ولا ريب ان جرم سابه اعظم من جرم ساب غيره كما ان حرمة اعظم من حرمة

فصل في ان سب سائر الانبياء كسب نبينا عليه السلام

غيره وان شاركه سائر اخوانه من النبيين والمرسلين في انسابهم كافر حلال الدم
فاما ان سب نبياً غير معتقد لنبوته فانه يستتاب من ذلك اذا كان ممن
علمت نبوته بالكتاب والسنة لان هذا جحد لنبوته ان كان ممن يجهل
انه نبي فانه سب محض فلا يقبل قوله اني لم اعلم انه نبي •

فصل

فاما من سب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال القاضي ابو يعلى من قذف
عائشة بما رواه الله منه كفر بلا خلاف وقد حكى الاجماع على هذا غير
واحد وصرح غير واحد من الائمة بهذا الحكم فروى عن مالك من سب
ابابكر جلده ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن
لان الله تعالى قال يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابد ان كنتم مؤمنين • وقال
ابوبكر بن زياد النيسابوري سمعت القاسم بن محمد يقول لا سميع بن
اسحاق اتى المأمون بالرقعة برجلين شتم احدهما فاطمة والاخر عائشة فامر
بقتل الذي شتم فاطمة وترك الاخر فقال اسمعيل ما حكمها الا ان يقتل
لان الذي شتم عائشة رد القرآن وعلى هذا مضت سيرة اهل الفقه والعلم
من اهل البيت وغيرهم • قال ابو السائب القاضي كنت يوماً بمحضرة الحسن
ابن زيد الداعي بطبرستان وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر ويوجه في كل سنة بشرين الف دينار الى مدينة السلام يفرق
على سائر ولد الصحابة وكان بمحضرة رجل فذكر عائشة بذكركبيح من
الفاحشة فقال يا غلام اضرب عنقه فقال له العلويون هذا رجل من شيعتنا

فصل في حكم سب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

فقال معاذ الله هذا رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
 الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون
 للطيبات اولائك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فان كانت
 عائشة خبيثة فالنبي صلى الله عليه وسلم خبيث فهو كافر فاضربوا عنقه
 فاضربوا عنقه وانا حاضر رواه اللالكائي وروى عن محمد بن زيد
 اخي الحسن بن زيد انه قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة بسوء
 فقام اليه بعمود فضرب به دماغه فقتله ف قيل له هذا من شيعةنا ومن
 بني الآباء فقال هذا سمي جدى قرنان ومن سمي جدى قرنان استحق
 القتل فقتله واما من سب غير عائشة من ازواجه صلى الله عليه وسلم ففيه
 قولان * احدهما انه كساب غيرهن من الصحابة على ما سياتى والثانى .
 وهو الاصح انه من قذف واحدة من امهات المؤمنين فهو كقذف عائشة
 رضى الله عنها وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس وذلك لان هذا
 فيه عار وفضاضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذى له اعظم من
 اذاه بنكاحهن بعده وقد تقدم التنبيه على ذلك فيما مضى عند الكلام على
 قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية والامر فيه ظاهر .

فصل

فاما من سب احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل بيته
 وغيرهم فقد اطلق الامام احمد انه يضرب ضربا نكالا وتوقف عن قتله
 وكفره . قال ابو طالب سألت احمد عن سب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

فان فصل في حكم سب اصحابه صلى الله عليه وسلم سب اهل بيته

قال القتل اجبن عنه ولكن اضربه ضربا نكالا وقال عبد الله سألت ابي عن
شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ارى ان يضرب قلت له حد فلم يقف على
الحد الا انه قال يضرب وقال ما اراه على الاسلام وقال سألت ابي من الرافضة
فقال الذي يشتمون او يسبون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال في الرسالة
التي رواها ابو العباس احمد بن يعقوب الا صطخري وغيره وخير الامة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر بعد ابي بكر وعثمان بعد عمر وعلي
بعد عثمان ووقف قوم وهم خلفاء راشدون مهديون ثم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدهم لا الاربعة خير الناس لا يجوز لاحد ان يذكر
شيئا من مساوئهم ولا يطن على احد منهم بعيب ولا ينقص فمن فعل ذلك
فقد وجب نأدبه وعقوبته ليس له ان يعفو عنه بل يعاقبه ويستتبه فان
تاب قبل منه وان ثبت اعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت
او يرجع • وحكى الامام احمد هذا عن ادركه من اهل العلم وحكاه
الكرماني عنه وعن اسحاق والحيدى وسعيد بن منصور وغيرهم وقال الميموني
سمعت احمد يقول ما لم ولعافية نسأل الله العافية وقال لي يا ابا الحسن اذا
رأيت احدا يذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على
الاسلام • فقد نص رضي الله عنه على وجوب تعزيره واستنابته حتى يرجع
بالجلد وان لم ينتبه حبس حتى يموت او يرجع وقال ما اراه على الاسلام
وقال واتهمه على الاسلام وقال اجبن عن قتله • وقال اسحاق بن راهويه
من شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعاقب ويحبس وهذا قول كثير من

اصحابنا منهم ابن ابي موسى قال ومن سب السلف من الروافض فليس
بكفو ولا زوج ومن رمى عائشة رضى الله عنها بما رواه الله منه فقد حرق
من الدين ولم يعقد له نكاح على محلة الا ان يتوب ويظهر توبته وهذا في
الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الاحول وغيرهما من التابعين قال
الحارث بن عتبة ان عمر بن عبد العزيز اتي برجل سب عثمان فقال ما حملك
على ان سبته قال ابغضه قال وان ابغضت رجلا سبته قال فامر به فجلد
ثلاثين سوطا وقال ابراهيم بن ميسرة ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب
انسانا قط الا رجلا شتم معاوية فضر به اسواطه ورواهم اللالكائي وقد تقدم عنه انه
كتب في رجل سبه لا يقتل الا من سب النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اجلده فوق
رأسه اسواطوا لولا اني رجوت ان ذلك خير اله لم افعل وروى الامام احمد
ثابو معاوية ثنا عاصم الاحول قال اتيت برجل قد سب عثمان قال فضرته
عشرة اسواط قال ثم عاد لما قال فضرته عشرة اخرى قال فلم يزل يسبه
حتى ضربته سبعين سوطا وهو المشهور من مذهب مالك قال مالك
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن سب اصحابه ادب وقال
عبد الملك بن حبيب من غلام الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب
اد باشد يد او من زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكر
ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابن المنذر لا اعلم احدا يوجب قتل من سب من بعد النبي
صلى الله عليه وسلم وقال القاضي ابو يعلى الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة

ان كان مستحلا لذلك كفروا ان لم يكن مستحلا فسق ولم يكفر سواء كفروا
او طعن في دينهم مع اسلامهم وقد قطع طائفة من الفقهاء من اهل
الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة . قال محمد بن
يوسف القريائي وسئل عن شتم ابا بكر قال كافر قيل فيصلي عليه قال
لا وسأله كيف يصنع به وهو يقول لا اله الا الله قال لا تسوءه بايدكم ادفعوه
بالخشب حتى تواروه في حفرته . وقال احمد بن يونس لو ان يهود يا ذبح
شاة وذبح رافضى لا كلت ذبيحة اليهودى ولم آكل ذبيحة الرافضى لانه
مرتد عن الاسلام . وكذلك قال ابو بكر بن هاني لا توه كل ذبيحة الروافضى
والقد ربه كما لا توه كل ذبيحة المرتد مع انه توكل ذبيحة الكتاني لان هو لاه
يقامون مقام المرتد واهل الذمة يقرون على دينهم وتؤخذ منهم الجزية
وكذلك قال عبد الله بن ادريس من اعيان ائمة الكوفة ليس لرافضى
شعبة الاسلام . وقال فضيل بن مرزوق سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل
من الرافضة واقه ان قتلك لقربة الى الله وما تمنع من ذلك الا بالجواز وفي
رواية قال رحمتك الله قد فت انما تقول هذا تمزح قال لا والله ما هو بالمزاح
ولكنه الجد قال وسمعتة يقول لئن امكننا الله منكم لنقطعن ايديهم
وارجلهم . وصرح جماعات من اصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين بالبراءة من
علي وعثمان وبكفر الرافضة المعتقدين لسب جميع الصحابة الذين كفروا
الصحابة وفسقهم وسبهم . وقال ابو بكر عبد العزيز في المنع فاما الرافضى
فان كان يسب فقد كفر فلا يزوجه . ولفظ بعضهم وهو الذى نصره القاضى

ابو يعلى انه ان سبهم سبا يقدح في دينهم وعد التهم كفر بذلك وان سبهم
سبالا يقدح مثل ان سبب ابا احد هم او سبه سبا يقصد به غيظه ونحو ذلك
لم يكفر . قال احمد في رواية ابي طالب في الرجل يشتم عثمان هذا
زندقة . وقال في رواية المروزي من شتم ابا بكر وعمر وعائشة ما اراه
على الاسلام . قال القاضي ابو يعلى فقد اطلق القول فيه انه يكفر بسبه
لاحد من الصحابة وتوقف في رواية عبد الله وابي طالب عن قتله وكال
الحدوايجاب التعزير يقتضى انه لم يحكم بكفره قال فيحتمل ان يحمل قوله ما اراه
على الاسلام اذا استحل سبهم بانه يكفر بلا خلاف ويحمل اسقاط القتل
على من لم يستحل ذلك فعله مع اعتقاده لتعريمه كمن ياتي المعاصي قال ويحتمل
قوله ما اراه على الاسلام على سب يظعن في عدا لثم نحو قوله ظلموا وفسقوا
بعد النبي صلى الله عليه وسلم واخذ الامر بتعير حق ويحمل قوله في اسقاط
القتل على سب لا يظعن في دينهم نحو قوله كان فيهم قلة علم وقلة معرفة
بالسياسة والشجاعة وكان فيهم شح ومحبة للذبا ونحو ذلك قال ويحتمل
ان يحمل كلامه على ظاهره فتكون في سبهم روايتان . احدها يكفر .
والثانية يفسق . وعلى هذا استقر قول القاضي وغيره حكوا في تكفيرهم
روايتين . قال القاضي ومن قذف عائشة رضي الله عنها بما رواها الله منه كفر
بلا خلاف ونحن ترتب الكلام في فصلين . احدهما . في سبهم مطلقا
والثاني في تفصيل احكام الساب . اما الاول . فسب اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرام بالكتاب والسنة . اما الاول . فلان الله سبحانه

يقول ولا يفتب بعضكم بعضاً * واد في احوال الساب لهم ان يكون مقتابا
وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال تعالى والذين يؤمنون بالمؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً * وهم صدور المؤمنين
فانهم هم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا حيث ذكرت
ولم يكتسبوا ما يوجب اذاهم لان الله سبحانه رضى عنهم رضى مطلقاً بقوله
تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضى الله عنهم ورضوانه * فرضى عن السابقين من غير اشتراط احسان
ولم يرض عن التابعين الا ان يتبعوهم باحسان وقال تعالى لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة * والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى
الا عن عبد علم انه يوافيه على موجبات الرضى ومن رضى الله عنه لم يسخط
عليه ابداً وقوله تعالى اذ يبايعونك * سواء كانت ظرفاً محضاً او كانت ظرفاً
فيها معنى التعليل فان ذلك لتعلق الرضى بهم فانه يسمى رضى ايضاً كما في تعلق
العلم والمشية والقدره وغير ذلك من صفات الله سبحانه وقيل بل الظرف
يتعلق بجنس الرضى وانه يرضى عن المؤمن بعد ان يطيعه ويسخط عن الكافر
بعد ان يعصيه ويجب من اتباع الرسول بعد اتباعه له وكذلك امثال هذا
وهذا قول جمهور السلف واهل الحديث وكثير من اهل الكلام وهو الاظهر
وعلى هذا فقد بين في مواضع اخر ان هؤلاء الذين رضى الله عنهم هم من
اهل الثواب في الآخرة يموتون على الايمان الذي به يستحقون ذلك كما في قوله
تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اذك الوعظيم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة هو وايضا فكل من اخبر الله عنه انه رضى عنه فانه من اهل الجنة وان كان رضاء عنه بعد ايمانه وعمله الصالح فانه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له فلو علم انه يتعقب ذلك بما يخطئ الرب لم يكن من اهل ذلك وهذا كما في قوله تعالى يا ايها الناس المطعنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي • ولانه سبحانه وتعالى قال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار والذين اتبعوه في ساعة المصرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم • وقال سبحانه وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه • وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الآية • وقال تعالى كنتم خيرة امة اخرجت للناس • وكذلك جعلناكم امة وسطا وهم اول من وجه بهذا الخطاب فهم مرادون بلاريب وقال سبحانه وتعالى والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقوا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم • فجعل سبحانه ما افاء الله على رسوله من اهل القرى للمهاجرين والانصار والذين جاءوا من بعدهم مستغفرين للمبايعين وداعين الله ان لا يجعل في قلوبهم غلا لهم فلم ان الاستغفار لهم وطهارة القلب من الغل لهم امر يحبه الله ويرضاه ويشئ على

فاعله كما انه قد امر بذلك رسوله في قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله
 واستغفر لذنوبك وللمؤمنين والمؤمنات. وقال تعالى غاف عنهم واستغفر لهم
 ومحبة الشيء كراهته لصدده فيكون الله سبحانه يكره السب لهم الذي هو ضد
 الاستغفار والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة وهذا معنى قول عائشة
 رضي الله عنها امر و بالاستغفار لا صحاب محمد فسيوهم رواء مسلم وعن
 مجاهد عن ابن عباس قال لا تسبوا اصحاب محمد فان الله قد امر بالاستغفار لهم
 وقد علم انهم سيقتلون رواء الامام احمد هو عن سعد بن ابي وقاص قال الناس
 على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت واحدة فاحسن ما انتم كاثنون
 عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت قال ثم قرأ الفقراء المهاجرين الى
 قوله رضوا بالغفولاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت * والذين تبوءوا
 الدار والايمان من قبلهم الى قوله ولو كان بهم خصاصة قال هؤلاء الانصار
 وهذه منزلة قد مضت * ثم قرأوا الذين جاءوا من بعدهم الى قوله رحيم *
 قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة فاحسن ما انتم كاثنون عليه ان تكونوا
 بهذه المنزلة التي بقيت يقول ان تستغفروا لهم ولان من جاز به بينه وبينه
 لم يميز الاستغفار له كما لا يجوز الاستغفار للمشركين لقوله تعالى ما كان للنبي
 والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربي من بعد ما تبين لهم
 انهم اصحاب الجحيم * وكما لا يجوز ان يستغفر لجنس العصاة من غير اسم
 المعصية لان ذلك لا سبيل اليه * ولانه شرع لنا ان نسال الله ان لا يجعل في قلوبنا
 غملا للذين آمنوا والسب باللسان اعظم من الغل الذي لا سب معه ولو كان

الغل عليهم والسب لهم جائز لم يشرع لنا ان نسا له ترك ما لا يضر فعله ولانه
وصف مستحق الفى بهذه الصفة كما وصف السابقين بالهجرة والنصرة فعلم ان
ذلك صفة للموثر فيهم ولو كان السب جائزا لم يشترط في استحقاق الفى
ترك امر جائز كما لا يشترط ترك سائر المباحات بل لو لم يكن الاستغفار لهم
واجبا لم يكن شرطاني استحقاق الفى لا يشترط فيه ما ليس بواجب بل هذا
دليل على ان الاستغفار لهم داخل في عقد الدين واصله * واما السنة * ففى
الصحيحين عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذى نفسى بيده لو ان
احدكم اتفق مثل احد ذهابا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه . وفي رواية
لمسلم وامتشهد به البخارى قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن
عوف شىء فنبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فان احدكم اتفق مثل احد ذهابا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه . وفي رواية
للبرقاني في صحيحه لا تسبوا اصحابي دعوا الى اصحابي فان احدكم اتفق كل
يوم مثل احد ذهابا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه . والاصحاب جمع صاحب
والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها
لانه يقال صحبته ساعة وصحبته شهرا وصحبته سنة قال الله تعالى والصاحب
بالجنب . قد قيل هو الرفيق في السفر وقيل هو الزوجة ومعلوم ان صحبة
الرفيق وصحبة الزوجة قد تكون ساعة فافوقها قد اوصى الله به احسانا
مادام صاحبا . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب

الاجاد يشواردة في ممانعة سب الصحابة رضى الله عنهم

عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره • وقد دخل في ذلك قليل
الصحبة وكثيرها و قليل الجوار وكثيره • وكذلك قال الامام احمد وغيره كل من
صحاب النبي صلى الله عليه وسلم سنة او شهرا او يوما او آه مؤنبا فهو من اصحابه له من
الصحبة بقدر ذلك • فان قيل • فلم نهى خالدا عن ان يسب اصحابه اذ كان
من اصحابه ايضا وقال لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصفه • قلنا • لان عبد الرحمن بن عوف ونظراؤه هم من السابقين
الاولين الذين صحبوه في وقت كان خالدا او امثاله يماذونه فيه وانفقوا
اموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد الفتح
وقاتلوا وكلا وعد الله الحسني فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشرهم فيه
خالدا ونظراؤه • ممن اسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقال فنهى ان
يسب اولئك الذين صحبوه قبله ومن لم يصحبه قط نسبته الى من صحبه
كنسبة خالدا الى السابقين وابعده وقوله لا تسبوا اصحابي خطاب لكل احد ان
يسب من انفرد عنه بصحبته صلى الله عليه وسلم وهذا كقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث آخر ايها الناس اني اتيتكم فقلت اني رسول الله اليكم
فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت فهل انتم تاركو الى صاحبي فهل انتم
تاركو الى صاحبي او كما قال باي هو وامي صلى الله عليه وسلم قال ذلك
لما عاير بعض الصحابة ابا بكر وذاك الرجل من فضلا • اصحابه ولكن امتاز
ابو بكر عنه بصحبته وانفرد بها عنه • وعن محمد بن طلحة المدني عن عبد الرحمن
ابن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة عن ابيه عن جده قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان الله اختارني واختار لي اصحابا جعل لي منهم وزراء واصهارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفوا لاعداء ولا * وهذا محفوظ بهذا الاسناد * وهدروى ابن ماجة بهذا الاسناد حد يثا وقال ابو حاتم في تحديته هذا محله الصدق يكتب حديثه ولا يحتج به على افراد * ومعنى هذا الكلام انه يصلح للاعتبار بتحديثه والاستشهاد به فاذا عضد * آخر مثله جازان يحتج به ولا يخج به على افراد * وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله في اصحابي لا تقدرهم غرضامن بعدى * من احبهم فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان ياخذ * رواء الترمذى وغيره من حديث عبيدة ابن ابي رائلة عن عبد الرحمن بن زياد عنه * وقال الترمذى غريب لا يرفعه الا من هذا الوجه وروى هذا المعنى من حديث انس ايضا لفظه من حب اصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله * رواء ابن البناء * وعن عطاء بن ابي رباح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله من سب اصحابي رواء ابو احمد الزبيرى ثنا محمد بن خالد عنه وقدر وي عنه عن ابن عمر مرفوعا من وجه آخر رواه اللالكائى * وقال على بن عاصم انما ابو يقزم حديثى ابو قلابة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذ ذكر اصحابي فامسكوا رواء اللالكائى * ولما جاء فيه من الوعيد قال ابراهيم النخعي كان يقال شتم ابي بكر وعمر من الكبائر وكذلك قال ابو اسحاق السبيعي شتم

عن ابن ابي عمير فيهم من ابغضهم فيبغض ابغضهم - سنن الترمذى

ابي بكر وعمر من الكبار التي قال الله تعالى ان تحببوا كبار ماتون عنه واذا كان
 شتمهم بهذه المشابة فاقبل ما فيه التذير لانه مشروع في كل معصية ليس فيها
 حد ولا كفارة وقد قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظلما او مظلوما وهذا
 مما لا نعلم فيه خلافا بين اهل الفقه والعلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم والتابعين لم باحسان وسائر اهل السنة والجماعة فانهم مجمعون على ان
 الواجب البناء عليهم والاستغفار لهم والترحم عليهم والترضى عنهم واعتقاد
 محبتهم وموالاتهم وعقوبة من اساء فيهم القول ثم من قال لا اقتل بشتم
 غير النبي صلى الله عليه وسلم فانه يستدل بقصة ابي بكر المتقدمة وهو ان
 رجلا اغلظ له وفي رواية شتمه فقال له ابو برزة اقتله فانتهره وقال ليس
 هذا لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبانه كتب الى المهاجرين ايامه
 ان حد الانبياء ليس يشبه الحد ود كما تقدم ولان الله تعالى ميز بين مؤذى الله
 ورسوله ومؤذى المؤمنين فجعل الاول ملعونا في الدنيا والآخرة
 وقال في الثاني فقد احتمل بهتاننا واثامينا ومطلق البهتان والاثم ليس
 بموجب القتل وانما هو موجب للعقوبة في الجملة فتكون عليه عقوبة مطلقة
 ولا يلزم من العقوبة جواز القتل ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل
 دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا
 بعد احصان او رجل قتل نفسا فيقتل بها ومطلق السب لغير الانبياء لا يستلزم
 الكفر لان بعض من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان رجما سب
 بعضهم بمضاه لم يكفر احد بذلك ولان اشخاص الصحابة لا يجب الايمان بهم

بأعيانهم فبب الواحد لا يقدح في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر ❦ واما من قال يقتل الساب او قال يكفر فلم دلالات احتجوا
بها ❦ منها قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم الى قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار ❦ فلا بد ان يغيظهم الكفار واذا كان
الكفار يغالون بهم فمن غيظهم فقد شارك الكفار فيما اذ لهم الله به واخراهم
وكتبهم على كفرهم ولا يشارك الكفار في غيظهم الذي كتبوا به جزاء
لكفرهم الا كافر لان المؤمن لا يكتب جزاء للكفر ❦ يوضح ذلك ان قوله
تعالى ليغيظ بهم الكفار تعليق للحكم بوصف مشتق مناسب لان الكفر مناسب
لان يغالوا صاحبها فاذا كان هو الموجب لان يغيظ الله صاحبه باصحاب محمد فمن
غالاه الله باصحاب محمد فقد وجد في حقه موجب ذاك وهو الكفر ❦ قال
عبد الله بن ادريس الا ودي الامام ما آمن ان يكونوا قد ضارعوا الكفار
يعني الرافضة لان الله تعالى يقول ليغيظ بهم الكفار وهذا معنى قول الامام
احمد ما رآه على الاسلام ❦ ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ابغضهم فقد ابغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد
آذى الله ❦ وقال فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا ❦ واذا الله ورسوله كفر موجب للقتل كما تقدم
وبهذا يظهر الفرق بين اذاهم قبل استقرار الصحة واذا سائر
المسلمين وبين اذاهم بعد صحبتهم له فانه على عهد قد كان الرجل ممن
يظهر الاسلام يمكن ان يكون منافقا ويمكن ان يكون مرتدافا اذا مات

مقبيا على صحة النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير من نون بنفاق فاذا اذى
 مصحوبه قال صده الله بن مصعود اعتبروا الناس باخذ انهم ، وقالوا ،
 عن المرء لا تسئل وسل عن قريبه • فكل قرين بالمفارق يقتدى
 وقال مالك رضي الله عنه انما هؤلاء اقوام ارادوا القدح في النبي صلى الله
 عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في اصحابه حتى يقال رجل سوء ولو كان
 رجلا صالحا لكان اصحابه صالحين او كما قال وذلك انه ما منهم رجل الا كان
 ينصر الله ورسوله ويذب عن رسول الله بنفسه وماله ويعينه على اظهار دين
 الله واعلاء كلمته وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة وهو حينئذ لم يستقر امره
 ولم تنتشر دعوته ولم تطمئن قلوب اكثر الناس بدينه ومعلوم ان رجلا
 لو عمل به بعض الناس نحو هذا ثم آذاه احد لنضب له صاحبه وعد ذلك
 اذى له والى هذا اشار ابن عمر قال سير بن ذعلوق سمعت ابن عمر
 رضي الله عنه يقول لا تسبوا اصحاب محمد فان مقام احد من خير من عملكم كله
 رواء الالكافي وكأنه اخذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم لو اتفق احدكم
 مثل احد ذهبا ما بلغ مد احد ثم اوصيفه • وهذا تفاوت عظيم جدا ومن
 ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة
 انه لمهد النبي الامي الي انه لا يجبك الا مؤمن ولا يفضك الا منافق رواء
 مسلم • ومن ذلك ما خرجا في الصحيحين عن انس ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار • وفي
 لفظه قال في الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق • وفي الصحيحين

ايضاً عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الانصار
لا يحبهم الامؤمن ولا يبغضهم المنافق من احبهم احبه الله ومن ابغضهم
ابغضه الله . ولمسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يبغض الانصار رجل آمن بالله واليوم الآخر . وروى مسلم في
صحيحه ايضاً عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر فمن سبهم فقد زاد على
بغضهم فيجب ان يكون منافق لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وانما خص
الانصار والله اعلم لانهم هم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبل
المهاجرين وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه ومنعوه وبذلوا
في اقامة الدين النفوس والاموال وعادوا الاحمر والاسود من اجله
وآووا المهاجرين وواسوهم في الاموال وكان المهاجرون اذ ذاك قليلا
غرباء فقراء مستضعفين . ومن عرف السيرة وايام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما قاموا به من الامر ثم كان مؤمناً يجب الله ورسوله لم يملك ان
لا يحبهم كما ان المنافق لا يملك ان لا يبغضهم واراد بذلك والله اعلم ان
يعرف الناس قد راى الانصار لعله بان الناس يكثرون والانصار يقلون وان
الامر سيكون في المهاجرين فمن شارك الانصار في نصرته ورسوله بما مكنه
فهو شريكهم في الحقيقة كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصاراً لله فبغض
من نصر الله ورسوله من اصحابه تفاق . ومن هذا رواه طلحة بن مصرف
قال كان يقال بغض بني هاشم تفاق وبغض ابي بكر وعمر تفاق والشاك

في ان بكر كاشاك في السنة . ومن ذلك ما رواه كثير النواء عن ابراهيم
ابن الحسن بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده قال قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر في
امتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام هكذا رواه
عبد الرحمن بن احمد في مسند ابيه وفي السنة من وجوه صحيحة عن يحيى
ابن عقيل ثنا كثير ورواه ايضا من حديث ابي شهاب عبد ربه بن نافع
الجباط عن كثير النواء عن ابراهيم بن الحسن عن ابيه عن جده برفعه
قال يحيى قوم قبل قيام الساعة يسمون الرافضة براء من الاسلام * وكثير النواء
يضغفونه . وروى ابو يحيى الحماني عن ابي جناب الكلبي عن ابي سليمان
الممداني او النخعي عن عمه عن علي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي
انت وشيعتك في الجنة وان قوما لهم نزيقال لهم الرافضة ان ادركتهم
فاقتلهم فانهم مشركون قال علي ينتحلون حبنا اهل البيت وليسوا كذلك
وآية ذلك انهم يشتمون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما * ورواه عبد الله بن
احمد حدثني محمد بن اسمعيل الاحمسي ثنا ابو يحيى ورواه ابو بكر الاثرم
في سننه شامعاً واية بن عمرو وثنا فضيل بن مرزوق عن ابي جناب عن ابي سليمان
الممداني عن رجل من قومه قال قال علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ادلك على عمل ان عملته كنت من اهل الجنة وانك من اهل الجنة انه سيكون
بعد ناقوم لهم نزيقال لهم الرافضة فان ادركتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون
قال وقال علي رضي الله عنه سيكون بعد ناقوم ينتحلون مودتنا يكذبون

❦ الحديث الواردة في ذكر الرافضة وعلامتهم والوصية بقتلهم ❦

علينا مارقة آية ذلك انهم يسبون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما • ورواه
 ابو القاسم البغوي ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن ابي جناب الكلبي
 عن ابي سليمان الهمداني عن علي رضي الله عنه قال يخرج في آخر الزمان
 قوم لهم نبي يقال لهم الرافضة يعرفون به ويتخلون شيعة نبيهم وليسوا من
 شيعة نبيهم ذلك انهم يشتمون ابا بكر وعمر اينا اذ ركنتموهم فاقبلوهم فانهم
 مشركون • وقال سويد بن حازم عن معاوية بن حماد بن كيسان عن
 ابيه وكانت اخته سرية لابي رضي الله عنه قال سمعت عليا يقول يكون
 في آخر الزمان قوم لهم نبي يسمون الرافضة يرفضون الاسلام فاقبلوهم
 فانهم مشركون • فهذا الموقوف علي رضي الله عنه شاهد في المعنى
 لذلك المرفوع • وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث ام سلمة وفي
 اسناده سوار بن مصعب وهو متروك • وروي ابن بطة باسناده عن
 انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذني واختارني (١) اصحابي
 فجعلهم انصارا وجعلهم اصهارا وانه سيجي في آخر الزمان قوم يعضونهم
 الاكلاتواكلهم ولا تشاربهم الا فلاتا يحوم الا فلا تصلوا معهم ولا تصلوا
 عليهم عليهم حلت اللعنة • وفي هذا الحديث نظير وروي ما هو اغرب
 من هذا واهضعف رواه ابن البناء عن ابي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولا تسبوا اصحابي فان كفارتهم القتل • وايضا فان
 هذا ما ثور عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فروى ابو الاصول
 من مغيرة عن شريك عن ابراهيم قال بلغ علي بن ابي طالب ان

عبد الله بن السوداء يغض ابابكر وعمر فهد بقتله فليل له تقتل رجلا
يدعو الى جكم اهل البيت فقال لا يساكني في دار ابد ١٠ وفي رواية عن
شباك قال بلغ عليا ان ابن السوداء يغض ابابكر وعمر قال فدعاه ودعا
بالسيف او قال فهد بقتله فكم فيه فقال لا يساكني ببلد الا فيه ففناه الى
المدائن ١١ وهذا محفو ظعن ابي الاحوص وقد رواه النجاد (١) وابن بطه
واللالكاي وغيرهم ومراسيل ابراهيم جباد ولا يظهر عن علي رضي الله عنه
انه يريد قتل رجل الا وقتله جلال عنده ويشبه والله اعلم ان يكون انما
تركه خوف الفتنة بقتله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يملك عن قتل
بعض المنافقين فان الناس تشتت قلوبهم عقب فتنة عثمان رضي الله عنه
وصار في عسكره من اهل الفتنة اقوام لم عشائر لو اراد الانتصار منهم
لغضبت لم عشائرم وبسبب هذا وشبهه كانت فتنة الجمل ١٢ وعن سلمة بن
كهيل عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابي قال قلت لابي بابا لو كنت
سمعت رجلا يسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكفر ا كنت تضرب
عنقه قال نعم رواها الامام احمد وغيره ورواه ابن عيينة عن خلف بن
خوشب عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابي قال قلت لابي لو اتيت برجل يسب
ابابكر ما كنت صانعا قال اضرب عنقه قلت فعمر قال اضرب عنقه ١٣ وعبد الرحمن
ابن ابي من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ادركه وصلي خلفه واقره
عمر رضي الله عنه عاملا على مكة وقال هو من رفعه الله بالقرآن بعد ان
قبل له انه عالم بالقرآن قاري لكتايب الله واستعمله علي رضي الله عنه على

خراسان. وروى قيس بن الربيع عن وائل عن البهي قال وقع بين عبيد الله
ابن عمرو وبين المقداد كلام فشم عبيد الله المقداد فقال عمر علي بالحداد
اقطع لسانه لا يجترئ احد بعده يشتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية فهم عمر بقطع لسانه فكلمه فيه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فقال ذروني اقطع لسان ابني لا يجترئ احد بعده يسب احدا من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم رواه حنبل وابن بطة واللائلكي وغيرهم ونقل
عمر انما كف عنه لما شفع فيه اصحاب الحق وهم اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ولعل المقداد كان فيهم. وعن عمر بن الخطاب انه اتى باعرا ابي
يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه رواه ابو ذر الهروي
ويؤيد ذلك ما روى الحكم بن حجل قال سمعت عليا يقول لا يفضلني
احد علي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما الا جلده حد المفتري. وعن علقمة بن
قيس قال خطبنا علي رضي الله عنه فقال انه بلغني ان قوم ما يفضلوني على ابي بكر
وعمر ولو كنت تقدمت في هذا الغائب فيه ولكني اكره العقوبة قبل التقدم
ومن قال شيئا من ذلك فهو مفتري عليه ما على المفتري خيرا الناس كان بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر رواها عبد الله بن احمد وروى ذلك ابن بطة
واللائلكي من حديث سويد بن غفلة عن علي في خطبة طويلة خطبها. وروى
الامام احمد باسناد صحيح عن ابن ابي ليلى قال تدادوا في ابي بكر وعمر فقال
رجل من عطار دغما افضل من ابي بكر فقال الجارو دبل ابو بكر افضل منه قال
فبلغ ذلك عمر قال فجعل يضرب به ضربا بالردة حتى شغل برجله ثم اقبل الى الجارود

فقال اليك غني ثم قال عمر ابو بكر كان خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا وكذا ثم قال عمر من قال غير هذا اقمنا عليه ما نقيم على المفترى فاذا كان الخليفة ان الراشد ان عمرو علي رضى الله عنها يجلدان حد المفترى من يفضل عليا على ابي بكر وعمر او من يفضل عمر على ابي بكر مع ان مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب علم ان عقوبة السب عند هافوق هذا بكثير

فصل

في تفصيل القول فيهم اما من اقترن بسبه دعوى ان عليا اله او انه كان هو النبي وانما غلط جبرئيل في الرسالة فهذا لاشك في كفره بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره وكذلك من زعم منهم ان القرآن نقص منه آيات وكتمت او زعم ان له ثاويلات باطنة تسقط الاعمال المشروعة ونحو ذلك وهو لاه يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهو لاه لا خلاف في كفرهم واما من سبهم سبالا يقدح في عد التهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالخل او الجبن او قلة العلم او عدم الزهد ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التاديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العالم واما من لعن وقبح مطلقا فهذا محل الخلاف فيه لتردد الامر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد واما من جاوز ذلك الى ان زعم انهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا وانهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب ايضا في كفره لانه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء

فصل في تفصيل الاقوال في سبب الصلابة رضى الله عنهم من الروافض وغيرهم ومن اتى بتكفيره منهم

عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فان كفره منعين فان مضمون هذه
المقالة ان نقلة الكتاب والسنة كفار وفساق وان هذه الآية التي هي كتم خير
امة اخر جنت للناس وخيرها هو القرن الاول كان عامتهم كفارا وفساقا
ومضمونها ان هذه الامة شر الامم وان سبقي هذه الامة هم شرارها وكفر
هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء
من هذه الاقوال فانه يتبين انه زنديق وعامة الزنادقة انما يستترون
بمذاهبهم وقد ظهرت لله فيهم مثلات وتواتر النقل بان وجوههم تسخ
خنازير في المحيا والممات وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك ومن ضنف فيه
الحافظ الصالح ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن
سب الاصحاب وما جاء فيه من الاثم والعقاب وبالجملة فمن اصناف السابة
من لا ريب في كفره ومنهم من لا يحكم بكفره ومنهم من تردد فيه
وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك وانما ذكرنا هذه المسائل لانها
من تمام الكلام في المسئلة التي قصدناها هذا اما تبسر من الكلام في هذا
الباب ذكرنا ما يسر الله واقتضاه الوقت والله سبحانه يجعله لوجه خالصا
وينفع به ويستعملنا فيما يرخصه من القول والعمل

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا كثيرا

من قال بار تدا الصحابة او كفرهم او فسقهم فلا ريب في كفره بل من يشك في كفره

✽ خاتمة الطبع ✽

قد انتهى بفضل ذي الفضل المبذول . طبع كتاب ✽ الصارم السلول على شاتم
الرسول ✽ في اواخر شهر جمادى الآخرة من سنة (١٣٢٢) هجرية . في مطبعة مجلس
دائرة المعارف الزاهرة . بمدينة حيدر اباد الدكن العامرة . تحت ظل ملكها
العظيم القدر . والنافذ النهى والامر ✽ مظفر المالك فتح جنك نظام الدوله
نظام الملك آصفجاه مير محبوب علي خان بهادر ✽ لازالت شمس سلطنته
ساطعه . وثمرات عد له يانعه .

وكان ذلك الطبع والتمنيق بالغاية الممكنة من التصحيح والتحقيق تحت نظارة
معتمد هذه الجمعية الناضرة اسفار العلوم المولوى الملا محمد عبد القيوم
واهتمام العبد الضعيف الحسن بن احمد النعماني وقد صححه في اثناء الطبع
العلامة الفهامة السيد ابوبكر بن شهاب الحضرمي والسيد المولوى
ابو الحسن الامر وهى والقاضى المولوى عبد الملك محمد شريف الدين
الحيدرا بادي القالى شكر الله سعي الجميع . واثابهم اجزل الثواب على ذلك
الصنيع . بركة سيد الانام عليه وعلى آله واصحابه افضل الصلوة والسلام
ما درود ق غمام . وفاح مسك ختام .

﴿ فهرس مضامين هذا الكتاب ﴾

مضمون	رقم
خطبة الكتاب	٢
﴿ المسئلة الاولى في ان الساب يقتل سواء كان مسلما او كافرا ﴾	٤
دلائل انتفاض عهد الذمي بسب الله او كتابه او دينه او رسوله	١٢
ووجوب قتله وقتل المسلم اذا اتى ذلك	
فصل في الآيات الدالات على كفر الشاتم وقتله او على احدهما	٢٨
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	٣٤
اصل الايمان والنفاق في القلب وانما القول والفعل فرعان لما	٣٥
الدلالة مطردة في صفات المنافقين	٣٦
بيان اتحاد حرمة الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم	٤١
قصر عمومات القرآن على اسباب نزولها باطل	٥٠
مواضع الطاعة المأمورة للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن	٥٥
فصل في ايراد السنن والاحاديث الدالة على حكم شاتم النبي صلى الله	٥٩
عليه وسلم	
قصة الاعمي الذي قتل ام ولد له كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم	٦٨
قصة قتل كعب بن الاشرف اليهودي	٧٠
اذا رتب الوصف على الحكم بالغاء دل على العلية	٧٣
الواقدي اعلم الناس بتفاصيل المغازي	٧٤

مضمون	رقم
الحكم الحادث بضاف الى السبب الحادث	٧٤
حكاية رجل اغلظ لابي بكر الصديق رضى الله عنه	٩١
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته او كدواكل	٩٣
قصة قتل العصاة بنت مروان من بنى خطمة التي هجت النبي صلى الله عليه وسلم	٩٤
قصة قتل ابي علفك اليهودى لمجاء النبي صلى الله عليه وسلم	١٠٣
قصة شج انس بن زعيم الدلى لمجاء النبي صلى الله عليه وسلم	١٠٤
قصة ابن ابي سرح	١٠٨
قد جرب المجر بون من اهل الفقه والخبرة تعجيل فتح الحصون والمدائن	١١٥
اذا تعرض اهلها لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم	
الساب الطاعن للنبي صلى الله عليه وسلم اعظم جرماً من المرند	١١٦
حديث القينتين اللتين كانتا تقنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم	١٢٤
حكاية قتل ابن خطل وكان تعلق باستار الكعبة ملتجئاً به من القتل	١٣٢
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من كان بهجوه ويؤذ به	١٣٤
من شعراء قریش	
قصة قتل ابي رافع اليهودى لاجل اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٤٨
شرح حديث هل ترك لنا عقيل من دار	١٥٣
ان المهاجرين طلبوا استرجاع ديارهم بعد فتح مكة فمنعهم رسول الله	١٥٦
صلى الله عليه وسلم واقراهايد من استولى عليها ومن اشتراها منه	
قصة قتل ابي جهل	١٥٩
قصة هلاك المستهزئين	١٦١

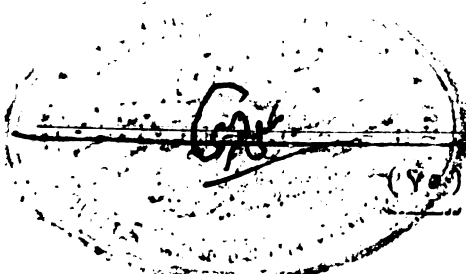
م.م.	مضمون
١٦٥	السب اشد من المحاربة
١٦٦	حكاية رجل اظهر لقوم امارته عليهم بامر النبي عليه الصلاة والسلام كذبا
١٦٧	جزاء الكاذب على النبي صلى الله عليه وسلم
١٦٨	من تنبأ كذبا فانه كافر حلال الدم
١٧٤	حديث الاعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند تقسيمه الغانم ما احسنت ولا اجملت
١٨٩	اختلف الناس في العطايا هل كانت من نفس الغنيمة او من الخمس
١٩٤	فصل في ثبوت الاجماع على قتل سابع النبي صلى الله عليه وسلم
١٩٩	اثبات قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم بالقياس
٢٠١	بذل الاموال وسفك الدماء في تعزيز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره
٢٠٣	فرض الله علينا تعزيرة صلى الله عليه وسلم وتوقيره ايضاً نصر احاد المسلمين واجب ايضاً
٢٠٤	قيام المدح والثناء عليه صلى الله عليه وسلم قيام الدين كله لا يجوز للامة ان يخفوا عنه صلى الله عليه وسلم
٢٤٥	❦ المسئلة الثانية انه يتعين قتل الساب وان كان ذمياً فلا يجوز لمن عليه ولا فداؤه ولا استرقاقه ❦
٢٧٣	فصل في ان شاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعين قتله
٢٩٣	هو عليه السلام ليس كسائر الناس في الحقوق بل خصوصياته لا تخصي
٢٩٦	❦ المسئلة الثالثة ان الساب يقتل ولا يستتاب سواء كان مسلماً او كافراً ❦

مضمون	٢١٠
فصل في بيان استتابة المسلم وقبول توبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم	٣١٠
فصل في ان الاستتابة للمرتد واجبة او مستحبة او غير ذلك	٣١٧
الفرق بين المرتد وبين الكافر الاصل	٣٢١
فصل في متعلقات احكام المرتد	٣٢٢
فصل في ان الذمي اذا سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم تاب	٣٢٦
فصل في ان المسلم اذا سب يقتل من غير استتابة وان اظهر التوبة	٣٣٤
جواز قتل المنافق وان اظهر التوبة	٣٥٠
فصل في وجوب قتل الساب من المسلمين وان تاب والذمي وان اعاد الى الذمة	٣٦٩
الطرق المتعددة في وجوب قتل الذمي الساب	٣٧٠
ايضاً الطريقة الاولى	
الطريقة الثانية	٣٨٨
الطريقة الثالثة	٣٩٣
الطريقة الرابعة	٣٩٤
الطريقة الخامسة	٣٩٥
الطريقة السادسة	٣٩٩
ايضاً الطريقة السابعة	
الطريقة الثامنة	٤٠٠
الطريقة التاسعة	٤٠٢
الطريقة العاشرة	٤٠٤
الطريقة الحادية عشر	٤٠٦

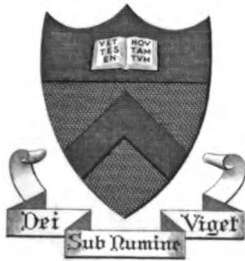
مضمون	٢٠٠
قصة دعاء موسى عليه السلام على قارون وجلسائه	٤١٠
الطريقة الثانية عشر	٤١٢
الطريقة الثالثة عشر	٤١٤
الطريقة الرابعة عشر	٤١٥
الطريقة الخامسة عشر	٤١٦
الطريقة السادسة عشر	٤١٨
ايضاً اوجب الله لنبىه صلى الله عليه وسلم حقوقاً زائدة على القلب واللسان والجوارح	
الطريقة السابعة عشر	٤٢٣
سبه عليه السلام سب لجميع المسلمين وطعن في دينهم	٤٤٣
الطريقة الثامنة عشر	٤٤٤
الطريقة التاسعة عشر	٤٤٦
الطريقة الموفية عشرين	٤٤٨
ايضاً الطريقة الحادية والعشرون	
الطريقة الثانية والعشرون	٤٤٩
الطريقة الثالثة والعشرون	٤٥١
الطريقة الرابعة والعشرون	٤٥٢
ايضاً الطريقة الخامسة والعشرون	
الطريقة السادسة والعشرون	٤٥٥

مضمون	٥٩٠
الطريقة السابعة والعشرون	٤٥٦
فصل في مواضع التوبة المقبولة وغيرها	٥٠٨
فصل في ان الساب اذا رفع الى السلطان وثبت ذلك عليه بالينة لم يسقط عنه الحد وان تاب	٥١٢
﴿ المسئلة الرابعة في بيان السب المذكور والفرق بينه وبين مجرد الكفر وان الساب كافر سواء استحله ام لا ﴾	٥١٤
حكم الزنديق	٥١٥
التعظيم والمحبة للرسول صلى الله عليه وسلم لازم للايمان	٥٢٠
الاستغفاف من المطيع محال	٥٢١
الايمان تصديق وعمل بالقلب	٥٢٢
بين الايمان والاستغفاف منافاة	٥٢٣
التصديق يوجب المحبة والتعظيم وينع ارادة فعل فيه اسهانة	٥٢٧
ايضاً فصل في ان كل سب و شتم يبيع الدم فهو كفر	
ايضاً التعريض بالسب كفر	
بيان اقسام السب	٥٢٨
يقتل من قال ان رداءه صلى الله عليه وسلم وسخ و اراد به عيبه	٥٢٩
السب ما يعد في العرف سباً	٥٣٤
ايضاً فصل في التفريق بين مجرد كفر الذمي وبين سبه	
بيان الطعن في نسبه او خلقه او خلقه او امانته او وفائه او صدقه	٥٣٩

مضمون	٥٤٧
صلى الله عليه وسلم	
فصل كل ما كان من الذمى سبا ينقض عهده ويوجب قتله	٥٤٧
فصل في حكم من سب الله تعالى	٥٥٠
الفرق بين سب الله تعالى وسب النبي صلى الله عليه وسلم	٥٥٢
فصل في بيان الساب لله اذا كان ذميا	٥٥٩
فصل في ان السب ما يقصد به الانتقاص والاستخفاف	٥٦٦
فصل في السب المعلق بالوصف	٥٦٧
فصل في ان حكم سب سائر الانبياء عليهم السلام كحكم سب نبينا	٥٧٠
صلى الله عليه وسلم	
فصل في حكم سب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم	٥٧١
فصل في حكم سب اصحابه صلى الله عليه وسلم وسب اهل بيته واقوال	٥٧٢
الاثمة في ذم الروافض والخوارج	
الايات الدالات على حرمة سب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم	٥٧٦
الاحاديث الواردة في حرمة سبهم	٥٨٠
الاحاديث الواردة في ذكر الرافضة وعلامتهم والوصية بقتالهم	٥٨٧
فصل في تفصيل الاقوال في سبى الصحابة رضي الله عنهم من الروافض وغيرهم	٥٩١
ومن افتي منهم بتكفيره	
من قال بارتداد الصحابة او كفرهم او فسقهم فلا ريب في كفره بل في كفر من	٥٩٢
يشك في كفره	
خاتمة الكتاب	٥٩٣



Library of



Princeton University.

Presented by

THE CARNEGIE FOUNDATION



32101 076411402